سلسلة مفردات التربية الإسلامية

الحلقة الثامنة

التربية الجهادية الإسلامية

تأليف

الدكتور على عبد الحليم محمود

من علماء الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع: ٩٦٦٥ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977 - 265 - 449 - 0



مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

إهداء

●● *إلى* الذين يعملون فى صمت، ويحتسبون عند الله أجْر ما يقومون به من فكر وعمل فى تربية أنفسهم أولاً، ثم فى تربية المسلمين، متخذين من القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ مصدراً ورافداً؛ يمدهم بالقيم التربوية الصحيحة.

●● *وإلى* الذين يرغبون أن يعرفوا عن التربية الإسلامية ما لا يسع المُربىَّ جهلُه.

●● *وإلى* القائمين على المؤسسات التربوية الإسلامية الفاعلة: البيت، والمسجد، والمدرسة، والنادى بأنواعه كلها، وكل التجمعات المهنية فى المجتمع، لعلهم يجدون فى هذه السلسلة بعض ما يعينهم على القيام بأعمالهم فى ميادينهم العديدة.

●● *إلى* هؤلاء أهدى هذه الحلقة الثامنة «**التربية الجهادية الإسلامية**» عسى أن يزول عن بعض العقول ما عَلقَ بالجهاد من شوائب وما أحاط به من تشويه وخلط؛ ذلك أن الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام الإسلام.

والله يهدى إلى سواء السبيل

على عبد الحليم محمود

بين يدى هذه السلسلة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد ﷺ المبعوث هدى ورحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وبعد:

فإن هذه السلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» ذات الحلقات العشر؛ قد تفضَّل الله علىَّ فأتممت منها بهذه الحلقة: «التربية الجهادية الإسلامية» ثمانى حلقات، ولم يبق منها إلاَّ اثنتان، أسأل الله تعالى أن يمنح من الأسباب ما يمكننى به من إتمامها، فبإتمامها تستريح النفس ويستقر القلب، وأشعر بأنى قد قطعت جميع خطوات الطريق، والفضل لله والحمد له الآن وعند الإتمام، إنه الموفق الهادى إلى سواء السبيل.

إن التربية الإسلامية أمل علماء المسلمين، وهدف المصلحين المجددين لأمر الدين، ووسيلة الدعاة إلى الله والمنشغلين منهم بالتربية، وموضع الاحترام والتقدير من علماء التربية المنصفين حتى لو كانوا من غير المسلمين، لأن هؤلاء جميعًا يعلمون أن التربية الإسلامية أشمل أنواع التربية وأكملها، وأكثرها إحاطة بكل ما من شأنه أن يصلح الإنسان فى حاضره ومستقبله ومعاشه ومعاده.

■ وهذه السلسلة كلها وكل مفردة من مفرداتها تستهدف أهدافًا إسلامية ذكرتها أو ذكرت معظمها فى تقديم كل حلقة منها، وأُذكِّر هنا ببعضها فى إيجاز؛ والذكرى تنفع المؤمنين، ومن ذلك:

- التأكيد على أن التربية الإسلامية فى عمومها وفى خصوص كل مفردة من مفرداتها، عمل إسلامى رئيسى وفاعل، وبدونه لا يكون المسلمون على علم أو فهم أو عمل لما يطالبهم به هذا الدين الخاتم؛ وذلك أن التربية تَعَلُّم وعِلْم وتعليم وعمل؛ وهذه هى مطالب الدين الخاتم، وهى المنقذ للإنسانية من ضلالها وحيرتها، بنقلها الناس من الكفر والشرك والضلال إلى الإيمان والإسلام والإحسان والهدى.
- والتأكيد على أن دين الإسلام بوصفه أكمل الأديان وأتمها يربِّى الإنسان تربية متكاملة تتناول كل جوانب حياته، ليؤهله بذلك إلى النجاح والتوفيق فى معاشه ومعاده.

– والتأكيد على أن دين الإسلام بتربيته الشاملة المتكاملة للإنسان، لديه القدرة – من خلال هذه التربية – على أن يحل كل مشكلة تتصل بحياة الإنسان أيًا كان نوعها، وبالغًا ما بلغ حجمها وعمقها ومداها فى الزمان والمكان، سواء فى ذلك المشكلات الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو غيرها، ما دامت هذه المشكلة تعوق وصول حقه إليه، أو تلحق ضررًا به أو بغيره من الناس؛ إذ الإسلام دائمًا هو الحل.

– والتأكيد على أن التربية الإسلامية تعلّم الإنسان وتدربه على التعاون مع غيره على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، وتعلمه كيف يستمع إلى الرأى الآخر ويحاوره حتى يتبيَّن له الحق من الباطل والهدى من الضلال، لان ذلك هو الذى يحقق للناس جميعًا الوئام والسلام والطمأنينة.

– والتأكيد على أن التربية الإسلامية قادرة فى مجال تطبيقها على أن تقدم للناس الخدمات الاجتماعية مادية ومعنوية لأنها تدعم التكافل بين الناس، وترى فى مال الأغنياء حقًّا للسائل والمحروم، حقًّا غير الزكاة التى فرضها الله تعالى فرضًا.

– والتأكيد على أن التربية الإسلامية موجهة للإنسان مهما كان لونه أو عرقه أو لغته أو الإقليم الذى يعيش فيه، فهى ذات تَوَجّه إنسانى عام لا تعرف العنصرية التى يمارسها اليهود، ولا العرقية ولا التفرقة اللونية التى يمارسها عدد كبير من دول أوروبا وفى مقدمتها بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وهولندا وبلجيكا ناهيك عن الولايات المتحدة الامريكية، تلك الدول التى تمارس تلك العنصرية مع انها بنفسها التى كتبت وثيقة حقوق الإنسان!!!

– والتأكيد على أن التربية الإسلامية لا تتوقف عن العمل حتى تصل إلى العالم كله دون خوف من أحد، ولا خشية من عدو مع كثرة أعداء الأديان عمومًا وأعداء الإسلام على وجه أخص، وإن أعداء الإسلام هم أعداء الإنسان وأعداء الحياة إذ هم صانعو الموت والدمار ومصدروه وبائعوه فى شكل أسلحة فتّاكة يعكفون على تصنيعها وإنفاق الملايين على تطويرها يومًا بعد يوم، فتبليغ التربية الإسلامية للناس جميعًا كتبليغ دعوة الله إلى عباد الله منوطة بكل مسلم قادر على التبليغ، حتى يعم الخير الناس جميعًا.

– والتأكيد على أن المسلمين وهم يبلغون رسالة ربهم لا يخافون أحدًا ولا شيئًا، ولا قوةً مهما بلغت، ومهما أضمرت الحقد للإسلام والمسلمين، لان الإسلام حق والحق أبلج،

واحق ان يُتَّبع، ومهما بلغ بأعداء الإسلام حقدهم وتحدّيهم، فإن الله تعالى ناصر المؤمنين وجاعلهم فوق الذين كفروا.

إن الإسلام دين الحق والهدى والخير والتسامح وحسن التعامل وحسن الظن بالناس، لذلك هو دين الإنسانية الراشدة، والتربية الإسلامية هى التى تدعم هذه القيم الرفيعة، فتنقذ بهذه التربية البشرية كلها ممن يتربصون بالإنسان الدوائر، ويحاولون أن يعودوا به إلى العبودية الحقيقية فى السياسة، والاقتصاد على وجه الخصوص؛ تحت شعارات خادعة، وإلى الضعف والتخاذل والبعد عن أسباب القوة.

إن التربية الإسلامية للإنسان تمكنه من ان يقف بالمرصاد لأولئك الذين يتحولون به إلى العبودية فى القرن الواحد والعشرين!!!

يقف لهم بالمرصاد آخذاً بأسباب القوة مجاهداً فى سبيل الله تعالى لنصرة الإنسانية كلها، إرضاء لرب العالمين سبحانه وتعالى.

■■■■

بين يدَيْ هذا الكتاب

موضوع هذا الكتاب هو: «التربية الجهادية الإسلامية»، التى هى أهم مفردات التربية الإسلامية، لأن الجهاد مِنْ بَيْن ما فرض الله على عباده هو ذروة سنام الإسلام.

● وقد أساء بعض الناس فهم الجهاد فى سبيل الله، واعتسفوا فى فقهه فخلطوه بما ليس منه، وأزالوا عنه ما هو من صميمه.

ومن أجل وضع الأمور فى ميزانها الصحيح نذكر فى هذه المقدمة تعريفًا للجهاد فى كلمات عابرة – سوف يتكفل الكتاب بتوضيحها – دالة ومنصفة تستهدف الحق، فنقول:

– الجهاد فى سبيل الله – فى مفهومه الصحيح البعيد عن المغالطات – هو فى أعلى درجاته: جهاد النفس بمقاومة نوازع الشر فيها، وبحفظها من همزات الشياطين، وبضبط سلوكها مع ما أحلّ الله تعالى وما حرّم، بل تلك قمة الجهاد فى سبيل الله وأصعب ما فيه، ولقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك المفهوم الصحيح للجهاد فى قوله ﷺ فيما رواه الترمذى بسنده عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المجاهد من جَاهَد نفسه**».

– ومن مفهوم الجهاد فى سبيل الله؛ التمسك بالحق والمجاهرة به، وبخاصة امام سلطان جائر أو حاكم مستبد، فالجهاد عندئذ شجاعة ادبية وتمسك بالحق، بل إن هذا من أفضل الجهاد، فقد روى أبو داود بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**» وفى رواية لأحمد: «**كلمة حق**».

– وإن من الجهاد أن يلزم المسلمُ نفسه بان تكون له نظرة موضوعية فى الناس حكامًا ومحكومين، وفى الأحداث صغيرها وكبيرها، وأن يلزم نفسه بان يكون متوازنًا منضبطًا مع قيم الإسلام وأخلاقه فى الحكم على الناس والأحداث والأشياء لا يضره مَنْ خالفه فى نظرته العادلة، كما يفهم ذلك المعنى للجهاد مما رواه مسلم بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم مَنْ خذلهم حتى يأتى أمر الله**».

– وبالضرورة أن يكون من الجهاد فى سبيل الله؛ جهاد العدو بكل أنواع الجهاد، جهاد اللسان والكلمة، وجهاد الإعداد لمواجهة العدو بكل أنواع الإعداد، وجهاد العدو أى قتاله، مما سنوضحه فى هذا الكتاب.

هذا هو الجهاد الذى تحاول القوى المعادية للإسلام والمسلمين أن تجرد أمة العرب وأمة المسلمين منه، أى أن تجردها من قيمها وأخلاقها ومن فريضة مما فرض الله عليها، مستعينة على ذلك ببعض الحكام فى العالمين العربى والإسلامى الذين يصفون الجهاد بغير صفاته، فهل من الممكن أن تجرد الأمة من قيمها بقرار، أو تلزم بقيمها بقرار؟ إن هذا هو العبث بعينه والغفلة بذاتها.

إن الجهاد فى سبيل الله سلاح معنوى تُربَّى عليه الأمة لتواجه التحدى الموجه إليها من أعدائها، وفى مقدمتهم إسرائيل، ولتقاوم التخلف المفروض عليها، والتجزىء لوحدتها أو اتحادها، ولتقاوم الفقر والجهل والمرض، ولتقاوم الظلم الاجتماعى وسوء توزيع الثروة بين الناس.

إن الجهاد فى سبيل الله فريضة تُربَّى عليها الأمة لتقاوم حملات التشويه والتشكيك التى توجه للأمتين العربية والإسلامية.

إن الجهاد فى سبيل الله هو الزاد الذى تقاوم به الأمة ما فرض عليها من احتلال البلاد وإذلال العباد، ومهانتهم بالعدوان على أعراضهم وأموالهم وديارهم وأبدانهم وحرياتهم وحقوقهم الإنسانية، مما ولَّد ويولد فى النفوس جبالاً من الكراهية وبحاراً من الحقد على الأعداء الذين يمارسون ذلك فى الأمة، فمهما تطاول الزمان فلن تنسى الأمة العربية والأمة الإسلامية ما فعلته إسرائيل فى الفلسطينيين والعرب من عدوان وإذلال وقتل للمدنيين بالجيوش النظامية، ولا ما فعلته فى جنوب لبنان، ولا فى الجولان ولا فى سيناء، ولا ما تفعله مع أسرى الحرب من دفنهم أحياء أو تكسير عظامهم او تقطيع أوصالهم واستعمالها قطع غيار لمن يحتاجها!!

ولن تنسى الأمة ولن تخف كراهيتها للغرب وفى مقدمته أمريكا وبريطانيا على ما فعلوه بشعب العراق على مدى أكثر من عشر سنوات مهما كانت جريمة حاكم العراق فى عدوانه على الكويت الجارة المسالمة العربية المسلمة بَشعة بكل مقياس ومعيار لأنها لم تعاقب الحاكم الطاغية وإنما عاقبت الشعب نساءً وأطفالاً وَشيوخًا، فهل يمكن أن تخف كراهية العرب والمسلمين للغرب؟

ولن تمحى من ذاكرة الأمة المسلمة بشائع ما ارتكبته أمريكا فى أفغانستان من قتل وتدمير وتخريب وإبادة للمدنيين العزَّل بحجة القضاء على الإرهاب، ولن تزول من ذاكرة

الأمة مناظر من سموهم أسرى حرب وهم معصوبو العيون محقونون بما يفقدهم طاقتهم وقدراتهم يساقون كالحيوانات إلي سجون جوانتانامو فى كوبا التى لا تليق بالحيوانات، ثم يتساءل بعض الأمريكيين قائلين: لماذا يكرهوننا؟

ولن تنسى الأمة ما حدث فى الجزائر وفى السودان وفى ليبيا، وفى تركيا، وفى باكستان وفى أندونيسيا، مما اقترفه الغرب من جرائم ومن انتهاك لأبسط حقوق الإنسان.

- إن الجهاد فى سبيل الله لمقاومة هؤلاء الأعداء وما يقترفونه فى حق الأمة من عدوان ومهانة لا تستطيع قوة أن تلغيه بقرار لأنه جزء من دين الأمة وقيمها وأخلاقها، ومقاومتها لعدوها، فمن أراد أن يلغيه فقد ألغى وجود الأمة وقتل ضميرها وقضى على روح المقاومة فيها، وليس ذلك بمستطاع مهما عَلَّم الغرب بعض الحكومات عَصْب أعين المجاهدين وتكميم أفواههم وتعذيبهم وحرمانهم من النوم ومن قضاء الحاجة الإنسانية ومن النظافة ومن الراحة، لأن ذلك كله لا يمكن أن يقضى على إرادة الإنسان.

● ومع سوء الفهم للجهاد فى سبيل الله واعتساف لفقهه تولدت مغالطات وأكاذيب ومفتريات ألصقت به، نرجو أن نوضحها فى هذا الكتاب بإذن الله تعالى، ونشير إلى أهدافها القريبة أو البعيدة.

ومن أجل ذلك لابد أن نمهد بتأكيد حقيقة هامة فى هذا العصر الذى نعيشه - عصر فرض الوجود الإسرائيلى فى أرض فلسطين - ذلك الوجود الذى التقت عنده مصالح القوى الغربية الاستعمارية والقوى الإسرائيلية الاستيطانية العنصرية الصهيونية الإجرامية، وعندما التقت المصالح بين الصهيونية والصهيونية المسيحية وأوروبا، بدت لهم أهداف تعاونوا عليها من أجل تحقيق مصالحهم هى:

- تمزيق الكيان العربى بجعله دويلات، وتفتيت وحدتهم الجغرافية والسياسية والاقتصادية، والفكرية بل اللغوية والثقافية، يتعاونون فيما بينهم على الإثم والعدوان ويواجهون المدنيين الآمنين بأفتك أنواع الأسلحة حتى ما يُحرَّم منها دوليًا.

- وحرمان العرب من التسلح الذاتى، ورفض تسليحهم إلا فى إطار تفوق إسرائيل على العرب مجتمعين، وفرض تدريبات مشتركة بين أمريكا وكثير من بلدان العالم العربى للتأكد من قدرات العرب القتالية ثم تزويد إسرائيل بقدرات قتالية أعلى.

- وإضعاف العرب والمسلمين نوعان من الإضعاف:

أحدهما: معنوى وهو التهوين من شأنهم والاستدلال بواقعهم المرير على هوان شأنهم وفساد سياستهم، وعجزهم عن مقاومة إسرائيل، وترويج الشائعات وإطلاق المفتريات والتهم الباطلة.

والآخر: إضعاف مادىّ فى مجالى التسلح والاقتصاد، والإغراء بضرب المجاهدين الذين يكونون عونًا وسندًا للجيوش النظامية فى كل معركة، واختراق بعض الجماعات وتشجيعها على القيام بأعمال إرهابية فى بلدانهم، مما يقدم مبررًا للحكومات بضرب هذه الجماعات وتشويه صورتها ثم وصفها بأنها جماعات إسلامية!!!

- وشَنُّ حملة تشويهية ضد الإسلام؛ عباداته ومعاملاته وبخاصة الجهاد فى سبيل الله بوصفه بالإرهاب والعنف لان العدو لا يخشى أحداً مثل ما يخشى المجاهدين وبخاصة العدو الألدّ إسرائيل.

إن إسرائيل فى أرضنا تعيد قصة أمريكا مع الهنود الحمر، وقصة الإنجليز فى استراليا وطرد أو تهميش سكانها الأصليين بحيث أصبحوا قلة لا يجاوزون خمسة وسبعين ألفًا بالنسبة إلي ما يقرب من عشرين مليونًا من الأوربيين الوافدين المستوطنين العنصريين، وكذلك ما فعله الإنجليز فى نيوزيلنده حيث أصبح سكانها الأصليون النيوزيلنديون لا يتجاوزون ٨٪ بينما الأوربيون ٩٠٪ من عدد السكان، وكذلك ما فعله الإنجليز فى جنوبى إفريقية، كل ذلك لا يختلف عما تفعله إسرائيل بالفلسطينيين والعرب !!!

فهل تسكت إسرائيل عن المجاهدين؟

- إننا - أى العالم العربى كله - ما لم نحارب إسرائيل ونعد لها الإعداد الجيد فسوف تفعل بنا فى أوطاننا العربية ما تفعله اليوم بالفلسطينيين، إن كل وطن لا يستعد لمقاومة طغيان إسرائيل سوف يصبح غداً «دير ياسين» أو «كفر قاسم» أو «بحر البقر» أو «قانا» أو «صبرا وشاتيلا» أو «جنين» أو «نابلس» أو غيرها من البلدان التى تعاملت معها قصفًا وتدميراً وقتلاً للأطفال والشيوخ والنساء، بكل وحشية وضراوة كما هو شأن اليهود على مَرّ التاريخ حين يمتلكون القدرة على التخريب والتدمير والاغتيال والقتل.

وهل نستطيع تفادى أخطار إسرائيل إلا بالجهاد المساند للجيوش النظامية.

- إن إسرائيل دولة توسعية كما أعلن ذلك «دافيد بن جوريون» وهو يعلن إنشاء الدولة فى

منتصف ليلة الرابع عشر من مايو عام ١٩٤٨م حيث قال عن حدود الدولة الناشئة: «إن حدود إسرائيل هى ما تصل إليه أقدام أفراد الجيش الإسرائيلى».

وهذا التوسع قد مارسته إسرائيل على مراحل:

- مرحلة حرب ١٩٤٨م بعد قرار التقسيم حيث استوطنت إسرائيل ٥٦٪ فى المائة من أرض فلسطين بارتكاب جرائم الحرب فى دير ياسين وغيرها.

- ومرحلة عدوان ١٩٦٧م حيث استوطنت كامل أرض فلسطين وارتكبت كل ما هو وحشى وغير جائز دوليًا من جرائم الحرب؛ من تنكر لكل حقوق الإنسان. بل ضمت إليها الضفة الغربية وغزة والجولان وكامل أرض سيناء.

- مرحلة عدوان ٢٠٠٢م حيث استوطنت ما كانت قد اعترفت به للفلسطينيين عقب انتفاضة الفلسطينيين عام ١٩٨٧م من خلال مؤتمر مدريد وأوسلو وكامب ديفيد وشرم الشيخ، حيث اعترفت للفلسطينيين بالضفة الغربية وغزة وهو ما عادت تعتدى عليه فى جنين ونابلس ورام الله وغيرها، وترتكب فى هذا العدوان نفس الجرائم التى تعودت عليها فى كل حرب ظالمة تقوم بها، قتل المدنيين بوساطة الجيش النظامى وتهديم البيوت على ساكنيها وتجريف المزارع وإبادة البنية الأساسية حيث حرمت سكان الضفة وغزة من الماء والكهرباء والاتصال بكل أنواعه والمواصلات، وعزلت المدن والقرى الفلسطينية بعضها عن بعض بما أسمته السور الواقى، بل اشتطت فى إجرامها فمنعت إسعاف الجريح ودفن الشهيد، بل قتلت بعض الأطباء والممرضين ومنعت وسائل الإعلام الأجنبية من تسجيل جرائمها، ومنعت الأمم المتحدة من تشكيل لجنة تحقيق وقالت: يكفى لجنة لتقصى الحقائق ثم اعترضت عليها ومنعتها من دخول فلسطين، ومن خلفها أمريكا ترسم وسائل الإجرام والطغيان وتستعمل حق النقض كلما فكر مجلس الأمن فى إدانة إسرائيل.

- وتزعم إسرائيل أنها بهذه الوحشية التى قامت بمثل ما قامت به النازية والفاشية تزعم أنها تستأصل الإرهاب كما فعلت أمريكا فى أفغانستان وكما تفعل فى العراق من ضرب المدنيين وحصار الناس اقتصاديًا واجتماعيًا ونفسيًا وإنسانيًا، وأمريكا من ورائها تصفق لها وتعلن أنها تدافع عن نفسها وتزعم أن مجرم الحرب - أكثر من مرة - شارون، رجل سلام، ولينفطر كبد أى أحد غيظًا وكمدًا وعجزًا بسبب مغالطات

أمريكا وتضليلها، ولا غرابة فى ذلك فهى التى ارتكبت جرائم حرب فى: هيروشيما ونجازاكى وفيتنام والعراق وأفغانستان، وغيرها مما لا يتسع المجال لسرده هنا.

- وإذا كانت إسرائيل ومعها أمريكا قد فعلت كل هذا بالفلسطينيين مسلمين ومسيحيين وحاصرت كنيسة المهد وضربتها وضربت مسجد عمر بن الخطاب، مستعينة على ذلك بأسلحة أمريكية وباستعمال لحق النقض من أمريكا لصالح إسرائيل أكثر من مائة مرة، فإنها تستطيع أن تفعل ذلك بتأييد أمريكا المستمر لها وتبرير جرائمها فى أي مكان تشاء فى الوطن العربى وفى أى زمان تشاء؛ فإن من خطتها وسياستها ومن ورائها أمريكا أن تحارب فكرة الجهاد وأن تشوهها وأن تصفها بالإرهاب، وأن تغرى بالمجاهدين بعض حكومات العالم الإسلامى، لأن ذلك هو الذى يضمن لها على الدوام أن تواجه عدواً ضعيفًا بعيداً عن الجهاد والتضحية.
- وليست إسرائيل وأمريكا وحدهما فى حرب الجهاد والمجاهدين فى سبيل الله، وإنما تشاركهما فى ذلك دول الغرب معظمها وبخاصة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وألمانيا، بدليل أن أيديهم ملوثة بدماء المجاهدين على مدى عقود من الزمان!!!
- وقد كان الاتحاد السوفيتى السابق مضرب المثل فى بطشه بكل ما هو إسلامى، وارتكابه أبشع ما يوصف بأنه جرائم، فلما انهار هذا الاتحاد خَلَف من بعده خَلْف أساء بأكثر مما أساء سالفه وأتى فى الشيشان بكل الجرائم التى مارستها إسرائيل فى جنين ومارستها أمريكا فى فيتنام ومارستها دول أوروبا فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، مما يؤكد أنهم جميعًا ملة واحدة فى حرب الإسلام والمجاهدين، ومطالبة معظمهم بأن يشنوا على المسلمين حروبًا صليبية حديثة!!!
- غير أن مشكلة العالم العربى المباشرة هى: «إسرائيل» بوصفها دولة مستعمرة غازية استيطانية تقوم على العنصرية، وتمارس النازية والفاشية والإبادة للفلسطينيين وللعرب.

فهل يمكن السكوت عنها أو القبول بها مهما طال الزمن أو قصر، ومهما عاونها الغرب وأمريكا وروسيا؟

ما أظن ذلك ممكنا مهما حاولت «الدبلوماسية» أن تنمق من كلمات؛ لأن ذلك ضد الإرادة العربية بل ضد الوجود العربى.

وإن تصديق أمريكا فى زعمها أنها ستجد حلاً لمشكلة استيلاء إسرائيل على فلسطين

حماقة وسفه وإلغاء للعقول وإغماض للعيون، وتجاهل للتاريخ وتنكر للجغرافيا، وثقة بوعود من تعود على الخلف والنكوص عما وعد به عشرات المرات.

إن ما تدعيه إسرائيل بأن فلسطين أرضها يكذبه كل شيء:

– تكذبه التوراة نفسها إذ ليس فيها وعد لإسرائيل بفلسطين.

– وتكذبه الجغرافيا ويكذبه التاريخ، حيث لم يعش اليهود على أرض فلسطين إلا مائتين أو ثلاثمائة من السنين، بينما يسكنها الفلسطينيون منذ ألوف السنين.

– ويكذبه بعض كتاب اليهود أنفسهم ممن لا يؤمنون بالصهيونية ولا بشعارات «أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل».

– ويكذبه إصرار العرب على العمل المستمر من أجل إجلاء اليهود عن أرض قد اغتصبوها وعاثوا فيها فساداً، وقتَّلوا وخربوا وأبادوا، وهذا الإصرار يزيد يوماً بعد يوم مهما تلقَّى العرب من هزائم أمام اليهود المدعومين بقوى عالمية عديدة.

– وتكذبه أعمال البطولة التى أبلى فيها الفلسطينيون بلاءً حسنا، حتى استحبوا بل سارعوا إلى الاستشهاد فى سبيل الله مضحين بأنفسهم يشترون بها ما عند الله من جنة عرضها السموات والأرض، فهل اختار هؤلاء الأبطال الاستشهاد إلا لأنهم فطروا على الجهاد فى سبيل الله؟

● لهذا كان الجهاد فى سبيل الله بكل معنى من معانيه وبكل نوع من أنواعه قدراً مكتوباً على المؤمنين الذين يدافعون عن الحق وعن الأرض والعرض والوجود والقيم الإنسانية.

■■■■

مدخل الكتـــاب

فى التعريف ببعض المصطلحات فى الجهاد وما يتصل به

١- الجهاد :

الجهاد والمجاهدة بمعنى واحد هو : استفراغ الوسع فى مدافعة العدوّ، وهو ثلاثة أنواع أو أقسام هى :

- مجاهدة العدو الظاهر،
- ومجاهدة الشيطان،
- ومجاهدة النفس.

ويفهم كل ذلك من آيات القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، ومن ذلك :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ...** ﴾ [الحج : ٧٨].

وقوله تعالى : ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة : ٤١].

وقوله ﷺ فيما رواه أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»**.

وما رواه ابن النجّار بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه فى الله وهواه»**.

وما رواه الديلمى والخطيب بسنديهما عن جابر رضى الله عنه قال : قَدِم على النبى ﷺ قوم غُزاة فقال : **«قدمتم خير مقدم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، مجاهدة العبد هواه»**.

- والجهاد هو : الدعاء إلى الدين الحق.

والجهاد : محاربة الأعداء، والمحاربة أعم من القتال.

والجهاد: القتال للأعداء والكفار،

فهو دعوة إلى الدين الحق ومحاربة لأعداء الدين الحق وقتالهم، وهو استفراغ الوسع فى حرب العدو باللسان والسلاح والكيد، وبما أطاق المجاهد من شيء يحارب به.

٢- القتال أو المقاتلة:

كلاهما مصدر للفعل: قَاتَل، أى تحرى القتل، وقد أمر الله تعالى به فى قوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة:١٩٣].

وأصل معنى القتل هو: إزالة الروح عن الجسد أى الموت، فإذا اعتبر بفعل القاتل فهو: القتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة فهو: الموت. والفرق بين القتل والموت واضح فى قول الله تعالى: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾** [آل عمران:١٤٤]. عندما أشاع الكفار ان رسول الله ﷺ قد قُتل يوم أحد.

٣- الحرب:

من معانيها:

القتال بين فئتين. أو الإعداد للقتال بكل أنواع الإعداد. واستخدام القوة والعنف ضد العدو ومدافعته ومحاولة قتله، وقد استخدمت فى عصرنا هذا أنواع من الحروب منها:

- الحرب الباردة.
- والحرب الوقائية.
- والحرب النفسية.
- وحرب الاستقلال ومقاومة المحتل المستوطن للبلاد.
- والحرب الشعبية.
- وحرب الاستنزاف.
- وحرب العصابات.
- والحرب الاقتصادية.

ـ والحرب السياسية.

ـ والحرب الاستعمارية الاستيطانية.

ـ والحرب النووية أو الذريّة.

ـ والحرب الكيماوية.

ـ وحرب الجراثيم أو الفيروسات أو غيرها من الكائنات الحية.

ـ والحرب العالمية أو الكونية.

ـ وما يسمى اليوم بحرب النجوم.

ولكل نوع من هذه الحروب تعريف بضيق عنه هذا الكتاب، وأولى به الدراسات العسكرية وهى بحر زاخر بالعلوم العديدة.

٤- الغزو:

هو الخروج إلى محاربة العدو.

والغازى هو من يقوم بهذا العمل، ويُجْمَع على غُزاة أو غُزًى، وقد ورد لفظ غُزًى جمع غاز فى القرآن الكريم.

والغزو: عملية دخول منظم إلى أرض تخص جماعة أخرى دون إرادة أهل هذه الأرض، والأصل فيه أن يكون غزواً عسكريًا.

وهدف الغزو هو الاستيلاء على الأرض واحتلالها سواء استوطن فيها الغازى أو خرج منها بعد أن فرض عليها نظامه.

وعند النظر إلى كلمة الغزو بتوسع نجد منها: غزواً فكريًا وآخر ثقافيًا، وغزواً اقتصاديًا وآخر اجتماعيًا.

والغزوة: المرة من الغزو.

وغزاه أو أغزاه: جهزه للغزو.

والغزاةُ: عمل سَنَة من الغزو.

ومن أشهر أنواع الغزو بعد عصر النهضة الأوربية الغزو الاستيطانى، كما فعلت بريطانيا

وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا وهولندا، وحشود الأوروبيين الذين غزوا أمريكا واستوطنوها، وكما فعلت إسرائيل فى فلسطين بمعاونة بريطانيا والغرب حيث استوطنوها وقتلوا أهلها أو طردوهم.

٥- الزحف:

مصطلح عسكرى يعنى: المشى إلى العدو فى ثقل لكثرة عدد أفراد الجيش وكثرة معداته.

والزحف مشى على البطن حتى لا يكون الزاحف فى مرمى نار العدو.

وكلمة الزحف تطلق على الجيش الكثير العدد.

وفى القرآن الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**﴾ [الأنفال:١٥].

وفى عصرنا هذا يستعمل الزحف تعبيراً سياسياً لوصف مسيرة يقوم بها الجمهور بقصد إظهار الاحتجاج - أو الثورة أو الاعتراض أو الرفض لسياسة الحكومة - بهدف الاستيلاء على السلطة، كما حدث فى إيطاليا سنة ١٩٢٢م عند الزحف على روما للاستيلاء على السلطة.

وقد يوصف الزحف بأنه مقدَّس إذا كان جهاداً أو قتالاً فى سبيل عقيدة أو مبدأ.

٦- الكَرُّ والفَرّ:

- كرَّ الفارس على العدو: حَمَلَ عليه وهجم، ويوصف من يَكر على عدوه بأنه كرَّار أو مكَرّ.

والكرَّة: واحدة الكرّ وهى: العودة والانعطاف على الشىء بالذات أو بالفعل.

- والفَرُّ أو الفرار: الهرب من العدو والتولى عنه، وذلك محرّم فى قتال أعداء الإسلام نهى عنه الله تعالى فى قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦]

ومن معانى الفرَّ قولهم: فَرّ الفارس أى: أوسع الجولان لينعطف على العدو.

وفى الحديث الشريف ما رواه الطبرانى عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فَرَّ فليس منا**».

٧- العَكَّار:

عَكَرَ على الشىء: رجع عليه وانعطف نحوه، والمصدر منه: عكورا.

والعكّار فى الحرب هو الذى ينعطف ويرجع عن خطه، وقد جاء فى الحديث الشريف ما رواه احمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنا فى سرِيَّة، ففررنا فأردنا أن نركب البحر، ثم أتينا رسول الله ﷺ، فقلنا يا رسول الله: نحن الفُرَّار، فقال: «**لا بل أنتم العكَّارون**».

٨- الغارة:

هى الهجوم على العدو فى سرعة.

ويقال: أغار إغارة الثعلب: إذا دفع أسرع ودفع فى عدوه.

والغارة: الخيل المغيرة، قال الله تعالى: ﴿**فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا**﴾ [العاديات: ٣].

والغارة: النهب.

ورجل مغوار: أى كثير الإغارة على الأعداء.

وفى عصرنا هذا دخلت أوصاف لكلمة الغارة تحدد نوعها:

- غارة جوية: وهى هجوم تقوم به الطائرات المعادية، فتخترق المجال الجوّى للبلد الذى تهاجمه، وهدف الغارة الجوية قصف منشآت العدو وإحداث الخراب أو الدمار بها.

- وغارة وهمية أو تجريبية:

وهى غارة تقوم بها سلطات الدفاع المدنى فى بلد مَا للتأكد من سلامة أجهزة الإنذار، ولتدريب الناس على استعمال الوسائل الواقية من الغارات كالإسراع إلى المخابئ والملاجئ وإطفاء الأنوار ونحو ذلك.

٩- البيات أو التبييت:

ويعنى مفاجأة العدو بالإغارة عليه فى جوف الليل، حيث الناس بائتون نائمون غير متنبهين.

فالبيات أو التبييت هو: قصد العدو ليلاً، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧].

١٠- الجيش:

هو الجند أو الجماعة من الناس فى الحرب.

وللجيش فى أى دولة مهمتان رئيستان هما:

- حماية الدولة من أى عدوان خارجى،
- والعمل على نقل الحرب إلى خارج حدود الدولة.

- ثم توسعت بعض الدول فى استخدام الجيش لحفظ النظام أى الأمن الداخلى للدولة.
- ثم انحرفت بعض دول العالم الثالث بوظيفة الجيش عن أصلها فجعلته لحماية الحاكم وبخاصة إذا كان مستبداً.
- ثم بالغت بعض دول العالم الثالث فى تقدير الجيش وقادته الذين يحمون الحاكم، فجعلت الجيش فوق المؤسسات الدستورية فى الدولة، وبخاصة فى البلدان التى قامت فيها انقلابات عسكرية تولى قادتها الحكم، وقد اتضح هذا الاتجاه فى منع بعض الأحزاب ذات التوجه الإسلامى من ممارسة السلطة الدستورية لهم وتولى الحكم على الرغم من حصولهم على الأغلبية من خلال صناديق الاقتراع كما حدث فى الجزائر وفى تركيا وغيرهما من الدول.

وإن من المبادئ المقررة - فى كثير من الدول التى تطبق النظام الديموقراطى - أن الجيش مؤسسة تابعة لوزارة الحرب أو الدفاع، وأنه لا يجوز أن يستقل فتكون له سلطة خاصة تهيمن على أى مؤسسة دستورية فى الدولة، لكن هذه المبادئ تعطل فى كثير من بلدان العالم الثالث خضوعًا أو خوفًا من مغامرات بعض قادة الجيش، أو خضوعًا لرغبة الحاكم المحمى بالجيش الذى يكون فى الغالب قائده أو أهم قادته.

وبعض الحكام يجعلون من الجيش أداة للقهر والإرهاب وإهدار الحقوق.

١١- الخميس:

اسم للجيش الجرار.

- وسمى الجيش خميساً لأنه كان مكونًا من خمس فِرَق:

المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساق.

- وقيل: الخميس هو الجيش الخَشِن - القوى.

- وقيل: سمى الجيش خميسًا لأنه يخمَّس فيه الغنائم - وهى تسمية إسلامية جاء بها الإسلام فى توزيع الغنائم أخماسًا: خُمس لله ولرسوله، والأربعة الأخماس للمقاتلين، كلٌّ على حسب حاله إن كان راكبًا - أى معه فرسه - أو راجلاً أى يقاتل على قدميه.

وقد ورد لفظ الخميس فيما رواه أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه: قال: صبَّح النبى ﷺ خيبر بُكْرَةً، وقد خرجوا بالمساحى فلما نظروا إليه قالوا: محمد والخميس، محمد والخميس، ثم أحالوا يسعون إلى الحصن، ورفع رسول الله ﷺ يديه ثم كَبَّر ثلاثًا، ثم قال: «خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فَسَاءَ صباح المنذرين..».

ورواه البخارى فى كتاب الأذان بسنده عن أنس رضى الله عنه فى باب ما يُحْقَن بالأذان من الدماء.

١٢- الكتيبة:

تطلق الكتيبة على الجيش كله.

وتطلق على الفرقة العظيمة من الجيش.

والكتيبة تشتمل على عدد من السرايا.

وكتب الكتيبة: جمعها وضم بعضها إلى بعض، وتكتَّب الجيش: تجمع، وكتَّب القائد الجيش: جعله كتائب، وكتَّبه: هيأه وجمَّعه.

والكتيبة: جماعة الخيل إذا أغارت على العدو، ويقدر عددها ما بين المائة إلى الألف.

ومن المجاز: تكتَّب الرجل إذا تحزَّم وجمع عليه ثيابه.

وروى البخارى بسنده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: سمعتُ الحَسَن يقول: استقبل والله الحسن بن على رضى الله عنه معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها ...».

١٣- السَّرِيّة:

هى قطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة نفس. والسرية من الخيل: نحو أربعمائة. وسُمِّيتْ سرية لأنها تسرى ليلاً فى خفية.

وفى فتح البارى شرح صحيح البخارى: السرية من مائة إلى خمسمائة فما زاد على ذلك فهو: المَنْسر، فإن زاد على ثمانمائة فجيش، فإن زاد على أربعة آلاف فجيش جرَّار.

وقال بعض المدققين من علماء اللغة: سميت سريّة لأن جنودها هم خلاصة المعسكر وخيارهم، مأخوذة من الشيء السريّ وهو النفيس. وهو أدق من قولهم سميت بذلك لأنها تسرى فى خفية ليلاً.

١٤- الفصيلة:

الفصيلة من الرجل: عشيرته ورهطه الأقربون إليه، وفسَّر العلماء بهذا المعنى للفصيلة قول الله تعالى: ﴿**يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ**﴾ [المعارج: ١١-١٣].

وقيل: فصيلة الرجل أقرب آبائه إليه.

وقيل: أقرب عشيرة الإنسان.

والفصيلة دون القبيلة أى أقل عدداً منها.

- والفصيلة: فرقة من الجيش، أى مجموعة منه، والفِرْقة مصطلح عسكرى حديث يعنى: عدداً من الألوية.

١٥- اللواء:

معناه الأصلى: العلم، وهو دون الراية.

وفى مصطلحات الجيش الحديثة، اللواء: عدد من كتائب الجيش.

ومن معانيه أنه رتبة عسكرية بعد رتبة العميد ودون رتبة الفريق وهى مستحدثة أيضًا.

١٦- الغنيمة:

تجمع على غنائم وهى: كل مظفور به من جهة العدو قهراً.

وقال بعض علماء اللغة: الغنيمة ما أوجف عليه المسلمون بخيلهم وركابهم من أموال المشركين، ويجب فيها الخمس لله ولرسوله وللمؤمنين، والأربعة الأخماس تقسم بين المقاتلين للفارس سهمان أو ثلاثة وللراجل سهم واحد.

وتسمى الغنيمة: النَّفَل ويجمع على أنفال.

١٧- الغلول:

مصدر للفعل غلَّ أي خان ومثله أغلّ. وفي الحديث الشريف الذى رواه علماء الحديث ومنهم احمد بسنده عن المسوَّر به مخرمة رضى الله عنه، فى صلح الحديبية، وقد جاء فيه قول الرسول ﷺ فى شروط الصلح: «... **وأنه لا إسلال ولا إغلال** ...» اى لا سرقة ولا خيانة.

وروى أحمد بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبى ﷺ يقولون: فلان شهيد، وفلان شهيد، حتى مروا برجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «**كلاً إنى رأيته يجر إلى النار فى عباءة غلّها، اخرج يا عمر فناد فى الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**».

١٨- الفيء:

هو الغنيمة التى لا يلحق فيها مشقة، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ**..﴾ [الحشر:٦].

وقال بعض العلماء: سمى الفئ - وهو الظل - تنبيهاً إلى ان اشرف اعراض الدنيا يجرى مجرى الظل الزائل لا محالة.

والفيء الذى أفاءه الله من أموال المشركين على المسلمين بلا حرب ولا إيجاف عليه يجب فيه الخمس أيضًا لله ولرسوله وللمؤمنين، والأربعة الأخماس الباقية تصرف فيما يسُدّ الثغور للمسلمين من خيل وسلاح وعدة ونحو ذلك، اى لا تقسم على المقاتلين لأنه لم يحدث قتال.

١٩- الأنفال:

جمع نَفَل وهو الغنيمة ذاتها.

وقيل: النفل هو ما يحصل للمسلمين من غير قتال - وهو الفئ.

وقيل: هو ما يحصل للمسلمين قبل قسمة الغنائم.

فإذا اعتبر النفل بكونه مظفوراً به يقال له غنيمة.

وإذا اعتبر بكونه منحة من الله ابتداءً من غير وجوب يقال له: نفل.

وأصل النفل فى اللغة هو الزيادة على الواجب.

٢٠- الإعداد:

هو من العَدّ كالإسقاء من السقى؛ فإذا قيل: أعددت هذا لك، أى جعلته بحيث تعده وتتناوله بحسب حاجتك إليه، ومن ذلك المعنى قول الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

والإعداد فى الآية الكريمة يتناول جميع أنواعه من: قوة حربية شاملة فيها التسلح بأمضى أنواع الأسلحة، وفيها إعداد الجند والقادة على أعلى مستوى من الإيمان والتضحية والطاعة، وفيها المرابطة فى الثغور والحدود وكل ما يمكن أن يهاجمه العدو من البلاء، وفيها الأموال والقوى المساندة، وعلى رأس كل ذلك إشاعة ثقافة الجهاد فى سبيل الله على مستوى الناس جميعًا لا أفراد القوات المسلحة وحدهم، لأن فقه الجهاد فى سبيل الله هو من أهم من أنواع الإعداد ومن أهم أسباب الانتصار فى المعارك.

■■■■

الباب الأول

الجهاد فى سبيل الله فى ثقافتنا وحضارتنا

الفصل الأول

ضوء على المفهوم الثقافى للجهاد فى سبيل الله

١- تعريف الجهاد فى سبيل الله.

٢- أنواع الجهاد فى سبيل الله وأهمها؛ نوعان:

الأول: ما كانت وسائله ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

والثانى: ما كانت وسائله تتغير بتغير الزمان والمكان.

الفصل الثانى

ضوء على المفهوم الحضارى للجهاد فى سبيل الله

الجهاد فى ثقافتنا وحضارتنا

- الثقافة هى: مجموع النماذج الثقافية التى يتلقاها الفرد من الجماعة التى ينتمى إليها، وما تشتمل عليه هذه النماذج من عقيدة وعبادة وشريعة ونظام وقيم وأنماط سلوك، وهذه الجماعة فيما يتصل بنا معشر المسلمين قد تلقت هذه النماذج من أسلافها وأولئك تلقوها من القرآن الكريم وسنة النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام وأعمال صحابته رضى الله عنهم، والثقافة عند المسلمين هى ذلك كله.

- أما الحضارة أو المدنية فهى: مرحلة سامية من مراحل التطور الإنسانى تعنى: التقدم والرقى فى مختلف ميادين الحياة الإنسانية وبخاصة العلاقات الاجتماعية، وتشمل مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى وهى تنتقل من جيل إلى جيل أو من جماعة إلى من تليها.

والحضارة عند المسلمين هى ذلك كله أيضًا(١).

- ومن خلال ثقافتنا وحضارتنا سوف نوضح كل ما يخص الجهاد فى سبيل الله بوصفه مفردة ثقافية وحضارية وتربوية، ونسأل الله تعالى العون والتوفيق.

■■■■

(١) للثقافة والحضارة تعريفات عديدة آثرت عدم ذكرها واكتفيت بأن اخترت منها هذين التعريفين للثقافة والحضارة، وكتب الاجتماع والسياسة حافلة بهذه التعريفات.

الفصل الأول

ضوء على المفهوم الثقافى للجهاد فى سبيل الله تعالى

١- تعريف الجهاد فى سبيل الله تعالى:

- الجهاد هو: الدعاء إلى الدين الحق، كما عَرَّفه الجرجانى - أى الدعوة إلى هذا الدين.

والدعاء أو الدعوة إلى هذا الدين يعنى استفراغ الوسع والطاقة فى هذا العمل دون أن يدخر من هذا الوسع شيئًا أو يزيد عليه بما يشق على الداعى، لأن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها ولا يطلب منها إلا ما آتاها.

والدعوة إلى الدين الحق - أى الجهاد فى ذلك - لا يقتضى استعمال القوة فى جميع الأحوال، وإنما تستخدم القوة أو القتال بعد استنفاد الوسائل التى تسبقها بالضرورة من دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وجدال بالتى هى أحسن.

- والجهاد أو المجاهدة: «استفراغ الوسع فى مجاهدة العدو» بشرط أن يكون هذا العدو غير معاهد، وهو فى جوهره وأصله إعلاء لكلمة الله تعالى، وكان الجهاد شغل المسلمين الشاغل من يوم هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة وعملوا بتوجيه الوحى على إقامة المجتمع المسلم.

- وفى تشريع الجهاد فى سبيل الله نقول:

- بقى المسلمون فى مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة لم يشرع الله تعالى لهم الجهاد وردّ العدوان على الرغم مما كانوا يتعرضون له من عدوان وأذى بلغ حدّ التعذيب، وإنما طالبهم بالعفو والصفح عن هؤلاء المعتدين، لعل الله يهديهم كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩].

- ثم شرع الله تعالى لهم الجهاد دفاعًا عن النفس بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، كما نفهم هذه المشروعية من قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩-٤١].

– ثم شرع الله تعالى لهم الجهاد مطلقًا وطالبهم به للدعوة إلى الدين الحق، وأمرهم به أمرًا صريحًا فى عدد من آيات القرآن الكريم، ومنها: قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

بل وعدهم على القيام بالجهاد بالمال والنفس بأحسن الجزاء فى الآخرة وهو الجنة، وفى الدنيا بالفتح والنصر والغنيمة، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

٢- أنواع الجهاد فى سبيل الله وأهمها نوعان:

الأول: ما كانت وسائله كثيرة ومتعددة، ومرحلية، ومتطورة أى من المتغيرات الخاضعة لتغير الزمان والمكان، ومنها ما هو من الثوابت التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

ولذلك فسوف نتحدث عن الوسائل الثوابت أولاً، ثم عن الوسائل المتغيرة ثانيًا، لأن هذه الوسائل عند التدقيق نوعان:

النوع الأول:

ماكانت وسائله من الثوابت المستقرة المستمرة وهى:

أ- الدعاء إلى الدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة.

ب- والدعاء إلى الدين الحق بالجدال بالتى هى أحسن.

جـ- والدفاع عن الدين الحق ضد حملات التشويه.

د- وتأمين طريق الدعاء إلى الدين الحق.

هـ- وجهاد أعداء الدين بالقوة.

أ- الدعاء إلى الدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة:

لان الدعاء إلى الدين الحق لا يجوز أن يكون قسرًا أو إكراهًا كان لابد دائمًا من وسيلة الحكمة والموعظة الحسنة فى هذه الدعوة، وهى وإن كانت حكمة وموعظة حسنة إلا أنها جهاد يكلف صاحبه جهداً وعناء واختياراً لانسب الأساليب.

وقد أمر الله تعالى بذلك فى قوله تبارك وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾ [النحل:١٢٥].

- ولا يقوم الدعاء إلى الدين الحق على وجهه الصحيح المشتمل على الحكمة والموعظة الحسنة إلا إن اعتمد الداعى على القرآن الكريم، وعلى السنة النبوية المطهرة إذ هما أصلا الدين.

- وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يجاهد الكفار بالقرآن الكريم الذى صرّفه وبينه للناس ليتعظوا ويعملوا به فأبى أكثرهم إلا أن يكفروا، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٠-٥٢]. كما فسّره ابن عباس رضى الله عنهما، بأن يدعوهم إلى الدين الحق مبينًا لهم ما فيه من خير لهم فى الدنيا والآخرة.

- وأمرهم بالدعاء للدين الحق بالسنة النبوية إذ هى الحكمة كما نعرف ذلك من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والحكمة كما عرفها ابن عباس رضى الله عنهما هى: «تعلم الحلال والحرام» أى نشر هذا فى الناس لنقلهم به من الضلال إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان.

والحكمة - كما قال كثير من العلماء - هى: «كل كلام معقول مصون من الحشو» والداعى إلى الدين الحق وسيلته هى الكلام المعقول البعيد عن المبالغة والتشدد والإعنات، وليست هذه الصفات أوضح ما تكون إلا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ».

ولقد كان رسول الله ﷺ وكان كلامه رحمة أهداها الله تعالى للناس، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله: ادع على المشركين. قال: «إنى لم أبعث لعّانًا وإنما بعثت رحمة».

● ويرى بعض العلماء أن الحكمة فى الدعاء إلى الدين الحق توجه إلى أصحاب المدارك العالية أى الخاصة من الناس، أما عامة الناس فلهم الموعظة الحسنة ولعلهم يقصدون بالحكمة: الفلسفة.

ولسنا معشر الدعاة إلى الله مع هؤلاء العلماء فيما رأوا، لأن الحكمة بكل معانيها سواء أكانت السنة أو تعليم الحلال والحرام توجه إلى الخاصة والعامة على السواء.

أما الفلسفة حين تستخدم فى الدعاء إلى الدين الحق فهى أنسب فعلاً لأصحاب المدارك العالية، لكن كم عدد الذين يدعون إلى الدين الحق بالفلسفة؟

● وأما الموعظة الحسنة فهى: التذكير بالخير فيما يرق له القلب، ويسميها الدعاة إلى الله: «الرقائق» وتكون بضرب الأمثال وقصّ القصص القرآنى وقصص السنة النبوية على الناس، فذلك أدخل فى القلوب والعقول وأدعى إلى الاستجابة والهدى.

ولهذه الموعظة الحسنة شروط منها:

– أن تكون مأخوذة من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ.

– وأن تكون لينة محوطة بحب الداعى لمن يدعوهم وحرصه على أن ينفعهم بما يقول، وإشفاقه عليهم.

– وأن تكون مشتملة على أساليب الاستمالة بما تشتمل عليه من حق وخير وحسن تعبير.

– وأن تكون خالية من التقريع والزجر والترهيب، لأن ذلك ينفر ويباعد بين الداعى والمدعو، وينافى الحكمة، ويخالف الموعظة الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿ ...وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]، فالله جل شأنه هو الواعظ بكتابه وسنة نبيه ﷺ.

– والله تعالى يثنى على مَنْ يقبل الموعظة ويصفه بالإيمان بالله واليوم الآخر، ويخبر بأن قبوله للموعظة أزكى له وأطهر، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

والعظة تُخرج من اتعظ بها من دائرة الجهل وقصر النظر، كما نفهم ذلك من قول الله تعالى لنبينا نوح عليه السلام حينما أشفق على ولده من العذاب، فطلب من ربه أن ينجيه من هذا العذاب، فأخبره الله تعالى بأن ولده عمل غير صالح وأنه لا يشفع له أن أباه نبي؛ لأنه لا ينجي الإنسان من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٥-٤٧].

● ولا ينتهي عجبي من بعض علماء التربية - المستغربين - الذين يقلدون الغربيين في التنفير من الموعظة، ويرون أنها في مجال التربية غير مجدية، لأنها مباشرة، ولأنها لا تدعو العقل إلى التفكير والتأمل!!!

يقولون هذا مع أن الله تعالى يصف العظة بأنها تُخرج الموعوظ بها من الجهل وتنقله بالتالي إلى العلم والمعرفة، وتدعوه إلى التأمل والتذكر، وخير ما يكون الإنسان إذا تذكر لأنه عندئذ يعمل عقله فيهتدي إلى الحق والصواب والخير، فالله تعالى أمر بأحسن ما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته ونهاه عن كل ما يضره في دنياه وآخرته، ثم عقب على ذلك بأنه موعظة توقظ العقل وتجعله يتذكر واجبه نحو نفسه ونحو ربه ونحو الناس، تفهم ذلك كله من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

- ولقد وصف الله تعالى العظة بأنه دليل الإيمان بالله واليوم الآخر، وأنها دليل طهارة القلب، وأنها تشفي الصدور، وأنها من صفات الكتب السماوية، في عدد من آيات القرآن الكريم.

ب- الدعاء إلى الدين الحق بالجدال بالتي هي أحسن:

قد يحتاج من يدعو إلى الدين الحق مجاهداً في دعوته إلى وسائط غير الحكمة والموعظة الحسنة تناسب من يدعوه إلى الدين الحق، وممن هذه الوسائط:

● الجدال أو المجادلة:

أي المناقشة والمحاورة والمناظرة لإظهار الحق والصواب، وإقناع الخصم، بل إلزامه بالحق بعد

أن تبين، وقد أمر الله تعالى أن تكون المجادلة بالطريقة التى هى أحسن، قال الله تعالى: ﴿ ... وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن معانى الجدال أنه: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وإنما يكون ذلك بالنسبة لمن يجاهد ويدعو إلى الدين الحق بالعمل العقلى الذى يستهدف إظهار الحق.

● وإنما يكون الجدال بالتى هى أحسن إذا استوفى شروطه الشرعية وهى:

– أن يكون هدفه إظهار الحق، لا مجرد غَلَبة الخصم.

– وأن يكون رائده إقناع الخصم واستمالته إلى اتباع الحق.

– وأن يكون خاليًا من التهديد والوعيد.

– وأن يكون خاليًا من العنف والسباب وذكر العيوب.

– وأن يكون مبنيًا على العلم والمعرفة وإقامة الدليل.

– وأن يخلو من الهوى ومن وسوسة الشيطان.

وكل هذه الشروط مستوحاة من آيات القرآن الكريم.

● وقد يحتاج الداعى إلى الدين الحق إلى الجَدَل:

والجدل قوة فى الخصومة وقدرة عليها، ولا يكون ذلك إلا عند الضرورة فى مواجهة متعنت مغالط ينكر ما لا يجوز إنكاره، ويحتاج الداعى فى هذا المجال إلى إجادة فن الجدل والمناظرة واستخدام القياس المنطقى المؤلف من المسلّمات والمشهورات واتباع المقدمات، والوصول منها إلى النتائج بهدف أن يدرك الخصم هذه المقدمات وما يترتب عليها من نتائج، ليجد نفسه ملزمًا بالتسليم بالحق.

– ومن أدب الدعوة إلى الدين الحق ألا يلجأ الداعى إلى اللَّددَ فى الخصومة، أو مغالطة الخصم، لأن هذا مما لا يجوز شرعًا عند ممارسة الجهاد فى الدعاء للدين الحق.

● والجدال دائمًا يجب أن يكون بالتى هى أحسن، وإنما يمارس بشكل أساسى مع نوعين من الناس هما:

– أصحاب الكتب السماوية التى سبقت ظهور الإسلام، كاليهود والنصارى وقد سماهم

القرآن الكريم أهل الكتاب فى قوله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ والمسلمين ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

أى لا تجادلوهم إلا بالطريقة التى هى أهدا وأدعى إلى قبولهم دعوتكم.

ويستثنى من أهل الكتاب فى جدالهم بالتى هى أحسن؛ الذين ظلموا من أهل الكتاب أى جاوزوا حدود الاعتدال فى الجدال والمحاورة، فإن هؤلاء يجوز مجادلتهم بما يناسب ظلمهم وعدوانهم.

– وأما أهل العلم والفكر من غير أهل الكتاب؛ فهؤلاء يجادلون بالتى هى أحسن؛ لأن لهم من العلم والفكر والثقافة ما يجعلهم يستجيبون للحق عندما يتبين.

● أما غير هذين النوعين من الناس فربما لم يكونوا فى حاجة إلى أن يجادلوا أصلاً، وإنما يكفيهم عرض الدين الحق عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وهم فى الغالب يستجيبون.

جـ- والدفاع عن الدين الحق ضد حملات التشويه:

وهذا الدفاع عن الدين الحق ضد مشوهيه وسيلة من وسائل الجهاد فى سبيل الله من أجل الدعاء إلى الدين الحق.

وهذا الدفاع عن الدين الحق ضد مشوهيه عملُ العلماء وأهل الاختصاص فى كل مجال من مجالات العلم، بل واجبهم بحيث لا تبرأ منه ذممهم ما لم يحدث من بعضهم ردٌ لتلك الشبهات ودحض لهذه المفتريات.

● وقد دأب أعداء الإسلام منذ زمن بعيد واكب ظهور الإسلام وانتشاره، دأبوا على تشويه الإسلام كى تهتز ثقة بعض المسلمين فى دينهم، فيصبحوا فرائس سهلة لكل من أراد أن يملأ أذهانهم بالباطل ليحولهم عن دينهم، كما يفعل المبشرون بالنصرانية بين المسلمين.

ومن أهداف هذه الحملات التشويهية للإسلام تنفير الوثنيين فى آسيا وإفريقيا من الإسلام، لأنهم أقبلوا عليه واعتنقوه وتركوا المسيحية وما تقدمه الكنيسة من مغريات.

● وقد تناولت حملات تشويه الإسلام والافتراء عليه عدداً غير قليل من الموضوعات مثل:

– حملات تشويه القرآن الكريم، وفى مقدمة هؤلاء المشوهين:

■ المستشرق: «ماكدونالد» D.B.Macdonald

أحد محررى دائرة المعارف الإسلامية، وخلاصة تشويهه أن القرآن من تأليف محمد ﷺ.

■ والمستشرق «جب» .Sir Hamilton. A.R

أحد محررى دائرة المعارف الإسلامية، وهو ينحو منحى «ماكدونالد» فى زعمه أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ.

■ والمستشرق: هـ. ج. ويلز Wells . H.G

أحد محررى دائرة المعارف الإسلامية، وهو يدعى كذلك أن القرآن الكريم من صنع محمد ﷺ.

وجملة ما شوهوا به الإسلام فى «دائرة المعارف الإسلامية» أو فى كتاب «معالم تاريخ الإنسانية» لويلز، أن القرآن الكريم، كتاب مَحَلّى أو إقليمى، وأنه كتاب يتأسَّى ديانة اليهود والنصارى، وأنه من صنع محمد ﷺ.

- وحملات تشويه السنة النبوية:

وهذه الحملات التشويهية للسنة لها نفس أهداف تشويه القرآن الكريم، وأشد المشوهين للسنة من المستشرقين وأكثرهم حقداً هما: «ماكدونالد» و«جولد زيهر» وإن كان يشاركهما فى ذلك كثير غيرهما، وخلاصة مزاعمهما أن كثيراً من الأحاديث لا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبى ﷺ، وأن الأحاديث غير صحيحة النسبة إلى النبى ﷺ، وأن كثيراً من هذه الأحاديث قد وضعتها الفرق الإسلامية تأييداً لمذاهبها.

- وحملات تشويه شخص النبى ﷺ وسيرته:

ومن أخطر هؤلاء المشوهين:

■ «وليم مويير» فى كتابه: حياة محمد.

■ و«صمويل زويمر» فى كتابه: الإسلام.

■ و«أ.ج.اربرى» فى كتابه: الإسلام اليوم.

■ و«كنيث كراج» فى كتاب: دعوة المئذنة.

■ و«د.س.مرجليوث» فى كتابه: محمد ومطلع الإسلام.

■ و«إدوارد فرمان» فى كتابه: العناصر الصوفية فى محمد.

■ و«ر.بلاشير» فى كتابه: مقدمة القرآن.

وغير ذلك من المستشرقين والمبشرين والحاقدين، الذين ألفوا كتبًا فى تشويه شخص الرسول ﷺ وسيرته.

والردّ عليهم واجب العلماء والمفكرين المسلمين وهو جهاد يحسب لهم ويوضع فى ميزانهم بإذن الله تعالى.

د- وتأمين طريق الدعاء إلى الدين الحق:

الدعوة إلى الدين الحق جهاد فى سبيل الله، والاستمرار فى هذه الدعوة أو فى هذا الجهاد فى سبيل الله واجب شرعى لا يتوقف طالما على الأرض حياة للناس، ومهما تعرض الأعداء للدعاة إلى الدين الحق بأى نوع من الأذى فإن ذلك ما ينبغى أن يوقفهم عن الاستمرار فى الدعوة إلى الدين الحق، فقد خاطب الله تعالى رسوله الخاتم والمسلمين بقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ...**﴾ [القصص:٨٧]، وبقوله تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...**﴾ [الشورى:١٣]. فإقامة الدين الحق واجب كل الأنبياء وواجب من آمنوا به، وما تكون إقامة الدين إلا بالدعوة إليه، وبقوله تعالى: ﴿**فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...**﴾ [الشورى:١٥].

فالدعاء إلى الدين الحق جهاد مستمر إلى يوم القيامة وتأمين المجاهدين فى سبيل الله واجب ليدعوا إلى الدين الحق، ما يخالف فى ذلك إلا الجاهلون بالإسلام أو الحاقدون عليه.

● وتأمين المجاهدين فى الدعاء للدين الحق له وسائل عديدة، وهو واجب الحاكم المسلم وواجب كل قادر عليه من المسلمين، ومن تلك الوسائل التى تؤمن الدعاة إلى الدين الحق:

- الكلمة الطيبة التى تقال فى حق هؤلاء المجاهدين، الكلمة التى تنصفهم، وتزيل عنهم ما يصفهم به أعداء الإسلام من صفات مفتراة يرددها الطغاة ويشيعها من بعدهم من يخافون الطغاة أو يريدون أن يتقربوا إليهم.

- والدعم والمؤازرة والتأييد للمجاهدين فى الدعوة إلى الدين الحق، سواء أكان هذا الدعم معنويًا بالدفاع عنهم وتأييدهم فى عملهم، وإنصافهم مما يتهمون به من تهم

باطلة كالعنف والإرهاب، وتوضيح الفرق بينهم وبين من يقتل الناس بغير مبرر، ويقيم من نفسه سلطة تشريع وسلطة تنفيذ، لأن ذلك لا يكون إلا للحاكم المسلم الذى اختاره المسلمون.

- والعمل على تخذيل العدو المتربص بالإسلام والمسلمين، وإبطال خططه، واتقاء ضرباته الموجهة للإسلام والمسلمين عموماً، وللمجاهدين الذين يدعون إلى الدين الحق على وجه الخصوص.

وتخذيل العدو عمل مستمر طالما كان هناك أعداء، ولكن وسائل التخذيل تختلف باختلاف الزمان والمكان.

ومبدأ تخذيل العدو مارسه رسول الله ﷺ فى غزوة الأحزاب، فقد ذكر ابن إسحق فى السيرة قال: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم. ثم إن نعيم بن مسعود أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى قد أسلمتُ وإن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: **«إنما أنت فينا رجل واحد فخذِّل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة»** فخذَّل نعيم بن مسعود بين بنى قريظة وقريش ومعها غطفان على نحو ما هو معروف فى جميع كتب السيرة.

فتخذيل العدو وإبطال خططه تأمين للمجاهدين ودعم لهم ومؤازرة، وكل ذلك واجب على الحاكم المسلم وعلى كل مسلم يجد فى نفسه القدرة على ذلك.

- وإن هذا الدعم والتأييد للمجاهدين ومؤازرتهم جهاد فى سبيل الله يحسب لمن يقوم به، يفهم ذلك من قول الله تعالى: **﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [التوبة: ٤١]. ويفهم أيضاً من قوله تبارك وتعالى: **﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾** [الحج: ٧٨].

ومهما يكن فى تخذيل العدو من كذب - والكذب كبيرة من الكبائر- فإن الحرب خدعة أى تبيح الكذب لخداع العدو، كما أن الصلح بين المتخاصمين يبيح الكذب، كما أن إرضاء الرجل لزوجته يسمح له بالكذب كذلك، فقد روى أحمد بسنده عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: **«ياأيها الذين آمنوا ما يحملكم على أن تتابعوا فى الكذب كما يتتابع الفراش فى النار، كل**

الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال: رجل يكذب على امرأته ليرضيها، ورجل يكذب فى خديعة حرب، أو رجل كذب بين امرأين مسلمين ليصلح بينهما».

هـ- جهاد أعداء الدين بالقوة:

وتلك وسيلة من الثوابت أيضًا فهى باقية ماضية إلى يوم القيامة لا يقعد عنها المسلمون إلا وقد عطلوا فريضة مما فرض الله عليهم فأثموا بمخالفتهم لأمر الله وعصيانه.

لكن كيفية جهاد الأعداء وقتالهم والآلة العسكرية التى تعد لهم وسائر أنواع الإعداد للجهاد من الوسائل المتغيرة التى تختلف باختلاف الزمان والمكان، وذلك ما سوف نتحدث عنه الآن.

والنوع الثانى:

ما كانت وسائل الجهاد فيه تتغير بتغير الزمان والمكان.

وتتناول:

أ- الإعداد المعنوى والمادى للجهاد أو المجاهد.

ب- وإعداد الآلة العسكرية.

جـ- وإعداد المجاهدين لخوض المعركة.

د- وإعداد القوى المساندة.

هـ- وإحياء فقه الجهاد فى سبيل الله.

ونرجو ان نوضح ذلك فيما يلى والله ولى التوفيق.

أ- الإعداد المعنوى والمادى للجهاد:

هذا الإعداد للجهاد بشقيه المعنوى والمادى ضرورى لازم ولكنه من حيث نوعه من المتغيرات التى تتأثر بتغير الزمان والمكان، أما الإعداد نفسه فمبدأ ثابت مستقر مستمر مثله فى ذلك مثل الثوابت التى تحدثنا عنها آنفا.

إن الجهاد مبدأ وعمل لا يتصور دون إنسان يؤمن به ويمارسه؛ ذلك الإنسان هو المجاهد، ولذلك يكون الإعداد للمجاهد.

● وهذا الإعداد المعنوى للمجاهد يتناول إعداد الروح والعقل والخلق للإيمان بوجوب الجهاد، والاقتناع بأنه ضرورى لحياة الأمة، والتخلق بأخلاق الجهاد وآدابه.

● **الإعداد الروحى:**

قبل أن يخوض المجاهد معارك الجهاد فى سبيل الله لابد أن تُعدّ روحه لخوض هذه المعارك وأن تتقبل الاستشهاد فى سبيل الله، بل تعتبر ذلك الاستشهاد حياة لا موتًا، ومكافأة لا مخاطرة ولا جسارة، لأن الله تعالى قد قال فى محكم كتابه: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة: ١١١].

وعند التدبر فى معنى هذه الآية الكريمة تصفو روح المجاهد من كل الشوائب، وتقبل على الله بأداء ما فرض عليها، ولا ترى أمامها إلا طريقًا واحداً هو الطريق إلى الله وإلى جنته وإلى النصر على الأعداء.

– والتدبر فى أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بثمن هو الجنة، يوقف الإنسان المجاهد على مدى ما فى هذه الصفقة من ربح؛ فالنفوس هو خالقها ولابد أن يقبضها إليه يومًا، والأموال هو رازقها ولابد أن تفوت مالكها أو يفوتها هو يومًا ما، ومع ذلك فإن المجاهد إذا قدمها لصاحبها ومانحها، يأخذ على ذلك أغلى ثمن وهو الجنة!!! ما أكرم المشترى وما أسعد البائع!!!

– والتدبر فى قوله تعالى: **﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾** يوطن المجاهد على أن يكون جهاده فى سبيل الله وحده أى مخلصًا فيه لربه دون سواه، ويؤكد للمجاهد وجوب الثبات إلى أن ينال إحدى الحسنيين: النصر على عدو الله أو الاستشهاد فى سبيل الله، ويباعد بينه وبين مجرد التفكير فى التَّولّى أو الفرار لا الفرار نفسه. هكذا تكون روح المجاهد فى سبيل الله يقاتل حتى النصر أو الاستشهاد، فإذا كان التولى عن العدو عن خطة وهدف يُقَوِّى به المجاهد نفسه أو غيره، فلا بأس.

– والتدبر فى قوله تعالى: **﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾** يملأ روح المؤمن المجاهد بأن سُنَن الله لا تتخلف، وأنها سنن مقررة فى كل الكتب السماوية، وتلك السنة هى وعد الله تعالى للمجاهدين بالجنة إن استشهدوا، أو بالنصر إن قتلوا أعداءهم **﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾**.

– والتدبر فى قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يرفع عن روح المجاهد اى إحساس بالحزن على فَقْد اي عرض من اعراض الدنيا أهل أو ولد أو مال او منصب أو جاه، لانه مقبل باستشهاده فى سبيل الله علي جنة فيها ما لا عين رأتْ ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فأين هذا النعيم من ذلك الذى يمكن ان يحزن على فقده فى الدنيا؟ إنه الفوز العظيم اى الظفر بالخير مع حصول السلامة، والاستشهاد ظفر بالجنة مع حصول السلامة من الذنوب والآثام فى الدنيا، لأن الشهيد يغفر له كل ذنب إلا ما تعلق بالدَّيْن ونحوه؛ كما ورد ذلك فى سنة النبى ﷺ.

● **والإعداد العقلى:**

اى إعداد عقل المجاهد لتقبل الحق والتمسك به والتضحية فى سبيله بالنفس والمال.

وإنما يكون هذا الإعداد لعقل المجاهد بأمور منها:

– تزويد هذا العقل بالعلم والمعرفة والثقافة، وأول ما يلتمس ذلك فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسِيَر صحابته رضى الله عنهم الذين نقلوا إلينا هذا الدين بكل أمانة وإخلاص وتجرُّد ودقة؛ فتلاوة القرآن الكريم وتدبره، وقراءة السنة النبوية وتأمل ما فيها، ومعرفة سير الصحابة رضوان الله عليهم والاستفادة منها؛ هو الزاد الحقيقى الصحيح للمجاهد ولكل مسلم، وتلك هى الخطوة الأولى فى إعداد عقل المجاهد فى سبيل الله.

– وتنقية هذا العقل من الخرافات والاوهام، وتحريره من الانغلاق وتدريبه على حرية الاختيار وحرية الإرادة أساس أصيل فى إعداد العقل الحر المريد المختار، فقد روى ابن المحبّر بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ولكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته، أما سمعتم قول الفُجّار: ﴿... لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** [الملك: ١٠].

– وتحرير العقل من التبعية والتقليد، اى مطالبته على الدوام بأن يفكر ويتدبر، ويتحرر مما كان يأخذ به أسلافه ما لم يكن حقًا وصوابًا؛ حتى لا يقع فيما وقع فيه أهل الجاهلية حينما عرض عليهم الرسول الخاتم ﷺ الدين الحق وطالبهم باتباعه، كما حكى عنهم القرآن الكريم: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾** [البقرة: ١٧٠].

– ومن إعداد العقل دعوته إلى الأخذ بأسباب العلم، بدعوته إلى التأمل والنظر فى سنن

الله فى خلقه وتشريعاته، فإن ذلك هو الذى ينضج العقل ويوقفه على الحق ويكسبه المرونة فى التفكير والتأمل، وآيات القرآن الكريم الداعية إلى التدبر فى سنن الله كثيرة منها؛ قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦]. وقوله سبحانه: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٧]. وقوله جل شانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت:٢٠].

– وإن حصيلة الإعداد العقلى للمجاهد على نحو ما بينا أن يقتنع المجاهد فى سبيل الله أن الجهاد فريضة كالصلاة والزكاة سواء أكان الجهاد فرض عين أو فرض كفاية، لأنه إن لم يقتنع بذلك فلن يشارك فى معركة، ولو أكره على المشاركة لتولى وفرّ، أما إن اقتنع فإنه يشارك ويقاتل حتى ينتصر أو يقتل.

● **والإعداد الخُلُقى:**

إعداد المجاهد خلقيًا شرط جوهرى فى جهاده، لأن للجهاد فى سبيل الله أخلاقًا وآدابًا فى التعامل لابد أن تلتزم، وإلا تحول الجهاد إلى عدوان على الأموال والأنفس.

والإعداد الخلقى واجب لكل مسلم، والمجاهد من أحسن المسلمين وأقربهم إلى الله وأولاهم بمغفرته وجزيل مثوبته.

وإنما يكون هذا الإعداد الخلقى للمجاهد بأمور، منها:

– تفقيهه بأن حسن الخلق أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة، وبأن الرسول ﷺ إنما بعث ليتمم صالح الأخلاق أو مكارم الأخلاق، وأن أجمع ما يكون حسن الخلق إذا تحلى الإنسان بكل خلق جاء به القرآن الكريم وأن جماع الأخلاق الإسلامية متمثلة فى قول الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

– وربط المجاهد بل كل المسلمين بأخلاق القرآن الكريم؛ وذلك أن القرآن دستور لا تشذ عنه فضيلة؛ فهو يأمر بالخير وينهى عن الشر.

وقد تمثل هذا الدستور الأخلاقى القرآنى فى الآيات الكريمة التالية:

■ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا

أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا
تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ
الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
(١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ
وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

■ ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ (١٩)
الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ
وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)
جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم
مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ
مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩-٢٥].

■ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا
وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ
بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ
بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن
يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً
بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
(٩٤) وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا
عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦)
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٠-٩٧].

■ ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (٢٤) ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا (٢٥) وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا (٢٦) إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا (٢٧) وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا (٢٨) ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (٢٩) إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا (٣٠) ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا (٣١) ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا (٣٢) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا (٣٣) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا (٣٤) وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا (٣٥) ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا (٣٦) ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨) ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ﴾ [الإسراء: ٢٣-٣٩].

■ ﴿ قد أفلح المؤمنون (١) الذين هم في صلاتهم خاشعون (٢) والذين هم عن اللغو معرضون (٣) والذين هم للزكاة فاعلون (٤) والذين هم لفروجهم حافظون (٥) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين (٦) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (٧) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (٨) والذين هم على صلواتهم يحافظون (٩) أولئك هم الوارثون (١٠) الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ [المؤمنون: ١- ١١].

■ ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (٦٣) والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما (٦٤) والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن

عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٦].

■ ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٣٦-٤٣].

- وتعليمه أخلاق الجهاد وآدابه، وأنه لا يجوز أن يقتل المجاهد من أعدائه صبيًا ولا امرأة ولا راهبًا ولا شيخًا فانيًا ولا مريضًا لا يُرجَى علاجه ولا مجنونًا، ولا يجوز للمجاهد أن يغدر بمن أجاره، ولا يجوز له أن يمثل بجثث القتلى من الأعداء، ولا يجوز له أن يحرق العدو.

وعلى المجاهد أن يحسن معاملة الأسير، وغير ذلك من آداب الجهاد وأخلاقه، وبكل ذلك وردت أحاديث النبي ﷺ ووصاياه للمجاهدين.

- والإعداد المادى للجهاد أو المجاهد:

وهذا الإعداد المادى واجب على الدوام فهو من الثوابت من حيث وجوبه، ولكنه يتغير بتغير الزمان والمكان من حيث نوعه وطريقته.

ويتناول الإعداد المادى للمجاهد أمورًا كثيرة من أهمها :

تقوية البدن، وتدريبه، وتعويده احتمال المشاق .

● **تقوية البدن :**

- يَقْوَى البدن بالانضباط فى تناول الطعام والشراب، والنوم والراحة، والاعتدال فى تناول كل حاجاته الإنسانية .

كل ذلك مما يجب أن يعرفه المجاهد وأن يلتزم به، وقوة بدن المسلم دليل على خيْريَّته، فقد روى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا وكذا . ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»** .

وتقوية البدن تكون بالتوسط فى ممارسة مطالب البدن وشهواته وفى حدود ما شرع الله تعالى، وتَرْك التوسط إما إسراف وإما تقتير، وكلاهما قد نهى عنه الله تبارك وتعالى، حيث قال جل شانه : ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾ [الإسراء:٢٩] .

وروى مسلم بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **«المؤمن يأكل فى معًى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء»** مما يؤكد الانضباط فى كل ما يؤكل .

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : **«والمؤمن يشرب فى معًى واحد، والكافر يشرب فى سبعة أمعاء»** .

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال لى رسول الله ﷺ : **«يا عبد الله ألم أُخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت : بلى يا رسول الله، قال : فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا ...»** الحديث .

● **وتدريب البدن :**

أى تعويده على الأخذ بأسباب قوة البدن، وعلى ترك ما يضره .

وأسباب قوة البدن فى كلمات هى : الأخذ بما أحل الله للبدن من متعة والإمساك عما حرم

عليه، وقد جعل للبدن مطالب مادية إلى جوار مطالبه الروحية والعقلية، والتوازن بين هذه المطالب هو ما تميز به الدين الحق عن سائر الأديان والملل والفلسفات والمذاهب.

وللإسلام فى تدريب البدن وتعويده وتربيته على تناول مطالبه جميعًا، خطة تقوم على ركيزتين:

الركيزة الأولى:

هى إشباع رغبات البدن كلها على النحو الذى شرعه الله تعالى، أى ما أحَلَّه وما حرَّمه دون إسراف أو تقتير، ومعنى ذلك أن حرمان البدن من مطالبه تجاوز لشرع الله تعالى، كما أن الإسراف فى تناول مطالب البدن تجاوز لشرع الله. والمعيار الدقيق لهذا وذاك هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف:٣١].

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:٣٢].

وهذه الركيزة فى تدريب البدن وتعويده على الأخذ بأسباب القوة هى عدم الخروج عما أَحَلَّ الله لعباده.

والثانية:

هى مباعدة البدن عن أسباب ضعفه، وتلك هى الركيزة الثانية فى التوازن الدقيق بين مطالب البدن.

وأسباب ضعف البدن كثيرة أهمها استغراقه فى الشهوات وانكبابه على ممارستها دون نظر إلى ما حرَّم الله من هذه الشهوات، ولسنا بحاجة إلى أن نقيم الدليل على أن استغراق البدن فى شهواته دون توازن؛ يحطمه ويقضى عليه.

والتوازن فى مطالب البدن هو من أسباب قوته، كما أن فقد هذا التوازن من أسباب ضعف البدن.

وتدريب البدن على الأخذ بأسباب القوة والبعد عن أسباب الضعف هى ما يلزم كل مسلم يريد أن يعبد ربه، والمجاهد من المسلمين أحوج إلى هذا التدريب من سواه، لأن أعمال الجهاد تحتاج بدنًا قويًا مع الروح القوية والعقل الناضج والخلق المستقيم.

ولنا فى إمام المجاهدين ﷺ الأسوة الحسنة فقد كان يسابق فى الجرى وكان يصارع.

روى أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت مع النبى ﷺ فى سفر، قالت: فسابقته فسبقته على رِجْلى - أى غير راكبة - فلما حملتُ اللحم سابقته فسبقنى. فقال: **«هذه بتلك»**.

وروى أبو داود بسنده عن محمد بن على بن ركانة، أن ركانة رضى الله عنه صارع النبى ﷺ، فصرعه النبى ﷺ.

وروى أبو داود بسنده عن عقبة بن عامر الجهنى قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: **«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى»**.

وروى أبوداود بسنده عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب فى صنعته الخير، والرامى به، ومنبله، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلىّ من أن تركبوا ...»** الحديث.

وروى أحمد بسنده عن أبى أمامة بن سهل قال: كتب عمر رضى الله عنه إلى أبى عبيدة ابن الجراح؛ أنْ علّموا غلمانكم العوم، ومقاتلتكم الرمى، فكانوا يختلفون إلى الأغراض، فجاء سهم غرب إلى غلام فقتله فلم يوجد له أصل - أى أب أو أم - وكان فى حجر خال له، فكتب فيه أبو عبيدة إلى عمر رضى الله عنه: إلى من أدفع عقله - أى ديته؟- فكتب إليه عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«الله ورسوله مَولى مَنْ لا مَولى له، والخال وارث من لا وارث له»**.

● وتعويد البدن احتمال المشاق:

بدن المجاهد أكثر الأبدان حاجة إلى القوة والعافية، لأن أعمال الجهاد تحتاج إلى ذلك لا تنجز إلا به، ولذلك يعفى المرضى والضعاف من الجهاد الذى يحتاج إلى قوة الأبدان وعافيتها.

ومن أجل أن أعمال الجهاد فيها حركة ومشقة كان من الضرورى أن يكون المجاهد قادراً على تحمل هذه الصعاب والمشقات.

والتأمل فى إعفاء الإسلام للصغار والضعاف والمرضى وأصحاب العاهات كالعمى والعرج

ونحوهما من الجهاد أى القتال وخوض المعارك، المتأمل لذلك يدرك أن سلامة البدن وقوته هى أساس المشاركة فى الجهاد.

والجهاد فى سبيل الله مربوط دائمًا بالصبر والمصابرة والمرابطة فى سبيل الله تعالى وتقواه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وهذه المطالب الأربعة فى هذه الآية الكريمة لا يستطيع أداءها إلا المؤمن القوى، لأنها صبر ومصابرة ومرابطة وتقوى لله تعالى. والمجاهد فى سبيل الله أحوج ما يكون إلى هذه الصفات؛ فالصبر فى المعركة على مشاقها وجهدها وما فيها من جوع وعطش ومتاعب بدنية عديدة هى من أساسيات الجهاد فى سبيل الله تعالى.

والمصابرة فى جوهرها تحمل للمكاره بين المجاهد وعدوه، والمرابطة فى ثغور الإسلام فى مواجهة الأعداء المتربصين عمل يحتاج إلى القوة والصبر والحيلة والاستعداد المستمر.

وتقوى الله اى خوف الوقوع فيما حرمه الله يحتاج إلى صبر وقوة على الاستمرار فى هذا الصبر.

● وفى الصبر على مشاق الجهاد وتحملها:

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الانفال: ٤٥].

- وقال جل شأنه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

- وروى الطبرانى - فى الكبير - بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صُدِعَ رأسه فى سبيل الله فاحتسب غُفر له ما كان قبل ذلك من ذنب».

- وروى الحاكم - فى المستدرك - بسنده عن أبى أيوب الانصارى قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لقى العدو فصبر حتى يُقتل أو يَغلب؛ لم يفتن فى قبره».

– وروى أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ماخالط قَلْبَ امرئ رَهَجٌ فى سبيل الله إلا حرم الله عليه النار»**.

– وروى أحمد بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكن بالحنيفية السمحة، والذى نفسى بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنة»**.

● وتربية المجاهد فى سبيل الله تتناول كل هذا الإعداد المعنوى والمادى بكل تفاصيله التى ذكرنا وأكثر منها.

ب – وإعداد الآلة العسكرية الملائمة:

القتال بين الناس عمومًا وبين المسلمين وأعدائهم على وجه الخصوص يكاد يكون من المسلَّمات التى لا ينكرها إلا غافل أو متغافل، ولذلك كان إعداد الآلة القتالية المناسبة للزمان وللمكان مطلبًا شرعيًا وعقليًا معًا.

وفى اعتبار هذا الإعداد للآلة القتالية من المتغيرات التى يجب أن تواكب المتغيرات ما رواه ابن ماجه بسنده عن على رضى الله عنه قال: كانت بيد رسول الله ﷺ، قوسٌ عربية، فرأى رجلاً بيده قوس فارسية فقال: **«ما هذه؟» «ألقها، وعليكم بهذه وأشباهها، ورماح القنا، فإنهما يزيد الله لكم بهما فى الدِّين، ويَمكّن لكم فى البلاد»**.

ولا شك أن القوس العربية – لا الفارسية – والحربة كانت أجدى فى الحرب فى ذلك الزمان الذى عاش فيه الرسول ﷺ؛ ولذلك دعا إليها وذكر السبب فى ذلك وهو نشر الدين الحق والتمكن فى البلاد بعدل الإسلام وإحسانه.

ولاشك – كذلك – فى أن آلة القتال التى تعتمد السيف والرمح ونحو ذلك من آلات العصر، قد تغيرت وتطورت على مرِّ العصور مما يوجب الأخذ بأحدث آلات القتال وأكثرها ملاءمة للعصر.

● والعبرة فى هذه الآلة المتطورة فى القتال إنما تكون فى اليد التى تمسك بها، بحيث تكون موصوفة بالأمانة والقوة، والغيرة على الحق والعدل والإحسان، والالتزام بشرع الله تعالى.

● وإعداد هذه الآلة القتالية للجهاد – فى موضوعنا – إنما تكون على مستوى الأفراد

المجاهدين، لا على مستوى الجيوش، لأن إعداد الجيوش بأحدث آلة عسكرية واجب الحكومات وقيادات الجيوش. ومستوى الأفراد الذى نتحدث عنه إنما يكون فى ظل القوانين السائدة فى بلدان العالمين العربى والإسلامى دون الخروج عليها وإلا صارت فوضى...

وإذا كانت معظم دول العالمين العربى والإسلامى قد جرَّمت حمل السلاح - دون ترخيص من الدولة - حفاظًا على الأمن الداخلى، وصيانة لأرواح الناس عندما تقع هذه الأسلحة فى يد من لا يحسن استخدامها؛ فلابد من احترام القانون وعدم الخروج عليه.

● وأما الجيوش التى تسلحها الدول فإنى أشعر أنها أقل إعداداً مما يستوجبه زرع إسرائيل فى كبد العالم العربى وفى صدر العالم الإسلامى، وحسبنا ما تنفقه إسرائيل على تسليح جيشها وما تمده به أمريكا لتكون أقوى من دول العالم العربى مجتمعة!!!

وما تنفقه الولايات المتحدة على آلاتها العسكرية يفوق أربعة أمثال ما تنفقه الدول الأوربية مجتمعة. ومع ذلك يطالب «البنتاجون» بنسبة خمسين ألف مليون من الدولارات لمدة عشر سنوات على الأقل لإنتاج أسلحة متطورة منها على سبيل المثال: طائرة قاذفة مقاتلة لا تراها عين «الرادار» تبلغ نفقات إنتاجها مائتى ألف مليون دولار أمريكى!!!

تفعل هذا وهى القوة العسكرية الأولى فى العالم فى آلتها العسكرية نوعًا وكمًّا!!!

● وإن الولايات المتحدة الأمريكية لتعلم علم اليقين بأن المجاهدين هم الذين بإمكانهم القتال حتى الموت لأن تلك طبيعة المجاهدين يقاتل الواحد منهم حتى يقتل أو ينتصر، وتهون عليه نفسه وماله وراحته فى سبيل مبدئه وعقيدته ونصرة دينه، ولذلك تحاول الولايات المتحدة بقوتها وهيمنتها أن تتدخل فى مناهج التعليم فى البلدان الإسلامية حتى لا يتخرج فيها مجاهدون.

ومنذ زمن غير بعيد والغرب الأوربى والأمريكى يحاول أن يحارب الإسلام فى بلدانه بالسيطرة على مناهج التعليم فيه، وإلغاء ما يعرف فى العالم الإسلامى بالتعليم الدينى، ومع أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م زادت ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية على البلدان الإسلامية لتجفيف منابع الإرهاب - كما يقولون - وساندتها فى ذلك دول أوربا الغربية، وتجفيف الإرهاب عندهم يعنى: الضغط الشديد على ثلاث دول بعينها فى العالم الإسلامى: مصر، والمملكة العربية السعودية، وباكستان.

ولم يكن تحديد هذه الدول بالذات عفويًا وإنما اختيرت مصر بوصفها أكبر دولة عربية

ذات وضع قيادى فى المنطقة وفيها الأزهر معقل العلوم الإسلامية ولغة القرآن الكريم، والسعودية لما تمثله من مكانة دينية فى العالم الإسلامى، وباكستان بوصفها الدولة الإسلامية الوحيدة النووية.

ويغلفون ضغوطهم على تلك الدول المنتقاة باسم الإصلاح. وعند التأمل فى هذا الإصلاح نجده منصبًا على مناهج التعليم عمومًا والتعليم الدينى على وجه الخصوص، من أجل الوصول إلى إغلاق المعاهد والمدارس الإسلامية فى باكستان لأنها فى رأيهم تُفرخ المجاهدين الإرهابيين !!!

إن هذا الإعداد القتالى لخوض المعارك الآتية أو المستقبلية دعا إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ودعا إليه الرسول ﷺ فيما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من خير معاش الناس لهم؛ رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغى القتال مظانه...**».

وما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: مَرَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعْب فيه عُيَيْنة من ماء عذبة فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمتُ فى هذا الشعب. ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ. فقال له: «**لا تفعل، فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا فى سبيل الله، مَنْ قاتل فى سبيل الله فُواق ناقة وجبت له الجنة**».

- وليس معنى إعداد آلات القتال هو التحصن من الموت، لأن الموت آتٍ فى ميدان القتال أو فى غيره، وإن الموت فى ميدان القتال أشرف وأعظم وأجدر بمغفرة الله تعالى ورضوانه.

فقد روى مسلم بسنده عن أبى بكر بن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: سمعت أبى بكر رضى الله عنه وهو بحضرة العدوّ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**» فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى: أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع الرجل إلى أصحابه فقال: اقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فَضَرب به حتى قتل».

وروى مسلم بسنده عن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فذكر إن الجهاد فى سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيتَ إن قُتلتُ فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى؟ فقال رسول الله ﷺ: **«نعم إن قتلتَ فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر»** ثم قال رسول الله ﷺ: **«كيف قلتَ»؟** قال: أرأيتَ إن قتلتُ فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى؟ فقال رسول الله ﷺ: **«نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَّيْن، فإن جبريل عليه السلام قال لى ذلك».**

وروى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: انطلق رسول الله وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: **«لا يَقْدَمَنْ أحدٌ منكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه»**، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: **«قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»** قال أنَس رضى الله عنه: يقول عمير بن الحمام الأنصارى رضى الله عنه: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: **«نعم»** قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: **«ما يحملك على قولك: بخ بخ؟»** قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: **«فإنك من أهلها»** فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِل».

جـ - الإعداد المالى للجهاد فى سبيل الله:

المال هو كل ما يملكه الفرد أو الجماعة من متاع ينتفع به ويرغب فى اقتنائه كالطعام وأثاث البيت والسلعة والأدوات والذهب والفضة والحيوان والعقار ونحوه.

والمال نعمة أنعم الله بها على مخلوقاته لتستقيم به حياتهم الدنيا، وليتنافسوا فى بذله فى الخير لينال الباذل رضا الله تعالى وحسن مثوبته.

- وقد وصف الله المال بأنه زينة الحياة الدنيا، وعطف عليه البنين، وزينة الحياة الدنيا أى جمالها ومتعتها وقوتها، فقال تعالى: **﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** [الكهف: ٤٦].

وبالمال والبنين يعتز الانسان.

- وقد طالب الله الإنسان بالمحافظة على المال وإنفاقه فى وجوهه المشروعة، ومنعه من أن يمكن السفهاء منه حتى لا يسيئوا استعماله أو يبددوه، وما ذلك إلا لقيمة المال وأهميته فى حياة الإنسان، قال الله تعالى: **﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾** [النساء: ٥].

● وعلى الرغم من حب الإنسان للمال وحب تملكه وإنفاقه والتمتع به، فإن الله تبارك وتعالى أمر بالجهاد في سبيله بالمال ،كما أمرنا بالجهاد بالنفس، قال الله تعالى: ﴿ **انفرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة: ٤١].

● والجهاد في سبيل الله - كما سنوضح - أنواع: جهاد بالكلمة واللسان، وجهاد بالسيف والسنان، وجهاد بالكيد والحشد، وجهاد بإرهاب العدو حتى يكف عن المسلمين، وجهاد بالمال، بل ربما كان الجهاد بالمال من أهم أنواع الجهاد، لأن بالمال تشترى آلة القتال وبه يتقوى الجند، وبه تُغَذَّى المعركة، ومَنْ يضحي بماله في سبيل الله فقد ضحى بأحب الأشياء إليه، وقد أمر الله بالإعداد المالي أمرًا ضمنيًا يفهم من قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقد روى البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر**».

● بل إن الإنسان قد زيّن له أربعة أصناف من المال: الذهب والفضة، والخيل، والأنعام، والحرث، وجعل ذلك كله من متاع الحياة الدنيا بالإضافة إلى النساء والبنين، ووصف الله تعالى ذلك بأنه شهوات للنفس الإنسانية، قال الله تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران: ١٤].

● والمال حَسَبُ الإنسان في الدنيا أي شرفه في الناس حين ينفقه في وجوهه التي أحلها الله ويعرف فيه الحقوق المتعلقة به، فقد روى ابن ماجه بسنده عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحَسَبُ المال والكرم التقوى**».

● وإذا كان المال بهذه الأهمية التي عززتها آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة، فإن بَذله في الجهاد في سبيل الله لابد أن تكون له نفس الأهمية مع جزيل ثواب الله تعالى، وإخلاف المنفق بما هو خير مما أنفق، حيث قرَّر الرسول ﷺ أن المال جميعه يذهب، ولا يبقى منه أو يُغْنى منه إلا ما أعطى في سبيل الله، فقد روى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول العبد مالي مالي؛ إنما له من ماله ثلاث؛ ما أكل فأفنى، وما لبس فأبلى؛ أو أعطى فاقنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب**».

● والجهاد فى سبيل الله يحتاج دائمًا إلى المال بكل أنواعه، وهذا الاحتياج مستمر ومتجدد، بل متكاثر معركة بعد معركة، وسَنَةً بعد سنَة، وما دام هناك عدو يقاتل أو يتربص بالمسلمين، وتلك سنة الله فى المؤمنين فإن مواجهة هذا العدو واجبة شرعًا وعقلاً، وتلك المواجهة هى الجهاد فى سبيل الله تعالى؛ لأن دفع العدو واجب وما لا يتم الواجب إلا به – وهو الجهاد – فهو واجب، على هذا اجمعت كلمة المسلمين فى كل العصور.

● ولابد لنا أن نتحدث فى الإعداد المالى للجهاد فى سبيل الله عن نقطتين:

إحداهما: أنواع احتياج الجهاد إلى المال.

والأخرى: كيفية تدبير المال الذى يحتاجه الجهاد.

أنواع احتياج الجهاد فى سبيل الله إلى المال:

الجهاد فى سبيل الله معركة حيَّة أو توقع لمعركة حية، وكل معركة تحتاج إلى المال بكل أنواعه، تلك مسلَّمة أولية لا تحتاج إلى أن نقيم عليها الدليل.

فما الوجوه التى يحتاج فيها الجهاد إلى المال؟

– إعداد الآلة القتالية التى تحتاجها المعركة على مستوى الدولة:

وتلك الآلة تختلف باختلاف الزمان والمكان، وتتطور بتطوره وتترقى بترقيه، وكل ما يشترطه الإسلام فى هذه الآلات القتالية هو أن تكون مما شرع الله وأباح لا مما حرَّم ومنع.

والآية الكريمة تجمل هذه الآلات العسكرية كلها فى «القوة» التى ترهب العدو الحاضر أو العدو المحتمل، وهذه القوة تتنوع إلى عشرات الأنواع التى تلزم المعركة من كل ما يَجدُّ من أنواع القوة التى يتطلبها تغير الزمان والمكان؛ فقد قال تعالى عن هؤلاء الأعداء: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...﴾ وتحت كلمة ما استطعتم تدخل جميع أنواع القوة اللازمة لخوض المعركة فى سبيل الله.

وحدد الله تعالى الهدف من استعمال هذه القوة المتنوعة المتطورة وهو: إرهاب أعداء الله وأعداء المسلمين سواء كانوا حاضرين حين المعركة أو كان يحتمل حضورهم فى معارك آتية، كما يفهم ذلك من قوله تعالى عن هذه القوة المتنوعة المتطورة: ﴿...تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

وهذه القوة المتنوعة المتطورة لا يمكن التوصل إليها إلا بالمال، وإعداد القوة على هذا النحو

لمواجهة الأعداء هو من واجب حكومات المسلمين التى يجب دائمًا أن تدعم بأموال أفرادها ومؤسساتها، وأهل اليسار من أبنائها.

– وإعداد الآلة القتالية التى تحتاجها المعركة على مستوى الأفراد:

فلكل مقاتل بصفته الفردية سلاح يقاتل به العدو، وهو سلاح متنوع متطور كذلك متغير بحسب الظروف.

وإعداد هذا السلاح واجب الدولة أولا ثم واجب الأفراد من بعد ذلك بما يقدمه للدولة من دعم مالى، حتى إذا حان حَيْن المعركة وجد الجيش آلته العسكرية، ووجد الأفراد القادرون على القتال ما يلزمهم من سلاح يناسبهم ويناسب ما يقومون به من عمل مكمل أو متمم لعمل الجيش.

وذلك داخل أيضًا فى الإعداد الذى أمرت به الآية الكريمة: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...** ﴾.

والرسول ﷺ يعلن أن تجهيز المجاهد يعدل أجر المجاهد، وأن من خلف مجاهداً فى أهله بخير فله أجر المجاهد. روى الدارمى بسنده عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ جهَّز غازيًا فى سبيل الله فله مثل أجره، ومن خلف غازيًا فى سبيل الله فى أهله بخير، وأنفق فله مثل أجره»**.

وروى البيهقى فى الشعب بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة، ونفقة الدينار والدرهم منه؛ أفضل من تسعمائة دينار ينفقه فى غيره** (أى فى غير الرباط) **من غيره** (رأى من غير المرابط).

وروى الدارقطنى – فى الأفراد – بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«دينار أنفقته على نفسك، ودينار أنفقته على والديك، ودينار أنفقته على ابن لك، ودينار أنفقته على أهلك، ودينار أنفقته فى سبيل الله، وهو أحسنها أجراً»**.

● ومن الإعداد لآلة الحرب ما أشار إليه النبى ﷺ من ركوب الخيل والرمى واللهو بالسهام.

روى مسلم بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ستفتح عليكم أرضون، ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بسهمه»**.

وروى الترمذى بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ : **«ارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلىّ من أن تركبوا ، كل شىء يلهو به الرجل باطل إلا رمى الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امرأته فإنه من الحق ، ومن ترك الرمى بعد ما عُلّمَه فقد كفر الذى علّمه»** .

● والجهاد فى سبيل الله يحتاج المال فى ظروف عديدة، بل ليس من المبالغة القول بأن الجهاد بغير مالٍ غير مستطاع، لما سبق أن أوضحنا من أن المال يكون به إعداد آلة القتال على مستوى الدولة أو الأفراد .

– ونضيف هنا أن المال يعين بل لابد منه لإعداد ملابس المقاتلين وأدواتهم، وإعداد طعامهم وشرابهم وعلاجهم وتمريضهم ووسائل نقلهم وتحركهم .

– كما نضيف أنه بالمال يمكن الإنفاق على آليات جمع المعلومات عن العدو مهما كان بعيداً ، وبه يمكن الوصول إلى معرفة خططه فى الحرب ومدى إعداده لها، وقد فعل الرسول ﷺ ذلك إذ أرسل من يَحذِرُ – أى يقدر له – عدد جيش العدو وآلته، وإذا عرفت خطة العدو ونوع آلته يمكن أخذ الحذر منه، والرد عليه، بل إفساد خططه .

– وبالمال يكون الإنفاق على وضع خطط مضادة للعدو سواء أكانت خطة دفاع أو خطة هجوم .

– وبالمال يمكن الإنفاق على تدريب المسلمين على جميع الأعمال التى تتصل بالجهاد كالرمى والسباحة ونحوها من مفردات الإعداد للقتال فى سبيل الله .

– **وكيفية تدبير المال الذى يحتاجه الجهاد :**

إذا كان الجهاد فى سبيل الله لا يكون بغير مال يؤمن احتياجات الجهاد والمجاهد، فإن ذلك يعنى أهمية تدبير المال للجهاد، إذ هى خطوة ضرورية من خطوات الإعداد للجهاد .

● وتدبير المال وإعداده للجهاد واجب كل حكومة وكل مؤسسة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو رياضية فى المجتمع، بل واجب كل أسرة تعيش فى المجتمع وواجب كل فرد فيها .

● وقد يتصور بعض الناس أن تدبير المال عسير فى البلدان الفقيرة، وهو تصور خاطئ أو ساذج، لأن التدبير يعنى حسن التصرف والاعتدال والتوسط فى الإنفاق مهما كان المال قليلاً .

والإسلام علمنا أن التبذير محرَّم شرعًا واعتبره من عمل الشيطان، وهو والإسراف سواء في الحرمة وكلاهما من وسوسة الشيطان. ومع التبذير والإسراف تكون هناك حقوق مضيعة ومال ينفق في حرام، لكن ليس مقابل الإسراف أو التبذير هو الشح أو التقتير، إذن المطلوب هو التوسط والاعتدال لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧] ولقوله تعالى: ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وفي تحريم التبذير جاء قوله تعالى: ﴿ ... وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦ – ٢٧] والاقتصاد في جوهره هو التوسط والاعتدال في الإنفاق، وقد دعا الرسول ﷺ إلى الاقتصاد أسلوبًا عامًا في الحياة، وأسلوبًا في التغلب على الفقر والحاجة. فقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما عال من اقتصد**».

● **فما هي خطوات تدبير المال للجهاد؟**

الخطوة الأولى على مستوى الدولة أو الحكومة:

لو وضعت كل حكومة في الأوطان الإسلامية نصب عينيها أن تدبر المال للجهاد في سبيل الله وأعطته الأولوية التي يستحقها لما وقعت في الهزيمة من عدوها، إذ تكون قد أعدت نفسها للجهاد الإعداد الملائم؛ وروح هذا الإعداد هو المال، لكنها تقصر في ذلك الإعداد فتهزم، ولو بحثنا عن سبب أي هزيمة تقع بأمة من الأمم لوجدنا الإهمال في الإعداد للقاء العدو هو القاسم المشترك في كل هزيمة.

وعند التدبر في آية الإعداد نجدها مصدرة بفعل الأمر، ونجدها تشير إلى كل أنواع الإعداد، ونجدها تضع ظروف العدو وإمكاناته في الاعتبار حتى يمكن مواجهته والانتصار عليه: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ... ﴾ [الأنفال: ٦٠].

إن أهم جانب من جوانب إنفاق الحكومة ينبغي أن يكون جانب تأمينها من أعدائها، وتدبير تلك النفقات ليكون الإعداد على أعلى مستوى ممكن ﴿ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾.

والخطوة الثانية:

ترشيد استهلاك الأموال في كل المؤسسات، بحيث تدبر كل مؤسسة أو وزارة قدراً من

موازنتها السنوية للجهاد فى سبيل الله تدفعه للدولة فى كل عام لترصده الدولة للجهاد فى سبيل الله حين يهاجم عدو أو يتأهب للعدوان.

وتستطيع أجهزة المتابعة فى الدولة أن تقيس كفاءة كل رئيس لمؤسسة أو وزارة بمدى قدرته على تدبير قدر من المال سنويًا يرصد لدعم الدولة عند نشوب معركة مع عدو، فهذه هى حقيقة المسئولية وعنوان الإخلاص فى العمل ودليل الغيرة على الوطن أن تدوسه قوات معتدية، وهى مشاركة منه ومن معاونيه ومرءوسيه فى الجهاد، وخصوصًا إذا كان بعض هذا المال من أموالهم الخاصة.

والخطوة الثالثة:

ترشيد استهلاك الأموال فى الأندية الرياضية والاجتماعية والجمعيات الأهلية والنقابات المهنية واتحادات العمال وغيرها، بحيث تدبر كل منها قدراً من المال من ميزانيتها السنوية لتقدمه للدولة فترصده الدولة للجهاد فى سبيل الله عندما تكون معركة ضد الوطن.

ويمكن الحكم على كفاءة كل مسئول من هؤلاء جميعًا من خلال ما يقدمه للدولة من مال دبَّره للجهاد فى سبيل الله.

وليس معنى ذلك أن يدبر المسئول المال للجهاد على حساب ما تؤديه مؤسسته من وظائف وخدمات، ولكن الكفاءة الحقة أن يؤدى وظائف مؤسسته دون تقصير وأن يدبر للجهاد فى سبيل الله ما يستطيع.

والخطوة الرابعة:

على مستوى الأسرة - التى هى وحدة المجتمع ولبنته الأولى - وطالما ركزنا فى هذه السلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» على الأسرة وأهميتها فى كل مفردات التربية روحية وخلقية وعقلية ودينية واجتماعية وسياسية واقتصادية وجهادية وجمالية وبدنية.

وفى هذا المجال مجال التربية الجهادية ومجال الإعداد المالى للجهاد فى سبيل الله نجد الأسرة ذات أثر إيجابى فاعل فى تدبير المال الذى يحتاجه الجهاد، إذ تستطيع الأسرة مهما كانت مواردها أن تقتطع من هذه الموارد جزءاً توجهه إلى الجهاد فى سبيل الله، ويوم يضيق بها الحال فإنها لن تعجز عن صوم ثلاثة أيام من كل شهر تتقرب بذلك إلى الله من جانب وتدخر فرق إنفاق الصوم من الإفطار من جانب آخر، فتدبر بذلك مالاً مباركًا يتوجه إلى الجهاد فى سبيل الله.

وإذا كان ذلك دأب كل أسرة فإن الحصيلة ستكون كثيرة طيبة مباركًا فيها بإذن الله تعالى.

وإذا أضافت الأسرة إلى ذلك – إن كانت موسرة تدفع زكاة مال – إن من بين مخارج الزكاة باب «في سبيل الله» فإن علماء المسلمين يرون الجهاد هو ما عبر عنه بقوله تعالى في آية الصدقات – الزكاة – : «**وفي سبيل الله**».

والخطوة الخامسة:

في تدبير المال من أجل الجهاد على مستوى الأفراد صغاراً وكباراً، فقراء واغنياء.

فإذا ادخر كل فرد مما ينفق جزءاً يسيراً منه ووجهه ليكون حصيلة للجهاد في سبيل الله. فإن ذلك يكون من الخير العميم ومن أسباب رضا الله تبارك وتعالى، ولا يستصغرن أحد شيئًا من ماله يقدمه لدعم الجهاد في سبيل الله، فإن القليل مع القليل كثير، وقد علمنا رسول الله ﷺ الا نحقر من المعروف شيئًا مهما بدا لنا صغيراً أو يسيراً، فقد روى أحمد بسنده عن أبي جرَيّ جابر بن سليم قال: «سألته - أي رسول الله ﷺ – عن المعروف فقال: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تعطي صلة الحبل، ولو أن تعطي شسع النعل، ولو أن تنزع من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تنحي الشيء من طريق الناس يؤذيهم، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منطلق، ولو أن تلقى أخاك فتسلم عليه، ولو أن تؤنس الوحشان في الأرض، وإن سبك رجل بشيء يعلمه فيك وأنت تعلم فيه نحوه فلا تسبه، فيكون أجره لك ووزره عليه، وما سرّ أذنك أن تسمعه فاعمل به، وما ساء أذنك أن تسمعه فاجتنبه**».

من حديث أبي تميمة الجهني عن رجل من قومه هو ابو جُرَيُّ جابر بن سليم.

وروى مسلم بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**».

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسِن شاة**» والفِرْسِن عظم قليل اللحم.

فمن طالبه الرسول ﷺ بذلك وحببه في هذا المعروف القليل، هل يعجز عن تدبير بعض ماله لتقديمه للجهاد في سبيل الله مهما كان هذا المال قليلاً؟

● إن إعداد المال للجهاد في سبيل الله على هذا النحو الميسَّر على كل مستوى وعلى كل أحد، يؤكد أنه إذا جاءت المعركة وجدت مجتمعًا مستعداً متهيئًا، قد أعد لمعركته مع عدوه ما يكفل له النصر بإذن الله تعالى.

■■■■

الفصل الثانى

ضوء على المفهوم الحضارى للجهاد فى سبيل الله

سبق أن قلنا إن الحضارة مرحلة سامية من مراحل التطور الإنسانى تعنى التقدم والرقى فى مختلف شعب الحياة الإنسانية، وبخاصة فيما يتصل بالعلاقات الاجتماعية.

وأن هذه الحضارة تشتمل على مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى والتقنى.

وأنها بهذا المفهوم تنتقل من جيل إلى جيل، ومن جماعة إلى من تأتى بعدها، فى صورة تراكمية يشد بعضها أزر بعض.

وإذا كان للحضارة الإسلامية مكونات أو مفردات فإن الجهاد فى سبيل الله يأتى فى قمة هذه المكونات، مؤكدين أن الجهاد فى سبيل الله ليس - كما يُدَّعى الآن - إرهابًا ولا عدوانًا ولا رغبة فى إسالة الدماء، كما تفعل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية منذ تفجير القنبلة النووية فى هيروشيما ونجازاكى، ومنذ اغتصاب اليهود لفلسطين وعون الغرب كله لها وعلى رأسه بريطانيا العظمى بتوسعها فى استيطان بلدان الآخرين وممارسة التمييز العنصرى الصارخ فى عديد من بلدان العالم. إنها عظمى بذلك المعنى فقط.

والحضارة الإسلامية التى يتسنَّم مفرداتها الجهاد فى سبيل الله تعالى حضارة اعترف بها الأعداء قبل الأولياء، والمجازفون قبل المنصفين، وهذا الاعتراف وحده كافٍ فى الحكم على كفاءة الحضارة الإسلامية وقدرتها على إنشاء حياة إنسانية كريمة تليق بتكريم الله تعالى للإنسان.

غير أننا نضيف إلى هذا الاعتراف؛ أن الحضارة تقاس بمدى التقدم فى نظام الحكم، وحسن اختيار الوزراء والولاة والقادة، والقضاة، وتقدير العلم والعلماء، والأدب والفن.

وبمدى التقدم فى النظم الاجتماعية التى تقوم على احترام الإنسان وتكريمه وعدم انتقاص شيء من حقوقه وحرياته وتوفير أسباب المعيشة الكريمة له، وحسن التعامل مع المخالفين فى المذهب أو فى الدين، ورفع كل أنواع الظلم عن الناس مسلمين وغير مسلمين.

وبمدى تقدم الدولة فى حسن إدارة المرافق العامة، وتطوير المدن نحو الأحسن دائمًا، وضبط النظم والقوانين وتطبيقها على جميع الناس دون استثناء.

وبمدى ضبط الأمور المالية والتجارية والاقتصادية عمومًا، وبتطوير الصناعات والفنون، والزراعة، والملاحة النهرية أو البحرية وبناء السفن وإعداد آلات الحرب والقتال.

وبمدى ما يسود المجتمع من قيم وأخلاق وآداب.

إذا كانت الحضارة فى كل زمان ومكان تقاس بهذه المقاييس ولا يختلف عليها أحد، فإن الحضارة الإسلامية قد أخذت من كل ذلك بأوفى نصيب، بل هى التى وضعت هذه الأسس العادلة كما اعترف بذلك عديد من غير المسلمين، نذكر منهم:

– «كويلر يونغ» T. Cuyler Young الأمريكى فى بحث قدمه للندوة العالمية عن الثقافة الإسلامية التى عقدت فى برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٥٣م قال فيه: «.... وبعد، فهذا عرض تاريخى قُصد به التذكير «بالدَّيْن الثقافى العظيم» الذى ندين به للإسلام منذ كنا – نحن المسيحيين داخل هذه الألف سنة – نسافر إلى العواصم الإسلامية وإلى المعلمين المسلمين؛ ندرس عليهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية، وفى جملة ذلك تراثنا «الكلاسيكى» الذى قام الإسلام على رعايته خير قيام، حتى استطاعت أوربا مرة أخرى أن تتفهمه وترعاه، كل هذا يجب أن يمازج الروح التى نتجه بها – نحن المسيحيين – نحو الإسلام نحمل إليه هدايانا الثقافية والروحية، فهل نذهب إليه إذن فى شعور بالمساواة نؤدى الدَّيْن القديم.

ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدينا ما علينا بربحه، ولكننا سنكون مسيحيين حقًا إذا نحن تناسينا شروط التبادل، وأعطينا فى حب واعتراف بالجميل».

– ومنهم: جوته الشاعر الأديب المسرحى الألمانى (١٧٤٩ – ١٨٣٢م) الذى يقول عن الإسلام: «من حماقة الانسان فى دنياه أن يتعصب كل منا لما يراه، وإذا كان الإسلام معناه الاستسلام لله، فإننا جميعًا نحيا ونموت مسلمين».

– ومنهم جوستاف لوبون الفيلسوف وعالم النفس وعالم الاجتماع الفرنسى (١٨٤١– ١٩٣١م) الذى يقول: «والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم».

– ومنهم برناردشو الفيلسوف الساخر الأديب المسرحى الايرلندى الذى يقول: «وليس فيما أعرف من الأديان نظام اجتماعى صالح كالنظام الذى يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية».

هذه الحضارة الإسلامية من صميمها الجهاد فى سبيل الله لرد العدو ونشر الدين الحق دون إكراه للناس على الدخول فيه.

فالجهاد فى الحضارة الإسلامية فريضة وعبادة لله تعالى، وهو دعوة إلى الدين الحق وحركة به فى الناس والآفاق، وهو عمل ومقاومة للعدو، وهو تأمين لمصالح الإنسان فى الدنيا والآخرة، وبتوضيح هذه المعانى الحضارية للجهاد تُعرف أبعاده وأهدافه وتتبين مكانته بين مفردات الحضارة الإسلامية.

١ - الجهاد فى سبيل الله فريضة أو عبادة:

من مصلحة الإنسان فى دنياه وأخراه أن يتعبده الله تعالى بما يفرض عليه من فرائض وما يندبه إليه من نوافل، وإنما كان ذلك فى مصلحة دينه ودنياه، لأنه إن أطاع الله تعالى فأدّى ما فرض الله عليه فقد حظى برضا الله وحسن ثوابه فى الآخرة، وقد اتبع المنهج والنظام الذى ضمنه الله تعالى كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ، وفى هذا الاتباع سعادة الدنيا وعزها.

● وطاعة الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه إنما تتم بناء على اختيار الإنسان وإرادته دون ضغط أو إكراه، لأن الدين الخاتم يحترم إرادة الإنسان وحرية اختياره إلى الحد الذى ينادى عليه بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾ [الكهف: ٢٩]. أما سائر مخلوقات الله فتعبد الله مُسَخَّرة لا مُخَيَّرة.

● وفريضة الجهاد أو عبادة الجهاد نوعان:

النوع الأول:

فرض كفاية أى عبادة إذا قام بها بعض الناس فتحققت الكفاية بقيامهم بها سقطت فرضيتها على الباقين من المسلمين، فإذا لم يقم به أحدٌ أثم جميع المسلمين، ومثال ذلك: هجوم العدو على المسلمين، حيث يعتبر ردّ العدو عن عدوانه فرضًا يجب أن يقوم به بعض المسلمين فإن لم يستطع بعضهم ردّه وجب ردّه على جميع المسلمين.

والنوع الثانى:

فرض عين على كل مسلم أى واجب يتعين على كل مسلم قادر على ممارسة أنواع الجهاد، ومثال ذلك: عندما يحتل العدو أى جزء من أرض المسلمين، فإنه يتعين عليهم جميعًا أن يجاهدوا بما استطاعوا، لا فرق بين رجل وامرأة ما دام كل منهما قادراً على الجهاد

بالقول أو بالنفس أو بالمال أو بالتأييد والمساندة أو بالدعاية والإعلام أو بالحرب النفسية والتخذيل أو بحمل السلاح أو بالاستشهاد.

والآية الكريمة الدالة على فرضية عبادة الجهاد هي قول الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فهذه الآية الكريمة توجب الجهاد - القتال - على كل قادر عليه. وروى العلماء أن مكحولا الشامي كان يحلف بالله عند البيت الحرام أن القتال واجب.

و«كُتِبَ» أي فُرِض كما في قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] و﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

و«عليكم» أي على كل قادر على الجهاد سواء أكان موجوداً عند نزول الآية أم سيوجد في مستقبل الأيام.

وإجماع المسلمين منعقد على أن الجهاد من فروض الكفايات إلا أن يدخل المشركون ديار المسلمين فإنه يتعين الجهاد حينئذ على كل قادر عليه.

● وسواء أكان الجهاد فرضًا عينيًا أم فرضًا كفائيًا فإنه عمل حضارى يجب أن يمارسه المسلمون فى كل زمان ومكان، لأنه يدفع عن الناس العدوان ويحقق لهم الأمان من جانب، ولأنه يؤكد ويدعم القيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية التى جاء بها الإسلام وحرص على نشرها فى الناس، لأنها من معالم الدين الحق، التى لا يستطيع الناس أن يعيشوا موفورى الكرامة إلا بها. وعيش الإنسان فى كرامة تكفل له حقوقه وتوجب عليه واجباته هو قمة الحضارة وزبدتها وجوهرها، وهى المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... ﴾ [الإسراء: ٧٠] وتكريم الله للإنسان يقتضى الدفاع عنه ضد من ينتقص شيئًا من حقوقه وحرياته، ولا يكون ذلك إلا بالجهاد.

والإنسان المتمتع بحقوقه وحرياته هو الإنسان الذى يعيش الحضارة الإنسانية السامية الشاملة لكل مظهر من مظاهر الرقىّ العلمى والأدبى والفنى والاجتماعى والسياسى والاقتصادى، والطريق إلى تحقيق ذلك لابد فيه من الجهاد.

● والأمة الإسلامية بغير جهاد تعطل فريضة فرضها الله عليها وتهدم ركنًا من أركان دينها،

فتصبح ضعيفة ومطمعًا لأعدائها، وتعجز عن نشر الدين الحق الذى كلفت بأن تجاهد لتنشره فى الناس والآفاق، وبذلك تدخل فى دائرة المعصية لله تعالى فتستحق عقابه فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما معًا.

● والحضارة الإسلامية – كغيرها من الحضارات – حقَّقتْ تقدمًا فى ميادين الحياة الإنسانية، ووجهت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بما اشتملت عليه من قيم ثابتة، ونجحت فى الوصول إلى الرقى العلمى والأدبى والفنى فى كل شعب الحياة الإنسانية.

● والحضارة الإسلامية – كغيرها من الحضارات – أخذت من سائر الحضارات وأعطت لها، وتلك من سنن الحياة الإنسانية، ولكنها تميزت عن سواها وهى تأخذ وتعطى بأنها لم تعط عطاء المتعالى المغرور، ولا أخذت أخذ الوضيع المقهور، لأنها تعلم أن الأخذ والعطاء من سنن الله فى خلقه، وليس الآخذ بأقل من المأخوذ منه، ولا المعطى بأفضل ممن أخذ عنه.

● ويخطئ من يدعى أن حضارة أقل من حضارة، ويمعن فى الخطأ من يتصور أن هناك صراعًا بين الحضارات، إنما الصراع إن وجد ففى غير المنصفين من الناس الذين يعميهم التعصب عن رؤية الحق ويخدعهم المظهر عن الجوهر.

● وما يردده «هنجنتون» الأمريكى وأمثاله عن صراع بين الحضارات فإنما يعبر بذلك عما تنطوى عليه نفسه من عنصرية واستعلاء وبعد شديد عن الموضوعية والحياد فى إصدار الأحكام.

– إن هجمة شرسة ضد العرب والمسلمين وحضارتهم تشنها أوربا وأمريكا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م اتهموا فى هذه الأحداث العرب والمسلمين بأنهم وراءها دون أدنى دليل بل قبل أن يظهر أى دليل.

– وهذه الهجمة ضد العرب والمسلمين والحضارة الإسلامية تولت كِبْرها الولايات المتحدة الأمريكية وأخذت تحشد من أعداء العرب والمسلمين من أنحاء الأرض معلنة أن من ليس معها فى هذه الهجمة فهو عليها، وتعلن أنها حرب صليبية تشنها أمريكا على العرب والمسلمين، وتحاول اسرائيل محضن الشر والحقد على كل ما هو إسلامى أن تستغل موقف أمريكا فى ضربها لأفغانستان دفاعًا عن نفسها – كما تدعى – لكى تجتاح هى الضفة الغربية من فلسطين لتمارس فيها أبشع جرائم الحرب وأشنع قتال بين جيش مدجج بأحدث أنواع الأسلحة وأفتكها ومدنيين لا يملكون سلاحًا إلا حجرًا

ومدراً ، والعالم الغربى المتحضر بحضارة أحسن من حضارة المسلمين - فى زعمهم - ينظر إلى مذابح أفغانستان ومدن الضفة الغربية بعين هانئة وقلب بارد وعواطف قُدَّت من الحجارة!!!

ولن يستطيع « هنجنتون » ولا « فريدمان » ولا أمريكا ولا إسرائيل أن يغيروا من الحقيقة شيئًا، حقيقة أن الحضارات تأخذ وتعطى بعضها من بعض بشىء من التحفظ حينًا وبغير تحفظ أحيانًا.

- وكيف يواجه المسلمون هذه الهجمات الشرسة على المسلمين وحضارتهم إلا بالجهاد وبجميع أنواعه؛ جهاد الكلمة واللسان والحوار، وجهاد الإعداد والاستعداد، وجهاد العدو فى أرض المعركة؟

- إن الجهاد فى هذا المجال فريضة تَعَبَّد اللهُ بها المسلمين ليدفعوا عن أنفسهم، وعن حاضرهم ومستقبلهم، فإن لم يفعلوا أثموا جميعًا وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، والمسلمون اليوم ليسوا قلة وإنما هم خمس سكان الأرض كلها فإن سكتوا على هذا الذل وذلك العدوان، فهم غثاء كغثاء السيل ونعوذ بالله أن تكون أمة القرآن غثاء، أو أن يلقى الله فى قلوبهم حب الدنيا وكراهية الموت فى سبيل الله.

- بهذا يكون الجهاد والاستشهاد فى المعارك جزءا من حضارة المسلمين يحصلون به على النصر على أعدائهم، أى يزيحون به عن أنفسهم بوائق العدوان، لأن الجهاد إنما شرع وإنما وضع فى سنام الإسلام لأنه يعز الأمة ويمكن للدين، بعد ردّ كيد المعتدين، هكذا كان الجهاد فى سبيل الله وهكذا سيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٢ - الجهاد فى سبيل الله دعوة وحركة:

لا تستطيع الحضارة الإسلامية أن تعبر عن نفسها فتعطى عطاءها فى مجالات الحياة الإنسانية إلا بالجهاد فى سبيل الله، وقد أوضحنا آنفًا كيف فرض الله الجهاد وجعله عبادة له سبحانه وتعالى، وأنه بوصفه فريضة يمثل جزءاً من الحضارة الإسلامية.

- ونحاول هنا أن نؤكد أن الجهاد فى سبيل الله بوصفه دعوة إلى الدين الحق، وحركة به فى الناس والآفاق جزءاً آخر من الحضارة الإسلامية نرجو أن نوضحه فى هذه الصفحات.

- أما الدعوة: فقد أشرنا فى تعريف الجهاد إلى أنه الدعاء إلى الدين الحق.

والدعاء هو الدعوة كما أسلفنا، ولأن الدين الإسلامى هو خاتم الأديان السماوية وأكملها وأتمها وأرضاها لله، ولأن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء جميعًا أنه إذا جاء محمد وجب أن يؤمنوا به وينصروه وأن يأمروا أقوامهم بذلك، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١ – ٨٥].

– من أجل أن الله تعالى لا يقبل من أحد غير الإسلام دينًا كانت الدعوة إلى الدين الحق والحركة به فى الناس والآفاق واجبًا شرعيًا، أكدته آيات كثيرة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

● فالدعاء إلى الدين الحق هو عمل الرسول ﷺ وطريقه هو ومن اتَّبَعَه فدخل فى هذا الدين الخاتم، وهذا الدعاء أو الدعوة إلى هذا الدين هى جهاد بكل معنى من معانى الجهاد فى سبيل الله ابتداء من الكلمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، وتحمل المتاعب والشدائد، وجميع أنواع التحدى والتكذيب بل التعذيب فى سبيل الله وانتهاء بالموت فى سبيل الله من أجل أن يصل دينه الخاتم إلى عباده فيخرجوا به من الظلمات إلى النور ومن الضيق إلى السعة، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

والقدوة الحسنة فى الدعوة إلى الدين الحق والحركة به ؛ هو الرسول الخاتم ﷺ، فلقد نَوَّع جهاده فى الدعوة إلى الدين الحق لنتعلم من سيرته كيف نمارس الدعوة إلى الله وكيف ننوعها ونوجهها إلى الناس بما يناسبهم ويناسب ظروفهم.

– فلقد دعا رسول الله ﷺ إلى الدين الحق حينما أوحى به إليه فى سرية وتكتم فبدأ بأهل بيته وبأقرب الناس إليه، وكان يلتقى بمن آمنوا به سرًا وبعيدًا عن أعين المشركين، وكان المسلمون الأوائل إذا أرادوا الصلاة يَتَخَفَّوْن فى الشعاب والأودية.

وكان الرسول ﷺ يدعو إلى الله من يتوسم فيه الخير والعقل المستنير، فكان أول ما وجه إليهم دعوته هم: خديجة وبناته وعلى وزيد بن حارثة رضى الله عنهم فقد كانوا جميعًا يعيشون فى بيته ﷺ.

وكان أول من وجه إليه الدعوة من خارج هذا البيت هو صديقه الصديق رضى الله عنه، وكان أبو بكر ذا علم ومكانة وتجارة وخلق رفيع فى قريش وكان محبوبًا مالوفًا، فأخذ يدعو إلى الدين الحق كما تعلمه من الرسول ﷺ، فآمن على يديه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة هم: عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله.

ثم توالى الدخول فى الدين الحق – على الرغم من أن الدعوة لم تكن توجه إلا لمن يؤمن جانبه ولا يخشى من شره. حتى بلغ عدد المسلمين فى مرحلة الدعوة السرية أربعين رجلاً كما عدهم علماء السيرة مثل ابن هشام وغيره.

وكان الأرقم بن أبى الأرقم قد دخل فى الإسلام فى أوائل من دخلوا فاتخذ النبى ﷺ من داره مكانًا لاجتماع المسلمين بعيداً عن أعين قريش وبخاصة أن قريشًا لم تكن تعلم بإسلام الأرقم.

- وعلى الرغم من سرية الدعوة وتوقى المحاذير فقد شاء الله أن يدخل فى الإسلام رجل أو أكثر من كل قبائل قريش: فأبو بكر من «تيم»، وعلى من «بنى هاشم»، وعثمان بن عفان من «بنى أمية»، والزبير من «بنى أسد»، ومصعب بن عمير من «بنى زهرة»، وسعيد بن زيد وزوجه فاطمة من «بنى عدى»، وعثمان بن مظعون وأخواه من «بنى جمح»، بل إن بعضهم كان من خارج قريش فقد كان عبد الله بن مسعود من «هُذَيل»، وعتبة بن غزوان من «مازن» وعبد الله بن قيس من «الأشعريين» وعمار بن ياسر من «مَذْحج» وزيد بن حارثة من «بنى النمر بن قاسط».

- ثم نزل على الرسول ﷺ قول الله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الحجر: ٩٤–٩٦].

فجهر رسول الله بالدعاء إلى الدين الحق، وتعرض للأذى فصبر ثم توسع فى الدعوة فاتجه خارج مكة إلى الطائف، ثم إلى موسم الحج يدعو القبائل ويلقى منهم ما يلقى من تكذيب وعنت، فقد روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيتُ، وكان أشد ما لقيتُ منهم، يوم العقبة؛ إذ عرضتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن كُلال، فلم يجبنى إلى ما**

أردتُ، فانطلقتُ - وأنا مهموم - على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرتُ فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلّم ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

ولقد انطلق الصحابة رضوان الله عليهم يجاهدون فى الدعاء للدين الحق ويتحملون فى سبيل تلك الدعوة مالا يتحمله سواهم من التضييق والأذى، ولقد رأى رسول الله ﷺ ما يعانيه أصحابه فكان له ﷺ موقفان قال فى كل منهما ما يناسبه.

- الموقف الأول: عندما اشتد العذاب على المسلمين فى مكة فهرعوا إلى رسول الله ﷺ لكى يدعو لهم، روى البخارى بسنده عن خَبَّاب رضى الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: **«قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليَتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»** فهذا موقف طالب فيه المسلمين بالصبر والاحتمال، لأنه كان يستوجب ذلك.

- والموقف الآخر: عندما وقع عدد من الصحابة فى أيدى المشركين وكان الصحابة رضى الله عنهم فى موقف الاسرى، دعا لهم رسول الله ﷺ ربه أن يخلصهم وسائر ضعفة المسلمين من أيدى المشركين، روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فى دُبُر صلاة الظهر: **«اللهم خلّص الوليد بن الوليد[1] وسلمة بن هشام [2]، وعَيَّاش بن أبى ربيعة[3] وضعفة المسلمين من أيدى المشركين، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً»** ورواه البخارى فى باب الإكراه بسنده عن أبى هريرة أيضاً مع اختلاف فى اللفظ وتطابق فى المعنى.

---

(١) هو أخو خالد بن الوليد من بنى مخزوم، أسلم بعد بدر فحبسه أخواه بمكة فافلت منهما وتوفى سنة ٧ هـ.

(٢) هو سلمة بن هشام من بنى مخزوم أيضاً أخو أبى جهل حبسه كفار قريش وأذوه فهرب منهم. وتوفى سنة ١٤ هـ.

(٣) عياش ين أبى ربيعة مخزومى أيضاً أخو أبى جهل لأمه وابن عمه.. أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين، ووفد عليه أخواه: أبو جهل والحارث ابنا هشام وأبلغاه أن أُمه حلفت لا يدخل رأسها دهن لا تستظل حتى تراه فرجع معهما فأوثقاه وحبساه بمكة، توفى باليرموك سنة ١٥ هـ.

● ثم عم الجهاد بالدعاء إلى الدين الحق فى أجيال المسلمين من بعد الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا – وتلك سنة الله فى دعوته ودعاته – حتى لقد شرف تاريخ المسلمين برجال من طرز رفيعة فى الجهاد للدعاء إلى الدين الحق، مما لا أستطيع مجرد سرد أسمائهم فى هذا المجال، غير أنى ذكرت منهم ما يقرب عددهم من المائتين فى كتاب لى[1] أرجو من أراد التوسع فى معرفة هؤلاء الأبطال من الدعاة أن يعود إليه.

● وأما الحركة بالدين الحق فى الناس وفى الآفاق فهى جهاد عملى وتنقل بهذا الدين حيث يجب أن يبلغ الناس جميعاً والأماكن كلها، حتى تسقط التبعة عن المسلمين القادرين على الدعوة والحركة، لأن هذه الحركة بالدين الحق واجب كل مسلم قادر عليها حتى يصل منهج الله إلى عباد الله، فيخرجهم من الظلمات إلى النور، ويرتفع بهم إلى الإنسانية التى كرمها الله تعالى، فينعم به الناس فى دنياهم وأخراهم .

ولا يستطيع أحد من القادرين على هذا العمل أن يتخلى عنه وإلا دخل فى دائرة الإثم والحرج، لأن الجهاد للدعاء والتحرك للدين الحق واجب شرعى بل فريضة فى ذروة السنام من فرائض الإسلام كلها.

– والحركة بهذا الدين هى التى تجعل من المجاهد بها خير الناس وأقربهم إلى الله تعالى، فإن قعد عن ذلك فهو من شرار الناس، إذ روى النسائى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : **«ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟، «إن من خير الناس رجلاً عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أو ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً يقرأ كتاب الله لا يرعوى بشىء منه»**.

وكتاب الله تعالى هو الذى أوجب الدعوة والحركة بهذا الدين فلو قرأه بتدبر لعمل بما فيه من دعوة وحركة فكان من خير الناس.

والقعود عن الجهاد فى الدعوة والحركة بالدين الحق يعقب فى نفوس القاعدين ذلاً وانكساراً وهزيمة أمام العدو، لما رواه أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«إذا تبايعتم بالعينة[2]، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**.

---

(١) هذا الكتاب هو: التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة، ذكرت فيه نماذج من هؤلاء الدعاة فى القرون الهجرية الأربعة عشرة ، نشر دار الوفاء بمصر أكثر من طبعة أولها سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

(٢) العينة: بيع الشىء قبل أن يستوفيه وينقله من مكانه، أو أن يبيع الصكوك، أو يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به عاجلاً – وكل ذلك منهى عنه.

وفى هذا الحديث الشريف إشارة إلى أن الجهاد هو التمسك بالدين كله، فقد روى الطبرانى - فى الكبير - بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله، وإن لكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الرباط فى نحور العدو»**.

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذب فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمتُ فى هذا الشعب، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: **«لا تفعل؛ فإن مُقامَ أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا فى سبيل الله، من قاتل فى سبيل الله فواق[1] ناقة وجبت له الجنة»**.

- ولقد تحرك الصحابة رضى الله عنهم بالدين الحق، كما تحرك به التابعون، فكانت الفتوح الإسلامية التى نقلت الدين الحق إلى أكثر من نصف سكان الأرض فى أقل من نصف قرن من الزمان، وما ذلك إلا بإخلاص أهل الدعوة والحركة ومواصلتهم الجهاد فى سبيل الدعاء إلى الدين الحق والحركة به فى الناس والآفاق.

● أنواع الحركة بالدين الحق فى الناس والآفاق:

الحركة بهذا الدين فى الناس حيث يوجدون، وفى أقطار الأرض التى يمكن الوصول إليها واجب شرعى؛ ما دام الجهاد هو الدعاء للدين الحق - كما أوضحنا - وما دام الجهاد حركة بالدين ليبلغ أقصى أقطار الأرض؛ فإن الحركة بالدين الحق إلى الناس وإلى الآفاق واجب لا يتوقف عنه المسلمون إلى يوم القيامة.

● والحركة بالدين الحق لها أنواع عديدة نذكر منها:

- الحركة بالدين لدعوة الناس إليه- حيث يكونون- بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

وهذا النوع من الحركة كثيراً ما استجاب له الناس فآمنوا بالدين الحق واستجابوا إلى ما يدعوهم إليه بعد تفكير واقتناع ودون أن يكرههم أحد على الدخول فى الدين.

- والحركة بالدين عن طريق الانتقال به إلى أقطار الأرض من أجل التجارة والعمل، وربما الاستقرار فى تلك البلاد البعيدة، حيث رأى الناس فى المسلمين الذين تحركوا بدينهم

---

(١) الفُوَاق: الوقت بين الحلبتين.

إليهم نماذج طيبة للتعايش مع غير المسلمين بقيم الإسلام وأخلاقه مما حببهم فى الدين الحق وجعلهم يقبلون عليه ويدخلون فيه أفواجًا .

– والحركة بالدين عن طريق الجهاد فى سبيل الله لرد عدوان معتد أو للدعاء إلى الدين الحق بعد أن تضع الحرب أوزارها، فيرى الناس من المسلمين المنتصرين الغالبين صفات التواضع والرحمة والعدل، والتلطف فى معاملة الناس، فيقبلون على الدخول فى الإسلام تاركين ما كانوا عليه من دين حبًا فى الدين الحق لا هيبة ولا رهبة من حاكم، وقد كان ذلك شأن أكثر الأقطار التى فتحها المسلمون فى معارك فى سبيل الله، ومن كان من أهل تلك الأقطار من أهل الكتاب ترك على دينه وعومل أحسن معاملة وفق ما شرع الله تعالى، دون إكراه أو إلزام، لأن الله تعالى يقول: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول جل شأنه: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ [الكهف: ٢٩].

– والحركة بالدين الحق مهما صاحبها من انتصار على الأعداء، فما عرف الناس عن الإسلام أنه انتشر بالسيف كما يزعم الزاعمون، ويردد كثير من المستشرقين ومن يسمون أنفسهم مبشرين بالنصرانية، أو الحاقدين على الإسلام لسرعة انتشاره فى الناس، ونستطيع أن نقدم فى هذا المجال عددًا من الأدلة على أن الإسلام لم ينتشر أبدًا بالسيف أو بالإكراه – كما فعلت بعض الملل والمذاهب –.

● ومن هذه الأدلة :

– المبدأ العام فى الحركة بالإسلام فى الناس والآفاق هو أن الله تعالى قد كلف رسوله والمؤمنين بأن يبلغوا هذا الدين الحق إلى كل الناس فى كل مكان يستطيعون الذهاب إليه، فقال عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...** ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

ولذلك انطلق رسل رسول الله ﷺ بكتبه إلى الناس والآفاق يتحركون بهذا الدين فيهم، بشرح وإيضاح ودون تهديد أو وعيد .

– دوافع تاريخ الإسلام الذى سطر فى كتب الأولياء والأعداء يجمع على أن الأقطار

المسلمة الاكثر عدداً من المسلمين هي الاقطار التي كانت أقل في عدد الغزوات التي توجهت إليها، وذلك ما قرره بعض المنصفين من كتاب الغرب أنفسهم [١].

- وان المسلمين في صدر الدعوة إنما تحركوا بهذا الدين مجاهدين لاعدائهم يريدون أن يصدوهم أو يوقفوا زحفهم، وبخاصة الروم ومن كانوا في حمايتهم من قبائل العرب، أو الفرس الذين أرسل ملكهم يطلب محمداً ﷺ حيًّا أو ميتًا، لانه ﷺ تجرأ فارسل إليه كتابًا يدعوه إلى الإسلام.

- وإن شروط الجهاد وآدابه في الإسلام تجعل من المستحيل على مسلم أن يكره أحداً على الدخول في دين الإسلام، فضلاً عن أن يعرضه لما تفعله اسرائيل اليوم مع الفلسطينيين أصحاب الحق والارض، أو ما تفعله الولايات المتحدة مع المسلمين في أفغانستان أو ما فعلته من قبل في فيتنام أو هيروشيما ونجازاكي في اليابان، وكيف يسوغ لمسلم أن يفعل ذلك ووصايا رسول الله ﷺ واضحة بأمر بالعدل والمرحمة، فقد روى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوصى المجاهدين بقوله: **«انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً ولا صغيرًا ولا امرأة، ولا تقتلوا.....»** الحديث.

- ولقد استمر المسلمون خلال القرون ماضين في جهادهم في سبيل الله ينتصرون حينًا وينهزمون حينًا، وما انتصروا في معركة فاساءوا معاملة من انتصروا عليهم قَتْلىً أو أسرى، كما يفعل اليهود اليوم وكما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية !!! وإنما يخضعون في تعاملهم مع الأعداء والاولياء لمنهج الإسلام الذى يرفض الظلم ويحرمه أسلوبًا للتعامل حتى مع الأعداء.

ولعلى بهذا قد أوضحت أن الجهاد في سبيل الله تعالى دعوة إلى الدين الحق وحركة به في الناس والآفاق، وهو بهذا جزء أصيل من الحضارة الإسلامية لا يمكن الاستغناء عنه.

٣ - الجهاد في سبيل الله عمل وتنظيم:

الجهاد في سبيل الله تعالى عمل عظيم بل هو في ذروة الاعمال التي أمر الله تعالى بها عباده المؤمنين.

وكل عمل يطالب الله تعالى به عباده، فلابد أن يخضع لمنهج ونظام. وهذا النظام عند

---

(١) من هؤلاء: «أرنولد توماس» (١٨٦٤ - ١٩٣٠م) في كتابه: الدعوة إلى الإسلام.

التأمل والتدبر هو مجموعة من الشروط والآداب، وما أمر الله بشىء ولا نهى عن شىء إلا نظمه أى أخضعه لعدد من الشروط والآداب.

بل إن حياة الإنسان فى هذه الدنيا لا تستقيم ولا تصح إلا إن خضعت لشروط وآداب، وإلا فقدت أهم ما ميّز الله تعالى به حياة الإنسان من تكريمه ورزقه من الطيبات وحمله فى البر والبحر.

● والجهاد بأنواعه كلها:

- جهاد الشيطان.
- وجهاد النفس الأمارة بالسوء.
- وجهاد العدو الظاهر والعدو المتوقَّع.

إنما هو عمل خاضع لتنظيم دقيق يبلغ حد الإعجاز، ويحتاج إلى طول تأمل وتدبر لمعرفة الحكمة الإلهية من كونه قد جاء على هذا القدر من التنظيم.

وليس هذا التنظيم مقصوداً لذاته وإنما هو مقصود لكى تستقيم حياة الإنسان، متلائمة مع تحقيق مقاصد شريعة الله التى تستهدف مصالح الإنسان فى دنياه وآخرته بتنظيم المحافظة على النفس، والمال والعقل والنسل والدين، ولا تتم المحافظة على هذه المقاصد إلا من خلال العبادات والمعاملات الخاضعة دائمًا للشروط والآداب.

● وكل عمل يحتاج إلى تنظيم لكى يحقق أهدافه ومقاصده؛ سواء أكانت هذه المقاصد:

- حاجية: أى أن الإنسان بحاجة إليها لدفع الضرر ورفع الحرج، أو التوسعة عليه فى العيش؛ مثل: الرخص فى العبادات إذ هى تخفيف وتيسير لرفع المشقة فى ظروف المرض والسفر والخوف ونحوها.

- أو تحسينية: أى أن الإنسان عندما يأخذ بها فى محاسن الأخلاق والعادات، التى جاء الرسول الخاتم ﷺ ليتممها أو يكملها.

● والجهاد فى سبيل الله تعالى عملٌ من أجل هذا الدين الحق يتناول شعبًا عديدة يكمل بعضها بعضًا، ولا ينفع القيام ببعضها دون بعض، لأنها متكاملة متساندة، ومن هذه الشعب أو الفروع:

- جهاد الشيطان:

كل ما يوسوس به الشيطان أو يزينه للناس هو من صميم ما حرَّم الله على عباده فهو مخالف لمنهج الله ونظامه، لذلك كان جهاده واجبًا على الدوام؛ وذلك أن الشيطان للإنسان عدو مضل مبين.

وجهاد الشيطان ووسوسته وهمزه ولمزه عمل يحتاج إلى تنظيم، لأن تلك المقاومة له لا تؤتى ثمارها فتقمع الشيطان وتبطل كيده إلا بالعلم بأحابيله وحيله، على نحو ما أوضح الرسول الخاتم ﷺ، فيما رواه الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فى القلب لمتَّان، لمة من المَلَك، إيعاد بالخير وتصديق الحق، فمن وَجَد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله، ولمة من العدو، إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم تلا قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٦٨].

ومعنى الحديث: أن فى قلب الإنسان هَمَّان يتجولان فى داخله، همٌّ من الله تعالى، وهمٌّ من الشيطان، فرحم الله عبداً وقف عند همه، فما كان من الله تعالى أمضاه، وما كان من الشيطان جاهده.

وقد علمنا رسول الله ﷺ كيف يوسوس الشيطان للإنسان، فيما رواه النسائى بسنده عن سَبُرة بن أبى فاكه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق:**

فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتُسْلم وتترك دينك ودين آبائك؟ فعصاه فأسلم.

ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر؟ أتدع أرضك وسماءك؟ فعصاه فهاجر.

ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: أتجاهد وهو تلف النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح نساؤك ويقسَّم مالك؟ فعصاه وجاهد.

فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة».

- فجهاد الشيطان عمل منظم على جانب كبير من الأهمية فى حياة الإنسان؛ يبدأ بالعلم بمنافذ الشيطان فى الإنسان وهى هواه وشهواته، ثم العلم بأنه عدو مضل مبين، ثم العلم بوسوسته وهمزه ولمزه، وما يلقيه فى نفس الإنسان من حب الشر والفواحش، ثم يكون العمل فى جهاده، بعد العلم، ثم يكون تنظيم هذا العمل من بدايته إلى نهايته.

- **جهاد النفس:**

وهذا الجهاد إنما يكون للنفس الأمارة بالسوء التي يتغلب عليها هواها المخالف لما جاء به الرسول ﷺ.

وقد سمى بعض العلماء جهاد النفس بأنه جهاد القلب، وهو عمل يحتاج إلى مجهود كبير وتنظيم دقيق تسبقه معرفة جيدة لمداخل الشيطان فى قلب الإنسان.

وهذه المعرفة لمداخل الشيطان وسد منافذها عليه تُكسب الإنسان وقاية ومناعة، وهذه المعرفة عمل يحتاج إلى تنظيم تفسد على الشيطان عمله، فيولى مدبرا وله ضراط، كما يفعل عندما يسمع الأذان للصلاة أو القرآن الكريم كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

● فما هي مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان حتى يمكن جهادها؟(١) ويهمنا هنا أن نشير إلى بعض هذه المداخل، وإلى بعض الوسائل فى سد هذه المداخل وجهاد الشيطان وقمعه، ولأن ذلك عمل جليل الخطر سماه الرسول ﷺ: الجهاد الأكبر إذا قورن بجهاد العدو فى معركة.

ومداخل الشيطان لقلب الإنسان أو نفسه لها بابان كبيران هما: باب الشهوات، وباب أمراض النفس أو القلب.

فالباب الأول: باب الشهوات:

الشهوات من الفطرة التى فطر الله الإنسان عليها، وبدونها لا تستقيم حياة الإنسان ولا تستمر، غير أن الإغراق فى التعبير عنها يؤدى إلى الانحراف بها عما شرعه الله تعالى، وهذا الانحراف بها عما شرع الله يردى صاحبها وينصر عليه شيطانه فيوقعه فى المعاصى.

وباب الشهوات له مداخل أهمها ثلاثة:

- مدخل الإسراف فى شهوة الطعام والشراب، لأن الله تعالى حرّم الإسراف، فمن أسرف فى شهوة الطعام والشراب قَوَّى بذلك سائر الشهوات عنده.

وقد أثر عن المنشغلين بتربية الروح قولهم: من شبع ثَقُل عن العبادة، وذهب عنه خوف الله، وابتعد عن رحمة الناس.

---

(١) أفاض العلماء فى الحديث عن مداخل الشيطان حتى عدوا منها العشرات بل انبرى بعضهم لأن يؤلف فيها كتابا بكامله أنصح بقراءته، هو: «تلبيس إبليس» لابن الجوزى المتوفى (٥٩٧ هـ).

وقولهم: إن من شبع هاجت به الأمراض ففسد بدنه ففسد عقله ففسدت أخلاقه.

وعلى وجه الإجمال فى آفة الإسراف فى الطعام والشراب، نستطيع أن نقول: إن هذا الإسراف فى الطعام والشراب يصد عن الحق، وعن الاستماع إليه وعن إبلاغه للناس، لأن همّ بطنه غلب همومه.

– ومدخل الإسراف فى حب المال، أى الإقبال على كسبه وجمعه دون مبالاة بصحة وسائل الكسب وأسباب الجمع وأهدافه.

والمال أصناف عديدة، ومن شغل به دون تدقيق امتنع عن إنفاقه فيما أمر الله به أو ندب إليه، فوقع فى معصية الله تعالى ووقع فى مآزق خوف الفقر، لا خوف الغنى، وقد حذّر الرسول ﷺ من ذلك، فقد روى البخارى بسنده عن عمرو بن عوف الأنصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عندما قدم أبو عبيدة رضى الله عنه بمال من البحرين، فتعرضوا لرسول الله ﷺ فقال لهم: **«أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تُبْسَط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»**.

– ومدخل الإسراف فى شهوة النساء، بكثرة التزوج دون مقتض، فيصبح الإنسان ذواقة للنساء، وقد يقع فى الزنى، وليس للشيطان مدخل إلى قلب الإنسان أهم من المرأة بالنسبة للرجل، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«ما من صباح إلا وملكان يناديان: ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال»** والمعنى أن هذا الويل إذا كانت الصلة بينهما فيما حرَّم الله عليهما، أما إن كانت فيما أحل الله فالرحمة والمودة والسكن والأبناء والأسرة والراحة النفسية والاجتماعية كما هو معروف ومشاهد.

والباب الثانى: باب أمراض النفوس والقلوب:

وهو مدخل واسع للشيطان يدخل من خلاله إلى قلب الإنسان فيفسده بما يغريه به من: غرور وتكبّر.

وطمع وحرص.

وحسد وحقد.

وبخل وشح.

وسوء ظن بالناس.

- فالغرور والتكبر:

مرض عضال إذا أصيب به أحد أورده موارد الهلاك وأدخله فى المعاصى والآثام، لاتصاف المغرور المتكبر بصفات نهى الله تعالى عن الإتصاف بها، كالاختيال والتفاخر والاستعلاء على الناس والإعراض عنهم، والبطر والأشر وغيرها من الصفات، نهى عن ذلك فى كثير من آيات القرآن الكريم ونهى عنها الرسول ﷺ فى أحاديثه الشريفة.

ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان: ١٨].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص: ٨٣].

وروى مسلم بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال الرسول ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**. فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: **«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق**(١)**، وغمط الناس»**(٢).

● وعلاج الغرور والتكبر، هو العلم والعمل بما أمر الله تعالى به من تواضع وخفض جناح للمسلمين، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ:

«ما نقصتْ صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل».

وروى مسلم بسنده عن عياض بن حمار رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«إن الله أوحى إلىّ أنْ تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد».**

- والطمع والحرص:

وهو مرض مرذول معدود فى مساوئ الأخلاق يدخل صاحبه فى المعاصى والمنكرات وهو

(١) بَطر الحق: أى رفضه ورده على قائله.

(٢) غمط الناس: أى احتقارهم والتعالى عليهم.

مما حرّم الله، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عباس وأنس رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على مَنْ تاب»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: أتى النبىَّ ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله: دلنى على عمل إذا أنا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس، فقال النبى ﷺ: **«أزهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس»**.

- وعلاج الطمع والحرص العلم بأمر الله تعالى ونهيه فى هذا المجال، أى القصد والاعتدال فى الإنفاق، والتزام القناعة فى النفس والأهل والولد، فقد روى البزار – فى مسنده – والطبرانى – فى الكبير – بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث منجيات؛ خشية الله فى السر والعلانية، والقصد فى الغنى والفقر، والعدل فى الرضا والغضب»**.

-والحسد والحقد:

وهما مرضان غالبا ما ينشآن عن الغرور والتكبر أو الطمع والحرص، وقد يكونان بسبب المنافسة على عَرَضٍ من أعراض الدنيا، وقد... وقد... وقد... لكنهما بكل تأكيد يدلان على خلل فى الدين وضلال عن منهج الله و نظامه.

فالحسد هو: تمنى زوال النعمة عن الغير.

والحقد: إضمار العداوة وتربص الإيقاع بالمحقود عليه، وهذا وذاك مما حرم الله تعالى، فقد قال عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ...﴾ [النساء: ٥٤].

وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»** أو قال: **«كما تأكل النار العشب»**.

وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»**.

- وعلاج مرض الحسد والحقد أيضا بالعلم بما أحل الله تعالى، وما حرّم، والعمل بمقتضى هذا العلم.

ومن المؤكد أن الحسد يضر الحاسد لا المحسود، يضره فى دينه ودنياه، أما ضرره فى دينه فلأنه يوقعه فى السخط على قضاء الله وقدره وكراهية ما قسم الله لعباده من نعم، وكل ذلك يطعن فى إيمانه بالله وبعدله وإحسانه.

أما ضرر الحسد للحاسد فى دنياه فلأنه يورثه الألم والكدر بتمنيه زوال النعمة عن غيره، وذلك غمّ يجلب له الضرر الدنيوى بتشعب قلبه وضيق صدره، وكل تلك مشاعر ضارة بالإنسان أبلغ الضرر.

- **والبخل والشحّ:**

فالبخل أن يضن الإنسان بما عنده ويمسكه عما لا يحق أن يضن به عليه أو يمسكه ويحبسه دونه. وضد البخل؛ الجود.

والشح بخل مع حرص حتى يصبح عادة.

وقد ذمّ الله البخل فى آيات قرآنية عديدة منها:

- قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ⑨ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ** ﴾ [الليل: ٨ - ١٠].

- وقوله عز وجل: ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقد ذمّ الله تعالى الشح فى آيات قرآنية منها:

- قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: ٩].

- وقوله جل شانه: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [التغابن: ١٦].

وجاء فى السنة النبوية المطهرة فى ذمّ البخل والشحّ:

- ما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَثَل البخيل والمنفق؛ كمثل رجلين عليهما جُنّتان** - أى درعان - **منْ حديد من ثُدِيّهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغتْ أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثرَه، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقَتْ كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع**».

● وما رواه مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»**.

● وعلاج البخل والشح - كعلاج سائر أمراض القلوب والنفوس - إنما هو العلم بما حرّم الله تعالى وما أحل، وما حبّب فيه وما كرّه والالتزام بتطبيق الحلال، واجتناب الحرام، وذلك معناه؛ الجود والسخاء وإنفاق المال حيث أمر الله تعالى وحبسه عما نهى عنه سبحانه وتعالى.

- وسوء الظن بالناس:

وهو مرض فى القلب، ومدخل من مداخل الشيطان إليه ليفسد على المؤمن إيمانه وإسلامه وأخلاقه، لأن الله تعالى نهى عن سوء الظن، ووصفه بأنه إثم، وبأنه لا يغنى عن الحق شيئًا، وعطف عليه هوى الأنفس فى آيات قرآنية عديدة منها:

● قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [الفتح: ٦].

● وقوله جل وعلا: ﴿ **بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا** ﴾ [الفتح: ١٢].

● وقوله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ .....** ﴾ [الحجرات: ١٢].

فلقد أمر الله تعالى فى هذه الآية الكريمة باجتناب كثير من الظن لأن بعض هذا الظن إثم!!!

● ولقد حذَّر الرسول ﷺ من الظن ووصفه بأنه من أكذب الحديث:

فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»**.

وروى ابن ماجه بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: رأيت رسول ﷺ

يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك؛ ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً».

- وعلاج سوء الظن بالمسلمين هو: العلم بأن الله تعالى حرم سوء الظن بالمسلمين، والرسول ﷺ جعل حسن ظن المسلم بأخيه المسلم حقًا واجبًا.

ومع هذا العلم لا بد من العمل والالتزام بأداء حقوق المسلم نحو أخيه المسلم، وهى حقوق كثيرة حددها الإسلام وعظمها وأمر بأدائها.(١)

وكيف لا يكون للمسلم على أخيه المسلم هذه الحقوق المرعية من الجانبين والله تعالى يعلن أن المؤمنين إخوة؟

وكيف لا تكون حقوق المسلم على أخيه المسلم عظيمة وقد فرض الله على المسلمين التعاون على البر والتقوى، وأمرهم بأن يكونوا إخوانا فى الله وفى الدين الحق؟ وامتدحهم وهم يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص؟

وكيف لا تكون لهم هذه الحقوق وقد كرّمهم الله تعالى بل فضلهم على كثير من خلقه؟

روى ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته».

وبعد:

فلعلى بهذا قد أوضحت أن الجهاد فى سبيل الله بوصفه عملا وتنظيما هو جزء أساسى من الحضارة الإسلامية، لا يمكن تصورها فى صورتها الصحيحة الصادقة إلا به.

٤- الجهاد فى سبيل الله نشر للدين الحق:

الدين الحق هو الدين الذى ختم الله تعالى به الأديان، وبعث به خاتم الرسل محمداً ﷺ، وإنما ختم به ليظهره على الدين كله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

---

(١) للتوسع فى معرفة حقوق المسلم على أخيه المسلم وواجباته نحوه انظر لنا كتاب: فقه الأخوة فى الإسلام، وكتاب: ركن الأخوة.. كلاهما من نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

وإنما كان الدين الحق هو الدين الخاتم؛ لأن الله تعالى أراد ذلك وحكم به إذ دعا الناس جميعًا إلى الدخول فيه والإيمان به، وأضافه سبحانه وتعالى إلى نفسه، كما يدل على ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨١–٨٣].

ولأنه الدين الحق فإن الله تعالى أعلن أنه لن يقبل من أحد من خلقه أن يتديَّن بسواه، فقال تعالى مخاطبا رسوله الخاتم ﷺ: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٤–٨٥].

وقال سبحانه وتعالى آمرًا رسوله الخاتم ﷺ أن يعلن للذين أوتوا الكتاب وللأميين أن الدخول فى الإسلام الدين الحق هو الاهتداء إلى الحق وإلى الصواب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٩–٢٠].

- والجهاد لنشر الدين الحق فى الناس فرضٌ على كل مسلم قادر على ذلك، فرضُ عين أو فرضُ كفاية، لأن الله تعالى إنما أنزل خاتم الكتب السماوية وهو القرآن ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، أى من ظلام الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهدى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]. وهذا واجب خاتم الأنبياء وواجب كل من اتبع هذا الرسول الخاتم ﷺ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].
- إن الإسلام الدين الخاتم هو الذى حرَّر الإنسان من أى ظلم يقع عليه نتيجة لجرائم لم يرتكبها، وذلك حينما حرّره من عقاب الخطيئة الموروثة، وذلك بإعلان قوله تعالى: ﴿أَلَّا

﴿... تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٨-٤١] أى لا يحاسب أحد ويعاقب على جريمة ارتكبها سواه، وإنما يحاسب بما عملت يداه.

● كما حرر الإسلام الإنسان من الأوهام والخرافات التى كانت سائدة فى الحضارات التى سبقت ظهور الإسلام، حيث قهرته هذه الحضارات وحرمته من حرية الإرادة والاختيار، وكبلته بقيود لا فكاك منها، فعلت به الحضارات السابقة ذلك فى حين كفلت له الحضارة الإسلامية حرية الإرادة والاختيار فى كل شىء حتى فى أن يؤمن أو يظل على الكفر، كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ....﴾ [الكهف: ٢٩].

أما الحضارات الأخرى فكان موقفها من حرية الإنسان واختياره على النحو التالى:

– فى الحضارة الهندية:

حُرِم الإنسان من أى اختيار وكُبِّلتْ إرادته بأن وقعت فى قبضة «الكارما» تفعل به ما تشاء قبل مولده منذ أن كان فى الأزل، وإلى أن ينتهى به المطاف بالفناء، أو عالم «النرفانا»!!!

وقد تعددت فى هذه الحضارة الأرباب واشتهر منها ثالوث هو: «براهما» الإله الخالق، و«فشنو» الإله الحافظ، و«سيفا» الإله الهادم المفسد، فضلاً عن آلهة أخرى من الحيوان أو عناصر الطبيعة أو الأوثان، وكل هذه الآلهة تطلب من سدنتها أن يتقرب الناس إليها بسفك الدماء أو بالبغاء المقدس!!!

فأين هى حرية الإنسان أو اختياره أو إرادته؟

إن الحضارة الإسلامية حرَّرتْ الإنسان من هذا الأَسْر وفكَّت عن إرادته كل هذه القيود.

– وفى الحضارة الفارسية:

سُحِقتْ إرادة الإنسان وقهر اختياره بين قوتين قاهرتين هما: النور، والظلام، إذ كل ما غلب عليه النور فهو خير، وكل ما غلب عليه الظلام فهو شر، ولا حيلة للإنسان ولا إرادة فى جلب النور أو دفع الظلام، وإنما يعيش مقهوراً سليب الإرادة بين هاتين القوتين.

- وفى الحضارة اليونانية:

يعصف ما يسمى بالقدر عندهم بالإنسان، ولا يترك له شيئًا من حرية الإرادة والاختيار، وإنما الخضوع لإلهة الثأر -كما تدعى أساطيرهم- حيث يؤخذ الجار- فى ظل هذه الحضارة- بذنب جاره أو قريبه!!!

وما ظننا بحضارة تعددت فيها الأرباب وقاد هذه الأرباب: «جوبتر» الذى يوصف عندهم بأنه مشغول بشهوات الطعام ونزوات الغرام مع عشيقاته على عرش «الإولمب» مخادعًا بذلك زوجته «هيرة»!!!

- وفى الحضارة المصرية القديمة:

خضع الإنسان فى ظل هذه الحضارة لمحكمة ومحاكمة سماوية مليئة بالأسرار والرموز والغموض، حيث يحاسب الإنسان فى هذه المحكمة على أعماله، لكن تحسب عليه أو له صلوات الكهنة والشفعاء، ولا ضابط ولا رابط لما يصلى به الكهنة والشفعاء.

وفى ظل هذه الحضارة الفرعونية استطاع أحد ملوكهم أن يقول للناس أنا ربكم الأعلى، بل بلغ به الغرور أن قال لنبى الله موسى عليه السلام: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩].

بل هدّد السحرة عندما آمنوا بموسى عليه السلام حين أيقنوا أن ما جاء به ليس سحرًا، فحذرهم فرعون قائلا لهم: ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٩].

فأين هى حرية الإنسان فى التدين والإيمان وأين هو اختياره لما يريد؟

- وفى الحضارة البابلية:

حيث خضع الإنسان فى كل هذه الحضارة خضوعًا مطلقا لطوالع النجوم من نجوم سعد ونجوم نحس، يلتزم الإنسان بها فى سلوكه وعمله، من يوم يولد إلى يوم يموت، كما خضع للبرج الذى ولد فيه، والتزم بما يوحى به هذا البرج من سعد أو نحس دون أن يكون له إرادة فى اختيار عمل أو تركه، وإنما هو ما تأمر به البروج والطوالع!!!

فأى قهر لإرادة الإنسان أكبر من ذلك؟

– وفى الحضارة اليهودية:

قهر شديد لإرادة الإنسان، وسلب لحريته واختياره، وعقاب له على ذنوب ارتكبها آباؤه وأجداده من ثلاثة أو أربعة أجيال سبقت، فما ذنب هذا الإنسان الذى أخطأ آباؤه أو أجداده؟

جاء فى سفر الخروج فى التوراة التى بين أيديهم اليوم ما ينسب إلى إلههم «يهوا» حيث يقول عن نفسه: «أنا الرب إلهك غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مُبْغضِى، وأصنع إحسانًا إلى الوف من مُحبِّى وحافظى وصاياى» (١).

فأين هى حرية الإرادة أو الاختيار مع هذه الرب القاهر الذى يعاقب الأبناء على جرائم الآباء والأجداد؟

– وفى الحضارة المسيحية:

فى هذه الحضارة ربط وثيق بين خطيئة آدم عليه السلام –كما يقولون– وقضاء الموت عليه وعلى أبنائه، فما ذنب من جاءوا بعد آدم عليه السلام، لقد قهرت إرادة الإنسان وحوسب على ما لم يفعل ولا كان موجودا يوم وقعت الخطيئة.

جاء ذلك فى رسالة بولس إلى أهل رومية: «.. ومن أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله؟ ألعلَّ الجُبْلة تقول لجابلها، لماذا صنعتنى هكذا؟ أليس للخزَّاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان، فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك» (٢).

● أين هذا كله من تحرير الإسلام للإنسان من القيود الظالمة والأوهام والخرافات والخطايا الموروثة وتعذيب أجيال بذنوب أجيال سابقة وعقاب أبناء بجرائم آباء؟

إن الإسلام حرَّر إرادة الإنسان واحترم حرية اختياره حتى فى أن يؤمن أو يكفر، إن الإسلام هو الدين الحق لهذه الأسباب، ولأسباب أخرى نعجز عن إحصائها فى هذه الصفحات.

لكننا نذكر أحد هذه الأسباب وهو: أن الإسلام حسم قضية التفاوت بين الناس فى

---

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر الخروج. الإصحاح العشرون ط القاهرة– مصر ١٩٦٢م: Printed in Cairo Egypt

(٢) السابق: العهد الجديد: رسالة بولس إلى أهل رومية: الإصحاح التاسع.

الحقوق والواجبات، بما لم يحسم من قبله فى دين أو نظام، فقد فرض العدل والمساواة فى الحقوق والواجبات، ونادى بالإحسان ليعطى الإنسان أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له!!!

● وإن معظم الحضارات قبل الإسلام قد اعترفت بفروق بين بعض الناس فى الحقوق والواجبات نتيجة لأن كثيرا منها قد ميز طبقة من الناس على أخرى تمييزا يتصل بتصنيف الأسرة شريفةً أو غير شريفة، أو تمييزًا يتصل بالغنى والفقر، أو يتصل بالرياسة والسيادة، أو بالمهنة والحرفة ونحو ذلك، فأدى ذلك بكل تأكيد إلى أن يتفاوت الناس فى الحقوق فكان لبعضهم أكثر مما لغيرهم من الناس، وفى الواجبات فكان على بعضهم من الواجبات أكثر مما على سواهم.

– بل كان هذا التفاوت بين الناس فى الحقوق والواجبات موجودًا فى بعض الأديان – وبخاصة بعد أن حُرِّفت وبدلت – حيث كان ذلك معروفا عن اليهود إذ كانوا يقيمون الحدود على الضعفاء ويعفون منها الشرفاء.

أما فى الإسلام فإن الناس جميعًا أمام القانون سواء؛ شريفهم وضعيفهم، فقد روى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ قالوا: ومن يجترئ عليه إلاَّ أسامة حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: **«أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: «أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيْم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»**.

● وأوضح ما كان هذا التفاوت بين الناس فى الحقوق والواجبات كان فى الحضارات قبل الإسلام فيما يتصل بالتفرقة بين الرجل والمرأة، حيث لوحظ لكل ذى بصر أن حقوق المرأة قد هضمت وأن واجباتها قد زادت إذا قورنت بالرجل.

فكم من حضارة سابقة اعتبرت المرأة ملكا للرجل، حتى أعطته حق بيعها كما يباع المتاع أو رهنها أو نحو ذلك!!!

وعلى سبيل المثال:

– فى الحضارة الهندية؛ كانت حياة المرأة رهنا بحياة زوجها فإن مات أحرقوها حية!!!

- وفى الحضارة الرومانية؛ كانت المرأة تابعة للرجل، بحيث لا تحظى بأى حقوق مستقلة على الإطلاق!!!

- وفى الحضارة المصرية القديمة -التى أعطت للمرأة حق الجلوس على العرش وحكم البلاد - كانت تعتبر المرأة هى علة كل خطيئة، وحليفة الشيطان، وشرك للغواية والرذيلة!!!

- وفى الجاهلية التى سبقت الإسلام التى أعطيت المرأة فى نظمها بعض الحقوق كحق العمل فى الغزل والنسيج والرعى واستنتاج بعض الطعام من الثمار ونحوها- لكنها على الرغم من ذلك كانت كالمتاع بحيث تورث بعد موت زوجها، وتحرم من الميراث بعد موت مورثها، ويُفَضَّل عليها الذكر تفضيلا مطلقا، ويهون أمرها حتى يَسْوَدَّ وجه من رزق بأنثى، كما حكى ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

- فلما جاء الإسلام ساوى بين الناس عمومًا رجالاً ونساءً فى الحقوق الواجبات، وأعطى للمرأة -على سبيل المثال- من الحقوق ما لم تحظ بمثله فى ظل أى حضارة أو دين مما كان قبل الإسلام.

- إن الإسلام كَفَل للإنسان حقه فى أن يحيا حياة كريمة، فحمى له حق الحياة، وحق صيانة عقله وحماية جسده، وماله ونسله وعرضه وعمله وحريته، بل جعل تلك الحقوق من مقاصد الشريعة الإسلامية.

وفى الوقت نفسه ألزم كل إنسان بواجباته ولم يقبل من أحد أن يمتنع عن أدائها إلا لعذر تقبله الشريعة.

وبعد:

أفليس بهذه التشريعات قد حرّر الإسلام الإنسان من كل القيود الظالمة والأوهام والخرافات؟

أليس بهذا هو الدين الحق؟

أليس هذا الدين الحق جديرا بأن ينتشر فى الناس لينقلهم من الكفر -بإرادتهم

واختيارهم- إلى الإيمان، ومن الضلال والتخبط فى دياجير الوهم والخرافة والقيود إلى الهدى والحرية والاستقامة على طريق الحق والخير والجمال؟

أليس الجهاد لنشر هذا الدين الحق فى البشرية كلها واجب كل مسلم قادر عليه؟

فالجهاد فى سبيل الله بوصفه نشراً للدين الحق دعامة من الدعائم التى تقوم عليها الحضارة الإسلامية، ومظهر من مظاهرها.

٥- الجهاد فى سبيل الله يحقق للإنسان صالح دينه ودنياه:

حاجة الناس إلى الدين والتديّن حاجة فطرية، أى فطر الله الناس عليها، وهى حاجة روحية عقلية خلقية، يحاول الإنسان أن يصل إليها فيستقر وجدانه ويوقن عقله وتستقيم أخلاقه فلا يجدها إلا فى الدين.

وبيان ذلك فى أمور عديدة منها:

- أن الإنسان منذ أبعد آماده فى الوجود على هذه الأرض يزداد تعلقا بالدين يوما بعد يوم، حتى بعد عصر الكشوف العلمية الحديثة فى قرننا هذا، أى بعد علم الفضاء وعلم «الالكترونيات» وعلم الاتصال والمواصلات وعلم التوقعات فضلا عن علم الأحياء والنبات وغيرها من العلوم التى فاقت المئات فى مختلف التخصصات. ويكفى أن نشير إلى فروع علم الاجتماع التى فاقت عشرين علما، وعلم النفس الذى تفرع إلى تسعة عشر علما حتى الآن -وهما علمان حديثان نسبيا- فما بالنا بسائر العلوم؟

- وحاجة الإنسان إلى العلم ليذلل به صعوبات العيش على هذه الأرض، ليست بأكبر ولا أهم من حاجته إلى الدين لتستقر روحه ويوقن عقله وتستقيم أخلاقه، بل حاجته إلى الدين أكبر وأهم وأدعى إلى استقراره واطمئنانه، وذلك أن العلم كل يوم فى جديد يهدم قديمه ويستصغر شأن هذا العلم ويباهى بما وصل إليه العلم الجديد، فى حين أن الدين يقوم على الثوابت التى لا يمكن أن يناقض حديثها قديمها، ولا دينها الخاتم ما سبقه من الأديان، وذلك أن أصول الأديان السماوية جميعًا واحدة وهى: التوحيد الخالص لله الخالق سبحانه مع رفض التعدد فى الآلهة رفضا مطلقًا، حتى إن بعض المستشرقين الموضوعيين المحايدين قرروا أن التوحيد الخالص هو الأصل، ومنهم:

فريدريك ماكس موللر Moller. F.M. (١٨٢٣- ١٩٠٠)(١) فى كتابه: أصول الأديان.

---

(١) موللر تولى رئاسة مؤتمر المستشرقين التاسع (١٨٩٢م) أصله ألمانى تجنس بالجنسية البريطانية وكان أستاذ اللغات الشرقية بجامعة اكسفورد. وأجاد العربية والسنسكريتية.

- وقد تسببت الفتوح العلمية الحديثة فى تنبيه القلوب والعقول إلى البحث عن نظام دينى يتفق مع بحوث العلم ومقرراته، يمكن الإنسان من الرقى بروحه وعقله عن عالم الأوهام والأساطير، والتحرر من عالم التقاليد البائدة، فاستطاع عدد من علماء أخريات القرن التاسع عشر وأوليات القرن العشرين وضع دين علمى سموه الدين الطبيعى، وكانوا من أكبر المفكرين فى هذه الحقبة، وقد اتفقوا على أن هذا الدين الطبيعى يقوم على أسس منها:

- الاعتقاد الراسخ بوجود الله تعالى.
- والاعتقاد بخلود الروح وعدم فنائها بموت صاحبها.
- وأن الدين له آداب عالية وأخلاق صالحة.
- وأن سيرة هذا الدين قويمة وتاريخه صحيح.
- وأنه لا تناقض بين العلم وهذا الدين.

وقد قام بهذه الدراسة كبار فلاسفة هذا العصر وأهم علمائه وأبرزهم مكانة مما جعل دراستهم تلقى قبولا واسعا لدى غيرهم من العلماء.

وكان على رأس هؤلاء العلماء:

- جول سيمون.
- وكارو، وغيرهما.

يقول: «جول سيمون» العلامة الفرنسى فى كتابه «الديانة الطبيعية»: «كل أصول مذهبنا هذا واضحة لا رمز فيها، أما أصوله فهى الاعتقاد بوجود إله قادر على كل شىء لا يغيره شىء، خلق العوالم وحكمها بقوانين ونواميس عامة، ووجود حياة أخرى تؤدى كل وعود هذه الحياة وتجزى الظالم بالجزاء الأوفى».

ويقول «كارو» فى كتابه: «البحوث الأدبية على العصر الراهن» عن أصول هذه الديانة الجديدة: «هى الاعتقاد بوجود إله مختار خلق الكائنات واعتنى بها، وهو متميز عن عالم الكَوْن والفَسَاد وعن النوع الإنسانى، ووجود روح فى جسم الإنسان متصفة بالإرادة والحرية، ومحبوسة فى هذا الجسم المادى أمداً لتُبْتَلَى فيه، هذه الروح يمكنها بإرادتها أن تطهر هذا الجسم وتُنَقِّيه إذا عرجت به نحو السماء، كما يمكنها أن تسفله بإخلادها إلى المادة

العمياء، والاعتقاد برفعة العقل على العواطف،ووضع الحرية الخلقية -التى هى ينبوع وأصل كل الحريات- تحت سيطرة الاعتدال، وإعطاء الأخلاق الفاضلة اسمها الحقيقى وهو التخليص التدريجى للنفس من علائق الجسم، والتهيؤ لساعات الموت بالزهادة، وأخيراً الاعتراف بقانون الترقى، ولكن بدون فصل رُقى الإنسان فى معارج السعادة المادية عن العواطف الفاضلة التى هى وحدها تُبرر تلك السعادة »

والدين الحق الدين الخاتم قادر على أن يحقق للإنسان صالحه الدينى الذى يتطلبه العلم والعقل، إذ هو وحده الذى يتوفر فيه الشرطان الأساسيان اللذان وضعهما العلم والعقل، وهما:

- أن تكون فيه القوانين العامة الصالحة للتطبيق.
- وأن يكون خاليا من الأساطير والكهنوت.

● والإسلام وحده بوصفه المنهج المتكامل الذى حفظه الله بنفسه فلم يدخله تحريف ولا تبديل هو الذى يتوفر فيه هذان الشرطان، إذ فيه كل القوانين والقواعد التى تجعله صالحًا لكل زمان ومكان من كل ما يخص الاعتقادات، والمعاملات والعبادات، والحلال والحرام، وتلك لا يخلو منها دين من عند الله إذا لم يدخله تحريف أو تبديل.

فالإسلام هو الدين الحق دين الفطرة الدين القيم، وليس بينه وبين الطبيعة التى خلقها الله أى تناقض، وكل معتقدات الإسلام تقوم عليها الأدلة العقلية ولا يقبل فيها تقليد الآباء أو اتباع الأهواء، بل كل ما ناقض العقل لن يكون من الدين.

وكذلك الشأن فى العبادات والمعاملات وما أحل الله وما حرم، فالعبادات وسائر التكاليف الشرعية تخضع لقانون عام هو: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] دون إعنات أو دخول فى حرج، وإنما هو اليسر والتسامح.. على هذه القواعد تضافرت آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة. والمعاملات تخضع لقانون عام هو الإحسان والعدل، الإحسان نافلة والعدل فرض حتى لو كان فى التعامل مع الأعداء، وقانون ذلك هو قوله تعالى: ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وللقتال فى سبيل الله لنصر الدين الحق شروط وآداب كثيرة سوف نتحدث عنها -بعد

قليل– ولقد أوصى رسول الله، وعلَّم المسلمين كيف يعاملون أعداءهم وأساراهم معاملة إنسانية لا توجد إلا فى الإسلام.

- أما أن الدين الحق يجب أن يكون خاليا من الأساطير والكهنوت فإن الإسلام وشريعته حرب على هذه الأساطير وتلك الكهانة وإبطال لسلطانهما على الناس، فوصف الكهان بأنهم يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، وأعلن أن الظن لا يغنى من الحق شيئا، وأنكر على الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وأعلن أن طاعة هؤلاء الرهبان والأحبار عبادة لهم، فى هذا جاءت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة.

- فلقد تأكد بما قلنا أن الدين الحق يحقق للإنسان فى كل زمان ومكان صالح دينه أو صالح حياته الأخرى الأبدية.

– وبغير الجهاد فى سبيل الله كيف يتحقق للإنسان صالح دينه ما دام أعداء الدين وأعداء الإنسان من الملحدين ومنكرى الخالق سبحانه، ومنكرى الدين واليوم الآخر يبثون سمومهم فى الناس ويهيلون على حقائق الدين ما شاءت لهم شياطينهم من الخرافات والأوهام، لأنهم لا يؤمنون إلا بما تقع عليه حواسهم؛ مناقضين فى ذلك العلم والعقل.

– وبغير جهاد هؤلاء وأمثالهم لن تكون هناك سيادة للحق ولا للعلم ولا للعقل، ولن يكون للإنسان فى حياته الدنيا حافز يحفزه على العمل الصالح حتى يحظى بالثواب فى الآخرة، وينعم بجنة من دخلها فهو خالد فيها بلا موت، فقد روى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار؛ جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم».**

– وإذا حقق الدينُ الحق للمتدينين به صالح دينهم وهو دخولهم الجنة، فليس ذلك بالأمر الهَيِّن وإنما يحتاج من المتدين إلى العمل والصبر والاحتمال، ومحاربة الهوى والشهوات، فقد روى مسلم بسنده: **«حُفَّتْ الجنة بالمكاره وحُفَّتْ النار بالشهوات»** فمن استطاع أن يصبر عن شهواته وأن يتحمل فى سبيل ذلك المكاره كانت الجنة أقرب إليه من شراك نعله، ومن لم يستطع ذلك كانت النار أقرب إليه من شراك نعله، وعلامة أن الإسلام هو الدين الحق أنه يعلمنا كيف نصبر عن شهواتنا وكيف نصبر عل متاعبنا، فقد روى أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد وهو يقول بيده –أى يشير إلى الأرض–: **«من أنظر معسراً أو وضع[1] له وقاه الله من فيح جهنم، ألا**

(١) أى خفف عنه وأنقص مما عليه.

إن عمل الجنة حَزْن بربوة -ثلاثا- ألا إن عمل النار سهل بسهوة، والسعيد مَنْ وُقِىَ الفتن، وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظمها عبد لله إلاَّ ملأ الله جوفه إيمانًا».

- وأما أن الدين الحق يحقق للإنسان صالح دنياه؛ فلأنه جاء بمنهج شامل متكامل لكل شئون الحياة الدنيا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.
- ونكتفى هنا بوصف هذا المنهج بالصفات التى تؤكد قدرته على تحقيق كل مصالح الإنسان فى الدنيا (١)، فنقول سائلين الله التوفيق والسداد.

- الصفة الأولى للمنهج:

هى عموميته وشموله وإنسانيته وصلاحه للتطبيق فى كل زمان ومكان، ووفاؤه بتحقيق كل حاجات الإنسان المشروعة. فالإسلام دين البشرية كلها أتمه الله وأكمله ورضيه دينًا للناس جميعًا إلى يوم القيامة.

وهو المنهج المشتمل على أساسيات الحياة الإنسانية الكريمة وهى:

- الأمر بالمعروف لكل أحد.
- والنهى عن المنكر لكل أحد.
- والعدل والإحسان.
- والشورى وما تتضمنه من حرية الفكر والتعبير.
- والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.
- وطاعة أولى الأمر ما داموا لم يأمروا بمعصية الله تعالى.

- والصفة الثانية للمنهج:

قدرته على الاستمرار والبقاء، لأنه من وضع الله تعالى العالم بما يصلح الإنسان وما يفسده، وقد ضَمن منهجه كل ما يصلح الإنسان فى دنياه وآخرته.

فمنهج الدين الحق خالٍ تماما من القصور والعجز والمحاباة، لأن كل ذلك يستحيل على الله تعالى واضع هذا المنهج.

---

(١) هذه السلسلة «مفردات التربية الإسلامية» منها ست حلقات تؤكد ذلك وهى: التربية السياسية والتربية الاجتماعية والتربية الاقتصادية وقد صدرت هذه الحلقات فى كتب ثلاثة ويبقى منها: التربية الجهادية وهى موضوع هذا الكتاب ثم التربية الجسدية والجمالية.

وهو منهج ملائم للإنسان فى كل ظروفه : فى صحته ومرضه، فى طفولته وشبابه ورجولته وهرمه، رجاله ونسائه، أغنيائه وفقرائه، ملائم فى السلم والحرب، ملائم لكل مرحلة من مراحل التطور والترقى فى حياة الإنسان.

وذلك ما يضمن لهذا المنهج الاستمرار والبقاء والتعامل مع متغيرات الزمان والمكان.

- **والصفة الثالثة:**

أنه منهج يسَّر الله الأخذ به والالتزام بكل ما جاء فيه دون أن يحدث للآخذ به أى ضرر أو حرج، أكد القرآن الكريم هذا التيسير فى قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٢] وقوله جل شأنه: ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ**﴾ [المائدة: ٦].

وكل ما دعا منهج الله إلى الأخذ به يستحيل أن يترتب على الأخذ به أن ينال المتمسك به أى ضيق أو حرج أو مشقة أو إعنات، لأن الله تعالى وضع للناس هذا المنهج رحمة بهم وتوسعة عليهم، ومحافظة به على تكريمه سبحانه إياهم.

وما يزعم أحد أن التمسك بمنهج الله فيه صعوبة أو مشقة إلا إذا كان يقصد مشقة البعد عن الحرام والصبر عن تلك الشهوات غير المنضبطة.

- **والصفة الرابعة للمنهج:**

أنه واقعى، يعرف ما فى حياة الإنسان من مطالب لابد من تحقيقها، وما فى فطرة الإنسان من رغبات مشروعة، فيعمل على مراعاة ذلك ويحرص على الاستجابة له.

وتلك الواقعية للمنهج هى التى جعلته قابلا للتطبيق بل يسير التطبيق على كل الناس.

وقد يزعم بعض أعداء الإسلام أنه منهج مثالى غير قابل للتطبيق وقد كذبوا، لأن مثالية المنهج لصالح الإنسان وللارتفاع به إلى مستوى تكريم الله تعالى إياه كى يكبح جماح نفسه وهواه وشيطانه ويفعل الخير ويحبه لنفسه وللناس.

وإذا كان المنهج لم يطبق إلا فى فترات قليلة من تاريخ المسلمين، فليس العيب فى المنهج ولكن فى المطبقين له، أو فى الرافضين لتطبيقه الذين يتوهمون أن غيره قد يغنى عنه.

- والصفة الخامسة للمنهج:

أنه لا يعطى فرصة للمتشددين ولا للمتنطعين، بل يحيدهم ويتوعدهم ويرفض تشددهم وتنطعهم، ويضرب للناس الأمثال بحياة الرسول ﷺ الذى ما خُيِّر بين أمرين من أمور الدنيا إلا اختار أيسرهما.

وروى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«هلك المتنطعون»**[1] قالها ثلاثا.

وروى البخارى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنِّى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان ممَّا يطيل بنا. فما رأيت رسول الله ﷺ غضب فى موعظة أشدَّ مما غضب يومئذ فقال: **«يا أيها الناس إنَّ منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة»** ورواه مسلم.

وروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بيتى هذا: **«اللهم مَنْ وَلِىَ من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به»**

وروى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: «مَنْ هذه؟» قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها قال: **«مَهْ[2] عليكم بما تطيقون، فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا»**.

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إن الدين يُسْرٌ ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة»**.

وفى رواية للبخارى: **«سدِّدوا وقاربوا واغدوا وروحوا بشىء من الدلجة، القصد القصد تبلغوا»**.

إنه منهج يغلق الباب أمام المتشددين والمتنطعين والمغالين الذين يحسبون أنهم بذلك يحسنون صنعاً.

---

(١) المتنطعون: هم المتعمقون المتجاوزون للحدود فى أقوالهم وأفعالهم، المغالون المتكلفون المتشددون فى غير موضع التشديد.

(٢) مَهْ: كلمة زجر ونهى.

● ونود أن نفصل الحديث فى الصفة الرابعة من صفات المنهج وهى واقعيته التى تعترف بحاجات الإنسان ومطالبه، فنتحدث عن هذه الحاجات الفطرية فى الإنسان بما يزيل عنها اللبس والغموض وسوء فهم بعض الناس، فنقول وبالله التوفيق ومنه العون:

– إن الله تعالى كرّم الإنسان ورزقه من الطيبات وفضله على كثير من خلقه، وأخرج له من الأرض الطيبات من الرزق، وأباح له أن يستمتع بما خلق له دون إسراف أو تقتير، بهذا جاءت آيات القرآن الكريم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ [البقرة:٢٩] أى خلق كل النعم الموجودة فى الأرض لتسد حاجاتكم وتنتفعوا بها.

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال عز وجل: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنقَذُونَ (٤٣) إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [يس: ٣٣-٤٤].

تلك مخلوقات الله من أجل الإنسان لينتفع بها ويحقق حاجاته المشروعة التى أحل الله له.

– وإن تحقيق هذه الحاجات فى إطار ما أحلَّ الله تعالى وبعيداً عما حرم لهى فى مصلحة الإنسان والمجتمع الذى يعيش فيه، ومن استغنى عن تحقيق هذه الحاجات الإنسانية المشروعة موهماً نفسه بأى تبرير يحرم عليه ما أحلَّ الله له فإنه يلحق الضرر بنفسه وبالمجتمع، وهذا ما لا يجوز له.

– وإن هذه الحاجات الإنسانية المشروعة قد فطر الله تعالى الناس عليها، وأنعم عليهم

بكثرتها وتعددها، وأعطاهم القدرة على تحقيقها وجعل فى تحقيقها عمران الكون ورقيه ونهضته وترقّيه فى العلوم والآداب والفنون والصناعات وكل أشكال الحضارة، وكلما تعددت حاجات الإنسان فعمل على تحقيقها كان ذلك فى صالحه حضاريا.

- وتحقيق هذه الحاجات عندما تتعارض أو تتناقض بين قوم وقوم قد يؤدى إلى الخلاف والصراع والحروب، ولذلك حكم الإسلام تحقيق هذه الحاجات بقوانينه العامة التى أشرنا إليها آنفا، من:

- العدل والإحسان والتعاون على البر والتقوى.
- وتجنب الظلم والعدوان.
- والقصد والاعتدال دون إسراف أو تقتير.
- وتجنب الطمع والأنانية والتطلع لما فى أيدى الناس.
- وحب الخير وعمله من أجل النفس ومن أجل الآخر.
- وإيثار السلام والسماحة فى التعامل مع الناس.

وتلك قوانين عامة تحكم المسلم وهو يمارس تحقيق حاجاته المشروعة، وهى قوانين ثابتة مستقرة لا يُغيِّر فيها الزمان ولا المكان.

وبعد:

فإن هذه المصالح الدينية للإنسان وتلك المصالح الدنيوية له، لا بد أن تجد فى كل حين من ينكرها أو يتحداها أو يصارع أصحابها فيها!!!

ومن هنا كان الجهاد فى سبيل الله قادراً دائمًا على المحافظة على هذه المصالح الدينية والدنيوية، وعلى تمكين الإنسان من ممارستها، ولذلك شرع الله الجهاد فى سبيله.

ولأجل هذا كان الجهاد فى سبيل الله جزءا من الحضارة الإسلامية، لا تستطيع أن تنهض إلا به، غير أن هذا الجهاد فى سبيل الله من أجل تحقيق مصالح الدين والدنيا ليس مجرد معارك وقتال يخضع لمنطق القوة، وإنما الإسلام جعل هذا الجهاد فى سبيل الله خاضعا لشروط وآداب، نتحدث عنها فى الصفحات التالية بعون الله وتوفيقه.

٦- شروط الجهاد فى سبيل الله وآدابه:

لأن الجهاد فى سبيل الله ليس مجرد قتال وغَلَب لعدو، وإنما هو جزء من حضارة الدين الحق كان لابد أن يخضع لشروط وآداب، ترسم له الطريق وتبين له المعالم.

وهذه الشروط وتلك الآداب ليست من اجتهاد قائد مظفر، ولا رجل حرب منصور دائما، وإنما من صنع رب العالمين، ومن تفصيل المعصوم ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

ومن أجل ذلك كانت هذه الشروط وتلك الآداب ثابتة مستقرة لا تتغير بتغير الأعداء ولا بتطور الآلة العسكرية، ولا يؤثر فيها امتداد الزمان ولا اتساع المكان.

● وللتفريق بين الشروط والآداب نقول:

– الشرط فى الفقه الإسلامى: ما لم يتم الشىء إلا به، ولا يكون داخلا فى حقيقته.

وقيل هو: تعليق شىء بشىء بحيث إذا وجد الأول وجد الثانى.

وقيل هو: ما يتوقف ثبوت الحكم عليه.

وقيل هو: كل حكم معلوم بتعلق بأمر يقع بوقوعه، وذلك الأمر كالعلاقة له.

وهى تعريفات متقاربة، نخلص منها بأن الجهاد فى سبيل الله إذا لم تتوفر له شروطه فليس جهادا إسلاميا.

– أما الآداب: فهى جملة ما يتمسك به كل ذى صناعة أو عمل أوعلم أو فن من أخلاق تجعل صناعته أو عمله أو فنه أو علمه على النحو الأمثل والأفضل.

وقيل: الآداب هى جملة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ.

والشروط والآداب فى الجهاد فى سبيل الله متعانقة متكاملة حيث نرى أن الشروط تخضع لمبدأ العدل وهو فرض، والآداب تخضع لمبدأ الإحسان وهو مندوب إليه.

● ولا يجوز لمسلم يجاهد فى سبيل الله أن يتخلى عن العدل لأن العدل عبادة مفروضة كالجهاد، كما لا يجرؤ مسلم أن يتخلى عن الإحسان وقد ندب الله إليه وكتبه على كل شىء، ولهذا تداخلت الشروط والآداب فى الجهاد فى سبيل الله.

فما هى شروط الجهاد فى سبيل الله وآدابه؟

أ- شروط الجهاد فى سبيل الله:

● وضوح الهدف منه:

والهدف هو: أن تكون كلمة الله هى العليا، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن

أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»** ورواه أحمد والأربعة.

ويدخل تحت هذا الهدف:

- ردّ العدوان ودفع العدو وتحرير أرض المسلمين.

- ونصرة المظلوم عموما بمنع الظالم ومحاربته.

- وحماية حرية الاعتقاد.

- وإقرار العدل والإنصاف.

● وإنذار العدو قبل قتاله:

ويكون هذا الإنذار بدعوة العدو إلى الحق وإلى الدين الحق، فإن أبى - وكان من غير أهل الكتاب - أنذر بالحرب ولا يؤخذ على غرة، وإنما يعطى الفرصة الكافية ليراجع نفسه ويستعد، وعندئذ يُقاتَل ولا يأخذ المسلمين فيه لومةُ لائم؛ فقد روى مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بالجهاد فى سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة، يُذهب الله به الهَمَّ والغَمَّ، وجاهدوا فى سبيل الله القريب والبعيد، وأقيموا حدود الله فى القريب والبعيد، ولا تأخذكم فى الله لومة لائم»**.

ولأهل الكتاب حكم آخر مختلف فهم تقبل منهم الجزية ولا تقبل من المشركين.

وليس الغدر جائزا فى قتال أعداء الله وإنما هو الوفاء بكل عهد وميثاق ثم الإنذار ثم القتال، روى أبو داود بسنده عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان بينه وبين قوم عهد، فلا يشُدَّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضى أمرها أو ينبذ إليه على سواء»**.

- أين ذلك من أهل الحضارة الغربية اليوم الذين يبرمون المعاهدات وهم ينوون نقضها، وما أبرموها إلا للغدر بها؟

● وتأمين المستأمنين فى ديار المسلمين:

فهذا من شروط الجهاد فى سبيل الله، لأن هذا حق المستأمَن فى شريعة الإسلام، حتى لو كان المسلمون يحاربون قومه الذين ينتمى إليهم، بل له الأمان حتى يعود إلى قومه، قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾** [التوبة: ٦].

ولقد ذكر الفقهاء أن من حق المستأمن ان يأخذ مدة كافية حتى يلحق بقومه بحيث لا تفوته مصالحه ولا جمع أمواله التى فى ديار مَنْ أمنوه.

- أين هذا من مصادرة أموال من تصوروهم أعداء فى جميع مصارف العالم؟ كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م.؟

● وتحريم قتال غير المقاتلين:

اى الذين لا يستطيعون القتال عموما ومنهم الطفل والشيخ الكبير والمرأة، والمتفرغون للعبادة فى صلواتهم وبيعهم. كل هؤلاء لا يجوز قتال أحد منهم إلا من شارك منهم فى قتال المسلمين.

إن الجهاد فى الإسلام عمل قتالى لا يوجَّه إلا لمن يستطيع القتال ويشارك فيه.

- أين هذا مما تفعله إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية فى تعقب وقتل ذوى المجاهدين وأقاربهم؟

إن الفارق الحضارى بين الإسلام والبربرية واضح لكل ذى عينين، ولكنه الإعلام المغالط المضلل!!

● وتحريم قتل الأسير أو تعذيبه:

روى أحمد بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، وأمر خالد بهم أسرا وقتلا، ودفع إلى كل رجل منًّا أسيره حتى إذا أصبح يومًا أمر خالد بقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر فقلت: والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل رجل من أصحابى أسيره فقدموا على النبى ﷺ فذكروا له صنيع خالد فقال النبى ﷺ ورفع يديه: **«اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد»** مرتين.

● وتحريم المثلة بجثث القتلى:

فقد روى البخارى بسنده عن عبدالله بن زيد رضى الله عنه قال: **«نهى رسول الله ﷺ عن النُّهبَى والمُثْلَةُ»**.

وقد أجمع علماء المسلمين فى كل العصور على أن المثلة بأجساد قتلى الأعداء حرام.

وروى ابن اسحق بسنده عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: «ما قام رسول الله ﷺ فى مقام قط ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة».

روى ابن هشام بسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ، بعد أن رأى ما مَثَّلت قريش بعمه حمزة رضى الله عنه «... **لئن ظفَّرنى الله تعالى على قريش فى موطن من المواطن لأمثِّلن بسبعين منهم مكانك** – وفى رواية بثلاثين – فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمِّه ما فعل، قالوا: والله لئن ظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب. قال أبو هريرة – كما رواه ابن سعد، والبَزَّار، وابن المنذر، والبيهقى –: فنزل جبريل والنبى ﷺ واقف، بخواتيم سورة النحل: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ**﴾ [النحل: ١٢٦] فكفَّر النبى ﷺ عن يمينه، وأمسك عن الذى أراد، وصبر.

أين ذلك مما تفعله إسرائيل بجثث القتلى؟

● **وتحريم قتل المدنيين أو إرهابهم:**

والمدنيون هم غير المحاربين عموما – وقد حُرِّم قتل المرأة والطفل والشيخ المنقطع للعبادة كما ذكرنا ذلك آنفا – ولكن نزيد هنا: أنه يحرم قتل غير المحاربين عموما من صناع وزراع وتجار، وغيرهم ما داموا لا يقاتلون.

ولقد حرصت شروط الجهاد على أن تجنب غير المحاربين كل ويلات الحرب وإبعادهم عن أى ضرر من أضرارها وحصر ذلك فى المقاتلين وحدهم، حتى جاز أن يوقف القتال إذا كان بين صفوف الأعداء من لا يجوز قتله – أى هؤلاء المدنيون – كما لا يجوز تجويع هؤلاء ولا قطع الماء عنهم.

أين ذلك مما تفعله إسرائيل فى المدنيين الذين تهدم عليهم بيوتهم وتقطع عن الناجين منهم الطعام والماء والكهرباء، وتمنع علاج المجروح منهم وتمنع الأدوية، بل تقتل الأطباء ورجال الإسعاف، كما حدث فى المدن الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة فى عام ٢٠٠٢م؟.

إن ما فعلته إسرائيل فى جنين ونابلس والخليل وبيت لحم وطولكرم وسائر مدن الضفة الغربية شىء لا تقوم به الوحوش الضارية فضلا عن عصابات المجرمين وقطاع الطرق ومحترفى الإجرام!! والعالم كله لا يعترض إلا فى حياء واستخذاء.. والولايات المتحدة

تستعمل حق النقض إن أدينت إسرائيل فى مجلس الأمن بعشرات الجرائم الإنسانية التى سجلتها عليها وسائل الإعلام!!

وليس ما فعلته الولايات المتحدة الامريكية فى المدنيين الأفغان بأقل وحشية مما فعلته إسرائيل.

ومع كل ذلك فإن القوانين الدولية، تجرم ذلك وتدينه وتجعله مما لا يسقط العقاب عليه بالتقادم!!

لكن إسرائيل وأمريكا فوق كل القوانين، وفوق الشرعية الدولية، وفوق الجميع - كما كانت تنادى بذلك النازية أيام «هتلر» - حيث كان مبرر إجرامه أن ألمانيا فوق الجميع!!

- وقبول الدعوة إلى السلام:

ذاك شرط فى الجهاد فى سبيل الله أقره قول الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦١-٦٣].

وذلك أن الحرب عند المسلمين ليست هدفا فى ذاتها - كما يقول بعض المغامرين المرضى نفسيًا من اليهود[١] -، وإنما هى شرعت للأهداف الإنسانية التى ذكرناها آنفا.

إلى غير ذلك من شروط الجهاد فى سبيل الله المبسوطة فى كتب السنة النبوية وفى كتب الفقه الإسلامى.

ب- آداب الجهاد فى سبيل الله:

- حسن التعامل مع رسل العدو:

رسل العدو الذين يحملون إلى قيادة المسلمين كتبا أو نحوها، لهم فى أدب الجهاد فى سبيل الله وجوب حسن التعامل معهم واحترامهم وتلقى ما لديهم من كتب ورسائل والرد عليهم ردًا حسنًا.

---

(١) من هؤلاء: «مناحيم بيجين» القائل: «أنا أحارب فأنا إذن موجود» و«ديفيد بن جوريون» القائل: «على اليهودى من الآن فصاعدا ألا ينتظر التدخل الإلهى لتحديد مصيره، بل عليه أن يلجأ إلى الوسائل العادية مثل: الفانتوم والنابالم.. إن خير مفسر للتوراة هو الجيش فهو الذى يساعد على الاستعمار والاستيطان ويفسر بذلك كلمات العهد القديم ويحققها».

ومهما كان ما يحمله الرسول من رسالة لا يقبلها المسلمون فإن على المسلمين أن يحسنوا معاملته.

فقد روى الدارمى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: جاء ابن النواحة وابن أثال رسولا مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ فقال لهما: **«أتشهدان أنى رسول الله»؟** قالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله. فقال النبى ﷺ: **«آمنتُ بالله ورسوله، لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما»** وفى رواية: **«لولا أن الرسل لا تُقتل لضربتُ أعناقكما»** قال ابن مسعود رضى الله عنه: فمضت السنة ان الرسل لا تُقْتل.

وروى أحمد بسنده عن أبى رافع رضى الله عنه قال: بعثتنى قريش إلى النبى ﷺ، فلما رأيت النبى ﷺ وقع فى قلبى الإسلام، فقلت: يا رسول الله لا أرجع إليهم، قال: **«إنى لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُرُد - أى الرسل - ارجع إليهم فإن كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجع».**

● ومن أدب الجهاد الإحسان إلى الأسرى:

روى ابن اسحق بسنده قال: «ولما دخل بالأسارى إلى المدينة (يقصد أسارى معركة بدر) فرّقهم رسول الله ﷺ بين أصحابه وقال: **«استوصوا بالأسارى خيرا»** ورواه الطبرانى - فى الكبير - بسنده عن أبى عزيز.

قال ابن هشام - فى السيرة النبوية - وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير رضى الله عنه فى الأسرى، فقال أبو عزيز: كنت فى رهط من الأنصار (أسيرا) حين أقبلوا بى من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز، وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها، قال: فاستَحْيى فاردها على أحدهم فيردها علىّ ما يمسُّها.

وروى البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فكوا العانى»** أى الأسير وفى رواية: **«وأطعموا الجائع».**

● ومن آداب الجهاد فى سبيل الله تخذيل العدو:

وذلك أن الحرب خدعة للعدو، وقد روى أحمد بسنده عن علىّ رضى الله عنه قال: إن الله تعالى سمَّى الحرب خدعة على لسان رسول الله ﷺ.

وروى ابن جرير بسنده عن نعيم بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: **«خذِّل عنا فإن الحرب خدعة»**.

وروى أبو هلال العسكرى – فى الأمثال – بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن نعيم بن مسعود قال: يا نبى الله: إنى أسلمتُ ولم أعلم قومى بإسلامى، فمرنى بما شئت، فقال: **«إنما أنت فينا كرجل واحد، فخادع إن شئت فإن الحرب خدعة»** فقام نعيم رضى الله عنه بين بنى قريظة وقريش بما قام – مما ذكرنا آنفا – فخدع هؤلاء وأولئك ففقدوا الثقة فيما بينهم فتفرقت كلمتهم، وكان نصر الله وتفرق الأحزاب.

فخَذَّل نعيم رضى الله عنه العدو بإذن من رسول الله ﷺ، فأصبح ذلك جائزاً حتى اليوم، بل عُدّ هذا التخذيل للعدو من آداب الجهاد فى سبيل الله التى يستحسن الأخذ بها فى الحرب والقتال.

● ومن أدب الجهاد فى سبيل الله بث العيون:

والعيون هم: الجواسيس الذين يجمعون من العدو معلومات يستفيد المجاهدون من معرفتها، فقد روى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: **«بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسَةَ عينا»**.

وروى ابن عساكر بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: إنّ سهلاً وعامر بن ربيعة قال لهما رسول الله ﷺ: **«اخرج يا سهل بن حنيف، ويا عامر بن ربيعة حتى تكونا لنا عيْناً»**.

وروى ابن جرير بسنده عن عطاء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال يوم الخندق: قالوا كذا وفعلوا كذا، وصنعوا كذا، فذهب العين فأخبرهم فهزموا، ولم يكذب، ولكن قال: افعلوا كذا، اصنعوا كذا».

جـ- الدستور الحضارى للجهاد فى سبيل الله:

ولقد وضع رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله دستورا للجهاد فى سبيل الله نعرف منه شروط الجهاد وآدابه.

– فقد روى مسلم بسنده عن بريدة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا إلى سريّة أو جيش أوصاه فقال: **«اغزوا باسم الله فى سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله.**

ولا تغلوا،

ولا تغدروا،

ولا تمثلوا،

ولا تقتلوا وليدا.

وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن وأرادوك أن تجعل لهم ذمّة الله وذمّة نبيه؛ فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، فإذا حاصرت أهل الحصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدرى أتصيبُ حكم الله فيهم أم لا».

ورواه أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجة والدارمى.

– وروى ابن عساكر بسنده عن عبدالرحمن بن عائذ رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ إذا بعث بعثًا قال: **«تألفُوا الناس وتأنوْهُم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت مَدَرٍ ولا وبَرٍ إلا تأتونى بهم مسلمين أحبُّ إلىَّ من أن تأتونى بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم».**

– وروى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا بعث فى قتال قال: **«انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا، ولا امرأة، ولاتغلوا، وضُموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين».**

– وروى أحمد بسنده عن خالد رضى الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة خيبر فأسرع الناس فى حظائر يهود، فأمرنى أن أنادى: الصلاة جامعة ولا يدخل الجنة إلا مسلم ثم قال: **«أيها الناس إنكم قد أسرعتم فى حظائر يهود، ألا لا تحل أموال المعاهدين إلا**

بحقها، وحرام عليكم لحوم الحمر الأهلية وخيلها وبغالها وكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير».

وزاد الطبراني - فى الكبير -: «**ألا لا يقول رجل متكئ على أريكته: ما وجدنا فى كتاب الله من حلال أحللناه، وما وجدنا فى كتاب الله من حرام حرّمناه، ألا وإنى حرّمتُ عليكم أموال المعاهدين بغير حقها، ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة».**

وزاد البيهقى فى السنن: «**ألا ومن قتل معاهدا له ذمّةُ الله وذمّة رسوله حرَّم عليه ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا».**

ولو شئنا أن نفصل مفردات هذا الدستور الذى وضعه النبى ﷺ لما وسعتنا هذه الصفحات، ولكننا نكتفى بالإشارة والدلالة، ومن أراد التوسع ففى أبواب الجهاد متسع، وكذلك فى كتب الفقه الإسلامى.

● ومن هذه الدلالات والإشارات:

ما جاء فى فضل الجهاد فى سبيل الله.

وما جاء فى القيم التى يجب أن تحكم الجهاد فى سبيل الله.

وما جاء فى وجوب الإعداد للجهاد فى سبيل الله.

وما جاء فى مكانة الشهداء فى سبيل الله.

إن السنة النبوية التى لا ينطق صاحبها ﷺ عن الهوى بحر زاخر فى كل ما يتصل بالجهاد الذى هو ذروة سنام الإسلام، وسياحة الأمة ورهبانيتها.

● فمما جاء فى فضل الجهاد فى سبيل الله:

- ما رواه البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله: أى الناس أفضل؟ قال: «**مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله**، قالوا: ثم مَنْ؟ قال: **مؤمن فى شعب من الشِّعاب يتقى الله ويدع الناس من شَرِّه».**

- وما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَثَلُ المجاهد فى سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله - كمثل الصائم القائم، وتَوَكَّلَ الله للمجاهد فى سبيله - بأن يتوفاه - أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة».**

- وما رواه أبو داود بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل؛ رجل خرج غازيا فى سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه الله فيدخله الجنة أو يردّه بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل»**.

- وما رواه البخارى بسنده عن عبدالله بن أوفى رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال: **«واعلموا أنّ الجنة تحت ظلال السيوف»**.

- وما رواه أحمد بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كنت مع النبى ﷺ فى سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت: يا نبى الله: أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال: **«لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على مَنْ يسّره الله عليه؛ تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنّة والصدقة تطفىء الخطيئة، وصلاة الرجل فى جوف الليل، ثم قرأ: تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ.. يعملون، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟** فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: **رأس الأمر وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد..»**.

وفى رواية للترمذى: **«رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»**.

- وما رواه البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لغُدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»**.

- وما رواه البخارى بسنده عن عبدالرحمن بن جبر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما اغبّرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار»**.

- وما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنْ رسول الله ﷺ قال: **«والذى نفسى بيده لا يُكلَمُ أحد فى سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم فى سبيله - إلاّ جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك»**.

- وما رواه أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة من أصل الإيمان؛ الكفُّ عَمّن قال لا إله إلا الله، ولا تكفّره بذنب، ولا تخرجه من الإسلام بعمل. والجهاد ماضٍ منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخرُ أمّتى الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل.**

والإيمان بالأقدار».

– وما رواه أبو داود بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين على مَنْ ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيخ الدجال».**

– وما رواه أبو داود بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه أنّ رجلا قال: يا رسول الله ائذَنْ لى فى السياحة. فقال له: **«إنّ سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله عز وجل».**

والسياحة هى مفارقة الوطن والذهاب فى الأرض.

– وما رواه أحمد بنسده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لكل نبىّ رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله عز وجل».**

● ومن الجهاد فى سبيل الله الرباط على الحدود والثغور وأماكن المخاوف من العدو.

وفى الرباط فى سبيل الله جاءت أحاديث نبوية عديدة نذكر منها:

– ما رواه أبو داود بسنده عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: **«كل الميّت يُختم على عمله، إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويُؤَمَّن من فتان القبر».**

– وما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: **«منْ خير معاش الناس لهم، رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله يطير على مَتْنه كلما سمع هيعة أو فزعة، طار على متنه يبتغى القتل أو الموت مَظَانَّه».**

– وما رواه مسلم بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر؟ حارس حَرَسَ فى أرض خوف؛ لَعَلّه أن لا يرجع إلى أهله».**

– وما رواه الدارقطنى – فى السنن – بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ رابط ليلةً حارسا منْ وراء المسلمين، كان له مثل أجر مَنْ خَلْفه ممّن صام وصلّى».**

– وما رواه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«مَنْ مات مرابطا وُقِىَ فتنة القبر وأُومن من الفزع الأكبر، وغُدِىَ عليه وريح برزقه من الجنة، وكُتب له أجرُ المرابط إلى يوم القيامة».**

● ومما جاء فى السنة النبوية من القيم التى تحكم الجهاد:

وهى قيم ثابتة صالحة لكل زمان ومكان وتعامل مع كل عدو حتى لو خاس هو بمبادئ القتال الشريف .

ومن هذه القيم :

- خلوص النية لله فى الجهاد .

- وحرمة الفرار إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة .

- وتحريم قتل النساء والأطفال والشيوخ إلا من شارك فى القتال .

- وتحريم المثلة بجثث الأعداء والنهبة .

- وتحريم قتل من استعصم بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله .

- وتحريم الإكراه على الدخول فى الدين .

- وتحريم الغلول أو التستر على الغَالّ .

بكل هذه القيم جاءت الأحاديث النبوية الشريفة التى نذكر منها :

● **فمما جاء فى خلوص النية لله فى الجهاد :**

- ما رواه أبو داود بسنده عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **«يا عبدالله بن عمرو : إن قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا ، وإن قاتلتَ مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا ، يا عبدالله بن عمرو ، على أى حال قاتلت أو قُتلت بعثك الله على تلك الحال»** .

- وما رواه النسائى بسنده عن عبّاد بن بشر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«مَنْ غزا فى سبيل الله ولم يَنْوِ إلاّ عقالا فله ما نوى»** .

- وما رواه البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه أن أعرابيا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه - وفى رواية : يقاتل شجاعة ويقاتل حمية - وفى رواية : يقاتل غضبا فمن فى سبيل الله ؟ فقال النبى ﷺ : **«مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»** .

- وما رواه أبو داود بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة : **«لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا»** .

● ومما جاء فى حرمة الفرار من الزحف إلا بسبب شرعى :

– ما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل : يا رسول الله وما هُنَّ؟ قال :

الشرك بالله ، والسِّحْر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» .

– وما رواه احمد بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال : أوصانى رسول الله ﷺ بعشر كلمات ، قال :

● لا تشرك بالله شيئا وإن قُتلتَ وحُرِّقت .

● ولا تعقَّن والديْك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك .

● ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله .

● ولا تشربن خمرا فإنه رأس كل فاحشة .

● وإياك والمعصية فإن بالمعصية حل سخط الله عز وجل .

● وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس .

● وإذا أصاب الناس موتان (أى طاعون) فاثبت .

● وأنفق على عيالك من طولك .

● ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا .

● وأخفْهم فى الله»(١) .

– وما رواه الطبرانى – فى الكبير – بسنده عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ فَرَّ فليس منَّا» .

● ومما جاء فى تحريم قتل النساء والأطفال والشيوخ إلا من شارك منهم فى القتال :

---

(١) وفى تحريم الفرار والتولى جاء قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال : ١٥–١٦]

– ما رواه البيهقى فى السنن بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إنَّ رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان».

– وما رواه البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنَّ امرأة وجدت فى بعض مغازى رسول الله ﷺ مقتولة؛ فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان».

– وما رواه أحمد بسنده عن الأسود بن سريع رضى الله عنه أنّ رسول الله ﷺ بعث سريّة يوم حنين فقاتلوا المشركين فأفضى بهم القتل إلى الذرية، فلما جاءوا قال رسول الله ﷺ: **«ما حملكم على قتل الذرية؟** قالوا: يا رسول الله إنما كانوا أولاد المشركين، قال: **«أوَ هَلْ خياركم إلاّ أولاد المشركين، والذى نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها»** وفى رواية زيدَ: **فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه».**

● ومما جاء فى تحريم المُثْلة بجثث الأعداء والنُّهبة:

– ما رواه أبو داود بسنده عن سمرة بن جندب قال: كان النبى ﷺ يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة».

– وما رواه الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من انتهب فليس منّا».**

– وما رواه أحمد بسنده عن عبدالله بن زيد رضى الله عنه قال: **«نهى النبى ﷺ عن النُّهبى وعن المثلة».**

– وما رواه الطبرانى بسنده عن عبدالله بن عباس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«ليس منا مَنْ انتهب أو سَلَب أو أشار بالسلب».**

– وما رواه أبو داود بسنده عن علقمة بن عبدالله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعَفَّ الناس قِتْلةً أهل الإيمان».**

– وما رواه الطبرانى – فى الكبير – بسنده عن عمرو بن عوف رضى الله عنه قال: قال رسول الله عنه قال: **«لا غصْبَ ولا نُهْبَة».**

● ومما جاء فى تحريم قتل من استعصم بقول: «لا إله إلاّ الله»:

– ما رواه أبو داود بسنده عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ سَرِية إلى الحرقات، فنُذِروا بنا فهربوا، فادركنا رجلا فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فضربناه حتى

قتلناه، فذكرته للنبى ﷺ فقال: «مَن لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟» فقلتُ: يا رسول الله: إنما قالها مخافة السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم مِنْ ذلك قالها أم لا؟ مَنْ لك بلا إله إلا الله».

– وما رواه أبو داود بسنده عن جرير بن عبدالله رضى الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس منهم بالسجود، فاسرع فيهم القتل. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ؛ فامر لهم بنصف الدية».

– وما رواه أحمد بسنده عن ابن عصام المزنى عن أبيه رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحداً».

● ومما جاء فى تحريم الإكراه على الدخول فى الدين:

– ما رواه أبو داود بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كانت المراة تكون مقلاة – أى لا يعيش لها ولد – فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أنْ تهوده، فلما أُجْلِيَتْ بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عزوجل: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

– وما رواه ابن عساكر بسنده عن عبدالرحمن بن عائذ رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث بَعْثًا قال: «تألفوا الناس وتأنوهم[(١)] ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم؛ فما على الأرض من أهل بيت مَدَر ولا وَبر إلاّ تأتونى بهم مسلمين أحب إلىّ من أن تأتونى بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم».

● ومما جاء فى تحريم الغلول أو التستر على الغَالّ:

– ما رواه النسائى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه غَلَّ فى سبيل الله فأحرقوا متاعه».

– وما رواه أبو داود بسنده عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: اما بعد، وكان رسول الله ﷺ يقول: «من كتم غالاً – اى تستر عليه – فإنه مثله».

– وما رواه أبو داود بسنده عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ تُوُفِّى يوم خيبر، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «صلُّوا على صاحبكم»

(١) تأنوهم: اى اصبروا عليهم ولا تستعجلوا قتالهم حتى تدعوهم إلى الإسلام، والدعوة لا إكراه فيها وإنما هى عرض للدين وقبول أو رفض ممن عرض عليه الدين.

فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: «**إن صاحبكم غَلَّ في سبيل الله**» ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي درهمين.

– وما رواه ابن ماجة بسنده عن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس إنّ هذا من غنائمكم، أدوا الخيط والمخيط فما فوق ذلك، فما دون ذلك؛ فإن الغلول عار على أهله يوم القيامة وشنار ونار**».

– وما رواه احمد بسنده عن عبدالله بن أُنَيسْ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ غلَّ بعيرا أو شاةً أتى به يحمله يوم القيامة**».

– وما رواه احمد بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني منكم رجل ملك بُضْع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمّا يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها.**

فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمعتْ الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال: إن فيكم غلولا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يَدُ رجل بيده فقال: فيكم الغلول؛ فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول؛ فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها فجاءت النار فأكلتها ثم أحَلَّ الله لنا الغنائم؛ رأى ضعفنا وعجزنا، فأحلها لنا» ورواه البيهقي في السنن الكبير بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه

٧- مكانة الشهيد في الإسلام:

الشهيد هو المحتضر، سمي بذلك لحضور الملائكة إياه، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠]، ومن قوله تبارك وتعالى: ﴿ ... **وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ...**﴾ [الحديد: ١٩].

وقيل: سموا شهداء لانهم يشهدون عند الله ما أعد لهم من النعيم.

– والشهيد هو من قتل في سبيل الله.

ويقسم العلماء الشهيد إلى أنواع ثلاثة:

شهيد الدنيا والآخرة وهو من قُتل في المعركة في سبيل الله.

وشهيد الآخرة وهو من جرح في المعركة في سبيل الله ثم فاضت روحه بعد المعركة.

وشهيد الدنيا وهو من مات حتف أنفه كمن غَرِق أو حُرِق أو وقصته دابة أو نحو ذلك.

- ولا يسمى شهيدا في سبيل الله إلا من كانت نيته خالصة لله تعالى في قتاله، وكان قتاله في سبيل الله تعالى.

● والقتال لا يكون في سبيل الله إلا أن يكون غرضه مشروعا كالدفاع عن الأرض والمال والنفس والحريم وكل ما حرّم الله العدوان عليه.

وقد أحاط الإسلام القتال عندما شرعه بالشروط والآداب التي ذكرنا آنفا فَلَطَّفَه وأزال ما فيه من وحشية وضراوة حتى قال رسول الله ﷺ: «**أعف الناس قِتْلةً أهل الإيمان**» كما سبق أن ذكرنا ذلك الحديث النبوي الشريف.

ومن العجيب أن بعض الكتب السماوية - بعد تحريفها - جاء فيها: «إذا أدخلك ربك في أرض لتملكها، وقد أباد أمما كثيرة من قبلك، فقاتلهم حتى تفنيهم عن آخرهم، ولا تعطهم عهدا، ولا تأخذنك عليهم شفقة أبدا»(١).

● فالمجاهد في سبيل الله خرج من بيته لينال الفوز على عدوه والغنيمة، أو أن يكون شهيدا في سبيل الله تعالى، فإن خرج لغير ذلك فليس في سبيل الله.

- والشهيد المسلم لا يموت إذا قتل في المعركة في سبيل الله، وإنما هو حيٌّ عند ربه يرزق فرح بما آتاه الله من فضله، يستبشرون بإخوانهم في الدنيا الذين تركوهم مقيمين على منهج الإيمان والجهاد، وبأنهم لا خوف عليهم من مكروه كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

---

(١) الزّبور: الكتاب الخامس. «الكتاب المقدس».

– والشهداء هم صفوة المؤمنين كرمهم الله تعالى باتخاذهم شهداء مغفورة ذنوبهم لهم المكانة الرفيعة عند الله وعند الناس، قال الله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

– والشهداء قد أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق فى الدنيا والآخرة فجمعهم إلى النبيين والصديقين، وهؤلاء أفضل رفقة وأحب الجلساء بعضهم إلى بعض، وقد أنعم عليهم بفضله الكبير. كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

● وقد حفلت السنة النبوية بأحاديث شريفة عن الشهيد ومكانته وما ينتظره من أجر، وما ينعم الله به عليه من نعم غامرة حتى إنه يشفع فى سبعين من أهل بيته.

ومن هذه الأحاديث الشريفة:

– ما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكْرةً وعَشيًّا».

– وما رواه الطبرانى -فى الأوسط بسنده عن نعيم بن همَّار- ويقال ابن عمار- رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «الشهداء الذين يقاتلون فى سبيل الله فى الصف الأول ولا يلتفتون بوجوههم حتى يُقتلوا، فأولئك يلتقون فى الغُرَف العُلى من الجنة يضحك إليهم ربك، إن الله إذا ضحك إلى عبده المؤمن فلا حساب عليه».

– وما رواه الترمذى بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله سبع خصال: يُغْفر له فى أول دفعة من دمه، ويَرى مقعده فى الجنة، ويُحلى حُلة الإيمان، ويُزَوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجار من عذاب القبر، ويُؤَمَّن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع فى سبعين من أهل بيته». ورواه أحمد وابن ماجة.

– وما رواه مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة؛ فيقول الله له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب خير منزل، فيقول: سَلْ وتَمَنَّ. فيقول: يا رب ما أسأل وأتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأُقْتَل

في سبيلك عشر مرات؛ لما يرى من فضل الشهادة..»

- وما رواه أبو داود بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لمَّا أُصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش. فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: مَنْ يُبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق؛ لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم، قال: فأنزل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** [آل عمران: ١٦٩].

- وما رواه الدارمى بسنده عن عتبة بن عبد السلمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«.. والقَتْلى ثلاثة: مؤمن جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله إذا لقى العدو قاتل حتى قُتل، فذلك الشهيد المُمتحن، فى خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة، ومؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله إذا لقى العدو قاتل حتى يُقتل**، قال النبى ﷺ فيه: **مصمصة**[1] **محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محَّاءٌ للخطايا وأدخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء، ومنافق جاهد بنفسه وماله فإذا لقى العدو قاتل حتى قُتل، فذلك فى النار إن السيف لا يمحو النفاق»**.

- وما رواه ابن ماجه بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«.. وإنَّ الله عز وجل وكَّل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهيد البحر، فإنه يتولى قبض أرواحهم، ويغفر لشهيد البّر الذنوب كلها إلا الدَّيْن، ولشهيد البحر الذنوب والدَّيْن»**. ورواه مسلم.

- وما رواه ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«ما تقولون فى الشهيد فيكم؟** قالوا: القتل فى سبيل الله. قال: **«إن شهداء أمتى إذن لقليل، مَنْ قُتل فى سبيل الله فهو شهيد، ومَنْ مات فى سبيل الله فهو شهيد، والمبطون شهيد، والمطعون شهيد»**.

- وما رواه ابن ماجه بسنده عن جابر بن عتيك أنه مرض فأتاه النبى ﷺ يعوده، فقال قائل من أهله: إن كنا لنرجو أن تكون وفاته قَتْل شهادة فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: **«إن شهداء أمتى إذن لقليل؛ القتل فى سبيل الله شهادة، والمطعون** (أى من مات

(١) يقال للثوب إذا غُسل: مصمص.

بالطاعون) شهادة، والمرأة تموت بجمع[١] شهادة، والغرق، والحرق، والمجنوب[٢] شهادة».

- وما رواه أبو داود بسنده عن سعيد بن زيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مَنْ قُتل دون ماله فهو شهيد، ومَنْ قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد».

وبعد: فلعل المفهوم الحضارى للجهاد قد اتضح من خلال ما أوضحناه من أن الجهاد فى سبيل الله عمل حضارى تمثل فى أنه فريضة وعبادة، ودعوة وحركة، وعمل وتنظيم، ونشر للدين الحق، وتحقيق لمصالح الإنسان فى الدنيا والآخرة، وأنه ليس وحشية ولا ضراوة ولا إبادة للعدو وإنما تحكمه شروط وآداب ثبتت بالكتاب والسنة، وله دستور عام تضمنته سنة الرسول ﷺ.

ولأن الجهاد فى سبيل الله عمل حضارى رفيع المستوى فإن الشهيد وهو وقود المعركة، والاستشهاد - وهو التطبيق العملى للجهاد فى سبيل الله - يحتل أعلى مكانة بين المسلمين وبين الأعمال الإسلامية فى أى مجال من مجالات الحياة.

■■■■

---

(١) المرأة تموت بجمع: اى تموت وفى بطنها ولد، وقيل: تموت بكرًا اى تموت مع شىء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة.

(٢) المجنوب: من مات بمرض ذات الجنب، اى من يشتكى مرضا بجنبه.

الباب الثانى

الجهاد فى سبيل الله.. أسسه وأهدافه ومراحله

الفصل الأول

الأسس التى قام عليها الجهاد

الأساس الأول: أنه ذروة سنام الإسلام.

الأساس الثانى: أنه صبر واحتمال واختبار للإيمان.

الأساس الثالث: أنه أمل وغاية لكل مسلم.

الأساس الرابع: أنه وسيلة للاستخلاف والتمكين لدين الله فى الأرض.

الفصل الثانى

أهداف الجهاد فى سبيل الله

الهدف الأول: تأمين حرية الاعتقاد.

الهدف الثانى: تأمين العمل بمنهج الله ونظامه.

الهدف الثالث: مقاومة للفساد والمفسدين.

الهدف الرابع: إرهاب لأعداء الله أعداء المؤمنين.

الهدف الخامس: التمكين لدين الله فى الأرض بإقامة الدولة المسلمة.

الهدف السادس: العمل الدائب لاستمرار التمكين.

الفصل الثالث

مراحل الجهاد فى سبيل الله

المرحلة الأولى: مرحلة الصبر والسماحة والاحتمال.

المرحلة الثانية: مرحلة الدفاع ورد العدوان.

المرحلة الثالثة: مرحلة نشر الدين الحق وتأمين طريقه.

المرحلة الرابعة: مرحلة قتال أعداء الله كافة.

لان الجهاد فى سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام احاطه الإسلام بتلك الشروط والآداب ووضع له الدستور الذى يحول بين المسلمين وبين الخروج على شىء من شروط الجهاد وآدابه.

وفى كل عصر من العصور، وفى كل قطر من الاقطار لا تستطيع الأمة الإسلامية أن تعبر عن ذاتها وعن كونها الأمة الوسط إلا إذا مارست الجهاد فى سبيل الله.

بل إن الأمة الإسلامية لا تستطيع أن تعبر عن قيمها وعن حضارتها إلا إذا كانت مجاهدة مستمرة فى الجهاد فى سبيل الله حتى تكون كلمة الله هى العليا.

● وإذا كان الجهاد فى القمة من بين ما فرض الله على المسلمين من فرائض ليعمروا بها الدنيا والآخرة، فإن الجهاد من بين هذه الفرائض هو الذى يسهم باكبر حظ فى الإعمار والتحضر، لأنه يزيل من طريق الإعمار والتحضر كل عقبة تعترضه.

– إن الجهاد هو الفريضة التى تشبه الصلاة فى دوامها واستمرارها وعدم التوقف عنها بحال، وأدائه خلف كل برّ وفاجر، بحيث لا يمنعه جور جائر أو عدل عادل.

– وممارسة الجهاد فى سبيل الله طاعة وامتثال لأمر الله وأمر رسوله، وما وراء الطاعة إلا العزّ والتمكين وما وراء المعصية إلا الذل والصغار.

فلقد أمر الله المؤمنين بالجهاد فى سبيله لأنه اجتباهم لذلك، وأخبرهم بأنهم مهما ضحوا فى سبيل الله بنفس أو مال فان ذلك يعنى أبدا أن الله قد كلفهم مالا يطيقون أو شدد عليهم، فقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ [الحج:٧٨].

– إن الأمة الإسلامية وهى تجاهد فى سبيل الله عليها أن تجاهد الجهاد بنوعيه:

جهاد النفس والهوى والشيطان.

وجهاد العدو.

وبالنوعين معًا تستطيع الأمة الإسلامية أن تعلى كلمة الله تعالى، وفى إعلائها نصر لله تعالى ونصر للمؤمنين، وتوفير لأسباب الأمن للناس جميعا مسلمين وغير مسلمين، وإحقاق للحق وإزهاق للباطل.

● إن الأمة الإسلامية وهى تجاهد فى سبيل الله وفق شروط الجهاد وآدابه، ودون الخروج على شىء من دستوره، إنما تعلن للعالم كله أن المسلمين فى جهادهم أبعد الناس عن ظلم الأعداء والغدر بهم، أو هدم منازلهم أو قتل نسائهم وأطفالهم وخلع أشجارهم، كما يفعل اليهود مع الفلسطينيين، وكما فعلت أمريكا مع اليابان وفيتنام وكوريا، وكما تفعل بكل استعلاء وتكبر مع أفغانستان.

– إن المسلمين وهم يجاهدون فى سبيله يحسنون معاملة الأعداء والناس جميعا، ولا تحركهم للجهاد شهوات أو أحقاد أو حب للشر كما تفعل إسرائيل وأمريكا اليوم.

– ولقد شهد بإحسان المسلمين للتعامل مع الأعداء بعض مفكرى الغرب أنفسهم، كما قال ذلك: «المسيو هنرى دى كاسترى الفرنسى الذى كان حاكما للجزائر أيام الاستعمار الفرنسى[1] حيث قال: «بعد أن دان العرب للإسلام، واستنارت قلوبهم بهذا الدين، برزوا فى حال جديدة أمام أهل الأرض كافة، هو حال المسالمة وحرية الأفكار فى المعاملات، ائتماراً منهم بما ورد فى القرآن من الإيصاء بمحاسنة الناس..» ثم يواصل قائلاً: «هكذا كانت تعاليم النبى ﷺ بعد أن دخل العرب فى الإسلام، وقد اقتفى أثره فيها خلفاؤه من بعده، وذلك يضطرنا إلى القول بما قاله قبلنا «روبنسون» الذى قال: «إن شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين محاسنة الأجانب، ومحبة انتشار دينهم، هذه العاطفة التى دفعتهم فى سبيل الفتح، وهو سبب لا حرج فيه. فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه الظافرة؛ إذ أغاروا على الشام، وانقضوا انقضاض الصواعق على إفريقيا الشمالية من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسى، ولم يتركوا أثراً للعسف فى طريقهم[2] إلا ما كان لا بد منه فى كل حرب، فلم يبيدوا قط أمة أبت الدخول فى الإسلام».

ثم يواصل قائلا: «فكان من وراء هذه المحاسنة للأمم المقهورة أن انتشر الإسلام بسرعة وعلا قدر رجاله الفاتحين، وكان قد سبقه من ظلم أباطرة المملكة الرومانية الشرقية – وهى مسيحية– التى أبغضها الناس، وكرهوا الحياة فى ظلها، وإذا انتقلنا من الفتح

---

(١) جاء ذلك فى كتابه: «الإسلام – تأثرات ودراسات».

(٢) أين هذا مما فعلته إسرائيل يوم أجبرت على ترك سيناء، إذ دمّرتْ كل شىء، وتركت سيناء خرابا يبابا، ولقد رأيت بعينى بعض القرى المدمرة تصرخ قائلة: كان ههنا وحوش لا قلب لهم ولا عقل ولا إنسانية– وذلك شأن اليهود منذ عرفهم التاريخ.

الأول للإسلام إلى حين استقراره، رأيناه أكثر محاسنة، وأكرم معاملة لمسيحيي الشرق كله، فما عارض العرب أبدا شعائر الدين المسيحي، بل بقيت رومية نفسها حرة في مراسلة الأساقفة في مختلف البلاد الإسلامية».

ثم يواصل قائلاً:

«وهذه المحاسنة العظيمة من جهة المنتصر للمقهور هي التي أضعفت تأثير الديانة النصرانية جدا، ثم زالت بالمرة من شمالي افريقية.

على أن الإسلام لم يكن له دعاة يقومون بنشره(١)؛ فلم يُكْرِهْ على الأخذ به أحدا بالسيف ولا باللسان، بل دخل القلوب عن حب واختيار.

وكان هذا من آثار ما أودع في القرآن من صفات التأثير والأخذ بالألباب».

ثم يواصل قائلاً:

«ولقد زادت محاسنة المسلمين للمسيحيين في بلاد الأندلس حتى صاروا في حالة أهنأ من التي كانوا عليها أيام خضوعهم لحكم قدماء الجرمانيين الذين يقال لهم: (الوزيجو)».

ثم يواصل قائلاً عن دوزى المستشرق الكبير فيقول:

يقول دوزى العالم الكبير: «إن هذا الفتح لم يكن ضارا بأسبانيا، وما حدث من الهرج و المرج بعده لم يلبث أن زال باستقرار الحكومة المطلقة الإسلامية في تلك البلاد، وقد أبقى المسلمون سكانها على دينهم(٢) وشرعهم وقضائهم، وقلّدوهم بعض الوظائف حتى كان منهم موظفون في خدمة الخلفاء..

وقد تولد من هذه السياسة الرحيمة انحياز عقلاء الأمة الأندلسية إلى المسلمين وحصل بينهم تزاوج كثير».

---

(١) يقصد ليس له مبشرون كما تفعل الكنيسة وتنفق عليهم بمزيد من الإغداق لينصروا الناس وبخاصة ضعاف المسلمين.

(٢) أما عندما استعاد الإسبان الأندلس فقد قتلوا من المسلمين عددا كبيرا من غير المقاتلين، وأكرهوا سائرهم علي الدخول في النصرانية أو الخروج من الأندلس، فضلا عن اضطهاد من بقي وإجبارهم علي تغيير أسمائهم وألقابهم الإسلامية!!!

● إن الأمة الإسلامية لا بد أن تجاهد فى سبيل الله لتحيا الحياة الإنسانية الكريمة التى لا يكفلها لها إلا الجهاد فى سبيل الله، ولقد ربط رسول الله ﷺ بين ترك الجهاد والذل والانهزام فيما رواه أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد أدخل الله عليهم ذُلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم».**

ونحاول بعون من الله تعالى أن نتحدث فى هذا الباب عن ثلاث نقاط هى: أسس الجهاد فى سبيل الله، وأهدافه، ومراحله، سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

■■■■

الفصل الأول

الأسس التى قام عليها الجهاد فى سبيل الله تعالى

الأسس: جمع أساس وهو القاعدة التى يقوم عليها البناء، وهو: أصل كل شىء ومبدؤه، أى أننا سنتحدث عن القواعد والمبادئ التى يقوم عليها الجهاد وبدونها لا يكون جهاداً.

وهذه الأسس كثيرة عُرِفتْ من تدبر الكتاب والسنة النبوية ومن تعرف سيرة الرسول ﷺ، وما جرى عليه الصحابة – رضوان الله عليهم – ثم استقر عليها العلماء جيلا بعد جيل، ومن أهم هذه الأسس، ما يلى:

الأساس الأول:

● **ان الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام الفرائض:**

وما دام الجهاد فى الذروة فإن له أولية وأهمية على كل ما فرض الله على عباده، والذى جعله فى الذروة أمران:

الأول:

إخبار المعصوم ﷺ بذلك، فيما رواه الترمذى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «.. **ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟** قلت: بلى يا رسول الله، قال: **رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد..**»(1) وحسب الجهاد فى سبيل الله شرفا أن يصفه الرسول ﷺ بأنه ذروة سنام الإسلام أى أعلى شىء فيه، فذلك يجعله أساسا هامًا فى الإسلام كله.

والأمر الثانى:

هو تدبر معنى الجهاد، إذ هو معنى عام يتناول عديدا من أنواع الجهاد، هى:

– مجاهدة الكفار والمنافقين بالبرهان والحجة، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ...**﴾ [التوبة:٧٣، التحريم:٩] وقال عز وجل: ﴿**فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان:٥٢].

---

(1) أخبر الرسول ﷺ بأن الجهاد ذروة سنام الإسلام وأخبر بأن سورة البقرة سنام القرآن وذروته.

ويرى المفسرون أن الضمير في: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ راجع إلى القرآن الكريم، لأن القرآن حجة وبرهان.

– ومجاهدة أهل الضلالة بالسيف والقتال، قال الله تعالى: ﴿... **فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٥].

وقال جل وعلا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢١٨].

– ومجاهدة النفس، فهي كثيرا ما تأمر بالسوء، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦].

وقد روى الترمذي بسنده عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المجاهد من جاهد نفسه**».

– ومجاهدة الشيطان بمخالفته في كل ما يوسوس به من شر، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.. **لا يجعل أحدكم للشيطان من نفسه جزءا..**»

– ومجاهدة القلب لنيل الصلة بالله تعالى والقرب منه، قال الله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾ [الحج: ٧٨].

● وقسم الراغب الأصفهاني المجاهدة إلى ثلاثة أضرب فقال: مجاهدة العدو الظاهر (أي الكفار والمنافقين وأهل الضلالة) ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس (ويدخل فيها مجاهدة القلب) ثم قال: ويدخل الأضرب الثلاثة في قوله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾ وفي الحديث الشريف – كما ذكرنا آنفا – وحق الجهاد أي خالصه وأقواه.

● ولقد فرض الله الجهاد وجعله في الذروة من فرائض الإسلام لأن به تتحقق أمورٌ على درجة عالية من الأهمية في بناء المجتمع المسلم، فالحكومة المسلمة فالدولة المسلمة، وتلك الأمور هي:

– إحقاق الحق وإزهاق الباطل لأن ذلك يحتاج إلى قوة معنوية ومادية، والجهاد يقوم على هاتين القوتين.

- ونشر الدين الحق، وما يحتاج إليه ذلك من حركة وعمل ومناوأة للذين يعترضون طريق نشر الدين الحق، والجهاد حركة وعمل كما أوضحنا آنفا.

- والدفاع عن كل حق للمسلمين يتعرض لأن يعتدى عليه أحد، ولا يمكن الدفاع عن ذلك إلا بالجهاد.

- وتأمين لمستقبل الأمة الإسلامية من أى عدو يتربص بها، ومن أجل ذلك جُعل الرباطُ فى الحدود والثغور جهادا فى سبيل الله.

- وتقويم من يَعوجّ من أبناء الأمة الإسلامية أنفسهم ممن يغريهم الشيطان أو الهوى بالخروج عن منهج الله ونظامه، إذ بغير جهادهم ومقاومتهم لا يعتدل اعوجاجهم، فقد روى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**. أى أن الجهاد كله باليد أو باللسان أو بالقلب مقاومة لكل اعوجاج عن منهج الله ونظامه.

وهذا أمر يؤمن للأمة الإسلامية تمسكها بالمنهج بل استمرارها فى التمسك به، ولولا الجهاد لما كان هذا أو ذاك.

ولو لم يكن الجهاد ذروة سنام الفرائض لما كانت له هذه المكانة.

والأساس الثاني:

من الأسس التى قام عليها الجهاد فى سبيل الله، أنه صبر واحتمال لكل ما يعترض طريق المجاهدين من عقبات ومتاعب، إذ بغير الصبر والاحتمال، لا يؤدى الجهاد وظائفه ولا يحقق أهدافه ولا يصل إلى غايته.

ولقد ظل الجهاد فى سبيل الله صبرا واحتمالا واحتسابا طوال ثلاث عشرة سنة فى مكة المكرمة إذ كان من غير المسموح به للمسلمين أن يواجهوا المشركين بقتال طوال هذه المدة.

فقد جاء فى كتب التفسير قول العلماء: كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ، فلا يزالون يجيئون ما بين مضروب ومشجوج، فشكوهم إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم: **«اصبروا فإنى لم أومر بالقتال»**.

وقال بعض المفسرين: إن المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار، وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمنى مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار، ويحتال، ويغدر، فنزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

وظل أمر المؤمنين فى مكة على هذه الحال حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، وبعد ذلك شرع الله للمؤمنين الجهاد وأذن لهم فيه، فنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩-٤١].

فتلك أول آيات أذن الله فيها للمسلمين فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية - على ما أورد الحاكم فى كتابه - المستدرك - بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما.

وقول الله تعالى عن المجاهدين: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] وعد من الله تعالى بنصر المجاهدين فى معارك الحق، كما وعد بذلك فى آيات كريمة أخرى منها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

إن المجاهد فى سبيل الله يجب أن يتزود بالصبر النابع من إيمانه بوجوب الجهاد، وليس الصبر والاحتمال فى المعارك بأقل فعالية من السلاح الذى يحمله المجاهد، لذلك كان الصبر أساسا من الأسس التى يقوم عليها الجهاد فى سبيل الله.

والأساس الثالث:

من الأسس التى يقوم عليها الجهاد فى سبيل الله؛ أنه أمل وغاية يعيش المؤمن حياته كلها يأمل أن يجاهد فى سبيل الله، بل يملأ نفسه الشعور بأن الجهاد غاية ما بعدها غاية إلا الجنة إن نال شرف الشهادة فى سبيل الله.

وذلك أساس متين يقوم عليه الجهاد، لذلك أخبر النبى ﷺ أن من لم يعش حياته مالئا قلبه بالتفكير فى الجهاد وتمنيه والرغبة فى ممارسته فهو ليس بمؤمن صحيح الإيمان، فقد روى

مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ مات ولم يَغْزُ ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»**.

وروى ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ لقى الله وليس له أثر فى سبيل الله لقى الله وفيه ثُلْمَة»**.

والمعنى الذى يفهم من الحديثين الشريفين أن المسلم يجب أن يعيش فى شوق إلى الجهاد فى سبيل الله إلى أن يمارسه عمليا، فيكتمل له إيمانه ويشرف بأداء فريضة هى ذروة سنام الإسلام، لأنه ليس بمسلم كامل الإسلام من لم يجاهد ولم تحدثه نفسه بالجهاد فى سبيل الله.

– ومن البديهى أنه لا يكفى الشوق إلى الجهاد واعتباره أملا فحسب بل لا بُدَّ أن تكتمل صفات الإيمان فى المسلم، وإنما الذى يكملها أن يمارس الجهاد فعلا، سواء أكان باليد أى بالقوة أو باللسان أى بالفكر والعلم والحوار، أو بالقلب وهو الإنكار لترك الجهاد إذا كان مغلوبا على أمره يخشى أن يعصى حاكمه المستبد المعطل لشرع الله حتى لا تقع فتنة.

ومن أجل هذا كان الشوق إلى الجهاد فى سبيل الله وحديث النفس به والعمل على ممارسته أساسا ركينًا يقوم عليه الجهاد فى سبيل الله تعالى.

والأساس الرابع:

من الأسس التى يقوم عليها الجهاد فى سبيل الله أنه الوسيلة المثلى للاستخلاف فى الأرض والتمكين لمنهج الله ونظامه فى حياة الناس، وللاطمئنان، وللانتصار على الكافرين.

وهل يكون الاستخلاف والولاية على الأرض والتمكين للدين بغير الجهاد؟

وهل يكون الإحساس بالأمن وسط أعداء متربصين إلا بالجهاد فى سبيل الله؟

وهل يكون الانتصار على أعداء الله وأعداء المؤمنين من غير جهاد فى سبيل الله؟ يفهم ذلك من آيات قرآنية كثيرة منها:

قول الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة: ١١١].

وهل هناك فوز أعظم من الانتصار على أعداء الله ليسود منهج الله ونظامه؟

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [النور: ٥٥-٥٧].

لهذا كان التمكين لدين الله ومنهجه في الأرض أساسا يقوم عليه الجهاد في سبيل الله.

■■■■

الفصل الثانى

أهداف الجهاد فى سبيل الله

يمكن إجمال أهداف الجهاد فى عبارة موجزة هى: إقامة مجتمع مسلم تتوفر فيه للإنسان - المسلم وغير المسلم - حقوقه العامة والخاصة ويلتزم فيه الإنسان بأداء واجباته.

وعند تفصيل هذه العبارة المجملة نجد عددا من الأهداف لا بد منها جميعا، ويمكن أن نشير إلى أبرز هذه الأهداف وهى:

- تأمين حرّية العقيدة.
- وتأمين حرية التفكير والتعبير.
- وتأمين حرية العبادة.
- وتأمين حرية العمل.

فالأهداف كلها تقوم على تأمين حرية الإنسان أى تأمين جميع حقوقه ومطالبته بأداء واجباته.

والجهاد فى سبيل الله -عند التدبر والتأمل- ما شرع إلا لتأمين حرية الإنسان وتحريره من كل المخاوف التى تحيط به، وهذه الأهداف التى تحقق ذلك لم تختلف عليها الأمة الإسلامية فى أى عصر من عصورها ولا فى أى قطر من أقطارها، بل سوف تظل موضع الإجماع منها إلى يوم الدين، وذلك أن هذه الأهداف من الثوابت التى لا يجوز عليها الاختلاف إذ هى جزء أصيل من الدين الخاتم.

ولنتحدث عن هذه الأهداف بشيء من التفصيل:

الهدف الأول:

تأمين حرية العقيدة بمقاومة الشرك والكفر:

حرية الإنسان فيما يعتقده ويؤمن به أهم حقوق هذا الإنسان، لأنها تباعد بينه وبين التبعية والتقليد، فتباعد بينه وبين الشرك والكفر، وهما أضر شيء بالإنسان السوى الذى فطره الله على حرية الاعتقاد بما منحه من عقل.

إن حرية الاعتقاد تقوم على حرية إرادة المعتقد وحرية اختياره؛ وكل ما يحول بين

الإنسان وحرية اعتقاده حَارَبَه الإسلام وشرع الجهاد بكل أنواعه من أجل إبطاله وإزالته.

- وإذا تحررت عقيدة الإنسان تخلص من الشرك والكفر، أى تحرر من ألد أعداء الإنسانية، وأشرس اعداء قلب الإنسان وعقله، وتحرر من العقبات التى تحول بينه وبين ربه وتضلل علاقته بالكون والحياة والناس.

– إن الشرك والكفر يحولان بين الإنسان وصفاء قلبه واستنارة عقله وسلامة سلوكه، وإذا لم يكن القلب صافيا من شوائب الشرك والكفر لم يدخله الإيمان، وإذا لم يكن العقل مستنيرا لم يختر الإيمان والإسلام، أى بقى مع الشرك والكفر، وإذا لم يكن السلوك الإنسانى مستقيما اضطربت علاقة الإنسان بربه وبالأنبياء والرسل والوحى، وساءت علاقته بغيره من الناس.

ونحن بحاجة إلى تحديد ما يقصد بالشرك والكفر، وإلى توضيح ضررهما، وإلى معرفة وسائل تحرر الإنسان منهما، وإلى معرفة نتائج تحرير الإنسان من الشرك والكفر، لنؤكد أن الجهاد فى سبيل الله أفضل الوسائل فى تخليص الإنسان من الشرك والكفر.

أ- المقصود بالشرك والكفر:

الشرك: اعتقاد تعدّد الآلهة، أو أن يجعل لله شريكا فى ألوهيته أو ملكه أو ربوبيته، على هذا اتفق العلماء.

- وشرك الإنسان فى الدين نوعان:

الأول: الشرك العظيم؛ وهو ادعاء شريك لله تعالى، وذلك وصف بأنه أعظم الكفر وأشده ضررا بالإنسان وأقدره على إبعاد الإنسان عن مغفرة الله تعالى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء:٤٨و ١١٦]. وقوله جل وعلا: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [المائدة:٧٢].

والآخر: الشرك الصغير؛ وهو مراعاة غير الله معه سبحانه فى بعض الأمور، ومن ذلك: النفاق والرياء، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ **...جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الأعراف: ١٩٠]، ومما رواه الحكيم الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل**».

● وبعد قراءة وتدبر لما قاله كبار علماء المسلمين وفى مقدمتهم: ما أُثر عن بعض الصحابة رضى الله عنهم وكثير من التابعين، أستطيع أن أستخلص بعض الحقائق التى تتعلق بالشرك فيما يلى:

- الشرك أظلم الظلم والتوحيد أعدل العدل، كما يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

- والشرك يحول بين الإنسان وعبادة الله التى هى مقصود الله من خلقه إذ خلقهم ليعبدوه، ولا عبادة له سبحانه وتعالى مع الشرك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

واعتبر الرسول ﷺ الشرك من أكبر الكبائر، فقد روى البخارى بسنده عن أبى بكرة عن أبيه رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قلنا: بلى يا رسول الله. قال: **الإشراك بالله..**».

- والمشرك أجهل الجاهلين وأظلم الظالمين لنفسه، وأجرأ الناس على ارتكاب أكبر الذنوب، روى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أى الذنب أكبر عند الله؟ قال: «**أن تدعو لله ندًا وهو خلقك..**»

هذا عن الشرك فى إجمال وإيجاز.

أما الكفر: فهو سَتْر نعمة المنعم بالجحود، أو بعمل يشبه الجحود كمخالفة المنعم.

وكفر النعمة سترها بترك شكرها.

وأعظم الكفر جحود الوحدانية، أو جحود النبوة أو الشريعة.

والكافر هو من يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها.

● وبين العلماء خلاف فى أن الشرك يشمل الكفر أو لا يشمله، وبينهم خلاف آخر فى أن لفظ الشرك يتناول أهل الكتاب أو لا يتناولهم. ولفخر الدين الرازى رحمه الله كلام فى هذا الموضوع قال فيه: «اختلفوا فى أن لفظ المشرك هل يتناول الكفار من أهل الكتاب؟ فأنكر بعضهم ذلك، والأكثرون من العلماء على أن لفظ المشرك يندرج فيه الكفار من أهل الكتاب -وهو المختار- ويدل عليه وجوه: أحدها قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ

ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ..﴾ ثم قال فى آخر الآية: ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١]. وهذه الآية صريحة فى أن اليهودى والنصرانى مشركان».

● والدين الإسلامى يحرر الإنسان من الشرك والكفر ولا يجعل لهما سلطانا على قلب الإنسان وعقله.

والجهاد فى سبيل الله بالدعاء للدين الحق هو الذى يهيئ للإنسان الأسباب لكى يتخلص من اغلال الشرك والكفر فتحرر إرادته واختياره.

ب- ضرر الشرك والكفر:

لهما ضرر بالغ يفسد فطرة الإنسان، ويطمس قلبه وعقله، ويشوه سلوكه الاجتماعى ويخرجه من دائرة الطاعة والامتثال إلى مجال المعصية والتمرد.

● ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الضرر البالغ للشرك والكفر وتوسّعت السنة النبوية فى توضيح آثار هذا الضرر.

ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

- وقوله جل شانه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

- وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا...﴾ [التوبة: ٢٨].

وأى ضرر أبلغ من إحباط العمل وخسران الآخرة واقتراف الإثم العظيم والضلال البعيد؟ وأى قذر أسوأ من النجس؟ نجس نفوسهم وعقولهم بشركهم وعدولهم عن التوحيد.

- وقد وصف الله تعالى الشرك بانه يوقع المشركين فى الظنون والأوهام والضلالات إن اعتقدوا أن من أشركوهم قد ينفعون أو يضرون، وذلك فى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦].

– كما وصف الله تعالى الشرك بأنه يبعد المشرك عن الحق ويخرجه من الإيمان، ويرمى به فى مهاوى الكفر فيهلكه ويفقده أى أمل فى أن ينجو من هذا الضياع، قال الله تعالى:
﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

● وهل هناك ضرر وشر يقع فيه الإنسان بمثل ما يقع فيه بسبب الشرك والكفر بالله تعالى؟

● وهل جاء الدين الحق إلا ليخلص الإنسان من أضرار الشرك والكفر، وما يفرضانه من قيود وأغلال على عقل الإنسان وما يصيبان به قلبه ونفسه من فساد؟

● هذا قليل من كثير مما تحدّث به القرآن الكريم عن ضرر الشرك والكفر بالإنسان..

فماذا قالت السنة النبوية عن ضرر الشرك والكفر؟

لقد تتبعت ذلك فى كتب السنة النبوية فهدانى الله تعالى إلى أكثر من خمسين حديثًا نبويا فى هذا المجال، أذكر منها ما يلى:

١– عَنْوَن الإمام البخارى فى صحيحه بابًا سماه: «باب إثم من أشرك الله وعقوبته» وذكر فى هذا عددا من الأحاديث النبوية منها:

– ما رواه بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الانعام: ٨٢] شَقَّ ذلك على أصحاب النبى ﷺ وقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس بذاك، ألا تسمعون قول لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فالشرك كما يفهم ذلك من الحديث ظلم عظيم من المشرك لنفسه يجعله خاسر الدنيا والآخرة، وما هناك ضرر أبلغ من هذا الضرر.

– وحَسْبُ الشرك ضررا أن رسول الله ﷺ اعتبره من أكبر الكبائر فى أكثر من حديث نبوى، وعَدَّه من السبع الموبقات.

روى البخارى بسنده عن أبى بكرة عن أبيه رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين....» الحديث.

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «اجتنبوا السبع

الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر....» الحديث.

- ومن ضرر الشرك فَقْد الثواب على أى عمل مهما بدا هذا العمل صالحا، فقد روى ابن ماجة بسنده عن أبى فضالة الأنصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ليوم لا ريب فيه؛ نادى منادٍ: من كان أشرك فى عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك».**

● وهناك أعمال من عملها فقد أشرك، ومن هذه الأعمال:

- الحلف بغير الله:

روى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: لا وأبى، فقال رسول الله ﷺ: **«مَهْ، إنه من حلف بشىء من دون الله فقد أشرك».**

- وتعليق التمائم لالتماس النفع منها:

روى أحمد بسنده عن عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله: بايَعْتَ تسعة وتركتَ هذا؟ قال: **«إن عليه تميمة، فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: «مَنْ علق تميمة فقد أشرك».**

- ومن اعتقد فى الطِّيرة والتشاؤم:

روى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ رَدَّته الطيرة عن حاجة فقد أشرك»** قالوا: يا رسول الله ما كَفَّارة ذلك؟ قال: **«أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طيرة إلا طيرك ولا إله إلا أنت».**

- ومَنْ تعامل بالرياء:

روى أحمد بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ صلى يرائى فقد أشرك، ومن صام يرائى فقد أشرك، ومَنْ تصدق يرائى فقد أشرك»** فقال عوف بن مالك رضى الله عنه عند ذلك: أفلا يعمد إلى ما ابتُغِى فيه وجهه من ذلك العمل كله، فيقبل ما خلص له، ويدع ما يشرك به؟ فقال شداد رضى الله عنه عند ذلك: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أنا خير قسيم لمن أشرك بى؛ من أشرك بى شيئا فإن حشده وعمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به، وأنا عنه غنى».**

- والإقامة بأرض الشرك :

روى أبو داود بسنده عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : أما بعد، قال رسول الله ﷺ : **«من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»**.

وذلك أن مزايلة المشرك، وترك مساكنته هى الأصل، بل إن الرسول ﷺ بايع على : إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وزيال المشرك، وعدم الإشراك بالله إلها غيره.

روى أحمد بسنده عن لقيط بن عامر الذى خرج وافدا إلى رسول الله ﷺ فقال لرسول ﷺ : أبايعك، فبسط النبى ﷺ يده، وقال : **«على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وزيال المشرك وألا تشرك بالله إلها غيره...»** الحديث.

وبعد : فهذا ضرر الشرك والكفر بالمشرك والكافر كما أوضحتها آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة.

وما جاء الدين الحق إلا ليخلص الناس من الشرك والكفر وأضرارهما الدنيوية والآخروية، ويحررهم من قيودهما على القلب والعقل والسلوك الاجتماعى.

وما شرع الجهاد فى سبيل الله إلا ومن أهدافه القضاء على الشرك والكفر، بنقل الناس منهما بعد إرادة واختيار إلى التوحيد والإيمان.

جـ- كيفية تحرير الإنسان من الشرك والكفر :

الشرك والكفر يفسدان على الإنسان قلبه وروحه، حتى يصيباهما بالعمه والتبلد، أو بالغلظة والجمود، لأنه ما تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وما تتبلد المشاعر قبل تبلد الروح.

ولأن الروح نفخة من روح الله تعالى ولأن القلوب أوعية الله تعالى، كان لابد من تحريرهما من كل ما يحول بينهما وبين التوحيد والإيمان، وليس فى حياة الإنسان ما هو أضر على قلبه وروحه من الشرك والكفر، ولذلك كان تحريرهما من الشرك والكفر من أهم ما جاء به الإسلام، ومن أبرز أهداف الجهاد فى سبيل الله تعالى.

● فكيف عمل الإسلام على تحرير روح الإنسان وقلبه من الشرك والكفر؟

١- بطرد وسوسة الشيطان :

لما كان الشيطان عدوا للإنسان وكان ولا ما يزال يلبس عليه أمره كله ويوقعه فى الشرك والكفر من خلال ما يوسوس به إليه من باطل وزور، وإيعاد بالشر وتكذيب

بالحق، لما كان الأمر كذلك علمنا الإسلام أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس.

- وقد قال علماء التفسير: المطلوب فى سورة الناس سلامة الدين، والمطلوب فى سورة الفلق سلامة النفس والبدن. وقال مجاهد رحمه الله فى قوله تعالى: ﴿**مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾ الشيطان منبسط على القلب، فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على قلبه، فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار، ولتطاردهما قال الله تعالى: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ**﴾ [المجادلة: ١٩].

- فطرد وسوسة الشيطان إنما يكون بذكر الله تعالى أى استحضاره بالقلب، واللهج بالثناء عليه باللسان.

- والشيطان لا يفتأ يوسوس للإنسان بكل ما يضره فى دينه ودنياه، رابطا وسوسته بالشهوات والهوى.

روى النسائى بسنده عن سبرة بن فاكه رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه؛ فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطول[1]، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد، فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتُقتل فتنكح المرأة ويقسم المال؟ فعصاه فجاهد، فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة، ومن قُتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة»**.

- ولا يستطيع الإنسان أن يطرد الشيطان ووساوسه إلا إذا عرف مداخله إلى قلبه ووسائله فى تزيين الباطل وتحسين كل ما يغضب الله تعالى.

ومن مداخل الشيطان:

- الشهوات وبخاصة شهوتا البطن والفرج.

- والحسد والحرص، والبخل، والطمع، والعجلة، وسوء الظن بالناس، والغضب، والتعصب للرأى وارتكاب أى معصية.

---

(١) الطِّوَل: الحبل الطويل يشد أحد طرفيه فى وتد أو غيره، والطرف الآخر فى يد الفرس ليدور فيه ويرعى ولا يذهب بعيدا.

● ومن رحمة الله تعالى بالإنسان أنه لا يؤاخذه بما حدّث به نفسه من وساوس الشيطان ما لم يمارس المعصية؛ فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تجاوز لأمتى عما حدَّثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به»**.

● من المؤكد أن طرد وسوسة الشيطان جهاد للشيطان وللنفس والهوى، كما ذكرنا ذلك آنفا فى بعض أحاديث النبى ﷺ، حتى سماه الجهاد الأكبر.

٢- وبكسر ضرر الشهوتين:

وهما شهوتا البطن والفرج، وكلاهما ضرورى للإنسان، ولكن الشيطان يغرى بالإسراف فيهما والخروج بهما عن حدود ما أحل الله، لأنه سبحانه لا يحب المسرفين، فقد قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١].

وروى الترمذى بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفَسه»**.

وليس من الاعتدال فى شهوتى البطن والفرج أن يجوِّع الإنسان نفسه أو يتبتل ويمتنع عن الزواج، فقد نهى النبى ﷺ عن الوصال فى صوم التطوع، روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إياكم والوصال»** قيل: إنك تواصل قال: **«إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون»**.

وروى البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة رسول الله ﷺ؛ فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، قالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدم له من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»**..

٣- وبمخالفة الشيطان:

الشيطان ذئب الإنسان وعدوه وموبقه، وقد أخذ الشيطان على نفسه أمام ربه سبحانه وتعالى أن يقعد للإنسان بكل صراط يصده ويصرفه عن الحق وعن الطريق المستقيم،

قال تعالى يخبرنا بمقولة الشيطان وتوعده للإنسان: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦-١٨].

- **ومخالفة الشيطان واجبة شرعا وعقلا:**

أما شرعا؛ فلأن الله تعالى نهى عن اتباع خطواته، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ... ﴾ [النور: ٢١] فقد وجبت مخالفته لأن الله تعالى نهى عن اتباع خطواته.

أما عقلاً؛ فلأن الشيطان لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء وكل ما يضر الإنسان في دنياه وآخرته، وهو العدو اللدود للإنسان، وهل من العقل أن يطيع الإنسان عدوه المتربص به القاعد له بكل طريق خير يصرفه عنه.

روى أحمد بسنده عن عياض بن حمار رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: «**إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا، كل مال نحلتُه عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا..**»

- ومخالفة الشيطان جهاد يحرر الإنسان من القيود التي يرزح تحتها الإنسان، وهي من تدبير الشيطان وعمله، وإن أقوى كيد الإنسان للشيطان وأفحش عمله ضده أن يفسد عليه قلبه وروحه بما يغريه به من الأعمال التي تدخله في الشرك والكفر. فكيف لا يخالفه الإنسان ويجاهده بكل ما أوتي من قوة وبكل ما عرف من وسائل مقاومته؟ وبذلك يتحرر الإنسان من الشرك والكفر.

٤- وبالحلم وكظم الغيظ:

التحرر من الغضب ومن الرغبة في الانتقام تحرر من الشيطان لأنه الداعي إلى الغضب وإلى الانتقام، والإنسان عندما يغضب تتقد في قلبه نار تحول بينه وبين رؤية الحق واتباعه، ويبعد كل البعد عن الحلم وكظم الغيظ فضلا عن التسامح والصفح.

روى الترمذى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة بعد العصر إلى مغيربان الشمس.. ومنها: **«ألا إن الغضب جمرة توقد فى جوف ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؛ فإذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالأرض الأرض، ألا إن خير الرجال من كان بطىء الغضب سريع الرضا، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطئ الفئ فإنها بها...»**

وروى أبو داود بسنده عن عطية السعدى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا غضب أحدكم فليتوضأ»**.

ومع الغضب ينتفى الحلم، مع أن الحلم خلق يحبه الله تعالى، فقد روى مسلم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: **«إن فيك خصلتين يحبهما الله، الحلم والأناة»**.

● وكظم الغيظ قرين الحلم، وهو معدود من أنبل الأخلاق، وقد وصف القرآن الكريم كظم الغيظ مع صفات أخرى فاضلة كالإنفاق فى السراء والضراء والعفو عمن أساء وصف ذلك بأنه من الإحسان، وأخبر أن الله تعالى يحب المحسنين، قال الله تعالى: **﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وروى ابن ماجة بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما جُرْع عبد جرعة أعظم أجرًا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى»**.

– وعندما يفقد الإنسان الحلم وكظم الغيظ، يفقد الرفق، ومن فقد الرفق فقد خيرا كثيراً، روى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه»**.

وروى مسلم بسنده عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ يحرم الرفق يحرم الخير كله»**.

● الجهاد فى سبيل الله جهاد من أجل مقاومة الغضب والرغبة فى الانتقام، وإقامة النفس الإنسانية على صراط الله هو الجهاد الأكبر الذى تحدث عنه رسول الله ﷺ وبذلك يتحرر الإنسان من أضرار الشرك والكفر.

٥- وبالعفو والإحسان:

يقاوم المسلم شيطانه وهمزه ولمزه ووسوسته بالعفو عمن ظلمه، والإحسان لمن أساء إليه، إنه لا يوجد شيء يخزى الشيطان ويقهره مثل العفو وترك المخاصمات والمنازعات والإحسان إلى من أساء، إن الشيطان عندما يرى ذلك يولى عن الموقف وله ضراط لأنه سمع ذكر الله وعلم أنه قد فشل فيما أراد.

- ومن معانى العفو المطلوبة المستحسنة أن يكون الإنسان صاحب حق فيسقطه عمن وجب عليه هذا الحق، فيكون بذلك العفو أقرب إلى منزلة التقوى وإلى منزلة الفضل برعاية حقوق الأخوة فى الإسلام، بل يكون بذلك من أصحاب العزائم القوية، وكل هذه المعانى مسجلة فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

- وقوله سبحانه: ﴿ **وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التغابن: ١٤].

- وقوله عز وجل: ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [الشورى: ٤٣].

- وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث - والذى نفسى بيده- لو كنت حلافا لحلفت عليهن، ما نقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة، ولا فتح رجل عن نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر».**

- وروى البيهقى -فى الشعب- بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ يوما فابتدرته فأخذت بيده- أو بدرنى فأخذ بيدى- فقال: **«ياعقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك».**

- وروى الديلمى -فى مسند الفردوس- بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«التواضع لا يزيد العبد إلاَّ رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، والعفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله عز وجل».**

وأما الإحسان فمن معانيه:

- الإحسان فى القول والعمل وبخاصة فى العبادة لله عز وجل وذلك أفضل أنواع الإحسان.

- والإحسان بمعنى الإعطاء والإنعام.

وكلا النوعين من قيم الدين الحق الثابتة؛ لأن الله تعالى يحبهما ويحبب عباده فيهما، قال الله تعالى: **﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** [البقرة: ١٩٥].

وقال جل شأنه: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾** [النحل: ٩٠]

- ومن الإحسان صفاء الروح ونقاء القلب، والإحساس بأن الإنسان يعبد الله كأنه يراه، روى ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ بارزا للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: **«أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان»** قال: يا رسول الله، وما الإحسان؟ قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك..»**

- ومن الإحسان الإجادة والإتقان لكل ما يقوم به الإنسان من عمل، وذلك مطلب شرعي وقيمة ثابتة من قيم الدين الحق، أكدت ذلك أحاديث الرسول ﷺ.

روى ابن ماجة بسنده عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة - وفي رواية الذَّبح - وليُحد أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته»**.

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها»**.

ومعنى إحسان الإنسان لإسلامه أي أن يكون ظاهره كباطنه، ولا يكون ذلك إلا بالإجادة والإتقان.

- ومن الإحسان أن يحسن الإنسان الظن بالله تعالى، لأن ذلك في صالح الإنسان نفسه، روى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«أن الله عز وجل قال: «أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله»**.

وروى أحمد بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول: **«لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»**.

- إن ممارسة العفو والإحسان تحرر الإنسان من العنف ومن الإهمال والسلبية وعدم المبالاة

بما يفعل، وتحرره من التقصير فى العبادة، وكل ذلك مما يخزى الشيطان، ويباعد بين الإنسان والشرك والكفر.

وبذلك يصبح من المعروف لنا المؤيد بآيات الكتاب الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة، كيف يحرر المسلم نفسه من الشرك والكفر، وكيف يجاهد فى سبيل الله بطرد وسوسة الشيطان وكسر ضرر الشهوتين ومخالفة الشيطان والحلم وكظم الغيظ، والعفو والإحسان، لكى يؤمن لنفسه عقيدة صحيحة سليمة اختارها بإرادته وجاهد من أجل تأمينها نقية عن الشوائب والأغيار.

وإذا فعل الإنسان ذلك فما النتائج التى يحصل عليها مما يعود عليه بالنفع فى دينه ودنياه؟ ذلك ما سنوضحه فى الصفحات التالية والله المستعان.

د- نتائج تحرير الإنسان من الشرك والكفر:

شرع الله الجهاد فى سبيله بكل أنواعه ليحرر الإنسان من أوضار الشرك والكفر وإضرارهما بدنيا الإنسان وآخرته، فإذا تحرر الإنسان من الشرك والكفر كان لهذا التحرر نتائج باهرة نستطيع أن نشير إليها فى أربع:

الأولى: تحقيق الإيمان والإسلام والإحسان.

الثانية: تطبيق القيم الإسلامية وفى قمتها الجهاد.

الثالثة: التمكين لدين الله فى الأرض أى سيادة العدل والإحسان.

الرابعة: الحصول على رضا الله تعالى فى الدنيا وجنته فى الآخرة.

النتيجة الأولى:

إذا جاهد الإنسان فتخلص من الشرك والكفر بإرادته واختياره فقد حقق الإيمان والإسلام والإحسان، وهى ثلاثة أعمدة يقوم عليها الدين الحق كله، ولا تستقيم حياة البشرية كلها فى أى زمان ومكان إلا بها.

■ وتحقيق الإيمان يعنى: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومن حقق ذلك عاش آمنا مطمئنًا، لأنه ملتزم بكل ما يطلبه الإيمان منه من عقيدة أو عمل، ومن حب أو بغض، ومن سلام أو حرب.

وللإيمان أركان أربعة:

روى أبو نعيم بسنده عن على رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُنى

الإسلام -وفى رواية الإيمان- على أربعة أركان: على الصبر، واليقين، والجهاد، والعدل».

● وللصبر أربع شعب: الشوق، والشفقة، والزهادة، والترقُّب. فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات، ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات.

● ولليقين أربع شعب: تبصرة الفطنة، وتأويل الحكمة، ومعرفة العبرة واتباع السنة.

فمن أبصر الفطنة تأول الحكمة، ومن تأول الحكمة، عرف العبرة، ومن عرف العبرة اتبع السنة، ومن اتبع السنة فكأنما كان فى الأولين.

● وللجهاد أربع شعب: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصدق فى المواطن، وشنئان الفاسقين.

فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومن صدق فى المواطن قضى الذى عليه وأحرز دينه، ومن شنأ الفاسقين فقد غضب لله، ومن غضب لله يغضب الله له.

● وللعدل أربع شعب: غَوْص الفهم، وزهرة العلم، وشرائع الحكم، وروضة الحلم. فمن غاص الفهم فسَّر جُمَل العلم، ومن رعى زهرة العلم عرف شرائع الحكم، ومن عرف شرائع الحكم ورد روضة الحلم، ومن ورد روضة الحلم لم يفرط فى أمره وعاش فى الناس وهم فى راحة».

رواه الإصبع بن بنانة عن على رضى الله عنه مرفوعًا، فقال: الإيمان بدل الإسلام ورواه الحارث عن على رضى الله عنه مرفوعا مختصرا.

● وتحقيق الإسلام يعنى: النطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا.

وفروع الإسلام وأسهمه كثيرة ومن كثرت أسهمه فى الإسلام كان أرضى الله تعالى.

روى الرافعى- فى تاريخ قزوين بسنده عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «أتانى جبريل فقال: يا محمد: الإسلام عشرة أسهم وقد خاب من لا سهم له.

أولها: شهادة أن لا إله إلا الله.

والثانى: الصلاة وهى الطهور.

والثالث: الزكاة وهى الفطرة.

والرابع: الصوم وهو الجُنة.

والخامس: الحج وهو الشريعة.

والسادس: الجهاد وهو الغزو.

والسابع: الأمر بالمعروف وهو الوفاء.

والثامن: النهى عن المنكر وهو الحجة.

والتاسع: الجماعة وهى الألفة.

والعاشر: الطاعة وهى العصمة».

وروى أحمد بسنده عن عروة عن عائشة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاث أحلف عليهن:**

- لا يجعل الله عز وجل من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له، فأسهم الإسلام ثلاثة: الصلاة والصوم والزكاة.

- ولا يتولى الله عز وجل عبدا فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة.

- ولا يحب رجل قوما إلا جعله الله عز وجل معهم.

- والرابعة لو حلفتُ عليها رجوتُ ألا آثم؛ لا يستر الله عز وجل عبدا فى الدنيا إلا ستره يوم القيامة».

● وتحقيق الإحسان يعنى: إحسان العبادة والعمل والقول بل إحسان التفكر والتدبر، والإحسان إلى الناس وإلى أهل الحاجة منهم، وإحسان الدعوة إلى الدين الحق، وإحسان الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا. وقد ذكرنا فى ذلك آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة، ونكتفى هنا بذكر حديث شريف نراه أدخل فى الإحسان وألصق لأنه يوصى المسلمين بألا يتهموا الله تعالى فى شىء قضاه عليهم أى يسلموا بالقضاء والقدر.

روى أحمد بسنده عن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: **«أفضل الأعمال إيمان بالله وتصديق به، وجهاد فى سبيله، وحج مبرور، وأهون عليكم من ذلك؛**

إطعام الطعام، ولين الكلام والسماحة وحسن الخلق، وأهون عليك من ذلك؛ لا تتهم الله فى شىء قضاه عليك».

والنتيجة الثانية:

تطبيق القيم الإسلامية وفى ذروتها الجهاد فى سبيل الله. القيم الإسلامية كما هو معروف من الثوابت التى لا تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الناس، وهى من الكثرة والتعدد بحيث لا توجد شعبة من شعب الحياة الإنسانية إلاّ ولها قيمة إسلامية تحكمها وتوجهها إلى صالح الإنسان فى دنياه وآخرته.

والمجتمع الإنسانى كله عندما تسوده قيم الدين الحق يصبح مجتمعا متعارفا متحابًا متعاونًا على البر والتقوى، يتساوى فيه الناس جميعا فى الحقوق والواجبات، وينعم فيه الفقير والعاجز بتكافل يجعله يتغلب على فقره وعجزه، بوصفه صاحب حق فى هذا التكافل.

- أما ما نراه اليوم من تنكر للفقراء والمرضى والعاجزين والضن عليهم بما يَسُدُّ جوعهم فلا يزال فى ظل الحضارات الراهنة التى تكثر الادعاء، وإنما يزول إذا سادت الحضارة الإسلامية التى تحترم الإنسان وتكفل له حقوقه حتى لو كان من غير المسلمين.

تؤكد ذلك شواهد التاريخ وأيامه، وكتابات المنصفين من العلماء حتى غير المسلمين منهم -كما ذكرنا ذلك آنفا-.

ولنطرح بعض الأسئلة ونترك الإجابة لفطنة القارئ:

- هل يعقل أن يمنع العلاج والإسعاف عن المريض والجريح كما تفعل إسرائيل بالفلسطينيين اليوم؟
- هل يعقل أن يهاجم شعب أعزل فقير لم يرتكب جريمة ولم يعلن حربًا على أحد؛ كما تفعل الولايات المتحدة مع شعب أفغانستان اليوم؟
- هل يعقل أن يهان الإنسان - بلا ذنب جناه- فيقذف بأشد الأسلحة فتكا، ومن نجا منهم قبض عليه وعذب وأهين ومنع حق الدفاع عن نفسه، وحقن بما يتلف جهازه العصبى ليعترف، وعصبت عيناه وحمل فى أقفاص الحيوانات وزج به فى «جوانتانامو» فى سجون لا تليق بالحيوانات المريضة التى تشفى على الهلاك، فضلا عن الحرمان من النظافة والعبادة كما تفعل أمريكا فى أفغانستان؟ وكما فعلت فى اليابان وفى فيتنام وفى كوريا؟

– هل يعقل أن يدخل فى مفهوم الحرب إبادة المدنيين غير المحاربين من نساء وأطفال، وحصارهم وهدم منازلهم عليهم ودفنهم أحياء وتكسير عظام من لم يمت منهم، وقلع الأشجار وتسميم الآبار، كما تفعل إسرائيل مؤيدة من أمريكا ومن دول الغرب بدليل رفضهم لإرسال قوة حماية للمدنيين من نساء وشيوخ وأطفال؟

– وهل يعقل أن يستمر تجويع شعب العراق أكثر من عشر سنوات لأن رئيسه غير المنتخب المغرور الفائل[1] الرأى قد احتل دولة الكويت الجارة العربية المسلمة، كما فعل بوش الأول وبوش الثانى وبينهما كلنتون؟

– هل يعقل أن تستمر هيئة الأمم المتحدة هيئة تابعة للولايات المتحدة، وأن تظل قرارات مجلس أمنها معوقة بحق النقض الأمريكى أكثر من مائة مرة؟

– هل يعقل أن تتدخل دولة فى تغيير رئيس دولة أخرى أو أن تعتقله من بلده وتحاكمه وتسجنه فى بلدها، كما فعلت أمريكا فى الماضى وكما تفعل اليوم مع الرئيس الفلسطينى؟

● إلى غير ذلك من عشرات الأسئلة بل مئاتها التى لا يجاب عنها إلا بأن تلك أزمة فَقْد القيم التى جاءت بها سائر الأديان السماوية وأقرتها سائر الأعراف الدولية وسجلتها وثيقة حقوق الإنسان والحضارات التى ترعى القطط والكلاب وتقتل الإنسان تجويعًا وترويعًا وإبادة بالأسلحة التى يقولون عنها: إنها محرمة دوليا؟

● إن المجتمع الإنسانى لا يؤمن ولا تحترم إنسانيته وما كرمه الله به إلا بالقيم الإسلامية التى تتفرع عن قول اله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** [الإسراء: ٧٠]

ومما رواه الترمذى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية، وتعاظمها بآبائها[2]، فالناس رجلان: رجل بَرّ تقِىّ كريم على الله، وفاجر شقى هيّن على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب**».

---

(١) أى الفاسد الرأى.

(٢) عُبِّيَّة الجاهلية: أى كبرها وفخرها، وليس من حق أحد أن يتكبر أو يفخر، فذلك منطق الدين الحق وقيمه.
وعبية الجاهلية الحديثة متمثلة فى إسرائيل وأمريكا إذ يزعم اليهود أنهم شعب الله المختار، وأن الناس جميعا دونهم بل مطايا ليركبوها وذلك تكبر وتعاظم كاذب لا مبرر له، وتزعم أمريكا أنها القوة الكاسحة التى تفعل في دول العالم ما تشاء ظلما وبطشا وعدوانا، وما ذلك في الحقيقة إلا تعبير عن فقد القيم الفاضلة ودليل غرور وأمراض نفسية.

وكل قيم الدين الحق تنبع من هذين الأصلين الكريمين: تكريم الله لبنى آدم، وتفاضل بنى آدم بالبر والتقوى، وليس بأى شيء آخر من أعراض الدنيا الزائلة.

ولا أدرى ما تفعل دعاوى اليهود والإدارة الأمريكية أمام الزلازل والبراكين والفيضانات والعواصف والأعاصير وارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها؟

والنتيجة الثالثة:

التمكين لدين الله فى الأرض أى سيادة العدل والإحسان:

مَنْ جاهد فى سبيل الله ليزيل عن نفسه وصمة الشرك والكفر، فحقَّق الإيمان والإسلام والإحسان وطبَّق القيم التى جاء بها الدين الحق وفى مقدمتها الجهاد، فقد تأهل لكى يعمل على تمكين الدين الحق، منهج الله ونظامه فى الأرض كلها.

وكما ذكرنا لا يتأهل الإنسان لكى يمكن دين الله فى الأرض إلا أن يكون قد تحرَّرَ من الشرك والكفر، أى تحرّر من الشيطان الذى يزين الشرك والكفر، ويعد بالفقر ويأمر بالفحشاء، ويستذل الناس ببعض ما كسبوا، ويعدهم ويمنيهم، ويصد عن سبيل الله ويقول للإنسان اكفر.

ويوم القيامة يعترف اللعين بآثامه وجرائمه عندما يجد نفسه وقد وقع فى العذاب، فيقول للناس كما يحكى عنه القرآن الكريم: ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

ولهذا كان جهاد الشيطان ومقاومة شره وفواحشه من الجهاد الأكبر كما سماه رسول الله ﷺ.

والترجمة الحقيقية للتمكين لدين الله فى الأرض هى: سيادة العدل والإحسان بين الناس، لأن دين الله ومنهجه يأمر بالعدل والإحسان، وإن كان الأمر بالعدل على سبيل الإلزام والأمر بالإحسان على سبيل الندب، إذ العدل فريضة والإحسان فضيلة.

● والعدل: مُطَالَبٌ به كل مكلف من المسلمين يجب عليه أن يمارسه فى كل مستوى من مستوياته على وجه الوجوب، ومستويات العدل كثيرة:

- هناك عدل يمارسه الإنسان مع ربه خالقه ورازقه سبحانه وتعالى بالتزام ما أمره به، واجتناب ما نهاه عنه بتوسط واعتدال دون إفراط ولا تفريط، فلا يشق على نفسه

بتكليفها أكثر مما كلفها الله، ولا يهمل فيعفيها من أى شيء أمر الله به.

- وهناك عدل يمارسه الإنسان مع نفسه بحيث يلزمها طاعة الله تعالى، ويحول بينها وبين ما نهى عنه سبحانه وتعالى؛ وذلك يقتضى اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر، وأن يغلب صوابه خطاه، وأن يجتنب خسيس الأفعال وراذلها وما لا يليق بالمؤمن.

- وهنا عدل يمارسه الإنسان مع سائر الناس، يقتضى أن لا يظلم أحدا من الناس، وأن يعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه به، وألا يتكبر على أحد، وألا يرى نفسه أفضل من سواه، وأن يتحلى بالفضائل التى أمر الإسلام بالتحلى بها، وأن يتخلى عن الرذائل التى نهى الإسلام عن الاتصاف بها.

وكل مسلم مطالب بأن يعدل فى كل أمره، ومع من يلى عليهم من أهل وتلاميذ ومرءوسين، فلقد روى مسلم بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ المقسطين على منابر من نور؛ الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا»**.

وروى مسلم بسنده عن عياض بن حمار رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقْسط موفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»**.

- وإذا كان المأمور بالعدل حاكما رئيسا أو وزيرا أو مديرا ونحو ذلك كان التزامه بالعدل بين من يليهم من ألزم ما يلزمه ومن أهم ما يجب أن يأخذ نفسه به.

ولائمة العدل عند الله منزلة عظيمة حتى عدهم العلماء طبقة عالية القدر بين طبقات العباد الذين أطيع الله بهم، فهم الطبقة الخامسة بين ثمانى عشرة طبقة، لم يسبقهم إلا طبقة أولى العزم من الرسل، وطبقة سائر الرسل، وطبقة الأنبياء الذين لم يرسلوا إلى أمم، وطبقة ورثة الرسل، الذين خَلَفُوا الرسل فى الدعوة إلى الله، ثم طبقة الأئمة العادلين «الذين تَؤَمَّن بهم السُّبَل ويستقيم بهم العالم، ويستنصر بهم الضعيف، ويذل بهم الظالم، ويأمن بهم الخائف، وتقام بهم الحدود، ويدفع بهم الفساد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقام بهم حكم الكتاب والسنة، وتطفأ بهم نيران البدع والضلالة.

وهؤلاء العادلون هم الذين تنصب لهم المنابر من النور عن يمين الرحمن عز وجل يوم القيامة فيكونون عليها، والولاة الظلمة قد صهرهم حر الشمس وقد بلغ منهم العرق

مبلغه وهم يحملون أثقال مظالمهم العظيمة على ظهورهم الضعيفة، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يُرَى سبيل أحدهم، إما إلى الجنة وإما إلى النار، قال النبى ﷺ: **«المقسطون عند الله على منابر يوم القيامة، على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»**(١).

وعنه ﷺ: **«إن أحب الخلق إلى الله وأقربهم منه منزلة يوم القيامة إمام عادل، وإن أبغض الخلق إلى الله وأبعدهم منه منزلة يوم القيامة إمام جائر»**(٢) أو كما قال..(٣).

وإذا ساد العدل أَمِنَ الناس وسعدوا، وعاشوا فى ظل منهج الله ونظامه إخوة متحابين متعاونين على البر والتقوى.

● والإحسان: مُطَالَبٌ به كل مسلم على سبيل الندب، لأنه منزلة فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطى أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد على العدل.

لذلك كان تحرِّى العدل واجبًا وتحرى الإحسان ندبًا وتطوعًا.

وقال بعض العلماء: الإحسان فى الشريعة هو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وقال بعضهم: الإحسان يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان أى أنعم عليه بشىء محبوب.

والثانى: إحسان فى فعله، وذلك إذا عَلِم عِلْمًا حسنًا أو عمل عملا حسنا.

ومن دعاء الرسول ﷺ ما رواه أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا»**.

وروى الترمذى بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: خصلتان سمعتهما من رسول الله ﷺ: **«إن الله كتب الإحسان على كل شىء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلَةَ وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة...»**.

– ومن الإحسان ألا يجزى بالإساءة مثلها، وإنما يحسن، روى الترمذى بسنده عن أبى

---

(١) آثرنا نقل الحديث الشريف من مسند أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما؛ لاختلاف يسير فى لفظه.

(٢) رواه الترمذى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

(٣) ابن قيمِّ الجوزية: طريق الهجرتين وباب السعادتين: ٤٦١ ط المنيرية القاهرة ١٣٥٧هـ.

الأحوص عن أبيه رضى الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله الرجل أَمُرُّ به فلا يقريني ولا يضيفني فيمّر بى أفأجزيه؟ قال: **«لا.. أقْرِه»**.

– ومن الإحسان أن ينفق الإنسان على نفسه حتى يُرىَ أثر نعمة الله عليه، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى الأحوص عن أبيه رضى الله عنه قال: رآنى رسول الله ﷺ رَثَّ الثياب، فقال: **«هل لك من مال؟»**.

قلتُ: من كل المال قد أعطانى الله، من الإبل والغنم، قال: **«فَلْيُرَ عليك»**.

– ومهما شاع فى الناس عدم الإحسان فإن المسلم مطالب بأن يظل محسنا دائما، روى الترمذى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تكونوا إمَّعة؛ تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»**.

تلك صورة مجملة عن العدل والإحسان فى المجتمع الذى يسوده منهج الله ونظامه، ويتحاكم إليه الناس، فهل هناك مجتمع أكثر أمنا واستقرارا من مجتمع يسوده العدل والإحسان؟

- إن مع العدل يصل كل ذى حق إلى حقه كاملا غير منقوص، ولا يقع على أحد أى ظلم مهما كان ذلك الإنسان ضعيفا أو فقيرا أو صغيرا لا عائل له، أو يتيما أو مسكينا أو محتاجا.
- وإن بالعدل ينعم كل الناس بالمساواة فى الحقوق والواجبات أمام القانون، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، ولا تمييز لأحد على أحد بعرقه أو لونه أو دينه.
- وإن بالعدل يأمن الناس على حرياتهم التى كفلها لهم الله تعالى، حرية الفكر، وحرية الإرادة والاختيار وحرية التعبير وحرية العمل والتملك والاقتناء، وحرية التنقل من مكان إلى مكان، يحصل الناس على تلك الحريات دون محاباة، لأن السائد هو منهج الله والدين الحق الذى ختم به الأديان.
- وإن بالإحسان يتوادّ الناس ويتحابون ويتعاطفون ويحب كل منهم الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، فيسود بينهم الوئام والتعاون والتراحم.
- وإن بالإحسان يسود بين الناس التسامح، وتنتشر فيما بينهم الفضائل والأعمال الصالحة، ويذوب الخلاف والتعصب للرأى وتقفل عشرات من أبواب الشر فى كل يوم.

وكل ذلك الخير نتيجة لتمكين دين الله فى الأرض الذى ما كان إلا بعد تحرر الإنسان من الشرك والكفر.

النتيجة الرابعة:

الحصول على رضا الله تعالى فى الدنيا وجنته فى الآخرة:

هذه أهم نتيجة من نتائج تحرر الإنسان من الشرك والكفر؛ لأنها تُؤمّن للإنسان صالح دنياه بحصوله على رضا الله بعد أن تحرر من الشرك والكفر، وأصبح قلبه وعقله وعلمه وعمله فى وجهة واحدة هى الإخلاص لله تعالى وحده دون شريك، والإقبال عليه وحده بطاعته والالتزام بمنهجه لبلوغ رضاه سبحانه وتعالى.

● ورضا الله تعالى عن عبده نوعان:

- رضا عنه فى الدنيا، بأن يراه مؤتمرًا بأمره منتهيًا عما نُهى عنه، فيوفقه ويجرى على يديه الخير ويحبه ويحبب فيه الناس.

- ورضا عنه فى الآخرة بأن يدخله الجنة، ودخول الجنة غاية كل مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضاء الله تعالى وقدره.

● ورضا العبد عن ربه نوعان أيضًا:

- رضا عنه سبحانه وتعالى بالإقبال على طاعته وبالابتعاد عن معصيته.

- ورضا عنه سبحانه بالا يكره العبد ما يجرى عليه من قضاء الله تعالى وقدره.

● وتبادل الرضا بين الله وعباده منصوص عليه فى ثلاث آيات من القرآن الكريم:

إحداها: قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ⑦ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ [البينة: ٧، ٨].

والثانية: قوله تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

والثالثة: قوله تعالى: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [المائدة: ١١٩].

● والحصول على رضا الله فى الدنيا مشروط بأمرين؛ طاعة الله تعالى والرضا بقضائه سبحانه وتعالى، لأن العاصى لله تعالى وغير الراضى بقضائه سبحانه مستبعد - من أجل عمله هذا - عن أن يرضى الله عنه، لأن الله تعالى يرضى - كما دلت على ذلك تلك الآيات الثلاث - عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعن أولئك المؤمنين الذين لا يوادون من حادَّ الله ورسوله، وعن الصادقين فى أقوالهم وأعمالهم ومواقفهم.

- والعبد الراضى عن ربه هو من يرضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولا، فهذا هو الذى يذوق طعم الإيمان وتُغفر له ذنوبه، كما ورد ذلك فى السنة النبوية؛ فقد روى مسلم بسنده عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً»**.

وروى أبو داود بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا ورسولاً وجبت له الجنة»**.

- ورضا العباد عن الله تعالى ثلاثة أقسام بعضها أعلى من بعض، وهى:

● رضا العَوَامّ:

وهؤلاء يرضون بما قسم الله لهم من رزق وما أعطاهم من خيرات الدنيا وطيباتها.

● ورضا الخَوَاص:

وهؤلاء يرضون بكل ما يجرى عليهم من قضاء الله وقدره من خير أو شر.

● ورضا خَواصّ الخواصّ:

وهؤلاء يرضون بالله تعالى بدلاً من كل ما سواه.

● ومن علامات رضا العبد عن ربه أن تتوفر فيه صفات ثلاث:

أولاها: أن يتساوى عنده النعيم والبلاء فى الدنيا، لأن كل ذلك يجب الرضا به لأنه من قضاء الله تعالى. روى أحمد بسنده عن صهيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجبت من قضاء الله للمؤمن إنّ أمْر المؤمن كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر فكان خيراً له»**.

والثانية: رفض الخصومة مع الناس وإيثار مسالمتهم وحبهم فقد قال تبارك وتعالى: ﴿ ....وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لى قرابةً أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ وأحلم عنهم ويجهلون علىّ، فقال: «لئن كنتَ كما قلت فكأنما تُسفُّهم المَلّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك».

والثالثة: تجنب سؤال الناس أو الإلحاح عليهم، وهى صفة تجعل صاحبها لا يسأل إلا الله ولا يطلب من غيره، وتلك من صفات مَنْ يرضى عنه الله تبارك وتعالى، قال الله تعالى: ﴿...لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره فيتصدق به على الناس خير له من أن يأتى رجلاً فيسأله؛ أعطاه أو منعه».

- وأما رضا الله تعالى عن عبده فهو وعد منه تعالى لمن رضى به ربًا، ورضى بالإسلام دينًا، ورضى بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً - كما ورد ذلك فى السنة.

ومن أسباب رضا الله عن عبده:

- أن يرضى العبد عن ربه فى جميع الحالات فيرضى ربه عنه؛ فيخلصه من الهم والحزن وشتات القلب وسوء الظن بالله، ومن السخط على قضاء الله إن كان هذا القضاء فى غير ما يحب، وكل ذلك يفتح أمام العبد باب الجنة.

- وأن يشكر العبد ربه على كل ما أصابه من خير أو شر، لأن الشكر ثمرة الرضا، وأعلى درجات الإيمان، ومن شكر الله تعالى رضى الله عنه وزاده من نعمه؛ لأن الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿..لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ...﴾ [إبراهيم: ٧]. وشكر الله يكون بالعمل الصالح الخالص لوجه الله مهما بدا قليلاً، روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَرَّ رجل بغصن شوك فنحاه عن الطريق فشكر الله له فأدخله الجنة». وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ «أن رجلاً رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش، فأخذ الرجل خُفَّه فجعل يغرف له به الماء حتى أرواه فشكر الله عز وجل له فأدخله الجنة».

- وأن يحسن العبد الظن بالله تعالى، فمن أحسن الظن بالله رضى الله عنه، فقد روى

مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حيث يذكرنى....**» الحديث، وروى أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رضى الله عن العبد أثنى عليه سبعة أصناف من الخير لم يعملها....**» الحديث.

- وبعد فهذه أهم نتيجة من نتائج تحرير الإنسان من الشرك والكفر وجهاد الشيطان الذى يزينهما للناس، إذ هى الحصول على رضا الله وجنته وتلك غاية كل عابد لله تعالى.

الهدف الثانى من أهداف الجهاد فى سبيل الله تعالى:

تأمين حرية التفكير وحرية التعبير:

الجهاد فى سبيل الله شُرع لحماية الإنسان والمحافظة على حقوقه، وعلى كرامته وإنسانيته، يحمى الإنسان من كل عدو ينتقص شيئًا من حقوقه فضلاً عن أن ينتهكها.

وحق الإنسان فى التفكير نتيجة لما أنعم الله عليه به من عقل جعله مناط تكليفه، وجعله عونًا له على معرفة الخير من الشر، وما ينفع مما يضر، وأحاط العقل بالشرع يرسم له معالم المنهج الذى يجب أن يعيش به، وهى معالم أبرزها حرية الإرادة وحرية الاختيار وسائر الحريات التى تتطلبها حياة الإنسان حياة كريمة.

وكل من يحرم الإنسان من حريته فى التفكير أو حريته فى التعبير عما فكر فيه تعبيرًا يلائم القيم التى جاء بها الدين الحق، فهو عدو للإنسان يجب جهاده، سواء كان هذا العدو حاكمًا ظالمًا أو رئيسًا مستبدًا أو ضلالاً يسيطر على العقول، أو هَوًى يصرف الإنسان عما ينفعه، ويدفع به إلى ما يضره.

- وإنما شرع الله تعالى الجهاد من أجل كرامة الإنسان لأن الله تعالى كرم الإنسان وسخر له ما يركبه فى البر والبحر ورزقه من الطيبات وفضله على كثير مما خلق، كما نطقت بذلك الآية الكريمة: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء: ٧٠]، ولما رواه ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض ملائكته**» فلا منزلة تعلو منزلة الإنسان إلا ما اختار الله من رُسُل وما اصطفى من أنبياء.

- والحاكم المستبد الذى يحرم الإنسان من حرية التفكير وحرية التعبير، وسائر حرياته، قد

يحرمه من ذلك عن طريق الظلم والاستبداد ومؤسسات القمع والإرهاب، وغياهب السجون وضراوة المعتقلات والمنافى و....

وقد يحرمه من هذه الحريات عن طريق ما يشيعه فى المجتمع من خلال وسائل الإعلام من ضلال وتضليل، ومن تشجيع على الخروج عن قيم الدين الحق، بتيسير وسائل الهوى واللهو والباطل وكثير مما حرم الله.

والحاكم المستبد معروف للناس بأفعاله وما يذيقه لهم من ويلات البطش والاستبداد، ولسنا بحاجة إلى الحديث عنه لأنه هو الذى يتحدث عن نفسه بأفعاله الشائنة التى يحس ببشاعتها كل إنسان فى المجتمع.

وسوف نتحدث فى هذا الهدف عن أربع نقاط:

- المقصود بالضلال والهوى.
- وضرر الضلال والهوى على حرية التفكير والتعبير.
- وكيفية تحرير الإنسان من الضلال والهوى.
- ونتائج تحرير الإنسان من الضلال والهوى.

ولنتحدث عنها واحدة بواحدة.

أ - المقصود بالضلال والهوى:

● ونحن بحاجة إلى أن نلقى ضوءا على مفهوم الضلال ومفهوم الهوى، لأن ذلك مما يساعد على ممارسة الجهاد فى هذا السبيل لمقاومة الضلال والهوى، ومقاومة أثرهما الأشد ضرراً على حرية التفكير وحرية التعبير.

- فالضلال هو فقدان ما يوصل إلى المطلوب أو سلوك طريق لا يوصل إليه، أو هو العدول عن الطريق الصحيح أى عن المنهج السليم، عمداً كان ذلك العدول أو خطأ.

ومن معانى الضلال: الخفاء والغياب والضياع والنسيان والباطل.

- وكلمة الضلال وردت فى القرآن الكريم منسوبة إلى بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تارة، وإلى الكفار تارة أخرى على ما بين الأنبياء والكفار من بون بعيد.

ففى نسبة الضلال إلى الأنبياء جاء قوله تعالى عن خاتمهم محمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً

فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] بمعنى غير مهتد إلى ما ساق الله تعالى إليك من نبوة. وجاء قوله تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]. وتلك إشارة إلى شغفه بابنه يوسف عليه السلام وشوقه إليه.

- والضلال نوعان:

نظرى وعملى.

فالنظرى: مثل الضلال فى معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة النبوة وعالم الغيب ونحو ذلك.

والعملى: مثل الضلال فى معرفة العلوم الشرعية كالعبادات والمعاملات ونحوها.

● ومن شأن الضلال أن يعوق حرية التفكير وأن يحد حرية التعبير؛ لأن الضال تغيب عنه حقوقه أو تشوَّش عليه، وعندما يتحرر الإنسان من الضلال يتحرر من القيود التى يفرضها الضلال على فكره، ويتحرر من الحيرة والقلق والاضطراب، وإذا تحرر الإنسان من ذلك انطلق فى التفكير المستقيم، فالمعرفة فالعلم، فمارس حقوقه وبها تتحسن أحواله وتصلح أعماله وتتضح له الأبعاد الحقيقية للحياة الدنيا، ويعرف القيمة الحقيقية للحياة الآخرة، وأنها هى الأبقى والأولى بأن تؤثر على الحياة الدنيا، فاهتدى بعقله وفكره إلى ما قرره الله فى فطرة الإنسان، وأخبر به فى كتابه الخاتم فى وصف بعض الغافلين عن الحق: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٩]. أما العاقل الذى يفكر تفكيراً سليمًا، فإنه يؤثر الآخرة لأنها خير وأبقى.

- والهوى: من معانيه الميل والعشق ويكون فى الخير أو فى الشر.

ومن معانيه: ميل النفس إلى الشهوة من غير مراعاة الضوابط الشرعية لها، وذلك هوى فى الشر يضر ويردى، وقد حذَّر الله تعالى من هذا الهوى فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

والهوى قد يصبح معبوداً من دون الله تعالى، عندما يتعطل تفكير الإنسان فيضل عن الحق، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ

وكيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣]. فالهوى فى هذه الآية الكريمة إله يُعبد من دون الله، وذلك قمة الضلال وتعطيل التفكير، قال الله تعالى: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص: ٥٠] وهدى الله هو العقل الصحيح الذى يفكر تفكيراً مستقيماً ليخرج من دائرة الهوى والضلال.

وقد حذّر الله تعالى من اتباع الهوى فى عدد من آيات القرآن الكريم، حتى قال ابن عباس رضى الله عنهما: ما ذكر الله تعالى «الهوى» فى القرآن إلا ذَمّه، قال الله تعالى: ﴿واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ [الاعراف: ١٧٦]، وقال سبحانه: ﴿واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال جل وعلا: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [ص: ٢٦].

- ومن شأن الهوى أن يعطل تفكير الإنسان ويُعيقه، فهو بذلك قيد على التفكير، وإخلال بدقة التعبير وصحته، ودخول فى الضلال وما يجلبه الضلال للعقل والفكر من قيود وأغلال.

والهوى يجعل صاحبه عبداً للشيطان الذى زينه له بل عبداً لشهوات بطنه وفرجه، فيضل عن سبيل الله ويصبح أمره فُرُطا، ويصبح كالكلب فى أسوأ أحواله إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث.

- ومقاومة الضلال للوصول إلى حرية التفكير وسلامته جهاد بل من الجهاد الأكبر، ومقاومة الهوى للوصول إلى سلامة التفكير جهاد كذلك يعد من الجهاد الأكبر لأنه جهاد النفس المستمر، بينما جهاد العدو قد ينتهى بانتهاء المعركة.

- ومقاومة الضلال والهوى دفاع عن حرية الإنسان فى التعبير عما فكر فيه تفكيراً متحرراً من الضلال والهوى أيضاً.

- حرية التفكير وحرية التعبير وتأمينهما للإنسان تعزز إنسانية الإنسان وتؤكد تكريم الله تعالى له وتفضيله على كثير من خلقه، وليس بإنسان كامل الإنسانية ذلك الذى يحال بينه وبين حرية التفكير بأى واسطة من وسائط الضغط والإكراه، وليس بإنسان كامل الإنسانية ذلك الذى يحال بينه وبين التعبير عما فكر فيه، بل هو أقرب إلى الجماد منه إلى الإنسان.

- إن الإسلام وهو يؤمّن حرية التفكير والتعبير للإنسان عن طريق جهاد ما يعطلهما أو يعيقهما إنما يكرّم الإنسان، ويؤكد أن ذلك من صميم منهج الله ونظامه لحياة الإنسان.

ب - ضرر الضلال والهوى على حرية التفكير والتعبير:

لا شك في أن أضرار الضلال والهوى تنصبُّ أولاً على عقل الإنسان وتفكيره، فالعقل الضال أو المنغمس في الهوى يختل عنده التفكير والتفكُّر والتدبير والتدبُّر، فتنقطع صلته بالموجودات التي تحيط به، أو تضطرب، مع أن هذه الموجودات لها أوثق العلاقات بالإنسان في حياته كلها.

والموجودات المحيطة بالإنسان قد خلقها الله تعالى لنفعه من جانب، ولكي يأخذ من علاقته بها العبرة والاعتبار، والضلال والهوى يحولان بين العقل والاعتبار، والإنسان بغير عمل عقلي يكسبه العبرة والاعتبار يفقد كثيراً ويخسر كثيراً، ويتجمد ولا يتقدم، وتزداد أمامه متاعب الحياة الدنيا، لأنه لايعتبر مما يحيط به.

ومن المسلمات لدينا معشر المسلمين أن العبرة إنما يحظى بها أصحاب العقول والألباب، ولذلك قص الله تعالى علينا في كتابه قصصًا كثيراً تناول كل ما يحقق للإنسان النفع ويدفع عنه الضر، لو اعتبر بما يقرأ ويسمع، قال الله تعالى بعد أن قص علينا قصص بعض الأنبياء عليهم السلام: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [يوسف: ١١١]. إن من لم يعتبر فليس من أصحاب العقول، وكيف يعتبر وعقله مكبل بقيود الضلال والهوى؟ وكيف تصبح له حرية على التفكير؟ لكن ذلك ليس هو الضرر الوحيد الذي يتركه الضلال والهوى في حياة الإنسان وإن كان ضرراً بليغًا، وإنما تضاف إليه أضرار أخرى نذكر منها:

- القيود على حرية الفكر تَحُول بين الإنسان وبين رؤية الحق حقًا، لأن الضلال يلغي العقل ويعطل قواه وفاعليته، بل يلغي السمع والبصر، ومن تعطل عقله وألغي سمعه وبصره غامت أمامه الرؤى فسهل عليه الكذب والخداع والغش ورأى حَسَنًا ما ليْس بالحسن.

ولقد واجه رسول الله ﷺ العنت من هؤلاء الذين ضلت عقولهم وتعطلت حواسهم فعدلوا عن اتباع الحق فاهلكوا أنفسهم، قال الله تعالى يحكي عن هؤلاء: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [الأنعام: ٢٥، ٢٦].

- وإغلال حرية التفكير التي يأتي بها الضلال واتباع الهوى تجعل صاحبها عاجزاً عن الوصول إلى حجة صحيحة يدافع بها عما يعتقد أنه الحق، وتلك طبيعة الناس الذين ضلت عقولهم، يتخبطون ويزعمون وما يستطيعون الحصول على دليل أو حجة، حكى عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦) وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤ - ٩].

فهم لضلالهم لا يستطيعون أي يعجزون عن إقامة حجة على ما يدعون، وتلك آفة ضلال العقل ونتيجة قيد حرية التفكير.

ومما يحجر على حرية الفكر:

اتباع الشياطين.

واتباع الهوى.

واتباع الناس دون تفكير.

وفي كل هؤلاء وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية ذكرنا بعضها فيما مضى وسنأتي على كثير منها كلما تقدم بنا البحث في أبواب هذا الكتاب وفصوله.

- والقيود المفروضة على حرية التفكير بفعل الضلال واتباع الهوى تباعد بين الإنسان والعدل والإنصاف والمساواة بين الناس، لأن العقل ليس حراً، ومع عدم حريته ينحدر إلى الظلم والانحياز حسب الهوى والتفرقة بين الناس في الحقوق والواجبات. وذلك داء قديم عرفه اليهود فميزوا بين غني وفقير وشريف وضعيف، فكانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ فلعنهم الله بما عصوا وكانوا يفسدون، وقد حاول ذلك بعض القرشيين مع الرسول الخاتم ﷺ، فقد روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أَهَمَّتْهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم رسول الله ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلّم رسول الله ﷺ فقال: **«أتشفع في حدّ من حدود الله»**، ثم قام فخطب؛ فقال: **«يا أيها الناس إنما ضَلَّ من قبلكم أنهم كانوا**

إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطع محمد يدها».

– وبغير حرية التفكير أى بالضلال واتباع الهوى ينتشر فى الناس الجدل وتختلف بينهم الآراء حول ما لا ينبغى الجدل فيه ولا الاختلاف عليه، حيث وقع بعض الناس فى حياة الرسول ﷺ فى هذا الجدل والاختلاف فضربوا بعض القرآن الكريم ببعض، فقد روى أحمد بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبى ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فخرج فكأنما فقئ فى وجهه حب الرمان، فقال: **«بهذا أمرتم؟ أو بهذا بُعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضَلَّتْ الأمم قبلكم فى مثل هذا، أنتم لستم مما ههنا فى شيء، انظروا الذى أُمرتم به فاعملوا به والذى نُهيتم عنه فانتهوا».**

– والقيود على حرية التفكير بالضلال واتباع الهوى توقع الناس فى الفتن خاصها وعامها، إذ ما من فتنة إلا وتسبقها موجة من الضلالات واتباع الأهواء وإلغاء العقول، وما من فتنة إلا ويحدو ركبها الشيطان ويغرى بخوضها مزينا لمن عطلوا عقولهم وضلوا وأضلوا أنها دفاع عن حق ودفاع ضد باطل، وذلك شأن الفتن فى كل مكان تقع فيه، فقد كانت فتنة يوم قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكانت فتنة يوم حورب على رضى الله عنه، وكانت يوم قتل الحسين بن علىّ رضى الله عنهما، وكانت فتنة يوم خرج بعض الناس على علىّ رضى الله عنه، وهكذا.

روى أحمد بسنده عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت: قلتُ: يا رسول الله الا تعلمنى دعوة أدعو بها لنفسى؟ قال: **«بلى، قولى: اللهم ربَّ محمد النبى، اغفر لى ذنبى، وأذهب غيظ قلبى، وأجرنى من مُضلات الفتن ما أحييتنا».**

– والضلال الذى يقيد الفكر يصيب صاحبه بالغرور والعجز عن معرفة نقاط الضعف فى نفسه، ومن اغتر خسر كثيرا فى الدنيا والآخرة، ومن اغتر لا يتهم نفسه أبدا وإنما يتهم غيره، فقد روى أحمد بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله».**

إن الذى لا يفكر أو لا يحسن التفكير ينسى اليوم الآخر ولا يعمل من أجله، فيصبح أشد غفلة وضلالا وأكثر إلغاء لعقله وتعطيلا لفكره، لأن اليوم الآخر حق لا ينكره أو ينساه أو لا يعمل له إلا الحمقى والذين لا يعلمون، وإن علامة حمق من نسى اليوم الآخر أنه يركبه هواه وتستعبده شهواته ويتمنى على الله الأمانى.

- والضلال والهوى اللذان يعصفان بحرية الفكر ويعطلان العقل يوقعان الإنسان فى البدعة التى ليست من الدين - والبدعة ضلالة كما قال المعصوم ﷺ - ومن دخل فى البدعة فقد ضل، ومن أتبع نفسه هواها فقد هلك كما يهلك الشحيح والمغرور.

روى الدارمى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«إن أفضل الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**.

وروى الطبرانى - فى الأوسط بسنده - عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: **«ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات وثلاث درجات، فأما المهلكات، فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه...»** الحديث.

وبعد: فتلك أضرار الضلال والهوى الواقعة على حرية التفكير والتعبير اللذين هما حق أساسى للإنسان فى كل زمان ومكان.

فكيف يتحرر الانسان من الضلال والهوى اللذين يقضيان على حرية التفكير والتعبير؟

ذلك ما نرجو أن نوضحه فى الصفحات التالية والله تعالى الموفق المعين.

جـ- كيفية تحرير الإنسان من الضلال والهوى:

الضلال والهوى لهما من الأضرار بالإنسان عقله وفكره وإرادته ما أشرنا إلى بعضها فيما مضى، وهى أضرار - كما رأينا - خطيرة ومفسدة للدنيا والآخرة.

لذلك كان من واجب كل مسلم أن يعمل ما استطاع على التخلص من هذه الأضرار التى تقيد عقله وتحول بينه وبين التفكير الصحيح والتفكر والتدبر وأخذ العبرة.

وتحرير العقل من هذه القيود والأغلال واجب شرعى ليصح عقل الإنسان ولتصح بعد ذلك حياته الدنيا فى تعامله مع الناس، وحياته الأخرى بإرضائه لربه سبحانه وتعالى.

ومن أجل أن الضلال واتباع الهوى يفسدان على الإنسان عقله ويقيدان فكره، ومن

فسد عقله فسد قلبه وفسدت علاقاته الاجتماعية أى فسدت دنياه كاملة، وربما فسدت آخرته ما لم يتغمده الله برحمته فيهيىء له استغفارا وتوبة.

ونحاول هنا بعون من الله أن نشير إلى بعض الوسائل التى يحرر بها الإنسان عقله من الضلال واتباع الهوى، وهى وسائل فى تصورى كثيرة أهمها خمس هى:

- التفكر فى خلق الله وأخذ العبرة.
- والتفكر فى الدين والعمل بما جاء به.
- ومراقبة النفس ومحاسبتها.
- ومجاهدة النفس والهوى والشيطان.
- ومعاقبة النفس حتى لا تستمرئ الخطأ.

وفى توضيح هذه الوسائل نقول والله المستعان:

١- التفكر فى خلق الله وأخذ العبرة:

لا يعبر عن حرية التفكير مثل التفكر أى إعمال العقل فى أمر ما وترتيبه للوصول إلى ما هو مجهول منه، وتفكر فى المشكلة: أعمل عقله فيها تحليلا وتجزيئا وتجميعا وتعميما ليصل إلى حلها.

وللعلماء فى تعريف التفكر كلمات رائعة نذكر منها:

- هو: سراج العقل يرى به الخير والشر والنافع والضار.
- أو هو: مصباح الاعتبار ومفتاح الاختيار، به تكون العبرة، وعنه تكون الخبرة.
- أو هو: مزرعة الحقيقة التى تنمو فيها كما ينمو الزرع.
- أو هو: تبيين ما فى الشريعة من أحكام وسنن وآداب.
- ومن حُرم التفكر فقد حرم حرية التفكير، وبهذا الحرمان يعيش فى ظلمات لا يخرج منها، وفى جهل بالدنيا والآخرة، بل فى عنت من أمره كله.

ولا يرد الضلال عن العقل إلا التفكر فى خلق الله تعالى، لأنه يصاحبه الاهتداء إلى كثير من الحكم الإلهية فى هذا الخلق على تلك الهيئات التى خلق عليها، ومع الاهتداء إلى تلك الحكم يكون الهدى ويذهب الضلال، ويتحرر العقل من كل ما يثقله ويقيده من أنواع الضلال والوهم والتخبط والضياع، وفى هذا تربية للعقل وتنوير، وتدريب على التفكير والاستنتاج.

● وقد دعا الإسلام إلى التفكر في خلق الله، بل جعله فريضة طالب بها كل مكلف، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الانعام: ٥٠]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الروم: ٨]. وقال جل شأنه: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فالتفكير أو حرية التفكير حق من حقوق الإنسان جعله الإسلام فريضة، «وفريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها، فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان»[(١)].

– والتفكر في كتاب الله الخاتم وتدبر ما فيه هو الذي يهدي المتفكر إلى ما فيه من أحكام وآداب، وحقائق تتصل بالكون وبالإنسان.

ومن لم يتفكر ويتدبر في القرآن الكريم فكأنما وضع على عقله وقلبه قفلا وأحكم إغلاقه، قال الله تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

وروى الطبراني –في الأوسط – بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفكروا في آلاء الله – أي نعمه – ولا تتفكروا في الله**» وفي رواية: «**تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله**».

● والذي يحول بين الإنسان والتفكر والتدبر هو الشيطان لأن التفكر يهديه والشيطان يريد أن يضله، روى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ليلة أسرى به: «... **فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل مني، فإذا أنا برهج ودخان وأصوات، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب**».

وروى ابن حبان – في صحيحه – بسنده عن عطاء[(٢)] رحمه الله قال: انطلقت أنا وعبيد

---

(١) عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية ط دار نهضة مصر – القاهرة دون تاريخ للطبع.

(٢) هو عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبي ﷺ ورضى عنها، ولد سنة ١٩ هـ اقام بالمدينة والشام ومات بمصر بالإسكندرية عام ١٠٣هـ، تابعي عابد فاضل صاحب قصص.

الله بن عمير رحمه الله إلى عائشة رضى الله عنها، فكلمتنا من وراء حجاب، فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول رسول الله ﷺ: **«زر غبًا تزدد حبا»** قال ابن عمير: فأخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، فبكت، وقالت: كل أمره كان عجبا، أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال: ذرينى أتعبد لربى عز وجل، فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله: ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال: **ويحك يا بلال، وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله تعالى علىَّ فى هذه الليلة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾** [آل عمران: ١٩٠] **ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها».**

● وهكذا يكون التفكر فى مخلوقات الله وآلائه واجبا على كل مسلم لما فيه من الاعتبار والاهتداء إلى الحق ثم الهدى وطاعة الله تبارك وتعالى.

وبهذا يحرر الإنسان عقله من الضلال ومن اتباع الهوى، وتلك هى الحرية الحقيقية التى تخلص العقل من قيود الضلال والهوى.

٢- التفكر فى الدين والعمل بما جاء به:

الدين الذى يجب التفكر فيه هو الدين الحق خاتم الأديان، وهو الذى يجب أن يعمل بما جاء به، لأن الله تعالى هو الآمر بذلك، ولأن فى العمل بما جاء به صلاح الدين والدنيا معا.

● وقد ميز الله هذا الدين على غيره من الأديان بأنه ختمها به، وفى الختام إشارة إلى التمام والكمال ورضا الله تعالى به للبشرية كلها دينا.

كما ميزه بخصائص أخرى عديدة نذكر منها:

– أنه سبحانه تكفل بحفظه إلى يوم الدين بحيث لا يدخله عبث ولا تبديل ولا تحريف بقوله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجر: ٩]. والذكر الذى هو القرآن الكريم تدخل فيه السنة لأنها فصلت مجمله، وتحدثت عن تشريعات لم ترد فيه وهى من صميم الدين.

– وأنه دين لا يجوز التدين لله إلا به، لأن الله تعالى أتمه وأكمله وارتضاه، وأعلن أنه لا

يقبل التدين بسواه، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

– وأن فعالية الدين الحق وجلبه النفع للناس ودفعه الضرر عنهم إنما تكون فى تطبيقه والأخذ بما فيه دون قصور أو تقصير، أو إيثار الأخذ ببعضه دون بعض، لأنه تعالى رفض منطق الانتقاء فى كل الأديان فقال سبحانه وتعالى: ﴿...أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ..﴾ [البقرة:٨٥].

والدين وحده لا يمكن أن يحقق للناس ما ينفعهم أو يدفع عنهم ما يضرهم إلا إن طبقوه وأخذوا بما فيه وتمسكوا به.

– وأنه كفل الحرية لكل من أراد الدخول فيه فدعا إلى حرية الإرادة والاختيار لقبول الدين أو رفضه فقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ..﴾ [الكهف:٢٩]. وقال جل وعلا: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ..﴾ [البقرة:٢٥٦].

– وأنه دين المستقبل، لما جمع الله فيه من أسباب وتشريعات تجعله صالحا لكل زمان ومكان، وقادرا على عبور الزمان والمكان بدعوته وحركيته ونظامه وعالمية هذا النظام، فقد روى الطبراني – فى الأوسط – بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده لا تذهب الأيام والليالى حتى يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم**» وروى أحمد بسنده عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسناء، والرفعة، والدين، والنصر، والتمكين فى الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب**».

فهو الدين الحق دين المستقبل بدليل العقل ودليل النقل.

● ولابد من طرح سؤالين هامين هما:

لماذا التفكر فى الدين؟

ولماذا العمل بما جاء به؟

– لماذا وجب التفكر فى الدين؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول:

– لأن من أخذ الدين دون تفكر وتدبر واقتناع واختيار بمحض الإرادة جاء إيمانه بالدين ضعيفا متخاذلا، ينهار عند تعرضه لأى هزة عقلية يوسوس له بها شيطان من شياطين الجن أو شياطين الإنس، فى صورة نفثة يلقيها الشيطان على لسانه أو قلمه أو ماله أوجاهه أو سلطته، وتلك الأشياء محبوبة عند الناس مسموعة الكلمة عند الغافلين من الناس عن الحق وعن الدين الحق، وعندئذ ينهار الإيمان بالدين لأنه لم يتفكر فيه ولم يتدبر أمره ونهيه وقيمه وآدابه، ويتحول الدين فى قلبه وعقله إلى قيود وأغلال سريعا ما يرغب فى التخلص منها، ليستجيب لدواعى شهوات المال والسلطة والجاه وسائر الشهوات.

أما من أخذ الدين مأخذ التفكر والتدبر والتعمق فى عقيدته وعباداته وأحكامه وقيمه وآدابه، واختار التدين به بإرادته فإن الدين الحق يرسخ فى قلبه وعقله وسلوكه ومعاملاته الحسنة للناس.

– ولأن التفكر فى الدين أساس فى الاقتناع بكل ما جاء به الدين من قضايا إيمانية أو عقلية أو اجتماعية أو سلوكية لو تمسك بما تأمر به ليمتثله، وما تنهى عنه ليجتنبه لعاش حياته على بينة من أمره ومات على بينة من آخرته.

وأبرز تلك القضايا:

- قضية الألوهية وتوحيد الله تبارك وتعالى ذاتًا وصفات وأفعالا.
- وقضية الوحى وما أنزل الله على رسله من كتب وصحف مع وجوب الإيمان بها إجمالاً والإيمان بالقرآن آخرها نزولا تفصيلاً.
- وقضية النبوة والإيمان بما اصطفى الله من أنبياء ورسل إجمالا والإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به تفضيلا.
- وقضية الملائكة والإيمان بكل ما جاء عنهم فى القرآن الكريم.
- وقضية الإيمان بالغيب وكل ما يتعلق به من جنة ونار، وحساب وعقاب وصراط وميزان، كما وردت فى الكتاب والسنة.
- وقضية الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

● وقضية الشياطين وعداوتهم للإنسان.

- ولأن التفكر فى الدين يهيئ قلب الإنسان وعقله لإسلام أمره لله تعالى وحده، والتلقى عن خاتم رسله فى كل ما جاء به والأخذ به فى كل شعبة من شعب الحياة الإنسانية لينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة.

- ولأن التفكر فى الدين الحق والتدبر لكل ما يحويه منهجه هو الذى يفتح أمام المؤمن به باب المعرفة الحقة لكل ما فرض الله عليه، ولكل ما ندبه إليه، ولكل ما حرمه عليه ولكل ما كرهه فيه، وتلك المعرفة أو العلم إذا قرنت بالعمل انطلق المؤمن يمارس حياة إنسانية على أعلى مستوى ويحقق سعادة فى الدنيا والآخرة أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، مجاهدا فى سبيل الله كل أنواع الجهاد على قدر ما أعطاه الله من طاقة وما جعله فيه من استطاعة، دون حرج أو عنت أو مشقة، لأنه الدين الحق ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

● لهذا كله وجب التفكر فى هذا الدين الحق وشرع الجهاد لكى يزيل العقبات المعنوية والمادية من طريق التدين بالدين الحق.

- ولماذا وجب العمل بما جاء به الدين الحق؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

إذا كان الدين - كما أوضحنا آنفا - منهجا ونظاما من عند الله تبارك وتعالى، فإن العبرة فى التعامل معه إنما تكون بالعمل بما جاء به هذا المنهج، وبما أقره هذا النظام أو منعه أى بأحكامه وآدابه وما أحل وما حرم.

ولا يقبل من إنسان أن يؤمن بالله ولا يعمل بمنهجه ولا يلتزم بنظامه، بل لا قيمة لأى عمل يقوم به المؤمن ما لم يكن محكوما بشريعة الله ومنهجه ونظامه.

- ومن المعروف للمسلمين الذى لا يختلف عليه أحد، أن الإيمان هو التصديق بالقلب والاقتناع، والعمل بالجوارح، بل لا ترجمة عن الإيمان إلا بالعمل الصالح، ولا اعتراف بهذا الإيمان ما لم يصحبه عمل صالح، ومن أجل ذلك نجد العمل الصالح مقرونا بالإيمان فى القرآن الكريم، أو معتبرا نتيجة للإيمان، وكذلك تكررت فى القرآن الكريم الدعوة إلى الإيمان أو التحبيب فيه فى أكثر أربعمائة آية كريمة، مما يؤكد أنه لا إيمان بغير عمل صالح.

ومن المعروف عند المسلمين أن العمل لا يعتبر صالحا إلا أن كان موافقا للشريعة وكان مقصودا به وجه الله تعالى.

● وقد أجمع علماء المسلمين على أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، أى الإيمان والنطق بالشهادتين.

وقد فرع علماء المسلمين من هذا التعريف فروعا ثلاثة، فقالوا فى ذلك:

- مَنْ شهد - أى نطق بالشهادتين - وعمل - أى العمل الصالح - ولم يعتقد - أى لم يصدق قلبه- فهو منافق.

- ومن شهد، ولم يعمل، واعتقد، فهو فاسق.

- ومن أخل بالشهادتين فهو كافر.

أما من اعتقد وشهد وعمل عملا صالحا فهو المؤمن المسلم.

● ولذلك كان من صالح الإنسان فى دنياه وآخرته أن يصدق قلبه بهذا الدين وأن ينطق لسانه بالشهادتين وأن يكون عمله صالحا، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩].

ومن لم يؤمن بما جاء به الدين الحق فلم يؤمن ولم ينطق الشهادتين ولم يعمل عملا صالحا فهو من أصحاب الجحيم.

- والعمل الصالح الذى يترجم عن الإيمان كثير ومتنوع حتى فاق سبعين شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان، كما ورد ذلك الحديث النبوى المعروف الذى شرحه البيهقى رحمه الله فى كتاب من عدد من الأجزاء.

● والذى انتهينا إليه فى وجوب التفكر فى الدين والعمل بما جاء فيه، أن ذلك تحرير للإنسان من قيود الضلال والهوى، وأنه ممارسة لحرية التفكير والتعبير.

٣- ومراقبة النفس ومحاسبتها:

لا يتحرر الإنسان من الضلال والهوى بعد التفكر والتدبر فى خلق الله تعالى، والتفكر فى الدين الحق والأخذ بكل ما جاء فيه، إلا إذا دأب على مراقبة نفسه ومحاسبتها أولاً بأول على كل ما تخالف فيه منهج الله ونظامه، حتى تتعلم من أخطائها وتستقيم على الشريعة ولا تتبع الأهواء.

- والمراقبة للنفس يقظة ووعى وحرص على استمرار الاستقامة على شرع الله، ومحاسبة النفس على تقصيرها جدية وحسن توجيه، وكلاهما تربية للنفس على الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وتربية لها على مجانبة المعصية والتطهر منها. لتوضيح معنى المراقبة والمحاسبة نقول:

- المراقبة: هى استمرار علم الإنسان بأن الله تعالى يطلع عليه فى جميع أحواله، فيحاول أن يراه الله على أحسن صورة، والله رقيب على عباده جميعا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ٢].

- مراقبة النفس محافظة عليها ورعاية لها، وتربية لها على عمل الطاعات ونبذ المعاصى، والمراقب لنفسه مستيقظ القلب، ومن استيقظ قلبه عرف واجبه فأداه، وخاف معصية الله فعمل ليوم يلقاه.

ومن راقب نفسه فإنما يراقب الله فيها، وسوف يكون له على ذلك أحسن الجزاء بإذن الله تعالى، قال عبد الله بن دينار(١): خرجت يوما مع عمر الخطاب رضى الله عنه إلى مكة، فعرسنا ببعض الطريق، فانحدر عليه راع من الجبل، فقال له عمر رضى الله عنه: يا راعى، بعنى شاة من هذه الغنم، فقال: إنى مملوك. فقال له عمر رضى الله عنه: قل لسيدك أكلها الذئب، قال الراعى: فأين الله؟ فبكى عمر رضى الله عنه، ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه، وأعتقه، وقال له: أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك فى الآخرة».

- وأحسن ما تكون المراقبة أن تصاحبها تقوى الله والخوف من لقائه، مع اليقين بأن الله سائله ومحاسبه على كل نعمة أنعمها عليه كيف تعامل معها، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»** وروى أيضا بسنده عن أبى برزة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»**.

- ومراقبة الإنسان لنفسه تعنى الوقاية من وسوسة الشيطان ومن مكايده، كما تعنى توقى غضب الله تعالى حين تنتهك حرمة من حرماته، وما دامت المراقبة مبنية على المعرفة والعلم والعمل والخوف من الله فإنها تستهدف رضا الله تبارك وتعالى.

---

(١) هو عبد الله بن دينار مولى عبد الله بن عمر رضى الله عنها، من مشاهير التابعين فى المدينة المنورة ومن متقنى القراء، توفى سنة ١٢٧ هـ.

- ومراقبة الإنسان لنفسه تعنى استنفار بصيرته القادرة على التمييز بين ما هو مقبول عند الله وما هو مرفوض، وهذه البصيرة قادرة على دفع الشبهات والبعد عن مواطنها لأن من لم يتق الشبهات يقع فى الحرام.

وهذا الاستنفار للبصيرة يمكن الإنسان من مقاومة شهواته وإلزام نفسه بأن لا تعبر عن شهواتها إلا فيما أحله الله تعالى، روى أبو نعيم - فى الحلية - بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله يحب البصر النافذ عند الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات»**.

والمعنى أن من ليس له عقل يزعه عن الشهوات فلن يكون له بصر نافذ عند ورود الشبهات.

- وعندما يضعف الإنسان عن مراقبة نفسه، تعود النفس إلى ما جُبلت عليه وما يزينه الشيطان لها من حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وسائر متاع الحياة الدنيا، ناسيا أن كل متاع الدنيا لا يساوى شيئا إلى جانب ما عند الله من حسن المآب وحسن الثواب.

- ومن لم يراقب نفسه وقعت فى الحرام أو وقعت فى الصغائر والسفاسف، وذلك يوقعها فيما يكره الله تبارك وتعالى، روى الحاكم - فى المستدرك - بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يحب معالى الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها»**.

- ومن راقب نفسه وحذرها الوقوع فيما حرم الله تعالى كان أدنى إلى الجنة بحرمان نفسه من الشهوات التى حرمها الله، وكان أبعد عن النار المحفوفة دائما بمقارفة الشهوات، روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل، قال: انظر ما أعددت لأهلها فيها، فجاء فنظر إليها وإلى ما أعده الله لأهلها فيها فرجع إليه وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، وقال فرجع إليه وقال: وعزتك قد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هى يركب بعضها بعضا، فرجع، قال: وعزتك لقد خشيت أن لا يسمع بها أحد فتدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»**.

وقال العلماء: لمراقبة النفس أطوار أربعة:

- طور من بداية الهم والحركة: أهي لله منذ بدايتها أو أن للشيطان فيها نصيب، وفى هذا الطور عليه أن يستهدى بما رواه الديلمى - فى مسند الفردوس - بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه؛ لا يخاف فى الله لومة لائم، ولا يرائى بشىء من عمله، وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة، آثر الآخرة على الدنيا»**.

- وطور عند الشروع فى القيام بالعمل: أفى هذا العمل ما يرضى الله لان الله تعالى أوجبه؟ أو هو من التَّزَيُّد والمبالغة والدخول فيما لا فائدة فيه؟ وفى هذا الطور يستهدى بما رواه الإمام مالك - فى الموطأ - بسنده عن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**.

- وطور عندما يعزم على الرحلة والانتقال أى مفارقة الوطن والأهل والولد: وذلك ليس مباحًا على إطلاقه، وإنما يُتَأَسَّى فيه بما رواه ابن حبان - فى صحيحه - بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«... لا يكون المؤمن ظاعنًا[1] إلا فى ثلاث؛ تَزَوُّدٌ لمَعاد، أو مَرَمَّةٌ لمعاش، أو لَذَّةٌ فى غير محرم»**.

- وطور فى مراقبة ساعات يومه وليلته: على أن يتأسَّى فى ذلك بما رواه أحمد بسنده عن أبى ذرّ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«على العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب»**.

● وكما يراقب الإنسان نفسه مخافة أن تقع فى الشر والمعصية، من أجل أن يكفها بتلك المراقبة عن الوقوع فى هذا، فإن عليه أن يراقبها وهى تفعل الخير ليشجعها على أن تستمر فيه بل تستكثر منه؛ لان تلك هى المراقبة الحقيقية، فهو بهذه المراقبة ينصرها ظالمة أو مظلومة.

● أما المحاسبة فهى: مناقشة النفس فيما فعلتْ حسابًا لها على أعمالها، وتمهيداً لجزائها على ما فعلتْ.

والقاعدة العامة فى هذه المحاسبة هى: أن المؤمن لا يأخذ من الدنيا إلا قَدْرَ ما يجب،

---

(١) أى مرتحلاً منتقلاً.

وكما يجب، وفي وقت ما يجب، ولاينفق مما أخذ إلا قدر ما يجب، وكما يجب، وفي وقت ما يجب، ويحاسب نفسه وفق هذه القاعدة التي أجمع عليها العلماء من خلال فقه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية العطرة.

روى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما قفل وفد عبد القيس قال رسول الله ﷺ: **«كل امرئ حسيب نفسه، لينتبذ كل قوم فيما بدا لهم»**.

- ومشروعية المحاسبة ثابتة بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [الحشر: ١٨، ١٩].

وروى الترمذي بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»**.

فوقوع السيئة من الإنسان ثم ندمه واتباعه هذه السيئة بالحسنة ليزيل آثار السيئة، لا شك أن ذلك حساب للنفس على ما عملت من سيئات في الدنيا ومعالجة لها قبل يوم الحساب.

وروى الترمذي بسنده عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«الكَيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله»**.

قال الترمذي: ومعنى دان نفسه: يحاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب في الآخرة.

- ومن حاسب نفسه فندم واستغفر وتاب قبلتْ توبته، فقد روى الترمذي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدِّث حديثًا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عدّ سبع مرات؛ ولكني سمعته أكثر من ذلك، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أُرْعِدَتْ وبكتْ، فقال: ما يبكيك؟ أكْرَهْتُك؟ قالت: لا، ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته؟ اذهبي فهي لك** (أي: الستون دينارًا)، **فقال: لا والله لا أعصى الله بعدها أبدًا، فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: إن الله قد غفر للكفل»**، فالكفل حاسب نفسه فندم وتاب فغفر الله له.

- ومن حساب النفس أن يلومها صاحبها، فقد فسّر الحسن البصرى معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢] قال: هى والله نفس المؤمن، ما يُرى المؤمن إلا يلوم نفسه قائلاً: ما أردت بكلامى؟ ما أردت بأكلى؟ ما أردت بحديثى؟ والفجر لا يحاسب نفسه».

- ومحاسبة النفس هى لومها على ما فعلته من الشر، وعلى ما تركته من الخير، وتلك المحاسبة تُقَوِّم النفس وتزكيها، وتمهد لها الطريق لتصبح نفساً مطمئنة مؤهلة لان تدعى فتدخل فى زمرة عباد الله الصالحين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

- وبمراقبة النفس ومحاسبتها يتحرر الإنسان من الضلال والهوى، وهذه المراقبة وتلك المحاسبة جهاد فى سبيل الله بل هى من الجهاد الأكبر، وبغيره لا تتم مراقبة ولا محاسبة، وهذا يؤكد أننا لا نستطيع أن نعيش حياتنا سعداء آمنين إلا بجهاد أنفسنا وأهوائنا وشياطيننا، فما بالنا إذن بأهمية جهادنا لأعدائنا، أعداء الله، أعداء ديننا المتربصين بنا؟

وكل ذلك يدعم اليقين بأن الأمة المسلمة أمة يجب أن تجاهد من أجل حياتها ومن أجل دينها، ومن أجل تحقيق العدل والإحسان بين الناس أجمعين مسلمين وغير مسلمين.

٤ - ومجاهدة النفس والهوى والشيطان:

المجاهدة هى المحاربة واستفراغ الوسع فى مقاومة العدو ومدافعته، ذلك هو مدلول المجاهدة اللغوى.

أما مدلولها الشرعى فهو: محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها أداء ما هو مطلوب فى الشرع مهما خالف هواها وشيطانها.

- ومجاهدة النفس أقوى من مراقبتها ومحاسبتها لأنه مقاومة لأهوائها ومحاربة لها، وذلك من صميم الجهاد فى سبيل الله، لما رواه أحمد بسنده عن فضالة بن عبيد الله رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المجاهد مَنْ جاهد نفسه فى سبيل الله عز وجل**». ولما رواه الديلمى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك فى ذات الله عز وجل**».

- ولأهمية جهاد النفس والهوى سماه رسول الله ﷺ الجهاد الأكبر، فقد روى الخطيب -

فى تاريخه – بسنده عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ، أنه قال لأصحابه الذين عادوا بعد أن غزوا: **«قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، مجاهدة العبد هواه»**.

– وأحسن ما يجاهد المرء نفسه وهواه حين تكون نفسه مقدمة على الشهوات، وأكثر الشهوات التى يزينها الشيطان للإنسان هى شهوتا النساء والمال، ومجاهدة النفس فى هاتين الشهوتين إنما تبدأ بالخوف من معصية الله بارتكاب ما حرّم من زنى أو سرقة أو غصب أو نحو ذلك من الأمور المحرمة فى الحصول على اللذات، وبعد هذا الخوف من المعصية يكون التدبر والتفكر فيها وفيما تجره على صاحبها من عقاب.

ومجاهدة شهوة الفرج يستهدى فيها بما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة؛ فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»**.

ومجاهدة شهوة الحصول على المال يستهدى فيها بما رواه أبو نعيم – فى الحلية – بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسًا منفوسة لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق على أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته»**.

– ومجاهدة النفس عمل جليل الأثر إذ هو تربيةٌ إسلاميةٌ لها على احترام قيم الإسلام والالتزام بها، ولتلك التربية مجالات عديدة نذكر منها:

- مجال تعلم الدين علمًا وفهمًا: لقول الله عز وجل: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ..**﴾ [محمد: ١٩] ومعناها أن كل مسلم مطالب بأن يعلم بأنه لا إله إلا الله، وفى علم ذلك الدين كله من إيمان وإسلام وإحسان وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وجهاد فى سبيل الله تعالى.
- ومجال العمل بمقتضى هذا العلم أى ممارسة العمل الصالح لأن الله تعالى أمر بذلك فى قوله عز وجل: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠].

● ومجال تعليم الدين الحق والدعوة إليه والحركة به، فإن ذلك قد أوجبه الله تعالى كما فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

● ومجال الصبر على مشاق التعلم والعلم والعمل والتعليم والدعوة والحركة والجهاد، وذلك يفهم من قول الله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر].

– ويترتب على مجاهدة النفس والهوى مجاهدة الشيطان، لأنه الموسوس بكل شر والمزين لكل معصية، ومجاهدة الشيطان عمل كبير وجليل النفع، من انتصر فيه فقد فاز فى الدنيا والآخرة، وإنما تكون مجاهدة الشيطان فى مجالين هامّين هما:

● رفض ما يلقى فى النفس والعقل من وساوس وشبهات، ووسيلة ذلك اليقظة الإيمانية، والمسارعة بالاستغفار بعد الاستعاذة بالله العظيم، ومما يساعد على ذلك التفكر فى الدين والتدبر لأوامر الله عز وجل ونواهيه، وتلاوة القرآن الكريم فى ورد يومى مستمر، والتشبث بدعاء الله عز وجل.

● ومخالفة الشيطان فى كل ما يزينه وما يأمر به من معاص هى فى جوهرها التزام بمنهج الله تعالى، وذلك بنوعين من الصبر؛ صبر عن المعاصى بعدم الاقتراب منها، وصبر على الطاعات بممارستها والإكثار منها، وهذان النوعان من الصبر وجَّه إليهما الحديث الشريف الذى رواه مسلم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتْ الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

● وكل هذه المجاهدة التى تحدثنا عنها تحرر الإنسان من قيود الضلال وأغلال الهوى، وحبائل الشيطان، ولذلك سماها الرسول الله ﷺ: «الجهاد الأكبر» كما ذكرنا ذلك آنفًا.

ومن جاهد نفسه وهواه وشيطانه فقد حافظ على قلبه من الفساد وعلى عقله من الضلال، وعلى سلوكه من الهوى واتباع الشهوات.

٥ – ومعاقبة النفس حتى لا تستمرئ الخطأ:

المعاقبة هى: إيقاع العقوبة على من خالف الله بتجاهل منهجه ونظامه وما أحل وما حرم، والعقوبة عذاب مادى وعذاب معنوى، وقد شرع الله بعض العقوبات الدنيوية

كالحدود والقصاص ونحوهما من تعزير، وكل هذه العقوبات لصالح الناس وكف أشرارهم عن الخوض فيما يؤذى الناس.

– ومن حق الإنسان المسلم أن يعجل بعقاب نفسه عندما تقع فى الخطأ قبل أن يقع عليها عقاب المجتمع، وله أن يختار لها العقوبة التى تلائم جرمها الذى ارتكبه، ليكفها عن المعصية ولا تستمرئ الوقوع فى المعاصى، ثم ينتظرها عقاب الله يوم القيامة، إن تلك العقوبة تربية للنفس وحجز لها عن المعاصى، وحتى لا يشتط مسلم فى عقاب نفسه فيتجاوز ما أحل الله، فإن للمسلم أن يعاقب نفسه على النحو التالى:

- عند خطأ اللسان – وما أكثره – فإن العقاب المناسب لخطئه هو حرمانه من الكلام فترة تردعه، وتوظيف ورد استغفار يلتزم به، وقد يترتب على تلك العقوبة بعد عن الناس، مع اعتذار لمن أخطأ فيه، لأن ذلك هو الأصلح لخطأ اللسان.
- وعند خطأ العين إذا نظرت إلى ما حرم، فإن عقابها هو حرمانها النظر فترة من الزمن ليدرك خلال هذه الفترة حرمانه من نعمة البصر التى أساء استعمالها، مع الندم والاستغفار والتوبة.
- وعند خطأ الأذن إذا استمعت إلى ما لا يجوز الاستماع إليه، أو عدم الإعراض عن الذين يخوضون فى آيات الله، فإن العقاب الملائم للأذن هو حرمانها من الاستماع لفترة ليعلم كم أنعم الله عليه بالسمع فأساء استخدام هذه النعمة فاستحق العقاب، مع ندم واستغفار وتوبة.
- وعندما تخطئ اليد فتمتد إلى ما لا يجوز لها من ضرب أو اختلاس أو نحوهما، أو تخطئ القدم بالسعى إلى طريق حرم الله السعى فيه، فالعقاب هو حرمان اليد والرجل من الحركة حينًا ومنعهما من ممارسة ما حرم الله، مع الندم والاستغفار والتوبة.
- وعندما تخطئ البطن أو الفرج بالوقوع فى الخطأ فإن عقابهما يجب أن يكون رادعًا وقادرًا على كفهما عن الحرام، مع الندم أيضًا والاستغفار والتوبة.

– وفى كل هذه الأخطاء فإن ما يتصل منها بحقوق العباد فلا بد من أدائه لصاحبه، لأن هذا من شروط قبول التوبة كما هو معروف فى ديننا.

والنفس عندما يخطئ عضو من أعضائها بالوقوع فيما حرم الله ربما جاءها فجادل عنها وقدم لها مبررات الوقوع فى الأخطاء، تلك المبررات الشائعة فى المجتمعات التى لا تأخذ بالدين أو تلك التى لا تلتزم بقيم الدين، ومن هذه المبررات قولهم:

- الدين بيني وبين ربي ولا أحب أن يتدخل في ذلك أحد أو نظام!!!

- والحرية الشخصية حق أصيل لا أحب أن يقيده أحد أو نظام!!

- والدين أفيون الشعوب ومخدرها، وعلينا أن نقاومه!!

- والدين غيبيات لا تدرك بالحواس ونحن لا نؤمن إلا بما نحسه فنراه أو نسمعه أو نلمسه، ومن ها يبررون لأنفسهم جحود الخالق سبحانه وجحود الملائكة، والتكذيب بكل ما ينتمي إلى عالم الغيب كالبعث والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار..!!

- والدين تخلف ورجعية ونكوص بالإنسان، وربطه بالماضي المتخلف، وبظروف عصور الظلام!!!

- والدين ضدّ الإبداع والتنوير، وفنّ رقص النساء عاريات مثيرات للغرائز، وضد التمتع بكثير من الملذات!!!

- وقولهم إن الدين يحرم اللواط وزواج الرجل بالرجل والمرأة من المرأة، وتلك قيود يجب التحرر منها!!!

- والدين كهنوت وسلطة لرجاله على الناس وابتزاز لأموالهم ومشاعرهم وفرض لسلطان عالم الغيب عليهم!!!

- أو قولهم: إن الدين حرم ما لا بد منه في حياة الإنسان مثل: تحريمه خلوة الرجل بالمرأة، وتحريمه شرب الخمر ولعب الميسر، وتحريمه الربا الذي هو عندهم عصب المصارف ورجالها وأموالها، ولا يتصورون الحياة بدون هذه المحرَّمات.

- أو قولهم: إن للمرأة الحق في أن تحمل من غير زواج شرعي، ومن حقها أن تجهض حملها وقت ما تريد، ولا تقتل إن زنت مهما تكن محصنة - أي سبق لها الزواج - أما إن كانت لا تزال غير ذات زوج فإن من المهانة لها ألا يسمح لها باتخاذ خليل تمارس معه الحياة الزوجية دون زوج شرعي!!!

- أو قولهم: إن الإسلام يقيد المرأة ويكبلها ولا بد أن تحرر من هذه القيود، فتفعل ما تشاء!!! ولذلك نظموا لتحريرها من هذه القيود مؤتمرات أطلقوا عليها مؤتمرات المرأة حينًا ومؤتمرات السكان حينًا، وصال في هذه المؤتمرات أعداء الأديان وجالوا وقالوا منكرًا من القول وزورًا!!!

● إلى غير ذلك مما يلقيه الشيطان في نفوس الناس فيجادلون عن الباطل ويبحثون له عن

مبررات، والجدال عن الباطل باطل، وترك الإنسان نفسه دون مراقبة وحساب ومجاهدة وعقاب خلل اجتماعى وسياسى واقتصادى وثقافى، فقد حمل الله كل إنسان مسئولية نفسه وعمله من يوم مَنَّ عليه بالعقل والشرع وكلفه.

تلك مسئولية يسلم بها العقل السليم والحس الاجتماعى الصحيح والرغبة فى أن يتعايش الناس فى وئام وسلام، ولقد تقررت هذه المسئولية فى الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

قال الله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [فصلت: ٢٠، ٢١].

وروى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: كنا عند النبى ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**أتدرون ممَّا أضحك؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من مجادلة العبد ربه يوم القيامة؛ يقول: يا رب ألم تجرنى من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز علىّ إلا شاهداً من نفسى، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقى، فتنطق بعمله، ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام، فيقول** (أى مخاطبًا أعضاءه التى شهدت عليه) **بُعداً لكُنَّ وسحقا، فعنكن كنتُ أناضل**».

- والإنسان عندما يعاقب نفسه يربيها ويزكيها، وينقلها من نفس أمّارة بالسوء إلى نفس لوّامة، إلى نفس مطمئنة، والنفس الإنسانية صالحة لفعل الخير أو الشر، قال الله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠]. ولقد أشار النبى ﷺ إلى إصلاح النفس وتقويمها وعقابها فى حديث شريف أورده القرطبى فى تفسيره: «الجامع لأحكام القرآن» حيث قال: وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما تقولون فى صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه وأطعمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شرِّ غاية، وإن أنتم أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه، أفضى بكم إلى خير غاية**» قالوا: يا رسول الله: هذا شر صاحب فى الأرض، قال: «**فوالذى نفسى بيده إنها لنفوسكم التى بين جنوبكم**».

وقال الإمام الرازى - فى تفسيره -: «إن النفس الإنسانية شىء واحد، ولها صفات كثيرة،

فإذا مالت إلى العالم الإلهى كانت نفساً مطمئنة، وإذا مالت إلى الشهوة والغضب كانت أمّارة بالسوء، وإذا دافعت النفس شهواتها، واعترضت عليها وصفت بأنها النفس اللوّامة».

● والمسلم الذى يعمل الصالحات ويرجو رحمة ربه ويخاف عقابه؛ لا ينبغى أن يكف عن حساب نفسه وعتابها وتوبيخها وعقابها؛ يفعل كل ذلك مع نفسه قبل أن يتوجه إلى وعظ غيره، فقد قال الله تعالى: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وقد ذكرنا آنفًا الحديث الشريف «**الكَيّس من دان نفسه...**» أى حاسبها قبل أن تحاسب.

وروى مسلم بسنده عن سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله: قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» والاستقامة هى إلزام النفس بعمل الطاعات واجتناب المعاصى.

وروى أحمد بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اضمنوا لى ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**».

ومن وقع فى شيء من ذلك فليبادر إلى التوبة والندم، والإقبال على العمل الصالح، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال سَبْعًا؛ هل تنتظرون إلاّ إلى فقرٍ مُنْسٍ، أو غنًى مُطغٍ، أو مرضٍ مُفسِدٍ، أو هرمٍ مُفْنِدٍ، أو موتٍ مُجْهِزٍ، أو الدجّال فشرُّ غائبٍ يُنْتَظر، أو السَّاعة فالساعة أدهى وأمَرُّ**».

● إن عقاب النفس على الخطأ والتقصير، ليس عملاً هَيِّنًا، وإنما يحتاج إلى إيمان قوى، وتشبث بالحق، وعزيمة صلبة، وصبر جميل، وكل هذه الاحتياجات هى الجهاد بعينه، الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى والشيطان.

وبعد: فإن تحرير الإنسان؛ قلبه وعقله وسلوكه من الضلال واتباع الهوى من خلال هذه الوسائل الخمس: التفكر فى خلق الله، وأخذ العبرة من ذلك، والتفكر فى الدين الخاتم، والعمل بما جاء به، ومراقبة النفس ومحاسبتها، ومجاهدة النفس والهوى والشيطان، ومعاقبة النفس حتى لا تستمرئ الخطأ؛ كل هذه الوسائل إنما تحرر قلب الإنسان من الفساد وتحرر عقله من الضلال، وتحرر سلوكه من اتباع الهوى، وهى وسائل تربوية شرعية طالب بها الإسلام واعتمدها بأن تضمنتها آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة.

ولو تدبرنا ما جاء فى القرآن الكريم كله، تدبر المؤمنين لعلمنا أن القيم التربوية فى القرآن الكريم لا تتناهى، لأن جميع آياته فى جوهرها قيم تربوية لو تمسك بها الإنسان لنال سعادة الدنيا والآخرة، ولأصبحت نفسه هى النفس المطمئنة التى خاطبها الله تعالى فى قوله الكريم: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

فما نتائج تحرير قلب الإنسان وعقله وسلوكه من الضلال واتباع الهوى؟

د - نتائج تحرير الإنسان من الضلال والهوى:

عندما يتحرر الإنسان من قيود الضلال والهوى التى تفسد عليه قلبه وعقله وجوارحه، وتجرف أمامها قيم الدين الحق، يصبح إنسانًا كامل الإنسانية جديرًا بتكريم الله تعالى له.

- إن تلك القيود التى يفرضها الضلال والهوى تكبل القلب فتحول بينه وبين الشفافية والصفاء وحسن الصلة بالله تعالى، وتكبل العقل فتحول بينه وبين التفكر والتدبر وتجعله أسيرًا للتقاليد جامدًا على ما وجد عليه الآباء، وإن الآباء لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون، وتجعل جوارحه تستمرئ الخطأ والمعصية.

وتحرر الإنسان من هذه القيود والأغلال واجب شرعى ليصح القلب ويسلم العقل وتستقيم الجوارح.

- وعندما يتحرر الإنسان من هذه القيود فإنه يحظى عند الله تعالى بمنزلة عالية جزاء طاعته وإقباله على الله تعالى، غير أن هذا التحرر من الضلال واتباع الهوى ليس عملاً سهلاً وإنما يحتاج إلى هذا الجهاد الأكبر الذى يجاهد فيه المسلم نفسه وهواه وشيطانه، وهذا الجهاد تربية للإنسان، يحتاج الإنسان لكى يحققها إلى مزيد من الرياضة الروحية، وإلى مزيد من انفساح العقل، وعمله فى التفكر والتدبر، وممارسة حرية الاختيار، كما يحتاج الإنسان من أجل هذه التربية إلى الاستقامة على منهج الله ونظامه وما أحلَّ وما حرّم لينضبط سلوكه وتلتزم جوارحه فى إطار الإقبال على الطاعات والامتناع عن المعاصى بل اجتنابها والابتعاد عنها.

- وعندما تؤتى هذه التربية أكلها فإن أبرز ما تفضى إليه هو التحرر من الضلال ومن اتباع الهوى.

ولا بد أن يكون لهذا التحرر من الضلال والهوى نتائج إيجابية تعود على الإنسان بما

يحقق له صالح دنياه وأخراه.

ومن هذه النتائج:

- تحرر الإنسان من التقليد والجمود.
- وتعليمه أهمية الخوف من الله تعالى ورجائه.
- وتعريفه قيمة التوبة عند الخطأ.
- وتعويده الصبر على الطاعة وعن المعصية.
- وتشجيعه على شكر الله على نعمه.

ولنلق ضوءاً على هذه النتائج، والله وليّ التوفيق.

النتيجة الأولى: تحرر الإنسان من التقليد والجمود:

حَرِص الإسلام منهجًا ونظامًا - يشتمل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - على تحرير الإنسان من التقليد لغيره، ومن الجمود والتحجر؛ من أجل أن تصح حياة الإنسان على الأرض، وتوظف توظيفًا يهيئ لها العيش الكريم فى الدنيا والاطمئنان إلى الفوز بالحياة الآخرة.

والتحرر من التقليد والتبعية والجمود؛ عمل عقلى إرادى، ومن المسلم به أن الإسلام يحترم العقل ويقدره بدليل أنه جعله مناطًا للتكليف بما كلف الله به الإنسان من عقيدة وعبادة ومعاملة، بل بلغ من احترام الإسلام للعقل أن جعله قاضيًا وحكمًا فى اختيار الإيمان أو الكفر، قال تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...**﴾ [الكهف: ٢٩].

- ومن لم يحرر عقله من التقليد والجمود، فقد أهمل عقله بل عطله، ومن عطَّل عقله عمى عن رؤية الحق ومعرفته وحال بين نفسه وبين الهدى، وكان جديرًا بأن يكون أعمى فى الآخرة أيضًا، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ٧٢].

- ولكى يستطيع العقل أن يمارس عمله بصواب ودقة أنعم الله عليه بالوحى على رسله وأنبيائه، وخصوصًا خاتمهم محمد ﷺ، وبين العقل والوحى تواصل وتعانق إذ ليس فى

الوحى كله – الكتاب والسنة – شىء يتعارض مع العقل، أو يلغى وظيفته فى التدبر والتفكر، حتى ما يتصل بعالم الغيب يستطيع الإنسان أن يعقله إن جرَّد نفسه من العناد والغرور.

– والوحى يشمل – إلى جوار الكتاب والسنة – مفردات الكون كله من سماء وأرض ومياه وحجر وحيوان ونبات وجماد، وسنن كونية لا تختل ولا تضطرب، وقوانين حكم بها الله تعالى كل مخلوقاته من الأزل إلى الأبد.

– والعقل له قدراته التى جعلها الله له قياماً، وله قوانينه ومنطقه وإجراءاته، وكلها من نعم الله على الإنسان، وعندما يتجاهل الإنسان هذه القدرات وتلك القوانين فإنه بذلك يكفر بنعم الله عليه، وسريعًا ما يجد نفسه أسير التقليد والتبعية بل الجمود، فيرى الباطل حقًا والحق باطلاً، ويهرع إلى تقليد السابقين مهما كانوا على ضلال مبين، فضلاً عن كفرانه نعمة الوحى التى هى عند التدقيق أعظم نعم الله تعالى على الإنسان.

– ولسابق علم الله تعالى بأن الإنسان يعجز كثيرًا عن إدراك القوانين والقيم المنظمة لحياة الإنسان فى الدنيا والآخرة؛ أنعم الله عليه بالنبى الخاتم محمد ﷺ، وأنزل عليه خاتم الكتب وأتمها وأكملها، وجعل هذا النبى الخاتم ﷺ لا ينطق عن الهوى فى أى قضية من القضايا، وإنما ينطق بالحق راضيًا وغضبان وعصمه عن الخطايا؛ لذلك كان اتباعه ﷺ هو الهدى وهو صلاح الدنيا والآخرة، وهو الذى يفضل به المؤمن مائة أو ألفًا من غير المؤمنين، روى أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: **«لانعلم شيئًا خيراً من مائة مثله إلا الرجل المؤمن»**.

وروى الطبرانى بسنده عن سلمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس شىء خيراً من ألف مثله إلاَّ الإنسان المؤمن»**.

● واتباع الهوى يعنى – كما أوضحنا آنفًا – أن يسلم الإنسان قياده إلى شهواته أو إلى شيطانه من الإنس أو الجن، وذلك لا يقل خطراً فى إفساد الإنسان قلبه وعقله وسلوكه من الضلال نفسه؛ لأن اتباع الهوى ضلال وعجز عن التمييز بين الحق والباطل والضلال والهوى.

– وقد ذمَّ الله تعالى التقليد والجمود على ما كان عليه الآباء، فى قوله تبارك وتعالى يحكى عن أولئك المقلدين الجامدين وعجزهم عن التمييز بين الحق والباطل، وانتقام الله تعالى

منهم: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٥]. وفي هذا آيات أخرى كثيرة[١].

- وتتعلق بهذا التقليد وذلك الجمود بعض الحقائق، نذكر منها:

- أن التقليد فى الباطل مرفوض، فى حين يجوز التقليد فى الحق وفى الخير، بل يعتبر عصمة من الخطأ.

- وأن التقليد لا يقبل شرعًا فى كل مسائل الأصول كالعقيدة والعبادة واتباع الرسول ﷺ، فى حين يجوز التقليد فى الفروع لكل من ليس قادرًا على معرفة تفاصيل الفروع.

- وأجمع علماء الأمة الإسلامية على إبطال التقليد فى العقائد كلها، كتوحيد الله تعالى بالعبودية والخلق.. إلخ، وذلك أن أمر التوحيد وتعلمه والاقتناع به واجب شرعًا، وذلك يحتاج إلى الشرع والعقل ولا يجدى فيه التقليد بحال من الأحوال.

- واجمعت الأمة الإسلامية على أن الهدى فى اتباع ما جاء به رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وليس فيما كان عليه الآباء والأجداد إلا إن كانوا على الحق كآباء يوسف عليه السلام، قال الله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧، ٣٨].

والنتيجة الثانية: تعليم الإنسان أهمية الخوف من الله ورجائه:

الخوف من الله تعالى يجنب الإنسان الوقوع فى الأخطاء التى يُغضب اللهَ الوقوعُ فيها، فهو صفة من صفات الإنسان السَّوى العاقل، وكلما زاد خوف الإنسان من ربه دلّ ذلك على إيمان ذلك الخائف وصواب تفكيره؛ لذلك كان الرسول الخاتم ﷺ أشد عباد الله خوفًا من الله وخشية منه.

(١) منها: الآية ٢٨ من سورة الأعراف، والآية ٧٨ من سورة يونس، والآية ٢١ من سورة لقمان، والآية ١٠٤ من سورة المائدة.

فقد روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «... **والله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم خشية**».

– والخوف من الله أول الطريق إلى الله وإلى جنته، روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خاف أدلج**[1]، **ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**».

– وخوف الله يعنى رهبته، ورهبته سبحانه وتعالى قد ورد القرآن الكريم بالأمر بها، قال الله تعالى: ﴿ **..وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال: ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾ [آل عمران: ٢٨].

● وأما رجاء الله تعالى فهو قرين الخوف منه، والجمع بينهما من أفضل ما يقوم به المسلم من عمل كما سنورد حديثًا شريفًا بهذا المعنى بعد قليل.

ورجاء الله تعالى هو الرغبة فى عفوه ورحمته، وهذا الرجاء يدفع اليأس والقنوط، ولا ييأس من روح الله إلا الكافرون، وقد حذر الله تعالى من اليأس والقنوط ونهى عباده عن القنوط من رحمة الله، فقال تعالى: ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: ٥٣].

روى مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب منى شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب منى ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة، ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بى شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**».

روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**».

– والجمع بين الخوف والرجاء هو الأفضل، لأن الخوف من الله يكف الإنسان عن الشر، ورجاء الله يطمعه فى الرحمة والمغفرة.

---

(١) أدلج: أى سار من أول الليل، وفى الحديث: «عليكم بالدُّلجة فإن الأرض تطوى بالليل».

روى النسائى بسنده - فى السنن الكبرى - عن أنس رضى الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو فى النزع، فقال: «كيف تجدك؟» قال: أجدنى أخاف ذنوبى وأجد رحمة ربى، فقال ﷺ: «ما اجتمعا فى قلب عَبْدٍ فى هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجاه وأمَّنَه مما يخاف».

● والخوف من الله يلزم الخائف بالبعد عن الأخطاء والمخالفات والتقرب إليه سبحانه بالطاعات؛ فإن وقع منه خطأ تفاعل فيه الخوف من الله مع رجائه رحمته سبحانه، فسارع إلى الاستغفار والتوبة والندم ورد الحقوق إلى أصحابها. ودعاه رجاء الله إلى الطمع فى رحمته سبحانه ومغفرته.

- والمؤمن بهذا الخوف وذاك الرجاء يحرر نفسه من الضلال ومن اتباع الهوى، وذلك هو جهاد النفس والهوى وجهاد الشيطان وهو الجهاد الأكبر كما سماه النبى ﷺ.

والنتيجة الثالثة: تعريف الإنسان قيمة التوبة عند وقوع الخطأ منه:

التوبة باب من أبواب رحمة الله بعباده مفتوح، لا يغلقه الله تعالى فى وجه تائب، حتى إذا تعدد منه الخطأ فتابعه فى كل مرة بتوبة، هكذا كتب الله على نفسه الرحمة وقبول التوبة والفرح بها كما سنوضح فى هذه الصفحات بإذن الله تعالى.

ومع التوبة النصوح - كما سنوضح - ينحسر الضلال وتنحسم الأهواء، ويستقيم المسلم على صراط الله تعالى.

● **ومن أحكام التوبة وآدابها:**

- التوبة يسبقها العلم بالذنب والندم على وقوعه، ثم يتلو ذلك ترك الذنب والإقلاع عنه، والعزم على عدم معاودته، ولذلك عُدَّ الندم توبة؛ لما رواه الحاكم - فى المستدرك - بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة».

- والتوبة واجبة شرعًا عل كل من أخطأ، يتجه بها إلى الله سبحانه وتعالى، وبشرط أن تكون توبة نصوحًا؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿...**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١]. وقال جل شأنه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾(١) [التحريم: ٨].

---

(١) التوبة النصوح هى الخالصة لوجه الله تعالى المستوفية لشروطها من ندم واستغفار وعزم على عدم العودة للذنب.

- ومن حصافة المؤمن ورجحان عقله أن يكرر التوبة وأن يداوم الاستغفار من الذنب، فقد روى مسلم بسنده عن الأغر بن يسار المزنى قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروا فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة»**.

- والتوبة مقبولة من كل تائب ما لم يغرغر (أى تصل روحه إلى حلقومه عند الموت)؛ قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾** [النساء: ١٧].

- وليست التوبة مقبولة من نوعين من الناس:

أحدهما: مَنْ ارتكب ذنبًا واستمر على ارتكابه غير نادم ولا تائب، والآخر: مَنْ مات على الكفر.

قال الله تعالى فى هذين النوعين: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾** [النساء: ١٨].

ومن ذلك ما رواه ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لو أخطأتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم تُبْتُم لتاب الله عليكم»**.

وما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى: **«قال: أذنب عبدى ذنبًا فقال: اللهم اغفر لى ذنبى، فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، قد غفرتُ لعبدى فليفعل ما يشاء»**.

والمعنى: فليفعل ما يشاء ما دام يذنب فيتوب فأغفر له لأن التوبة تَجُب ما قبلها.

- وقد قسم العلماء التوبة إلى قسمين:

- توبة عن معصية بين العبد وربه ولا تتعلق بحق آدمى.

وهذه التوبة تقبل بثلاثة شروط:

- الإقلاع عن المعصية.
- والندم على المقارفة.
- والعزم على عدم العودة للمعصية.

● وتوبة عن معصية تتعلق بحق آدمى.

وهذه التوبة تقبل بأربعة شروط:

- الثلاثة السابقة.
- وأن يبرأ من حق من أخطأ فى حقه، فإن كان مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حَدَّ قذف ونحوه مكّنه من القصاص أو طلب منه العفو فعفا، وإن كان الذنب غيبة استحله منها.

● وإن تحرر الإنسان من الضلال واتباع الهوى يجعله مسارعًا فى الاعتراف بذنبه، مسارعًا فى التوبة منه والندم عليه، والعزم على عدم المعاودة، وذلك كله من الجهاد الأكبر الذى يجاهد فيه الإنسان نفسه وهواها وشيطانها.

والنتيجة الرابعة: تعويد الإنسان الصبر على أداء الطاعات، والصبر عن إتيان المعاصى أو مقاربتها

وتلك من أهم النتائج فى تحرر عقل الإنسان من الضلال والهوى.

● والصبر من الصفات التى يتميز بها المؤمن عن غيره، لأن الصبر فى حقيقته قدرة على مقاومة شهوات النفس، وممارستها التى لا تقرها الشريعة أو لا يقرها العقل السليم.

- وقد أمر الله تعالى بالصبر فى ثلاث وعشرين آية فى القرآن الكريم، تناولت كل معانى الصبر وأنواعه، نذكر منها:

قوله تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أى احبسوا أنفسكم على العبادة والطاعة وجاهدوا أهواءكم واصبروا عن المعاصى، وصابروا الكفار أى غالبوهم فى الصبر فلا يصح أن يكونوا أكثر صبراً منكم، وقال العلماء فى هذه الآية الكريمة: اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله.

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أى: تحمل الصبر بجهدك ومارس عبادة الله بطاعته.

– وورد الصبر فى القرآن الكريم على انه صفة فاضلة فى أربع وستين آية كريمة، نذكر منها:

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

● والصبر أنواع كثيرة منها:

– الصبر على أداء الطاعات وتحمل ما فيها من مقاومة لرغبات الإنسان وشهواته، وأنواع الطاعات كثيرة.

– والصبر عن المعاصى أى الكف عنها والاستعلاء على الشهوات فى غير ما شرع الله، وأنواع المعاصى كثيرة وهى مرتبطة بأعضاء الإنسان من اللسان والفم والفرج والعين والأذن واليد والرجل وإن كان أكثرها فى اللسان.

– والصبر على المصائب، وهذا النوع من الصبر لا يعطاه إلا المؤمن القوى الإيمان، لأنه صبر على ما يكره الإنسان.

وفى هذه الأنواع من الصبر وردت أحاديث نبوية كثيرة نذكر منها:

ما رواه الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«اعبد الله على الرضا، فإن لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير»**.

وما رواه البخارى بسنده عن عبد الله بن أوفى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى إذا مالت الشمس، قام فيهم فقال: **«يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»**.

وما رواه مالك بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله عز وجل: «إذا ابتليتُ عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى إلى عواده، أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، فإذا أبرأته، أبرأته ولا ذنب له، وإن توفيته فإلى رحمتى».

● ولعبد الله بن عباس رضى الله عنهما كلام فى أنواع الصبر قال فيه:

الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه:

– صبر على أداء فرائض الله تعالى؛ فله ثلاثمائة درجة.

– وصبر على محارم الله تعالى – أى المعاصى – فله ستمائة درجة.

– وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى؛ فله تسعمائة درجة.

● والعلماء يرون أن الصبر على المصائب أفضل رُتَب الصبر، لأن الصبر على البلاء لا يقدر عليه إلا الأنبياء؛ لشدته على النفس، ولذلك دعا رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه من اليقين ما يجعله صابرًا على البلاء، فقد روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... **أسألك من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا**».

● ومن أحسن ما قال العلماء فى الصبر قولهم: الصبر فى الله عناء، والصبر بالله بقاء، والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله جفاء.

● والصبر بكل صورة من صوره جهاد للنفس وللهوى وللشيطان وتحرير للإنسان من الضلال والهوى والشيطان، وتلك هى حرية التفكير التى يكفلها الإسلام للإنسان ليقى عقله من الضلال.

والنتيجة الخامسة: تشجيع الإنسان على شكر نعم الله تعالى

عندما يتحرر العقل من الضلال والهوى، فيفكر تفكيرًا هادئًا يتدبر فيه ما يحيط به من نعم الله، فإن هذا التحرر يعينه على أن يشكر الله على نعمه.

إن الإنسان الذى يشكر الله تعالى على نعمه يحرر عقله من ضلال كثيرًا ما يعترى بعض الغافلين من الناس الذين يتوهمون أن ما بأيديهم من نعم إنما هى من جهدهم واجتهادهم أو من ميراث آبائهم وأجدادهم.

ورائد هؤلاء الغافلين هو قارون الذى كان من قوم موسى عليه السلام، وكان الله تعالى قد

أنعم عليه من المال بقدر كبير، له خزائن لها مفاتيح لا تستطيع عصبة من الرجال أن يحملوها، فاغتر قارون وادعى أن المال إنما أوتيه على علم منه، قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٧، ٧٨].

ولقد كان قارون بئس الرائد لقومه وللناس جميعًا فى جحده نعم الله عليه بعدم شكرها، إذ خسف الله به وبداره الأرض.

● ولقد قطع الله تعالى على نفسه العهد بأن يزيد الشاكرين لنعمه من نعمه، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

● وعَلَّق الله تعالى خمسة أشياء على مشيئته، هى:

– الإغناء؛ فقال تعالى: ﴿...فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ..﴾ [التوبة: ٢٨].

– والرزق؛ فقال: ﴿..وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ.﴾ [البقرة: ٢١٢].

– والمغفرة؛ فقال: ﴿.... وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ...﴾ [النساء: ٤٨].

– وإجابة الدعاء؛ فقال: ﴿..فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ..﴾ [الأنعام: ٤١].

– وقبول التوبة؛ فقال: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ..﴾ [التوبة: ٢٧].

● وشكر الله على نعمه منزلة رفيعة فى عبادة الله تعالى وطاعته، حتى لقد أمر الرسول ﷺ بهذا الشكر أمرًا عامًا.

– فقد روى أحمد بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال: لمَّا أُنزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: قد نزل فى الذهب والفضة ما نزل، فلو أنَّا علمنا أىّ المال خير اتخذناه؟ فقال ﷺ: **«أفضله لسانًا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»**.

- وروى البيهقي - في الشعب - بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ينادى يوم القيامة؛ ليقم الحمادون؛ فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة»** قيل: يا رسول الله: ومن الحمادون؟ قال: **«الذين يشكرون الله تعالى على كل حال»** أي على السراء والضراء كما في الحديث الآخر بلفظ: **«السراء والضراء»**.

● وشكر الله على نعمه يتعلق بعمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح كلها، ولكل منها نوع من الشكر يناسبه.

- أما عمل القلب في الشكر فمعناه: إضمار الخير لكل الناس، وقصدهم به، لأن تلك صفة المؤمن يحب الخير لنفسه وللناس.

- وأما عمل اللسان في الشكر فيعني: إظهار الرضا على الله تعالى بالشكر والحمد اللائقين بجلاله سبحانه وتعالى.

- وأما عمل الجوارح في الشكر فهو: استعمال هذه الجوارح - وهي نعم من الله تعالى على الإنسان - في طاعة الله، وكفها عن معصيته سبحانه وتعالى.

وعلى سبيل المثال: فإن شكر نعمة البصر ألا يُستعمل فيما حرم الله النظر إليه، وأن يستر ما أطلعه الله عليه من عيوب الناس.

وهكذا شكر سائر الجوارح.

● وكل إنسان لا يخلو أمره من أن يكون شاكرًا لأنعم الله أو كافرًا لها، والعاقل من الناس يضع نفسه حيث يريد ويختار وهو على نفسه بصير، وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ [الإنسان: ٢، ٣].

- وشكر النعم أو كفرها اختبار من الله تعالى للإنسان، يفلح فيه من شكر، ويخسر من كفر، قال الله تعالى: ﴿ ... **فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ [النمل: ٤٠].

وعند التدبر نجد الشكر لنعم الله تعالى دليلاً على الإيمان القوى والعقل الناضج، ونجد كفر النعم دليلاً على ضعف الإيمان، وقصور العقل والغفلة والضلال.

● وعندما يتفكر الإنسان ويتدبر فيما أحاطه الله به من نعم يجدها كثيرة ومتنوعة، يعجزه

أن يحصيها مهما حاول، وحسب الإنسان أن ينظر إلى نعم الله عليه فى ذاته عقلاً وسمعًا وبصرًا ويدًا وقدمًا، وقلب وحسًا وشعورًا، وكيف يعوض الإنسان إحدى هذه النعم إن فقدها ولو استطاع تعويض بعضها كاليد والقدم مثلاً، فهل يؤدى العضو البديل نفس وظيفة العضو الأصلى الذى فُقد؟

وكم من هذه يستحيل تعويضها؟

ولكثرة هذه النعم، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال عز وجل: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وبعد: فإن تحرير العقل من الضلال ومن اتباع الهوى ومن وسوسة الشيطان وهمزه ولمزه، يؤكد أن الإسلام جعل ذلك من بين أهداف الجهاد فى سبيل الله، وهو من الجهاد الأكبر الذى يجب أن يوليه الإنسان مزيداً من الاهتمام.

وتربية الإنسان على شكر نعم الله نتيجة من نتائج تحرير الإسلام للإنسان من الضلال والهوى.

الهدف الثالث من أهداف الجهاد فى سبيل الله:

تأمين حرية العبادة ورفض عبادة العباد

لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة سعيدة راضية دون أن يعبد الله وحده لا شريك له، وينقاد لمنهجه ونظامه باتباع ما جاء به خاتم رسله محمد ﷺ.

وعبادة الله جزء من حاجات الإنسان النفسية والعقلية والدينية والاجتماعية، يضطرب إذا لم يحققها كسائر حاجاته المعنوية والمادية.

وعبادة الله وحده هدف الأديان السماوية كلها، وكلمة كل رسول وهو يخاطب قومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾(١).

وعبادة الله وحده تعنى بطلان عبادة غيره أيًا كان ذلك الغير إنسانًا أو حيوانًا أو نباتًا أو

---

(١) تكررت فى القرآن الكريم تسع مرات: الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وهود: ٥٠، ٦١، ٨٤، والمؤمنون: ٢٣، ٣٢.

جماداً أو كوكبًا أو غير ذلك، وذلك أنها تعنى الخضوع والانقياد والتذلل فلا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وسابغ النعم وهو الله تعالى.

والعبادة هى فعل المكلَّف على خلاف هوى نفسه؛ تعظيمًا وطاعة لربه سبحانه وتعالى، وهى نوعان:

- عبادة بالتسخير:

وهى عبادة لله وتذلل بحكم الفطرة التى فطره الله عليها، ويعبر عنها بالسجود، وهى عامة فى كل مخلوقات الله ما عدا الإنسان، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]. وقوله جل شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

- عبادة بالتخيير:

وهى عبادة الإنسان لربه الذى اختار الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء بعد أن فكر وتدبر فأراد أن يؤمن ولم يكرهه أحد على ذلك، وقد أمر الله تعالى بهذه العبادة، ولكن من شاء من الناس أطاع ومن شاء عصى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

- إن عبادة الله وحده، تبطل عبادة العباد لغير الله، وتنهى عبادة العباد للعباد التى هى أكثر شيوعًا فى الضالين من الناس.

ولقد أوضح القرآن الكريم أن هذه المعبودات من دون الله ومَنْ عبدوها حطب جهنم فقال تعالى مخاطبًا هؤلاء المشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩].

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

– وفي حديث شريف جامع فيما يتصل بالعقيدة والعبادة رواه أبو حاتم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، ورفعت الأقلام وجفت الصحف، واعمل لله بالشكر واليقين، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».**

وسوف نتحدث فى هذا الهدف عن نقاط أربع هى:

– المقصود بعبادة العباد.

– وضرر عبادة العباد بالإنسان.

–وكيفية تحرير الإنسان من عبادة العباد.

– ونتائج تحرير الإنسان من عبادة العباد.

ولنتحدث عن هذه النقاط واحدة فواحدة:

أ – المقصود بعبادة العباد:

عبادة العباد معناها أن الإنسان يعبد من دون الله معبوداً من عباد الله لا حول له ولا قوة ولا نفع منه ولا ضرر، وأشهر من عُبِدُوا من دون الله من الناس الأحبار والرهبان وأمثالهم، وعبادتهم تعنى: طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه وما يحلونه أو يحرمونه، والله وحده هو الذى يحل ويحرم ويأمر وينهى، وعلى عباده أن يطيعوه، لأنه سبحانه خالق الإنسان وأدرى بما يصلحه فى دنياه وآخرته، وهو رحيم بعباده، وفى غنى عنهم.

– ولقد أخبر القرآن الكريم بشرك من اتخذوا من دون الله أرباباً فقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

– وروى أحمد بسنده عن عدى بن حاتم رضى الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرَّ إلى الشام – وكان قد تنصر فى الجاهلية – فأُسِرَتْ أختُه وجماعة من قومه، ثم مَنَّ رسول الله ﷺ على أخته، وأعطاها، فرجعت إلى أخيها فرغبته فى الإسلام، وفى القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عَدىّ إلى المدينة – وكان رئيسًا فى قومه طئ وأبوه حاتم الطائى المشهور بالكرم – فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ – وفى عنق عدىّ صليب من فضة – وهو يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ..﴾ قال عدىّ: فقلتُ: إنهم لم يعبدوهم، فقال ﷺ: **«بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم»**.

– ولقد أنكر الله تعالى على من اتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا وذلك فى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

وكان هؤلاء المشركون قد زعموا أن الأنبياء أمروهم بأن يعبدوهم من دون الله، فكذّبهم الله تعالى، وأخبر أن كل من يعبدون الملائكة والنبيين مشركون.

– ومن معانى عبادة العباد؛ أن يلتجئ إليهم من يعبدونهم ويتوجهون إليهم بالدعاء فى الشدائد وأن يتوكلوا عليهم،وكل ذلك شرك أنكره القرآن الكريم عليهم فى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٤– ٦].

وقوله جل وعلا: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

والمدعو وحده هو الله تعالى الذى يستجيب لدعوة الداعى إذا دعاه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ولا يجوز الالتجاء إلى غير الله تعالى ولا التوكل على سواه، قال الله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال جل وعلا: ﴿ ... **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- ومن المسلم به في ديننا أن التوكل على الله لا ينفي ولا يمنع الأخذ بالأسباب، سواء أكانت أسبابًا جالبة للنفع أو مانعة من الضرر، فإن هذا وذاك مما شرع الله ومما دعا إليه الرسول ﷺ كالسعي على الرزق والأخذ بالأسباب التي تجلبه، فهي نفع ما في ذلك شك.

فقد روى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق خير له من أن يأتي رجلاً أغناه الله عز وجل من فضله فيسأله أعطاه أو منعه»**.

وتوقي الخطر، والحذر من العدو، واتخاذ أي أسباب لذلك مشروع فقد قال تعالى: ﴿ **وَخُذُوا حِذْرَكُمْ** ... ﴾ [النساء: ١٠٢].

وفي السيرة النبوية أن الرسول ﷺ أخذ بعدد من الأسباب في هجرته إلى المدينة المنورة مع صاحبه الصديق رضي الله عنه؛ كاختبائه في الغار، وأمر علي رضي الله بأن ينام مكانه.. إلى غير ذلك من الأسباب مع أن الله تعالى حافظه وكافيه.

وبعد: فإن عبادة العباد بكل معنى من معانيها التي ذكرنا شرك بالله تعالى وكفر لمنهجه ونظامه، وتقديس لهؤلاء المعبودين لا يستحقونه ولا هم أهل له، ومفسدة لأخلاق العابد والمعبود، وإلغاء لعقل العابد، وتعطيل لشرع الله وما أمر به وما نهى عنه وما أحله وما حرمه.

وقد جاء الإسلام ليحرر الإنسان من عبادة العابد ويوجهه إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

وتحرر الإنسان من عبادة العباد ومن تأثير هؤلاء المعبودين بما لهم من جاه ومال وسلطان، كل ذلك جهاد للنفس وللشيطان وللهوى والضلال، وهو الجهاد الأكبر كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

ب- أضرار عبادة العباد بالإنسان :

إذا كانت عبادة الله تعالى وحده تضع الناس على طريق الحق، وتقيمهم على منهج الدين الحق، وتكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة، فإن عبادة غير الله تسلبهم كل هذه الميزات، فتنحرف بهم عن طريق الحق ومنهج الدين الحق وتصيبهم بالاضطراب والضلال في الدنيا والآخرة.

● وهذا المعبود من دون الله تعالى نوعان :

- الأول : أن يكون المعبود من دون الله كوكبًا أو حيوانًا أو حجرًا أو شجرًا أو شيطانا : وعندئذ يقع الإنسان بعبادته لتلك الأشياء في أسر هذه الآلهة الباطلة وضلالها، فيدفع لذلك ثمنا باهظا من قلبه وعقله وحريته وإرادته، فتتقلص بذلك إنسانيته وتضيع كرامته.

- والثاني : أن يكون المعبود من دون الله إنسانا : وعندئذ يختلف الأمر تماما، إذ الإنسان المعبود من دون الله تأخذه العزة بالإثم فيهدد من لا يعبدونه، كان حدث من فرعون إذ هدد نبي الله موسى عليه السلام إن عبد غيره، كما حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى على لسان فرعون : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٩] وقال لسحرته عندما آمنوا بموسى عليه السلام كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الشعراء : ٤٩].

فما هذه الأضرار التي تؤدي إليها عبادة العباد؟

أبرز هذه الأضرار والأخطاء :

- الوقوع في الشرك والكفر بعبادة غير الله.

- والوقوع في تقديس من لا يستحق التقديس، وذلك فجور عن الدين الحق يوقع في الشرك أيضا.

- والإخلال بشرع الله تعالى ووحيه الذي نهى من عبادة غيره سبحانه وتعالى، وذلك من الشرك أيضا.

- وفقد الثقة في النفس والعقل والخروج عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي عبادة الله وحده.

ولتوضح ذلك ونفصله بعض التفصيل:

● الوقوع فى الشرك هو الذنب الأكبر الذى لا يغفره الله تعالى أبدا، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ**﴾ [المائدة: ٧٢].

وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ فى نخل لبعض أهل المدينة، فقال «.. **يا أبا هريرة هل تدرى ما حق الناس على الله، وما حق الله على الناس؟ قلت**: الله ورسوله أعلم، **قال: حق الله على الناس أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، فإذا فعلوا ذلك فحق عليه ألا يعذبهم**».

● وضرر تقديس من لا يستحق التقديس هو أيضا الوقوع فى الشرك، لأن التقديس لا يكون إلا لله، لأنه وحده له الكمال فله وحده التقديس أى التنزيه والإجلال.

روى ابن ماجة بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: لما رجعتْ إلى رسول الله ﷺ مهاجرةُ البحر قال: «**ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟** قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرَّت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قُلّة من ماء، فمرّتْ بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرتْ على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعتْ التفتتْ إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَر إذا وضع الله الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا، قال: يقول رسول الله ﷺ: «**صَدَقَتْ صدقتْ، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟**»

● وضرر الإخلال بشرع الله تعالى ووحيه يعنى ذهاب الإيمان كله، إذ كيف يكون الإيمان مع عبادة غير الله؟ عبادة العباد تعنى أن يتصور عابدهم أن بيدهم النفع والضر فى الدنيا، وربما ظن أن بيدهم الثواب والعقاب فى الآخرة، وهذا شرك وكفر وضلال لأن ذلك كله بيد الله وحده.

ولا يجتمع إيمان وشرك أوكفر، فقد روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يجتمع الإيمان والكفر فى قلب امرئ، ولا يجتمع الصدق والكذب جميعا ولا يجتمع الخيانة والأمانة جميعا**».

● وضرر فقد الثقة فى النفس والعقل:

إن عبادة العباد من دون الله دليل على خلل فى النفس وفى العقل على السواء، إذ لا صحة للنفس والعقل إلا بعبادة الله وحده، تلك هى الفطرة التى فطر الله عليها قلوب الناس وعقولهم.

- أما أن عبادة العباد خلل فى النفس فذلك أن الله تعالى خلق النفس حاملة لقوة الحياة والحسّ والحركة الإرادية، وجعلها أنواعا:

منها: الأمَّارة بالسوء:

التى تميل إلى ممارسة الشهوات دون ضابط، فتنزل بالإنسان إلى مستوى قريب من الحيوان همه التمتع فقط.

ومنها: اللوَّامة:

التي تلوم صاحبها على ما يمارس من أخطاء تضره وتسيء إليه، ولا تزال به حتى يقلع عن الخطأ.

ومنها: المطمئنة الى تلزم صاحبها بحميد الصفات، وتحول بينه وبين ذميمها، فترفع من شأن صاحبها عند الله وعند الناس.

- هذه النفس بكل أنواعها قد أمرها الله أن تعبده وحده لا شريك له، وحذرها من عبادة غيره سبحانه وتعالى.

فإذا عبدت النفس غير الله فقد عصت ربها وخالفت أمره فكان لابد من مجاهدتها بتنظيم شهواتها وغضبها فى إطار ما شرع الله، والنفس عندئذ عدو لصاحبها، ولذلك قيل:

« أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » وبعض العلماء كالبيهقى رحمه الله يعدون هذه الكلمة حديثا شريفا.

- وعبادة الإنسان لغير الله ناسًا أو أشياء أو شيطانا تسلب النفس صفاتها كلها فلا تصبح لوامة ولا مطمئنة بل ولا أمَّارة، وإنما هى بعبادتها غير الله أقل وأذل من أن تكون نفسا إنسانية، لأن الله تعالى كرم الإنسان ونفخ فيه من روحه ورفع شأنه وأعلاه وفضَّله فقابل كل ذلك بعبادة غيره سبحانه وتعالى.

- فإن كانت عبادته لإنسان مثله فقد ألغى نفسه وعطل وظائفها وبخاصة الجانب اللوام

منها فوقعت فى الشرك وهو أعظم الذنب وأبعده عن المغفرة، فقد روى البخارى بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أى الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**».

– وإذا خرجت عن عبادة الله وحده لتعبد إنسانا مثلها فقد وقعت فى أسوأ الحرج، لأنها عبدت إنسانا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، بل له نقائصه وضعفه وظلمه لغيره وطمعه وبخله وحسده وحقده، فكيف يستحق العبادة من كانت هذه صفاته؟

إن النفس عندما تنحدر إلى هذا المستوى تحتقر نفسها وتفقد الثقة فى إرادتها واختيارها وتعرض نفسها لعذاب الله تعالى.

– وأما أن عبادة العباد خلل فى العقل فذلك أن الله تعالى أنعم على الإنسان بالعقل وجعله مناط تكليفه بما كلفه به، وأعان الله العقل بالوحى لعلمه سبحانه أن العقل لا يستطيع وحده أن يفصل فى قضايا كثيرة بحكم قدراته التى منحه الله إياها.

● والعقل يطلق على القوة المتهيئة لقبول العلم فى الإنسان، وقيل: هو النفس الناطقة التى يشير إليها كل إنسان بقوله: أنا. وقيل: هو ما يعقل به حقائق الأشياء، أو ما يعقل الإنسان عن الخروج عن الصراط المستقيم.

وقيل: يطلق على العلم الذى يستفيده الإنسان بعقله، ومن ذلك ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٣].

– والعقل يعين النفس لتتغلب على شهواتها ويلزمها بالإطار الشرعى الذى حددته شريعة الله.

وقيل: العقل مرادف للقلب، وقد أطلق العقل فى القرآن وأريد به القلب فى عديد من الآيات الكريمة، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**﴾ [الحج: ٤٦].

● وعبادة غير الله من ناس وأشياء وشيطان تعنى أن العقل قد تعطل؛ لأن الله تعالى جعل فى العقل قوة لإدراك حقائق الأشياء فلابد أن يدرك بفطرته الحق فى وجوب عبادة الله وحده، وأن يدرك أن الباطل والضلال فى عبادة غير الله تعالى، وأن يدرك فساد عبادة الناس والأشياء والشيطان، وما لم يدرك ذلك بفطرته فهو معطل، وما لم يدرك أن عبادة العباد شرك وكفر وضلال فهو عقل فاسد.

– وعندما يرضى العقل عن عبادة الإنسان للإنسان، فإن صاحب هذا العقل عندما يصحو

من غفلته أو غفوته – ولابد أن تحدث له هذه الصحوة – يفقد ثقته فى عقله، بل يحتقر تفكيره وتدبيره، ويندم على سوء اختياره وعجز إرادته وتخبطه وضلاله.

ومن فقد ثقته فى عقله كان أشقى الناس وأبعدهم عن الرضا والسعادة، لأنه فقد عقله – على وجه الحقيقة – أى فَقَدَ الأسلوب الصحيح فى التعامل مع نفسه ومع الناس.

جـ- كيفية تحرير الإنسان من عبادة العباد:

عبادة الإنسان لإنسان مثله تفسد على الإنسان إيمانه فيقع فى الشرك، وتفسد عليه إسلامه فيقع فى الكفر، وتفسد عليه سلوكه فيقع فى الضلال، وتفسد عليه نفسه وعقله فيقع فى الحيرة والاضطراب، كما تفعل عبادة الإنسان لإنسان مثله أو لمعبود غير الله بالإنسان فتحدث به عمىً وصَمَمًا وفقداً للحس الصحيح؛ لذلك علمنا الإسلام أن لا نستسلم لهذه المفاسد وألا نخضع لهذه القيود والأغلال، وإنما نحرر أنفسنا منها عن طريق منهج بعينه وبرنامج يومى يتناول كل مظاهر حياة الإنسان ويسدد خطاه على طريق الحق، ويخرجه من الظلمات إلى النور، فكيف يكون هذا التحرر من عبادة العباد؟

ذلك ما نحاول توضيحه فيما يلى والله الهادى إلى سواء السبيل.

- إن برنامج تحرير الإنسان من عبادة العباد وتخلصه من الشرك والكفر والضلال والعمى والصمم وفقد الحسّ، يتكون من نقاط أهمها:

١- الالتزام بالعمل الصالح.

٢- واتخاذ النبى ﷺ قدوة.

٣- والتوبة النصوح عند الوقوع فى الخطأ.

٤- والمبادرة إلى أداء الكفارات مع الحرص على الفوز بالدرجات.

وبيان ذلك فى الصفحات التالية:

١- الالتزام بالعمل الصالح:

العمل الصالح هو العمل الموافق لشرع الله تعالى ومنهجه وهو الترجمة العملية عن

الإيمان وإيقاظ له إن غفا أو ضَعُف، لأن العمل الصالح طاعة لله وتعبير عن الإيمان، كما أوضح ذلك القرآن الكريم فقرن العمل الصالح بالإيمان فى آيات كريمة يزيد عددها عن المائة آية، وأثنى على العمل الصالح ووعد عليه بأجزل الثواب فى أكثر من ثلاثين آية كريمة.

- والعمل الصالح طاعة لله، وطاعة فرائض أو نوافل يتقرب بها المسلم إلى ربه، وهذه الطاعة أو ذلك العمل الصالح قد يكون ضئيلا أو قليلا، ولكنه عظيم عند الله كإماطة الأذى عن الطريق والتبسم فى وجه أخيك المسلم.

والفرائض التى فرضها الله معروفة والنوافل التى حبب الله فيها من جنس هذه الفرائض.

- وقد تتحول الأعمال العادية كالطعام والشراب والنوم ونحوها إلى طاعة لله وعبادة له تعالى إذا صحبتها النية الخالصة لله تعالى فى ممارستها تقربا بها إلى الله تعالى، وتلك رحمة من الله تعالى بالناس.

- وقد فتح الإسلام باب الصدقات على مصراعيه ليحظى الناس بثواب الصدقة؛ فجعل الكلمة الطيبة صدقة، وإطعام الابناء والزوجة صدقة، بل جعل جماع الرجل زوجته صدقة، حتى اندهش بعض الصحابة من ذلك فأزال الرسول ﷺ دهشتهم إزاء هذا التوسع فى رحمة الله بعباده؛ فقد روى أحمد بسنده عن أبى ذرّ رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عَلَى كل نفس فى كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه**» قلت: يا رسول الله من أين نتصدق وليس لنا أموال؟ قال: «**إن من أبواب الصدقة الكثير؛ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظم والحجر، وتهدى الأعمى، وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه، وتَدُلّ المُسْتَدل على حاجة له قد علمت مكانها، وتسعى بشدّة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشدّة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك، ولك فى جماع زوجتك أجْر**» قال أبو ذرّ: كيف يكون لى أجر فى شهوتى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أرأيْتَ لو كان لك ولد فأدرك، ورجوت خيره فمات، أكنت تحتسب به**»؟ قلت: نعم، قال: «**فأنت خلقته**»؟ قال: بل خلقه الله، قال: «**فأنتَ هديتَهُ**»؟ قال: بل إن الله هداه، قال: «**فأنت ترزقه**»؟ قال: بل الله كان يرزقه، قال: «**وكذلك فضعه فى حلاله، وجنّبه حرامه، فإن شاء الله أحياه وإن شاء أماته ولك أجْر**».

إن هذا الحديث النبوى الشريف وأمثاله يفتح باب العمل الصالح على مصراعيه من خلال اعمال كثيرة قد تبدو غير ملحوظة لكثير من المسلمين، وتلك رحمة من الله على الناس وتفضل عليهم.

● ومَن قام بهذه الأعمال الصالحة وهى كثيرة وبسيطة ميسورة قاصدا بها وجه الله تعالى، فقد خَلاَ قلبه من غير الله، وبرئ من عبادة غير، سبحانه، وأيقن أن عبادة الله إنما تكون بطاعته تعالى وبالأعمال الصالحة، وأن هذه الطاقة تطرد من القلب عبادة غير الله وتزيل آثارها من القلوب والعقول وأنواع السلوك كلها.

إن الالتزام بالعمل الصالح علاج لأضرار عبادة العباد ولعبادة أى معبود غير الله تعالى، وهى أضرار كثيرة – كما أوضحنا آنفا – تضر بالإيمان وبالإسلام وبالإحسان، وتضر بالنفس والعقل بل تَضُرّ بالمجتمع كله.

٢- واتخاذ النبى ﷺ قدوة:

كل ضرر يقع بالمسلم فى عقيدته أو عبادته أو سلوكه، فإن علاجه ودفعه وإزالته إنما يكون باتخاذ النبى ﷺ قدوة له فى كل اقواله وأعماله، وذلك ان الله تبارك وتعالى هيأ خاتم أنبيائه ورسله لذلك بأن عصمه عن الخطايا من جانب، وبأن ربّاه وأدّبه من جانب آخر، وأمر المسلمين بأن يتخذوه قدوة وأسوة، بل جعل هذا الأمر فى صيغة الخبر التى هى أكثر تقررا وثبوتا من صيغة الأمر، فقال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾** [الأحزاب: ٢١].

– وأبلغ الاضرار وهو عبادة العباد إنما يُدفع ذلك باتخاذ النبى ﷺ قدوة، فقد أصر ﷺ على عبادة الله وحده، وتحمل فى سبيل ذلك من المشقة والتعب مالا يتحمله إلاّ الدعاة إلى الله الذين اختارهم لنشر دينه فى الناس؛ فلقد عرض عليه المشركون – من أجل أن يخففوا عنه العناء والتعذيب والسجن والمطاردة – أن يعبدوا إلهه سنة ويعبد هو آلهتهم سنة فأبى أن يفتدى نفسه وما يعانى بعبادة غير الله، وقد سجل القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾** [الكافرون: ١-٦].

وقد قال علماء أسباب النزول فى هذه السورة: نزلت فى رهط من قريش؛ قالوا: يا محمد هَلُمَّ اتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة؛ فإن كان الذى جئت به

خيرا مما بأيدينا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذى بأيدينا خيرا مما فى يدك قد شركت فى أمرنا وأخذت بحظك. فقال: **معاذ الله أن أشرك به غيره**، فانزل الله: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ إلى آخر السورة، فَغَدَا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش؛ فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك»(١).

- إن من يقع فى عبادة العباد أو عبادة غير الله يتردَّى فى هوة ساحقة من الشرك والكفر والضلال البعيد، ولا نجاة له من ذلك إلاَّ بهدى الله تعالى، ولا طريق إلى ذلك إلا باتخاذ الرسول ﷺ قدوة فى كل أمره إن كان يرجو الله واليوم الآخر.

- ومن وسائل اتخاذ النبى ﷺ قدوة أمور عديدة معروفة لدى المسلمين، منها:

  - تدبر ما فى القرآن الكريم، والأخذ بما دعت إليه آياته من قيم، والإفادة من كل ما جاء فيه من قصة وخبر لأخذ العبرة والعظة من تاريخ الأولين فى تعاملهم مع رسل الله وأنبيائه، والتخلق بأخلاق القرآن الكريم كما كان يفعل ﷺ؛ فقد روى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والدارمى بأسانيدهم أن عائشة رضى الله عنها، سُئلت عن خلق الرسول ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. ورواه أحمد بسنده عن سعد بن هشام رضى الله عنه.

  - وقراءة أحاديثه الشريفة بشكل منتظم - كالورد اليومى - لتدبر هذه الأحاديث النبوية والأخذ بما فيها والتمسك به، إذ فى ذلك الخير كل الخير فى الدنيا والآخرة، وتلك هى القدوة به ﷺ.

  - وقراءة سيرته ﷺ قراءة واعية مستنيرة، والأخذ بكل ما جاء فيها من قول أوعمل، أو أمر أو نهى أو ندب، لأنه لا قدوة به ﷺ إلا بذلك.

- ومن اتخذ النبى ﷺ قدوة فقد نجا من كل شرّ، وفى مقدمة هذه الشرور عبادة العباد أو عبادة غير الله تعالى، والتحرر من هذا الشرك والكفر والضرر.

٣- والتوبة النصوح عند الوقوع فى الخطأ:

والتوبة من الذنب واجبة شرعا فقد أمر الله تعالى بها؛ قال الله تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١]، وقال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا**﴾ [التحريم: ٨].

---

(١) الواحدى النيسابورى: أسباب النزول. سبب نزول سورة الكافرون.

وإذا كانت التوبة عن أى ذنب واجبة شرعا، فما بالنا بالتوبة عن أعظم الذنب؟ وهو الشرك بعبادة العباد؟

– ومن رحمة الله بالمسلمين أنه فتح وقت التوبة من حين الوقوع فى الخطأ إلى أن يغرغر الإنسان، وإلى أن تتغير معالم الحياة الدنيا التى ألفها الناس، أى إلى قرب يوم القيامة.

روى الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»**.

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»**(1).

وروى مسلم بسنده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»**.

وروى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتَتْ منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، وأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخَذَ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»**.

وقد تحدثنا آنفا عن شروط قبول التوبة، ونزيد هنا أن التوبة يجب أن يصحبها استغفار، وأن شرط الاستغفار ألا يكون هناك إصرار على الذنب، فقد روى البيهقى – فى شعب الإيمان – بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه»** وفى رواية **«كالمستهزئ بآيات الله»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»**.

والتوبة من الذنب علاج لوقوع الإنسان فى الشرك وعبادة العباد، وهى تسهم فى تحرير الإنسان منها، وفى الندم على الوقوع فيها والإصرار على عدم العودة إليها.

(1) طلوع الشمس من مغربها علامة من علامات قرب يوم القيامة.

٤- والمبادرة إلى أداء الكفارات والحرص على الفوز بالدرجات:

من رحمة الله بعباده أن جعل كثيراً من الذنوب - إن لم يكن جميعها - لها كفارات إذا أداها مرتكب الذنب غفر الله له ما ارتكب من ذنب إن شاء، لأن المبادرة إلى أداء الكفارات على اختلاف أنواعها طاعة لله تعالى وامتثال لما أمر به سبحانه وتعالى.

● والكفَّارة هي: ما يستغفر به الآثم من قول أو عمل؛ مثل قوله: أستغفر الله العظيم أو أى صيغة استغفار أخرى. ومثل عمله فى صدقة أوصوم أو أدائه لديَة ونحو ذلك.

- والكفارات أنواع منها:

كفارة القتل الخطأ.

وكفارة اليمين.

وكفارة الفطر فى شهر رمضان.

وكفارة ترك بعض مناسك الحج.

وكفارة الظِّهار، وغيرها.

- وتنقسم جميع أنواع الكفارات إلى قسمين:

القسم الأول:

- كفارات حددها الشرع مثل كفارة اليمين وكفارة القتل الخطأ وكفارة الفطر فى شهر رمضان ونحو ذلك.

والقسم الثانى:

كفارات هى أعمال صالحة من قام بها كفرت عنه ذنوبه كالصلوات الخمس المفروضة فهى كفارة لما بينهن، والعمرة والحج إلى العمرة والحج، والخُطا إلى المساجد، والاستغفار فى نهاية كل مجلس، والمرض والحمى والوجع، وما يصيب المسلم من أذى أو شوكة يشاكها فى سبيل الله، والجمعة إلى الجمعة، والندم، فكل هذه كفارات للذنوب لكن لم تحدد لها الشريعة حدودا.

● وهناك ذنوب عظيمة لا كفارة لها فى الدنيا ما لم تكن توبة نصوحًا، فقد روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لقى الله لا يشرك به**

شيئا وأدى زكاة ماله طيبا بها نفسه محتسبا، وسمع وأطاع فله الجنة، وخمس ليس لهن كفارة: الشرك بالله عزوجل، وقتل النفس بغير حق أو بُهْتُ مؤمن، أو الفرار يوم الزحف، أو يمين صابرة يَقْتَطِع بها مالاً بغير حق».

وقد ورد فى السنة النبوية حديث شريف جامع فى الكفارات والدرجات،روى أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتانى ربى عز وجل الليلة فى أحسن صورة (أى فى النوم) فقال: يا محمد، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا، قال النبى ﷺ: فوضع يده بين كَتِفَىَّ حتى وجدت بردها بين ثَدْيَىَّ - أو قال نحرى - فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض، ثم قال: يا محمد، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، يختصمون فى الكفارات والدرجات. قال: وما الكفارات والدرجات قال: المكث فى المساجد والمشى على الأقدام إلى الجماعات، وإبلاغ الوضوء فى المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقل يا محمد إذا صليت: اللهم إنى اسألك الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة تقبضنى إليك غير مفتون، قال: والدرجات: بذل الطعام، وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام».**

● إن الكفارات بمعناها الذى حدده الشرع عقوبة على ذنب بعينه، والكفارات - على وجه الحقيقة - أعمال صالحة يبادر إليها المسلم، مثل البقاء فى المسجد انتظارا للصلاة القادمة، وكثرة الخطا إلى المساجد، وإسباغ الوضوء على المكاره، ونحو ذلك مما يتقرب به إلى الله تعالى.

والمسلم يحرص على نيل الدرجات عند الله بإحكام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام.

وكل تلك الكفارات والدرجات ترفع عن الإنسان أوزارا وأضرارا كثيرة، ولو كانت مثل زبد البحر، إذ سبق ذلك التوبة النصوح.

● إن الذنوب لا تستعصى على التوبة والاستغفار وإن كانت مثل زبد البحر، فقد روى أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال حين يأوى إلى فراشه: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت مثل رمل عالج، وإن كانت مثل ورق الشجر».**

وبعد . . فتلك هى وسائل العلاج وأسبابه لكى يتحرر الإنسان من عبادة العبادة أو عبادة غير الله .

د- نتائج تحرير الإنسان من عبادة العباد :

تحرير الإنسان من عبادة العباد؛ يدعم تحريره من الشرك بالله والكفر به؛ ويؤيد بل يزكى تحريره من الضلال واتباع الهوى .

إنها ثلاثة أنواع من التحرير للإنسان يُوظف كل نوع منها نفسه لخدمة النوعين الآخرين .

وقد حددنا أهداف الجهاد فى ثلاثة أهداف عامة؛ كلها تقود إلى تحرير الإنسان من قيوده وأغلاله، سواء أكانت قيدا على القلب تؤدى إلى الشرك والكفر، أم كانت قيدا على العقل تؤدى إلى الضلال والهوى، أم قيدا على القلب والعقل والسلوك تؤدى إلى عبادة العباد .

ومن نافلة الكلام القول بأن الجهاد فى سبيل الله هو القادر أكثر من غيره على تحرير الإنسان من عبادة العباد؛ فذلك مسلَّم به عند كل من يفكر تفكيرا سليما .

● ولتحرير الإنسان من عبادة العباد نتائج حاسمة ومؤثرة فى سيرة الإنسان وحياته، ومن أبرز هذه النتائج :

- التوجه إلى عبادة الله وحده لا شريك له .
- والإقبال على الله تعالى وحبه وطاعته .
- ومعرفة حقيقة الإنسان فى هذه الحياة .

ولنلق ضوءا على كل نتيجة من هذه النتائج، والله المستعان .

النتيجة الأولى : التوجه إلى عبادة الله وحده لا شريك له

من أهم نتائج تحرير الإنسان من عبادة العباد أن يتوجه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، لأن وقوعه فى عبادة العباد سوف يحمله على التفكر والتدبر والتساؤل مع نفسه فى تأمل قائلا لها أو قائلا لقلبه وعقله وسلوكه :

- كيف هانتْ علىّ إنسانيتى التى كرمها الله فرضيت بعبادة إنسان مثلى له أخطائى وعيوبى التى أعرفها جيدا؟

- كيف تجاهلتُ عقلى بل الغيته حين وقعتُ فى هذا الضلال فعبدتُ من ليس أهلا لأن يعبد؟

- كيف رضيتُ بالذل والمهانة والخضوع وضعف الإرادة أو فقدها حين استسلمتُ لإرادة إنسان مثلى يحيا اليوم ويموت غدا؟

- وكيف تجاهلتُ النفخة التى فيَّ من روح الله تعالى فَدَنَّستُها بعبادة عباده سبحانه وتعالى؟

- وكيف زاغ بصرى فلم أر؟ وكيف زاغت بصيرتى فلم أعِ؟

- وكيف غفلتُ عن النظر فى سنة الله فى الأولين والآخرين الذين عبدوا غير الله؟

● وكل إجابة عن أى سؤال من هذه الأسئلة كفيل بإخراج الإنسان أمام نفسه، مما يؤدى إلى محاولة ردّ نفسه عن الخطأ إلى الصواب، ومن الباطل إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، وفى توضيح هذه الإجابات نقول:

■ فعندما يسأل نفسه: كيف هانت علىّ إنسانيتى التى كرمها الله، فرضيتُ بعبادة إنسان مثلى له أخطائى وعيوبى التى أعرفها جيدا؟

سيجيب نفسه دون أن يستمع إليه أحد، قائلا:

لقد كان ذلك بسبب ضعفى الإنسانى الذى فطرتُ عليه.

كما قال الله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٢٨]، فخيَّل الشيطان لى أن هذا الإنسان مُبَرَّأ من الأخطاء والعيوب.. ثم أفقتُ على الحقيقة الأزلية الأبدية وهى أن كل بنى آدم خطاءون وأن خير الخطائين التوابون، وأن العصمة عن الخطأ والذنب ليست إلا لمن اجتبى الله من رسله، وأيقنتُ أن الله تعالى يغفر لمن أذنب فتاب لعلمه أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، وتذكرت قول الرسول ﷺ: **«والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم»**(١).

● وبهذه الإجابة يخرج الإنسان نفسه من عبادة العباد إلى عبادته وحده لا شريك له أى يتحرر من عبادة العباد.

---

(١) رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، ورواه غيره من علماء السنة النبوية المطهرة.

– وعندما يسأل نفسه: كيف تجاهلتُ عقلى بل ألغيتهُ حين وقعتُ فى هذا الضلال فعبدتُ من ليس أهلا لأن يعبد؟

سيجيب نفسه فى خلوة من الناس قائلا:

نعم تجاهلت عقلى بل فقدته حينا من الزمن حين وقعتُ فى هذا الضلال البعيد، فأفقتُ وثاب إلىّ عقلى، فرأيتُ الحق حقًّا فاتبعته والباطل باطلا فاجتنبته، فرجعت إلى ربى أعبده لا أشرك به شيئا ولا أحداً.

وبهذه الإجابة وهى سهلة ميسورة – لكل من ثاب إليه عقله – يخرج الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

– وعندما يسأل نفسه: كيف رضيتُ بالذل والمهانة والخضوع وضعف الإرادة أو فقدها حين استسلمت لإرادة إنسان مثلى استعبدنى مع أنه يحيا اليوم ويموت غدا؟

سوف يجيب نفسه خاليا يظن أن ليس عليه رقيب قائلا:

لقد أذللتُ نفسى وأهنتها حين خضعتُ لإنسان مثلى استعبدنى فعبدته، فألغيتُ إرادتى واهنت نفسى، وأنسانى شيطانى أن هذا الذى عبدته سوف يموت عندما ينقضى أجله القريب كأجلى، فلمتُ نفسى الذليلة الجريحة بعبادة غير الله، فأفقتُ وعجلتُ إلى ربى ليرضى عنى بعدما أنار لى الطريق.

وبهذه الإجابة تعود إليه كرامته، وتبرأ من المهانة إنسانيته، متجها إلى عبادة الحى الذى لا يموت الذى كرم الإنسان وفضله على كثير من خلقه.

– وعندما يسأل نفسه: كيف تجاهلتُ النفخة التى فىّ من روح الله فدنَّستُها بعبادة عباد الله من دونه؟

سوف يجيب باكيا نادمًا صادقا مع نفسه: نعم لقد تجاهلتُ أو تناسيت أشرف ما فى الإنسان وأنبله وهى النفخة التى فىّ من روح الله، تلك النفخة التى تؤهلنى إلى حب الخير وكراهية الشر وحب الناس وإيثار الحق، فاستيقظت على نداء ينبع من داخلى قائلا لى: أدرك نفسك قبل أن يفوت الأوان، وتب عن هذا الباطل قبل الغرغرة، وإلا خسرتَ خسرانا مبينًا، فهرعتُ إلى تطهير نفسى من دَنَس عبادة العباد، وتبتُ إلى الله توبة نصوحا، مستبشرا بعودتى إلى رحاب الإيمان وتوجهت إلى عبادة ربى لا أشرك به أحدا.

وهو بهذه الإجابة يكون قد طهر روحه الشريفة بما فيها من روح الله وملاها باليقين والإيمان، وألبسها ثياب العزة والكرامة، ووشاها بالطاعة للمعبود بحق الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا وليًا من الذُّل، فكيف يكون له شريك؟

- وعندما يسأل نفسه: كيف زاغ بصرى فلم أر؟ وكيف زاغت بصيرتى فلم أع؟

سيجيب هامسًا راجيًا الا يراه أو يستمع إليه أحد، قائلا:

إن البصر قد ينخدع فيرى القبيح جميلا والمريض صحيحا والبعيد قريبا، وقد تغيم الرؤية حتى تعمى الأبصار، وهذا ما حدث منى فلقد رأيت الظلام نورا والليل نهارا، والعباد آلهة فخدعتُ فانخدعتُ حتى وقعتُ فى ديجور عبادة العباد من دون الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، حتى تداركنى الله برحمته وردّ إلىّ بصرى فرأيت الرؤية الصحيحة، فرأيت العباد ليسوا أكثر من ذلك، وما كان لهم أن يكونوا معبودين من دون الله وما كان لنا أن نتخذهم آلهة.

وأما البصيرة فقد عميت عما عمى عنه البصر فلم تدرك الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال، فعلمتُ أن البصيرة عندما تضل فإنها هي التى تعمى البصر، وأدركتُ حكمة الله تعالى فى قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾ [الحج: ٤٦] فلما تداركنى الله برحمته فأنار بصيرتى فرأتْ الحق حقا والباطل باطلا؛ هَدَى بصرى فرأيت عباد الله عباداً، وأيقنتُ أنه لا معبود بحق سوى الله سبحانه وتعالى.

والإنسان إذا أجاب هذه الإجابة فقد هداه الله، وأنار بصيرته فاستنار بصره، فأيقن أن لا معبود بحق سوى الله تعالى.

- وعندما يسأل نفسه: كيف غفلتُ عن النظر فى سنة الله فى الأولين والآخرين الذين عبدوا غير الله؟

سيجيب - وقد انتعشتْ ذاكرته عندما أعاد النظر والتدبر فى خاتم الكتب السماوية الذى نزل على خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام، فوجد سنة الله فيمن عبدوا سواه لاتتخلف ولا تختلف، وإنما هى تجرى كما جرت فى الماضى وكما ستجرى فى الحاضر والمستقبل قاضية بهلاك من عبدوا غير الله من العباد، كما جاء ذلك عن فرعون العبد الذى أمر الناس بعبادته، فى قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨)**

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٣٨-٤٢].

تلك سنة الله فيمن عبدوا العباد، وفيمن عُبدوا من دون الله ولن تجد لسنة الله تبديلا فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل.

فإذا أجاب الإنسان هذه الإجابة خرج - بفضل من الله تعالى - من شرْك عبادة العباد، فاستيقظ قلبه واستنار عقله، وتنبهت بصيرته فرأى الحق حقا فاتبعه فأبى أن يعبد غير الله تعالى.

والنتيجة الثانية: الإقبال على الله تعالى وحبه وطاعته

التحرر من عبادة العباد يُخْلى قلب الإنسان من الباطل، ويباعد بين عقله والضلال، وينفى عن سلوكه الانحراف، وعندئذ يتجه إلى الحق، ويألف الهدى، ويتمسك بالاستقامة، وهذا معناه أن يعبد الله وحده لا شريك له، ولقد طالب القرآن الكريم الناس بالفرار إلى الله من الباطل والضلال والانحراف، ودعاهم إلى توحيده سبحانه وتعالى بالعبادة، قال تبارك وتعالى: **﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾** [الذاريات: ٥٠-٥١].

- ومن تحرر من مصيبة عبادة العباد وتخلص من الذنب الأعظم الشرك بالله بالتوبة والاستغفار، فإنه سيجد نفسه وقد صفا قلبه ووعى عقله واستقامت جوارحه - متجهًا إلى الله تعالى مقبلا عليه محبا له، ممتثلا لأمره مجتنبا لكل ما نهى عنه، مطيعا لله متقربا إليه بهذه الطاعة.

- ومن أقبل على الله بهذه النية وذاك الإخلاص، أقبل الله تعالى عليه بالعون والتوفيق والرحمة والمغفرة، فقد روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: **«إذا تقرب العبد إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا، وإذا تقرب إلىّ ذراعا تقربت منه باعًا، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة».**

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى قال: مَنْ عادَى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما**

افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنّه».

● وعبادة الله وحده بطاعته هى أوسع الغنى فى الدنيا والآخرة، الغنَى المادى والمعنوى:

روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إن الله تعالى يقول: «ابن آدم، تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنًى وأسد فقرك، وإلاَّ تفعلْ ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك».**

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى مَلأ ذكرته فى مَلأ خير منهم، وإن تقرب إلىّ بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلىّ ذراعا تقربت إليه باعًا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة».**

● والإقبال على الله بطاعته سبحانه وتعالى وإخلاص العبادة والعمل له وحده، يجزى عليه الله سبحانه وتعالى بأن يُقبل على عبده ويحبه ويوفقه ويغفر ذنوبه.

- وقد يقول أحد الناس ممن كانوا يعبدون العباد ثم تابوا: كيف يغفر الله هذا الذنب العظيم؟

والجواب: أن التوبة والندم والاستغفار والعزم على عدم المعاودة، والتوجه إلى الله وحده بالعبادة قد وعد الله بقبول تلك التوبة ومغفرة هذه الذنب العظيم.

روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله عز وجل: يا ابن آدم، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرتُ لك ولا أبالى، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا؛ لأتيتك بقرابها مغفرة».**

- ومما هو ثابت فى الدين الحق خاتم الأديان، أن من أقبل على الله وأحبه، أقبل الله عليه وأحبه - كما ذكرنا آنفا - وجبت فيه خلقه سبحانه وتعالى، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أحَبَّ الله عبداً، نادى جبريل: إنى قد أحببت فلانا فأحبّه، قال: فينادى فى السماء ثم تنزل له المحبة فى أهل الأرض، فذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ وإذا أبغضه نادى جبريل: إنى قد أبغضت فلانا فينادى فى السماء، ثم تنزل له البغضاء فى الأرض».**

– ومن علامات الإقبال على الله الاستغفار من الذنب والإقلاع عنه، فقد قال الله تعالى: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ② وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ [هود: ٢-٣].

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»**.

– ومن علامات حب الله والإقبال عليه تقواه على كل حال، لتنال مغفرته، فقد روى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] فقال: **قال الله عز وجل أنا أهل أن أُتقى فلا يُجعل معى إله آخر، فمن اتقى أن يجعل معى إلها آخر فأنا أهل أن أغفر له»**.

وروى البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنَّ النبى ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار يقول الله عز وجل: من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما، فيُلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبَّة فى حميل السيل، أو قال: (حمية)، وقال ﷺ: ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية»**.

تلك نتيجة الإقبال على الله وحبه وطاعته، وهى إحدى نتائج تحرير الإنسان من عبادة العباد.

والنتيجة الثالثة: معرفة الإنسان لحقيقته ووزنه الصحيح بين مخلوقات الله تعالى

تحرر الإنسان من عبادة العباد، وتوجهه إلى عبادة الله وحده، وإقباله على الله تعالى وحبه وطاعته؛ يهيىء للإنسان أن يعرف حقيقته، وحقيقة مَنْ عبده من دون الله، وذلك عندما يحسن القراءة والاستماع والتدبر لآيات الله فى كتابه الخاتم وفى أحاديث النبى ﷺ، وكيف أوضحا بدقة وحياد صورته الحقيقية التى خلقه الله عليها، وإمكاناته التى هيأها الله له، دون مبالغة فى شأنه – على الرغم من تكريم الله تعالى له، وليس التهوين من شأنه فى شىء – على الرغم من أن شركه بالله يلحقه بأحط المنازل – وحسب الكتاب والسنة دقةً وحياداً فى توضيح صورة الإنسان على النحو الذى ندركه فى النقاط التالية:

– أن الإنسان روح وجسد وأن لكليهما مطالبه.

– وأنه مسئول عما يفعل ومجازًى عليه.

– وأنه مكلَّف من قبل الله تعالى.

● **فالنقطة الأولى: وهي أن الإنسان روح وجسد لهما مطالبهما.**

فذلك معناه أن حياة الإنسان لا تستقيم في هذه الدنيا إلا أن استجاب لمطالب روحه وجسده، وفي ذلك جاء قول الله تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [القصص: ٧٧].

- فابتغاء الدار الآخرة مطلب للروح، يقوم على الإيمان بالغيب المؤدي إلى العمل الصالح الموافق لشرع الله، ولا استقرار لروح الإنسان إلا بالإيمان والعمل الصالح، الإيمان بالغيب بالله وملائكته واليوم الآخر والحساب والجزاء والجنة والنار.

- وعدم نسيان الإنسان نصيبه من الدنيا يعني أن يتمتع بالطيبات التي هي مطالب جسده في إطار ما أحل الله، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ** ﴾ [المائدة: ٨٧-٨٨].

فالسعي من أجل الحياة الدنيا على الرزق استجابة لمطالب البدن المشروعة ليس ضلالاً ولا تنكبا لسبيل الحياة الآخرة، بل ذلك هو الأصل كما دلَّت على ذلك آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية.

- وليس في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كلمة واحدة تدل على خصام أو تعارض بين الروح والجسد، وإنما هو الانسجام والتلاؤم واحترام مطالب كل منهما في إطار الشرعية.

وإذا كانت مطالب الروح هي الشوق إلى الله والرغبة في توثيق الصلة به سبحانه والقرب منه وحبه، فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لم يحظرا شيئا من ذلك، وإنما أباحاه بغير مبالغة ولا تقصير، بغير تطرف ولا إهمال، بغير إيغال في التصوف، ولا تجاهل لحاجات الروح.

وإذا كانت مطالب الجسد طعامًا وشرابًا وتزوجًا وملبسًا ومسكنًا ومركبًا، فإن الكتاب والسنة قد أباحا ذلك بل دَعَوا إليه وحببا فيه، وشرطا عدم الإسراف وعدم التقتير وعدم التكالب على تحقيق مطالب الجسد.

● ومطالب الروح تمثل غذاءً لها، وهذا الغذاء أنواع منها:

- عبادة الله وحده - إذ الروح نفخة منه سبحانه - فهذه العبادة وفق ما شرع الله تجلو الروح

وتخلصها من البلادة والقساوة، والانزواء عن الناس، وطريق العبادة هو أداء الفرائض وشفعها بالنوافل، والإنسان على وجه الحقيقة ما خلق إلا ليعبد الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

– وذكر الله بالثناء عليه والتفكر في مخلوقاته سبحانه وتعالى، فإن هذا الذكر من شأنه أن يجعل الروح صافية من الشوائب تحسن التَّلَقِّي عن الله وحده، وتقبل على طاعاته، وكلما غذَّتْ نفسها بالذكر عاشت حياة طيبة مطمئنة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

– ومن غذاء الروح حب الله والثقة فيه، وحب الناس وحب الخير لهم، فإن ذلك الغذاء ينقذ الروح من شوائب الغفلة عن الله، أو التذمر من قضائه وقدره، فقد روى الترمذي بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»**.

ومن حب الله والثقة فيه الرضا بربوبيته وبدينه وبخاتم رسله محمد عليه الصلاة والسلام، فذلك غذاء للروح المؤمنة، روى الترمذي بسنده عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً»**.

– ومن غذاء الروح إحساسها بوجود الله، وإحسانها مراقبته سبحانه، وأن يتعمق فيها الإحساس بأن الله تعالى يراقبها، وهذا يصل بها إلى درجة عالية من الإحسان فالله سبحانه كتب الإحسان على كل شيء، كما هو ثابت في السنة النبوية.

– ومن غذاء الروح اللهج بالثناء على الله بتلاوة القرآن الكريم والأذكار والأوراد، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وروى أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض»**.

وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذكرات»**.

وروى البيهقي – في السنن – بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سرَّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف».

● ومطالب الجسد تمثل غذاءً له وهذا الغذاء أنواع كذلك لكن لا يجهلها الناس كما يجهلون غذاء الروح.

ومطالب الجسد كثيرة متنوعة أهمها ما به المحافظة على حياته وطاقاته، كالطعام والشراب والدواء، وما به بقاء نوعه كالتزاوج، وما به حصوله على حاجاته كالعمل والسعي في مناكب الأرض للحصول على الرزق، وما به ترويضه والترفيه عنه، كرغبته في الكماليات والتحسينات.

وكل هذه المطالب شرعها الإسلام في غير إسراف ولا تقتير وتحدثت عنها آيات القرآن الكريم وكلمات النبي ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١-٣٣].

– والسنة النبوية حافلة بالأحاديث في هذا المجال، غير أننا لا نستطيع ذكر كل ما ورد في ذلك – وقد ذكرنا كثيرا منه في هذا الكتاب – لكننا نكتفي باليسير والله الموفق.

روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خَلَفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفًا».

وروى البخاري ومسلم بسنديهما عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على مَنْ عرفت ومَنْ لم تعرف».

وروى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها».

وأما النقطة الثانية: وهى أن الإنسان مسئول عما يفعل.

فذلك معناه أن الله تبارك وتعالى سوف يسأل كل إنسان عما قدمت يداه فى الدنيا من عمل حسن أو سيئ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣].

وقال جل شانه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»(١).

وإذا كان الإنسان مسئولاً أمام الله عن قوله وعمله وما قدمت يداه فى الدنيا، فلا شك أنه محاسب ومجازى عن عمل الخير ثوابًا وإحسانًا، وعلى عمل الشر عقابًا وتعذيبًا.

وتلك عدالة بغيرها لا تستقيم للمجتمع حياة، بل يأكل القوى الضعيف، ويظلم الغنى الفقير، وتصبح الحياة الدنيا فوضى لا ضابط لها ولا رابط.

والإنسان كما قال عنه الله تبارك وتعالى فيه من النقائص والقدرة على الشر شيء كثير، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]،وقال عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢].

أما أولئك الذين يغالون فى تقدير الإنسان فينادون له بالحرية الشخصية التى يمارس من خلالها ما يفسده ويفسد المجتمع الذى يعيش فيه، فاولئك واهمون مغرورون لا يستطيعون أن يفرقوا بين الحق والباطل، وليسوا أهلا لمعرفة ما يصلح الإنسان ولا ما يصلح المجتمع.

ومثل هؤلاء المغالين فى حقيقة الإنسان أو الذين هونوا من شأنه فحرموه من حقوقه وقهروه باسم المجتمع حينا وباسم النظم الحاكمة الشمولية حينا وباسم الأحزاب حينا، وباسم العولمة أحيانا، فاولئك أيضا يجهلون ما يُصلح الإنسان ويُصلح به المجتمع الذى يعيش فيه.

---

(١) لنا كتاب موسع فى فقه المسئولية نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

والتوسط والاعتدال فى تصور الإنسان هو الذى جاء به الدين الذى اختاره الله ليختم به الأديان السماوية، والذى اختاره له الأمة الوسط.

وأما النقطة الثالثة: فهى أن الإنسان مكلف من قبل الله تعالى:

وهذا التكليف يعنى - عند تحليله - مجموعة الاوامر والنواهى التى امر الإنسان بادائها أو بالانتهاء عنها، ولأن الله تعالى هو الذى خلق الإنسان ويعلم ما يضره وما ينفعه فى دنياه وآخرته، فإن الأمر أو النهى إن جاءا منه سبحانه وتعالى، فسوف يكون ذلك لصالح الإنسان فى دنياه وآخرته.

- ومن أجل أن الله تعالى فطر الإنسان على القدرة على الطاعة لأمره ونهيه أو المعصية لهما، فقد تولدت عن ذلك مسئولية الإنسان عن طاعته أو معصيته لا يحمل عنه احد هذه المسئولية فيخلصه منها، ولا يحمل هو مسئولية غيره من الناس، لأن الله تعالى قرر ذلك فى قوله تعالى: ﴿... كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]. حتى على مستوى الأمم لا تحمل امة مسئولية امة أخرى لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

- وحرية الإرادة والاختيار هى التى جعلت الإنسان مسئولاً عما يفعل من خير أو شر، وهى حرية خلق الله الناس بها، وكفلها الإسلام وحافظ عليها وحظر انتقاصها او جحدها أو انتهاكها. بل جعل عقوبات على كل معتد عليها أو منتقص لها فى الدنيا والآخرة؛ فعقوبات الدنيا القصاص والحدود، وعقوبات الآخرة العذاب فى جهنم إلا أن يعفو الله تعالى ويغفر، لأنه سبحانه هو أهل التقوى والمغفرة.

- والإنسان مكلّف من يوم يبلغ الحلم رجلاً أو امرأة، ولا يسقط عنه هذا التكليف إلا إذا زالت أهليته، كفقد العقل أو الإكراه أو نحو ذلك.

- ولا يسقط التكليف عن المكلّف بادعاء أنه لا يستطيع، لأن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها،ولو علم عدم استطاعته ما كلفه.

- ولا يسقط التكليف بادعاء الجهل بما كُلّف به إذا كان يعيش فى بلاد الإسلام لأن عليه أن يسأل أهل العلم حتى يعلم ما كُلف به فيؤديه، وعلى مَنْ سئل عن أمر من أمور الدين وكان يعلمه أن يجيب مَنْ سأله، بحيث لو كتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة.

وفى ظروف يسر الاتصال والمواصلات اليوم فإن أحداً من المسلمين لا يستطيع ترك التكاليف الشرعية بحجة الجهل.

● ومن المسلمات فى مجال تكليف الله لعباده:

– أن المكلِّف هو الله وحده دون سواه.

– وأن المكلَّف هو الإنسان الذى يملك الإرادة والاختيار، وأن غير الإنسان من المخلوقات مسخر لا مكلَّف.

– وأن التكليف موضوعه الأمانة أى التكاليف الشرعية من أمر ونهى وندب واستحباب.

– وأن التكليف الشرعى ليس فيه ما يشق على المكلفين أو يوقعهم فى الحرج أو العنت.

– وأن التكاليف الشرعية دعم لمكانة الإنسان فى الحياتين الدنيا والآخرة، وتشريف له بين مخلوقات الله تعالى.

– وأن أداء الإنسان لما كلفه الله به من قول وعمل أو صمت وتَرْك إنما هو دعم لإنسانية الإنسان.

– وأن إهمال التكاليف الشرعية خسارة للإنسان وللمجتمع الذى يعيش فيه، خسارة دنيوية وأخروية.

وبعد:

فبهذه النقاط الثلاث: أن الإنسان روح وجسد، وأنه مسئول عن نفسه وعمن يرعاه، وأنه مكلف بتكاليف شرعية فى أدائه لها صالح دنياه وأخراه، بهذه النقاط يرسم الإسلام للإنسان صورة حقيقية دقيقة الأبعاد واضحة المعالم، لا مبالغة فيها ولا قصور.

تلك حقيقة الإنسان وهذا وزنه بين مخلوقات الله تعالى، الإنسان الذى كرمه الله تعالى وحمله فى البرّ والبحر ورزقه من الطيبات، وسخر له ما فى السموات والارض وفضله على كثير من خلقه.

ومن كانت هذه حقيقته وذاك وزنه بين مخلوقات الله تعالى فهو حَرِىّ بان يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا من عباده أو من مخلوقاته.

ولا يَتَنَقَّى قلب المؤمن وعقله وعمله من جريمة عبادة العباد من دون الله إلا إن عرف حقيقة نفسه، ومكانتها بين مخلوقات الله تعالى ليسلك السلوك الرشيد، ويقاوم أعداء قلبه وعقله وجوارحه.

وتلك المقاومة هى من الجهاد الأكبر الذى يعد إلى جانب جهاد أعداء الله دعامات قوية يقوم عليها جهاد الأعداء، بل لا يستطيع أن يقاوم عدوه ويجاهده من لم يجاهد نفسه وهواه وشيطانه.

وبعد:

فما هى مراحل الجهاد فى سبيل الله تعالى؟

ذلك ما نحاول الإجابة عنه فى الصفحات التالية.

■■■■

الفصل الثالث

مراحل الجهاد فى سبيل الله تعالى

كانت سيرة النبى ﷺ مرجعى الأول فى تحديد مراحل الجهاد فى سبيل الله، ومعرفة طبيعة كل مرحلة وأهداف الجهاد فيها، وأعاننى على ذلك التدبر فى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ.

وتلك المراحل هى:

مرحلة الصبر والاحتمال والتسامح مع الأعداء.

ومرحلة الدفاع وردّ العدوان.

ومرحلة نشر الدين الحق وتأمين طريقه.

ومرحلة قتال أعداء الله جميعًا.

ومرحلة تطهير جزيرة العرب من المشركين ومن أى دين غير الدين الحق.

وإلى توضيح هذه المراحل، والله تعالى المستعان.

المرحلة الأولى: مرحلة الصبر والاحتمال والتسامح مع الأعداء

كانت تلك هى المرحلة الأولى من مراحل الدعوة، من يوم أن جهر الرسول ﷺ بدعوته، بعد أن نزل عليه قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾ [الشعراء: ٢١٤ - ٢١٧]؛ فقد روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ...**﴾ صعد النبى ﷺ على الصفا فجعل ينادى: **يا بنى فهر، يا بنى عدىّ، لبطون قريش**؛ حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؛ فجاء أبو لهب وقريش؛ فقال النبى ﷺ: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدّقىّ؟**» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «**فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد**» فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم،

ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤ ﴾ [سورة المسد].

منذ ذلك التاريخ وما بعده إلى أن لحق الرسول ﷺ بربه سبحانه وتعالى.

وكانت هذه المرحلة إيذاءات تتوالى على النبى ﷺ وأصحابه، إيذاء بالقول وإيذاء بالعمل، ضربًا وحبْسًا وتحديًا بلغ مداه، يحدث ذلك كله والرسول ﷺ يحتمل وربه سبحانه وتعالى يُصَبِّره، ويعلمه كيف يتعامل مع هؤلاء الأعداء أهل الشر من المشركين، فى تلك الأثناء نزل عليه قوله الله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑩ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠ - ١١]. وقوله عز وجل: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ... فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النمل: ٧٠]. وقوله جل ثناؤه: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ㉝ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٣ - ٣٤]. وقوله عز وعلا: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

● ولقد كان الإيذاء للرسول ﷺ ولأصحابه رضى الله عنهم متنوعًا فى مكة بين التكذيب والسَّب والاستهانة وإلحاق الأذى البدنى، والمقاطعة الاجتماعية، والحبس فى شعْب بنى هاشم، وكتابة صحيفة ظالمة علقتْ فى جوف الكعبة، ومحاولة القتل، وكل ذلك طالب الله النبى ﷺ وصحابته أن يتحملوه وأن يحتسبوا أجرهم فى هذا التحمل عند الله.

ثبت ذلك بالسنة النبوية المطهرة:

- فقد روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقد أُخفتُ فى الله وما يُخاف أحد، ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علىَّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كَبِد إلا شيئًا يواريه إبط بلال».**

ولقد نال الصحابة رضى الله عنهم فى مكة، ما نال رسولَ الله ﷺ من الأذى والتضييق

والعنت، ومع ذلك لم يسمح رسول الله ﷺ بالرد على هذا العدوان وإنما أمرهم بالصبر والاحتمال، على الرغم من أن بعضهم قد شكا إليه ما يتعرضون له وطلبوا منه أن يدعو لهم.

– روى البخاري بسنده عن خبّاب بن الأرَتّ رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ – وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين، فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا، فقال: **«قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصدُّه ذلك عن دينه، والله ليُتمَنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»**(١).

– وروى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: **«لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيتُه منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك.. وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئتَ؟ إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين»**(٢). فقال النبي ﷺ: **«بل أرجو أنْ يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»**.

● وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم وقد اشتد بهم أذى المشركين – في مكة – يطلبون من النبي أن يأذن لهم في قتال من يؤذونهم، فيجيبهم قائلاً: **«اصبروا فإني لم أومر بالقتال»**.

– وروى النسائي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له، أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله: إنا كنّا في عزّ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنّا أذلّة، فقال: **«إني أُمرتُ بالعفو فلا تقاتلوا»**.

---

(١) وللبخاري رواية أخرى لهذا الحديث أكثر تفصيلاً.

(٢) الأخشبان: جبلان يحيطان بمكة.

قال الواحدى - فى كتابه أسباب النزول - فى قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ [النساء: ٧٧]، قال الكلبى: نزلت هذه الآية فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون، وسعد بن أبى وقاص - رضى الله عنهم؛ كانوا يلقون من المشركين أذى كثيراً، ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم: **كُفُّوا أيديكم عنهم، فإنى لم أومر بقتالهم**، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمرهم الله بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

● ولقد كان الرسول ﷺ وصحابته رضى الله عنهم مُثُلا عُلْيا فى الصبر والتحمل لأذى المشركين، مما تفيض به كتب السيرة النبوية المطهرة.

ولقد كان بعض الصحابة رضى الله عنهم قادراً بنفسه أو بذويه أن يردّ على المشركين إيذاءهم بإيذاء مثله أو أشد منه، ولكن الرسول ﷺ لم يأذن لهم فى ذلك، بل كان يصبِّرهم ويقول لهم: **«إنى أُمِرْتُ بالعفو فلا تقاتلوا»**.

ولما ثارت حمية سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه - وهو من بنى زهرة - أخوال النبى ﷺ، فردّ على أحد المشركين أذاه؛ لامه رسول الله ﷺ.

روى ذلك ابن إسحق - فى السيرة - قال: «كان أصحاب النبى ﷺ إذا صَلَّوا ذهبوا فى الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْى فَشَجّه، فكان أول دم أهريق فى الإسلام، فلما علم رسول الله ﷺ بموقف سعد لامه، وقال له: **«لم نُؤمر بذلك يا سعد»**.

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مضرب المثل فى الجرأة فى الحق، وفى تحمل الأذى فى سبيل الله، وإعلان دين الله؛ فقد ذكر ابن كثير - فى كتابه: - البداية والنهاية - بسنده عن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق[1] عن عمته عائشة زوج النبى ﷺ قالت: لما

(١) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، تابعى ولد سنة ٣٣هـ وتوفى ١٠٣هـ، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة.

اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر - رضى الله عنه - على النبي ﷺ في الظهور، فقال: «يا أبا بكر إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا - ورسول الله ﷺ جالس - فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ؛ وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُربوا في نواحي المسجد ضربًا شديداً، ووُطِئ أبو بكر وضرب ضربًا شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يُعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار؛ فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فَمَسُّوا منه بالسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: أنظرى - أى انتظرى - أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إيَّاه، فلما خلت به ألحتْ عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله مالى علم بصاحبك، فقال: اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أُمَّ جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك، قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دَنِفًا، فدنت أمُّ جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن أبي الأرقم، قال: فإن لله عليَّ ألا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى آتى رسول الله ﷺ، فأمهلتا حتى إذا هدأتْ الرِّجل، وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، قال: فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبَّله وأكبَّ عليه المسلمون، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمّي برَّة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهرًا وهم تسعة وثلاثون رجلاً(١).

(١) الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية: ٣ / ٣٠ ط السلفية بمصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

وبعد:

فلقد كانت هذه المرحلة مرحلة صبر واحتمال للأذى وتسامح مع أعداء الله، وكان ذلك الصبر جهاداً في سبيل الله، ما في ذلك من شك، عند مَنْ يفقهون الجهاد في سبيل الله ويفقهون الإسلام، ويدركون الأمور على وجهها الصحيح.

والمرحلة الثانية: مرحلة الدفاع وردّ العدوان

وهذه المرحلة - تاريخيًا - هى المرحلة التى أعقبت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وقد نزل فى الجهاد وفى هذه المرحلة آيات ثلاث هى قول الله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [الحج: ٣٩ - ٤١].

وقد نزلت هذه الآيات الكريمة الثلاث بعد ظروف وملابسات أحاطت بالرسول ﷺ وأصحابه بالمدينة بعد الهجرة النبوية، وكان لذلك مقدمات ذكرها العلماء نورد منها ما يلى:

المقدمة الأولى: وعد الله المؤمنين بالنصر:

فقد روى البيهقى بسنده عن أُبى بن كعب رضى الله عنه قال: لمّا قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رضى الله عنهم؛ رَمَتْهم العربُ واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، حتى كان المسلمون لا يبيتون إلا فى السلاح ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: تُرَى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور: ٥٥].

والمقدمة الثانية: فى عطاء الله للمعذَّبين:

قال البيهقى: فى هذا المعنى جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [النحل: ٤١ - ٤٢].

ذكر بعض أهل التفسير أنها نزلت فى المعذَّبين بمكة حين هاجروا إلى المدينة بعد ما ظلموا، فوعدهم الله تعالى فى الدنيا حسنة، يعنى بها الرزق الواسع فأعطاهم ذلك، فيروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان إذا أعطى الرجل عطاءه من المهاجرين يقول: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله تبارك وتعالى فى الدنيا، وما ادخره لك فى الآخرة أفضل».

والمقدمة الثالثة: موقف أهل الكتاب والمشركين:

كان اليهود والمشركون من أهل المدينة يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه فأمرهم الله تبارك وتعالى بالصبر والعفو والصفح، فقال تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. وقال عز وجل: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وروى أبو داود بسنده عن كعب بن مالك رضى الله عنه، قال: «كان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ، يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشدَّ الأذى، فأمرهم الله تعالى بالصبر على ذلك والعفو عنهم».

وروى البخارى بسنده عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، حتى أذن الله تعالى فيهم، فقُتل من قُتل من صناديد قريش».

والمقدمة الرابعة: اعتبار القتال مأذونًا فيه دون أن يكون فريضة:

قال علماء التفسير وعلماء السيرة النبوية: فلما قويت الشوكة واشتد الجناح أذن لهم حينئذ فى القتال ولم يفرضه عليهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا**

﴿وإنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩ – ٤٠].

وهذه المرحلة مرحلة الدفاع وردّ العدوان والإذن بالجهاد دون جعله فريضة، هى المرحلة التى أعدَّ فيها رسول الله ﷺ أصحابه للجهاد، وأمرهم بالأخذ بكل أسباب القوة التى تمكنهم من ردّ العدوان والدفاع عن النفس والدين والمال والعرض.

وفى هذا الإعداد للجهاد ووجوب الأخذ بأسباب القوة نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

● فكان إعداد النبى ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم ذا شقَّيْن:

الأول:

الإعداد النظرى الفقهى، بحيث يُبَصَّر المسلمون بمكانة الجهاد فى الإسلام وبأثر المجاهد فى هذا الجهاد ومكانته عند الله.

– ففى مكانة الجهاد من الإسلام، جاء قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وجاء ما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ؛ أى العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد فى سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**».

وما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**».

– وفى مكانة المجاهدين؛ جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

وجاء ما رواه مسلم بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أى الناس أفضل؟ قال: «**مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله**» قال: ثم مَنْ؟ قال: «**مؤمن فى شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره**».

وما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع، ولا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم**».

والثانى:

الإعداد العملى، أى التدريب الميدانى على الجهاد، وفى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ..**﴾ الآية التى ذكرناها آنفًا، فهى تطالب بالإعداد بنوعيه النظرى والعملى.

وجاء فيه ما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير.....**» الحديث.

وما رواه ابن ماجة بسنده عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ **ألا إن القوة الرمى ثلاث مرات**».

وما رواه ابن ماجة بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه قال: مَرَّ النبى ﷺ بنفر يرمون فقال: «**رَمْيًا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميًا**».

وما رواه ابن ماجة بسنده عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن الله ليدخل بالسهم الواحد الثلاثة الجنة؛ صانعه يحتسب فى صنعته الخير، والرامى به، والمُمِدُّ به**».

وما رواه أحمد بسنده عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ أمر الناس بالفِطْر عام الفتح، وقال: «**تقووا لعدوكم**».

• ممارسة الرسول ﷺ وصحبه للجهاد في هذه المرحلة:

بعد أن شرع الله تعالى الجهاد للدفاع وردّ العدوان، وكان رسول الله ﷺ قد استقر في المدينة وعانى من كيد المشركين وأهل الكتاب - اليهود - فيها؛ أخذ هو وأصحابه رضى الله عنهم يتصدون للدفاع عن النفس وردّ العدوان، ضد الذين عذبوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وظاهروا على إخراجهم من مشركى مكة، ولمن آذوهم فى المدينة من اليهود ومن الذين أشركوا، فأخذ هذا التصدى صورة السرايا والغزوات التى شارك الرسول ﷺ فى بعضها، ومن ذلك:

- غزوة ودّان - وهى غزوة الأبواء - واستعمل فيها على المدينة سعد بن عبادة رضى الله عنه، خرج فيها رسول الله ﷺ وكانت أول غزوة للدفاع وردّ العدوان، واستهدفت قريشًا وبنى ضمرة، فوادَعَه بنو ضمرة ورجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كيداً وكانت فى شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة(١).

- وسرية عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف رضى الله عنه:

وقد بعثه فى ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وعقد له راية كانت أول راية عقدها رسول الله ﷺ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز فلقى جمعًا عظيمًا من قريش، ولم يكن بينهم قتال، وقد رَمى فيها سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بأول سهم رُمِىَ به فى الإسلام.

- وسرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه:

وكانت وجهتها سِيف البحر من ناحية العيص، بعثه فى ثلاثين راكبًا من المهاجرين وحدهم، فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة - وقد حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان حليفًا للفريقين فلم يكن بينهم قتال.

- وغزوة بواط: وقد استعمل فيها على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون رضى الله عنه، وغزاها فى شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة يريد قريشًا، فسار حتى بلغ بواط - من ناحية رضوى - ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيْداً.

- وغزوة العشيرة: وقد استعمل فيها على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد رضى الله عنه، وقد سلك رسول الله ﷺ على نقب بنى دينار، ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة

(١) كانت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول.

ببطحاء ابن أزهر يقال لها: ذات الساق فصلى عندها، ثم سلك طُرُقًا وأماكن حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة، ووادع فيها بنى مُدْلج وحلفاءهم من بنى ضمرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

- وسرية سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه:

وقد اتجهت هذه السرية إلى الحجاز حتى بلغت الخرَّار، ثم رجع سعد رضى الله عنه ولم يلق كيداً.

- وغزوة صفوان: وتسمى غزوة بدر الأولى - وقد استعمل فيها على المدينة زيد بن حارثة رضى الله عنه، وقد غزاها ﷺ، حين قدم من غزوة العشيرة حيث لم يقم بالمدينة إلا أقل من عشر ليال. وكان كرز بن جابر الفهرى قد أغار على سرح إبل ومواش بالمدينة، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبه فبلغ صفوان من ناحية بدر، ولم يدرك كرز بن جابر الفهرى، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجباً وشعبان من السنة الثانية للهجرة.

- وسرية عبد الله بن جحش رضى الله عنه:

بعثه رسول الله ﷺ فى ثمانية من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحَد، وكان ذلك فى شهر رجب، وكتب له كتابًا وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، وأن لا يستكره من أصحابه أحداً، فلما سار يومين فض الكتاب فوجد فيه: إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة - مكان بين مكة والطائف - فترصد بها قريشًا، وتَعَلَّم لنا من أخبارهم.

ولم يتخلف أحد من أصحاب عبد الله بن جحش عن المُضِىّ معه، فمضى حتى نزل بنخلة، فمرَّتْ به عِير قريش تحمل زبيبًا وجِلْداً، وتجارة من تجارة قريش، فقتل المسلمون عمرو بن الحضرمى، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان.

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين على رسول الله ﷺ، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«ما أمرتكم بالقتال فى الشهر الحرام»** فوقَّف العِير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا، فسقط فى أيدى عبد الله بن جحش وأصحابه وظنوا أنهم قد هلكوا، وقالت قريش: قد استحلَّ محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم، وقالت اليهود مثل ذلك، فجعل الله تعالى ذلك لهم لا عليهم إذ أنزل الله على رسوله

ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٧]. فلما نزلت هذه الآية الكريمة بهذا الحكم فرّج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه، وقبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين.

وفى هذه السرية كانت أول غنيمة غنمها المسلمون، وكان الحضرمى أول قتيل قتله المسلمون، وكان الأسيران أول أسيرين أسرهما المسلمون.

– ثم كانت غزوة بدر الكبرى:

وقد استعمل رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه. وقد خرج فيها رسول الله ﷺ لثمان ليال خلون من شهر رمضان.

وكان رسول الله ﷺ قد سمع بأبى سفيان مقبلاً من الشام فى عير لقريش فيها أموالهم، فقال لأصحابه: اخرجوا إليها لعلّ الله ان ينفلكموها، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض لظنهم ان رسول الله ﷺ لن يلقى حربًا.

وتحسس أبو سفيان الأخبار فعلم أن الرسول ﷺ قد استنفر أصحابه للعير، فأوفد إلى قريش يستنفرهم إلى أموالهم، فخرجت قريش لذلك.

وخرج الرسول ﷺ وأصحابه ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير رضى الله عنه ، وكان لواءً أبيض، وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان؛ إحداهما مع على بن أبى طالب رضى الله عنه، يقال لها: العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار رضى الله عنهم.

وغزوة بدر الكبرى أشهر من أذكر تفاصيلها فى هذا المجال.

● **أهداف هذه الغزوات والسرايا:**

لنا وقفة مع هذه الغزوات الأربع قبل بدر الكبرى ثم غزوة بدر الكبرى، ومع تلك السرايا الأربع قبل هذه الغزوة الشهيرة، نستوضح الأهداف من تلك الحركة الجهادية العملية التى مارس فيها المسلمون الإعداد والتدريب العملى على الجهاد، وتلك الأهداف من أهمها:

- الدفاع ضد الأعداء وردّ عدوانهم على المسلمين، بعد مرحلة الصبر والاحتمال والتسامح.

- وإرهاب الأعـداء المتربصين فى داخل المدينة من اليهـود والمشـركين ليكفـوا أذاهم عن المسلمين.

- وإقناع أعداء المسلمين فى المدينة وفى خارجها بأن للمسلمين قوة يواجهون بها من يعتدى عليه، ليرعوى الأعداء ويعلموا أن المسلمين قد دخلوا فى مرحلة جهاد الأعداء بالقوة.

- وإنهاك قريش اقتصاديًا بتحدى حركة تجاراتهم التى تميزوا بها بين العرب فى رحلتى الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام.

- واستعادة بعض الحقوق التى سلبها أعداء المسلمين، وتلقينهم درسًا فى تمسك المسلمين باستعادة حقوقهم.

- وإلقاء الرعب فى قلوب الأعراب الذين كانوا يتعرضون للتجارات والأموال ويفرضون الإتاوات، كما حدث من كرز بن جابر الفهرى وغيره من المعتدين.

- وكسب بعض القبائل بالموادعات والمعاهدات، اتقاءً لشرها حتى لا تظاهر أعداء المسلمين على المسلمين، كما وادعوا بنى ضمرة وبنى مدلج، وكما هادنوا اليهود وعاهدوهم.

والمرحلة الثالثة: مرحلة نشر الدين الحق وتأمين طريق الدعوة إليه

نشر الدين الحق واجب شرعى وتأمين طريق الدعوة إليه واجب أيضًا، على الرسول ﷺ وعلى المؤمنين بهذا الدين فى كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة، لأنه الدين الحق ولأن الله تعالى أمر بذلك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [المائدة: ٦٧].

والأمر الموجه إلى الرسول ﷺ موجه إلى كل المسلمين عمومًا ما لم يكن حكمًا خاصًا به ﷺ لم يطالب به المسلمون، كوجوب قيام الليل عليه ﷺ، دون أن يكون واجبًا على المسلمين، بل هو نافلة بالنسبة لهم، وغير ذلك من الأحكام.

- وكان نشر الدين الحق واجبًا لأن الله تعالى خلق الناس ليعبدوه وحده لا شريك له، ولا سبيل إلى معرفة عبادة الله عبادة صحيحة إلا من خلال الدين الحق الذى يجب نشره فى الناس جميعًا فى كل زمان ومكان، ومن أجل هذا وجب تأمين طريق الدعوة إلى هذا

الدين الحق، وإزالة كل العقبات والعراقيل التى تعترض وصول الدين الحق إلى عباد الله، وذلك لا يكون إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى.

- والتعارف بين الناس والتعاون بينهم على الخير مطلب اجتماعي، لا يستطيع الإنسان أن يحيا بدونهما، لقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ولقوله عز وجل: ﴿ ...... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

ولا سبيل إلى التعارف بين الناس وتعاونهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان إلا وفق منهج الله ونظامه الذى جاء به الدين الحق لأنه المنهج الذى يحقق بين الناس المساواة فى الحقوق والواجبات، ويطبق فيهم العدل والإحسان.

- ولا حياة إنسانية كريمة للناس إلا إن عمروا الأرض بالعلم والمعرفة والعمل، وإن لم يعمروا الأرض لم يستطيعوا أن يعيشوا فضلاً عن أن تمتد بهم الحياة حينًا من الزمان، والله تبارك وتعالى طالب الناس من خلال منهج الدين الحق أن يعمروا الأرض وأن يمشوا فى مناكبها ليعرفوا ما فيها مما سخر الله لهم من الطيبات، ووعدهم إن هم آمنوا وعملوا الصالحات بأن يستخلفهم فى هذه الأرض التى عمروها، وأن يمكن لهم الدين الحق الذى ارتضاه لهم، وأن يكون إلى جوارهم ينصرهم على أعدائهم ويملأ نفوسهم إحساسًا بالأمن والطمأنينة(١).

والسبيل إلى استعمار الأرض والاستفادة بما أودع الله فيها بالعدل والإحسان هو المنهج الذى جاء به الدين الحق، أى الجهاد من أجل أن ينتشر هذا الدين فى الناس.

- ولأن الفصل بين الخير والشر قد حار فيه الفلاسفة والمصلحون، كل يدعى أنه قد فَصَل، وكل لا يزيد عن مجرد الدعوى، ومن أجل أن الفصل بين الخير والشر يجب أن يتناول الدنيا والآخرة، كان الملجأ الوحيد إلي معرفة الحق في هذا الفصل بين الخير والشر هو المنهج الذي جاء به الدين الحق، على نحو صحيح يؤمن للناس سلوكًا صالحًا في الدنيا يؤمن به نفسه وغيره، ويؤمن له الثواب في الحياة الأخرى الأبدية، من أجل هذا كان نشر هذا الدين واجبًا بل كان اتباعه واجبًا عقليًا عند أولى الألباب.

---

(١) جاء ذلك فى الآية الكريمة ذات الرقم: ٥٥ من سورة النور، وقد ذكرناها أكثر من مرة فى ثنايا حديثنا عن الجهاد فى هذا الكتاب.

- ومن أجل أن التيارات المعادية للإسلام والمسلمين نشطة، ولها من القدرات ما للشياطين من تلبيس الحق ثوب الباطل، وإغراء الناس بالإلحاد والكفر والمعصية كان لابد من مقاومة هذه التيارات وكشف مغالطاتها؛ بالعلم والمعرفة والتلقى عن الله تعالى عن طريق رسوله الخاتم ﷺ، وكان هذا المنهج الذى يبين الحق من الباطل والضلال من الهدى، فيرد كيد أعداء الإسلام والمسلمين إلى نحورهم أو يهديهم إلى الصراط المستقيم.

إن منطق الإسلام ومنهجه هو فصل الخير وكف الشر عن الناس وحبهم والرغبة فى هدايتهم، كما علمنا ذلك الدين الحق فى كثير من آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة، فالله تبارك وتعالى يقول مخاطبًا المؤمنين جميعًا: ﴿ ......**وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الحج: ٧٧].

والرسول ﷺ يقول فيما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين»** وفى رواية للبخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له»**.

فما أهم العراقيل التى يضعها أعداء الإسلام فى الطريق إلى الإسلام ليصرفوا الناس عن الإقبال عليه ويغروا الغافلين من المسلمين بترك التمسك به؟

إن هذه العقبات كثيرة فلا تحصى بسهولة ولكنا نشير منها إلى ما تيسر لنا معرفته مما رأيناه مناسبًا لموضوع هذا الكتاب، والله المستعان.

١- عملهم الدائب بوسائل عديدة على إقصاء دين الله ومنهجه عن التحاكم إليه فى حياة الناس، وإيثار القوانين الوضعية التى ثبت فشلها فى أن تحقق للناس الأمن أو تحافظ لهم على حقوق أو تلزمهم إلزامًا ذاتيًا بواجبات، والأمثلة على فشل هذه القوانين فى تحقيق الأمن الاجتماعى أكثر من أن تحصى وبخاصة فى تلك الدول العلمانية التى تفرض الدين، وتملأ الدنيا دعاوى بقدرتها على تحقيق الأمن.

٢- وعملهم الدائب على إقصاء القيم والأخلاق الإسلامية عن حياة الناس بوسائلهم العديدة التى منها: الاستخفاف بالدين وقيمه وأخلاقه، واتهام من يتمسك بها بأبشع التهم مثل قولهم: رجعى، ومتخلف، وغيبى، وظلامى، وربما إرهابى.

٣- وعملهم على إفساد الحياة السياسية فى كل وطن إسلامى باصطناع حكومات

دكتاتورية غاشمة يمدونها بوسائل القمع وتحدّى الحريات وانتهاك حقوق الإنسان، والتوسع فى الاعتقالات والتعذيب والمحاكمات أمام المحاكم الاستثنائية.

وإصلاح ذلك يجعل المجالس النيابية معبرة عن رغبة الناس من انتخاب من يشاءون دون تدخل من السلطة الحاكمة التى لا تكف أبداً عن التدخل بأساليب واضحة بل متبجحة تقام ضدها الدعاوى القضائية، وكثيراً ما يحكم فيها لصالح الحق.

٤- وعملهم المستمر على ترويج الأفكار والسلوكيات المخالفة للإسلام فى بلاد المسلمين بحجة الحداثة حيناً، والحرية الشخصية حيناً، والانفتاح على العالم حيناً، حتى أصبح الشذوذ الجنسى والزواج المثلى وشرب الخمر ولعب الميسر والزنى هو الحداثة والحرية الشخصية والانفتاح على العالم!!

ولقد استجاب لهذه الموجة بعض ضعاف النفوس من المسلمين مما أبعدهم أشد البعد عن الإسلام عقيدة وشريعة، ونظاماً ومنهج حياة، وهذا بدوره يعوق تقدم المسلمين علمياً وخلقياً واجتماعياً واقتصادياً، وذلك هدفهم الكبير.

٥- وإصرارهم - فى مجال التعليم - على إقصاء القيم التربوية الإسلامية لتشويه التعليم وإفشاله فى تكوين إنسان صالح يعبد ربه ويخافه ويرجو رحمته ويعمل من أجل صلاح دينه ودنياه، وإن التدخل فى مناهج التعليم من دول الغرب وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية أصبح ظاهرة فى العالم الإسلامى ، والهدف هو حذف ما فى المناهج من قيم تربوية تنشىء المسلم تنشئة إسلامية صحيحة من جانب، والعمل على تقبل الوباء الذى نشروه فى العالم العربى وهو إسرائيل.

أمّا الاهتمام بالقيم الغربية المعادية للإسلام، وتقليل عدد ساعات اللغة العربية ودرجاتها وجعل تدريس الدين الإسلامى على هامش اليوم المدرسى، ومنع إضافة درجاته إلى المجموع الكلى وأن يعهد بتدريسه لغير المتدينين، فتلك أمور أصبحت مألوفة لكثرة ما مورست ولكثرة ما دافع عنها أعداد المسلمين من المسلمين.

إن التعليم بهذا التدخل المفسد أصبح خلواً من القيم وأكثر عجزاً.

ومن الحقائق الجوهرية فى مجال التعليم وهى حقائق موجعة:

- أن المتعلّم فى المدارس والمعاهد والجامعات يمتلئ فكره وتُحشى ثقافته بكثير من الزيف والباطل والمغالطات؛ فيمجد مَنْ لا يستحق الاحترام ويعتز بما لا يستأهل الاعتزاز به،

ويهوّن من شأن ثقافته ولغته وتراثه وتاريخه، لأن المناهج التعليمية تساعد على ذلك ولأن العبث بها يؤدى إلى ذلك، وبخاصة إذا كان العابث عدواً يرتدى ثوب صديق، أو يهودياً يحمل الجنسية الأمريكية أو جنسية إحدى دول الغرب.

وما ينجو من هذا المرض إلا من عصم الله فأنار بصيرته.

● فإذا كانت المدارس والمعاهد والجامعات أجنبية مسموحًا لها بأن تمارس التعليم فى الأوطان العربية والإسلامية، فإنها - بالإضافة إلى ذلك المرض الذى ذكرنا - تقضى تماماً على ولاء المتعلم لوطنه ودينه وتحوله إلى ولاء للغرب المعادى فى الخفاء والعلن لكل ما هو عربى ولكل ما هو إسلامى !!! وما ينجو من ذلك إلا الندرة!!!

● فإذا كان المتعلم قد ذهب إلى بلاد الغرب يتعلم هناك ، لأنه من أبناء الملوك أو الأمراء أو الشيوخ أو الموسرين؛ فإنه بالإضافة إلى فَقْد ولائه لعروبته أو إسلامه، يصبح متعصباً لثقافة الغرب وحضارة الغرب، وأولياء الغرب من اليهود!!! وما ينجو من ذلك أحد منهم!!!.

- وأن المتعلم فى مختلف أقطار العالم الإسلامى؛ يُربَّى على تهميش الدين وإهمال التَّديُّن، بل الزراية بالدين والمتدينين، ويُعَلَّم أن نجاته من أنظمة الحكم الباطشة فى العالم مرهونة ببعده عن الدين أو التهجم عليه، وعلى ما يُدَّعَى أن يولده فى الناس من تعصب وعنف وإرهاب ورفض لإسرائيل وللغرب!!!

- وأن المتعلم فى هذه المدارس والمعاهد والجامعات، يتخرج فيها وهو جاهل بسيرة الرسول ﷺ؛ مع أن سيرته هى التطبيق العملى للإسلام، جاهلٌ سيَر الصحابة رضى الله عنهم مع أنهم الذين نقلوا إلينا هذا الدين وجاهدوا فى سبيله، حتى وصل فى عهدهم إلى أكثر من نصف الأرض المسكونة فى أقل من نصف قرن من الزمان، جاهل لتاريخ الإسلام، وما حمله للبشرية كلها من عدل وإحسان ومساواة فى الحقوق والواجبات بين الناس ، واحترام لحقوق الإنسان وحرياته، وإعلاء لشأن الحق والخير والجمال، ووقوف عادل حازم أمام الجريمة والمجرمين وأعداء الدين الحق، مما يوجب على الأمة الإسلامية أن يقوم بعض علمائها ومصلحيها بتجديد أمر الدين فى نفوس الناس وفى سلوكهم ، كما جاء ذلك فى سنة النبى ﷺ فيما رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدِّد لها دينها»**.

● وإذا كانت هذه بعض آثارهم فى التعليم وحده !!! فهل فى الإمكان مقاومة ذلك إلا بالجهاد وبذل ما فى الوسع من إمكانات لتعود للمتعلم المسلم حقوقه فى معرفة دينه وتاريخه وثقافته وحضارته دون تزييف أو تضليل أو استعلاء.

٦- وإصرار الأعداء على السيطرة على وسائل الإعلام فى العالمين العربى والإسلامى؛ لأن وسائل الإعلام كلها مكملة للتعليم إن لم تكن أكثر أهمية منه لاتساع انتشارها فى الناس وقدرتها على اقتحام حياتهم الخاصة فى بيوتهم.

ووسائل الإعلام مسموعة أو مرئية أو مقروءة لا تخلو أبداً من التأثر بمنتجات الأعداء الإعلامية، وهى منتجات معادية للعالمين العربى والإسلامى، ولو ذهبنا نعدد المواد الإعلامية المعادية لنا، لعجزنا عن الحصر والاستقصاء.

● وإن وسائل الإعلام فى العالمين العربى والإسلامى يوجهها الأعداء من غير المسلمين أحيانًا ومن المسلمين حينًا؛ تقدم للمسلم ما يعتبر الأخطر على أخلاقه وسلوكه من الدعوة المباشرة إلى التخلى عن القيم الأخلاقية الإسلامية؛ لأن القصص فى السينما وفى المسلسلات وفى المسارح لا تخلو أبداً من أن تظهر البطل يشرب الخمر ويخالل النساء، ويغدر ويقتل ويغش ويثرى من غير طريق مشروع ويطلق لشهواته ونزواته العنان بحيث يتحدى القانون السائد فى المجتمع، والمشاهدون والقراء يتأثرون ويقلدون هؤلاء الأبطال فإن اعترض غيور؛ قيل له: هذه هى الواقعية، كأن واقعيتنا قد خلت من الخير ومن الصلاح !!!

وكل الغيورين أو المعترضين - إن أتيح لهم الاعتراض - يُعدون من الرجعيين والمتخلفين الذين لا يتذوقون حلاوة المفاتن فى جسم المرأة وهى ترقص رقصًا سموه شرقيًا!!! بل إنه سريعًا ما يُصنَّف إرهابيًا يكره المنتجات الإعلامية الغربية أو اليهودية، ثم يتهم بأنه من أعداء السامية، والويل له كل الويل حينئذ من هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها الموقر التى تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية التى يسيطر عليها وعلى إعلامها اليهود!!!

٧- وإصرار الأعداء على الترخيص لدور اللهو الليلية وأمثالها من نوادى شرب الخمر، ولعب الميسر، مما ييسر البغاء والاتجار فى الرقيق الأبيض- كما يقولون - ، وما يجره ذلك من انتشار المخدرات والمفترات، والمنشطات جنسيًا وغير ذلك من وسائل كفيلة بأن تقضى على المجتمع وشبابه وشيوخه ورجاله ونسائه !!!

● ومن العجيب أن هذه الحكومات التى تمنح التراخيص لدور اللهو والفساد فى العالمين العربى والإسلامى ، نادراً ما تسمح بالترخيص لحزب سياسى أو لجمعية خيرية، أو لصحيفة!!!

● إن هذه الأعمال التى يصر الأعداء على ممارستها فى أوطاننا العربية والإسلامية هى عقبات فى طريق الدين الحق والدعوة إليه ونشره فى الناس، وهى عقبات تحتاج إلى جهاد من أجل إزالتها.

وقد يقول قائل: فلماذا يعجز المسلمون عن مقاومة هذه العقبات؟ وقد أجاب الرسول ﷺ على هذا التساؤل فيما رواه أبو داود بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»** فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: **«بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السَّيْل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن»** فقال قائل: يا رسول الله ما الوهن؟ قال: **«حب الدنيا وكراهية الموت»**.

العلاج لهذه العقبات من أجل إزالتها هو الجهاد فى سبيل الله والجهاد يقوم على حب الموت فى سبيل الله أى الشهادة، وعدم التكالب على الدنيا.

إن المسلمين وهم يواجهون أعداءهم شعارهم - كما أوضحه القرآن الكريم -: **﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾** [التوبة: ٥١، ٥٢].

والمرحلة الرابعة: مرحلة قتال أعداء الله تعالى كافة:

هذه المرحلة قررها القرآن تبارك وتعالى: **﴿..... وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** [التوبة: ٣٦].

هذه الآية الكريمة التى أوجبت على المسلمين أن يقاتلوا المشركين جميعًا عندما يقاتلهم المشركون جميعًا، أوجبت عليهم أن يكونوا فى هذا القتال جميعًا بحيث لا يتخلف منهم أحد قادر على المشاركة فى هذا القتال، فهى آية تهييج للمسلمين على المشركين وحض لهم عليهم، لأنهم يقاتلون المسلمين وهم جميع متحدون ضد المسلمين،

وفى الآية الكريمة إشارة إلى وجوب وحدة صفوف المسلمين، كما صرحت بذلك آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

والمعنى العام فى الآيتين الكريمتين أن على المسلمين وهم يجاهدون أعداء الله أن يتعاونوا ويتناصروا ويتحدوا فى قتال أعدائهم.

● وهذا الجهاد فى سبيل الله لقتال الأعداء كافة مشروط بشرطين أساسيين:

أولهما: الدعوة إلى الدين الحق قبل القتال.

والآخر: توافر أسباب القتال ودواعيه.

وتوضيح ذلك:

أن قتال المشركين وكل أعداء الله يجب أن تسبقه دعوتهم إلى الإسلام دعوة إقناع وتقديم أدلة وبراهين وحجج تقبلها العقول، ويتأكد بها حاجة الناس إلى الإسلام فى دنياهم اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا وحضاريًا، دون إكراه لأحد على الدخول فى الدين الحق، مهما كان المسلمون متفوقين عسكريًا؛ لأن المبدأ العام هو: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. والمبدأ المصاحب له هو حرية اختيار الإنسان للدين الذى يحب أن يدخل فيه، المنصوص عليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ.....﴾ [الكهف: ٢٩].

وبعد هذه الدعوة يكون القتال إذا توافرت أسبابه دواعيه.

● وتتمثل هذه الدعوة إلى الدين الحق فى كتب الرسول ﷺ ورسله إلى الملوك والرؤساء والقادة على مستوى العالم الذى يمكن أن تصل إليه كتبه ورسله ﷺ ومن هذه الكتب:

- كتابه إلى النجاشى ملك الحبشة - وله أكثر من صيغة سجلتها كتب السيرة النبوية وكتب التاريخ.

- وكتابه إلى اليهود يناشدهم فيه أن يؤمنوا بالدين الذى جاء به إلى البشرية كلها ومنها اليهود.

- وكتابه إلى هرقل عظيم الروم، ولصيغته أكثر من رواية منها ما رواه البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما، وما رواه غيره من العلماء.

- وكتابه إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر - ولصيغته أكثر من رواية أيضاً.

- وكتابه إلى كسرى «أبرويز» عظيم الفرس.

- وكتابه إلى جيفر وعبدٍ ابنَيْ الجُلندَى، شَيْخَيْ عُمان.

- وكتابه إلى هوذة بن على (شيخ اليمامة).

- وكتابه إلى المنذر بن ساوى عامل كسرى على البحرين.

- وكتابه إلى أساقفة نجران.

هذا عن الكتب التى تمثل دعوة إلى الدين الحق لابد أن تسبق القتال للأعداء، وهناك معاهدات وموادعات تقوم مقام الدعوة إلى دين الحق كانت تسبق القتال، وتلك المعاهدات والموادعات الأصل فيها أن تمنع القتال، لكن نقضها كان سببًا فى القتال الذى سبقته الدعوة وهى تلك المعاهدات والموادعات.

ومن هذه المعاهدات:

١- معاهدته ﷺ ليهود خيبر:

وقد كتب لهم معاهدة ثم جددها بعد أن أظهروا خوفهم لمقتل كعب بن الأشرف الذى نال من الإسلام والمسلمين وهجاهم بأقذع الكلام، فعوقب وحده دون سائر اليهود.

٢- ومعاهدته ليهود بنى قريظة:

وقد نقضها اليهود فى غزوة الأحزاب، فحاربهم رسول الله ﷺ فاستسلموا فحكَّم فيهم حليفهم - مِن قبلُ - سعد بن معاذ رضى الله عنه.

٣- ومعاهدته ليهود بنى عاديا بن تيماء:

وفيها: «هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى عاديا، إن لهم الذمة، وعليهم الجزية، ولا عداء ولا جلاء، الليل مَدّ، والنهار شدّ».

٤- ومعاهدته لأهل جرباء أذرح:

وفيها: «... وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه».

٥- ومعاهدته لحنينا، وأهل خيبر، والمقنا.

٦- ومعاهدته لأساقفة نجران.

٧- ومعاهدته للمشركين فى الحديبية.

وهى مشهورة مذكورة فى كل كتب السيرة النبوية.

وبعد: فإن هذه المعاهدات والموادعات والكتب دليل تاريخى على أن النظام الإسلامى لا يبدأ الناس بالحرب ولا يشن عليهم القتال قبل الدعوة إلى الدين الحق وتخييرهم ليختاروا، بل ويستعدوا للحرب إن كانت لأن الإسلام لا يبيح الغدر بحال من الأحوال.

والإسلام لم يشرع الجهاد فى هذه المرحلة أو القتال على أنه أسلوب ضغط أو إكراه للناس على اختيار بعينه، ولكنه شرعه نظامًا لمقاتلة الأعداء، بشرط أن تتوافر شروطه وأسبابه.

فهذه الدعوة إلى الدين الحق شرط لحدوث القتال.

أما الشرط الآخر:

فهو توافر أسباب القتال ودواعيه.

ومن هذه الأسباب والدواعى:

١- أن يكون الطرف الآخر ممن يجب قتالهم من الناس، والناس أمام المسلمين أصناف أربعة هم:

- المشركون من أهل الحرب.
- وأهل العهد وهم نوعان: مستأمنون وأهل ذمة.
- والمرتدون عن الإسلام بعد أن دخلوا فيه.
- وأهل البغى والعدوان.

ولكل صنف منهم أسلوب خاص من التعامل بحيث لا يُغْدَرُ به ولا يظلم. وهذا الأسلوب يلتمس بتفصيله فى كتب الفقه الإسلامى وهى كثيرة ولكننا نشير هنا إلى ذلك فى إيجاز، فنقول:

- المشركون من أهل الحرب:

هؤلاء يُدْعَوْنَ إلى الدين الحق أولاً بالحكمة والموعظة الحسنة ثم بالجدال بالتى هى أحسن

فإن استجابوا فلهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم من الحقوق والواجبات، وإن أبوا إلا الحرب، أوذنوا بالحرب ثم حوربوا.

- وأما أهل العهد من المستأمنين وأهل الذمة فهؤلاء يجب الوفاء لهم بعهودهم وأماناتهم ما داموا لم يخلوا بشيء مما عوهدوا عليه، فإن أخلوا قوتلوا.

- وأما المرتدون عن الإسلام بعد أن دخلوا فيه فإنهم يستتابون وتزال لهم الشبهات التي جعلتهم يرتدون، فإن رجعوا عن ردتهم قُبِل ذلك منهم، وإن أصروا على ردتهم قوتلوا.

- وأما أهل الشر والفتنة - وأهل الحرابة -(١) فهؤلاء إن خرجوا دون أن يقتلوا أحداً وإنما للسرقة فقط، فإنهم يحاصرون ويستتابون، وإن قتلوا أحداً قوتلوا، وعند الظَّفر بكل منهم فإن له عقابًا خاصًا، من قتل وصلب وقطع لأيديهم وأرجلهم من خلاف.. إلخ.

● وجهاد هؤلاء الأصناف الأربعة ماضٍ إلى يوم القيامة لا يتوقف بجور جائر ولا عدل عادل، فقد روى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«ثلاث من أصل الإيمان: الكفُّ عمن قال لا إله إلا الله ولا تكفره بذنب ولا تخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجّال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار»**.

وروى أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بعثتُ بين يَدَى الساعة بالسيف؛ حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقى تحت ظل رمحى، وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى، ومَنْ تشبه بقوم فهو منهم»**.

إن مواجهة هؤلاء الأصناف الأربعة سبب من أسباب الجهاد فى سبيل الله تعالى.

٢- ومن أسباب القتال ودواعيه ثلاثة مواقف:

الأول: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حيث يحرم على من حضره أن ينصرف عنه، لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [الأنفال: ١٦].

والثانى: إذا نزل الأعداء ببلاد المسلمين تعين على أهل هذا البلد قتالهم ودفعهم.

---

(١) هم قطاع الطريق إذا كانوا جماعة ولهم قوة، ويسمي الفقهاء ذلك العمل بالسرقة الكبرى.

والثالث: إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير معه، لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩]، وقوله جل شانه: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

فتلك مواقف يجب على المسلمين فيها أن يجاهدوا.

٣- ومن أسباب الجهاد ودواعيه:

أن يكون المسلمون مستعدين لمواجهة أعدائهم آخذين بكل الأسباب التى تمكنهم من هذه المواجهة، وأن يكون المسلم المشارك فى القتال قد استوفى الصفات التى توجب على صاحبها الجهاد وهى:

الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورية والسلامة من المرض المانع من المجاهدة، والفقه فى الدين.

وبعد: فإذا كانت هذه أسباب الجهاد ودواعيه، فإن هناك أسبابًا تمنعه وهى ثلاثة:

الأول: إعلان الإيمان:

أى أن يعلن أحد الذين نقاتلهم أنه مؤمن، كأن ينطق بالشهادتين أويؤدى الصلاة مع المسلمين فى جماعة، أو يعلن أنه متبرئ من الشرك أو الكفر.

والثاني: الأمان المؤبد:

أى عقد الذمة لمن يحاربهم المسلمون.

والثالث: الالتجاء إلى الحرم:

فهذه الأسباب توقف الجهاد، وعلة الإيقاف فيها واضحة.

- ويوم مارس المسلمون التمسك بدينهم وذروة سنامه الجهاد كانوا الأمة التى قدمت للحضارة الإنسانية أرقى ما وصلت إليه الإنسانية من حسن تعامل مع الناس جميعًا مسلمين وغير مسلمين. شهد بذلك تاريخهم، وسجل ذلك المنصفون من الكتاب والمؤرخين مسلمين وغير مسلمين.

● وإن شئت أن تعرف بدقة أحوال المسلمين فى أى زمان أو مكان من حيث قوتهم أو ضعفهم، وتقدمهم فى العلم وتراجعهم؛ فانظر إلى مدى تمسكهم بدينهم، ومدى ممارستهم العملية للجهاد فى سبيل الله تعالى.

إن المجاهدين فى سبيل الله ينصرون الله ودينه ومنهجه، وهم بذلك جديرون بأن يؤيدهم الله وينصرهم ويستخلفهم فى الأرض، ويمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، ويبدلهم من كل مخافة أمنًا وطمأنينة. هذا وعد الله تعالى وعهده، ومن أوفى بعهده من الله؟

وإن وجدتَ المسلمين فى أى زمان أو مكان يعانون ضعفا أو ذلة أو فقرا، أو قلقا سياسيا، أو اضطرابا اجتماعيا، أو غير ذلك من الأمراض فاعلم أن التمسك بالدين قد تباعد عنهم وبالتالى تعطل الجهاد فى سبيل الله.

● ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وقد مارس الجهاد فى سبيل الله فى السنوات العشر الأواخر من عمره ﷺ، حيث غزا سبعًا وعشرين غزوة، وبعث سبعا وأربعين سرية.

● وقد اجمع علماء المسلمين على أن نفع الجهاد فى سبيل الله يعم المسلمين ويحقق لهم صالح الدين والدنيا، بل قالوا: إن الجهاد فى سبيل الله لا يساويه فى نفعه عمل آخر، ولذلك اجمعوا على وجوب الجهاد مرة فى كل عام إلا لعذر، وعللوا ذلك بأن الجزية تجب على أهل الذمة مرة كل عام، والجزية فى حقيقتها بدل عن النصرة - أى الجهاد - لذلك وجب الجهاد مرة كل عام.

والمرحلة الخامسة: مرحلة تطهير الجزيرة العربية من غير المسلمين

وتطهيرها من غير المسلمين مشركين ويهودا ونصارى وغيرهم، يكون بالقتال إن رفضوا الخروج منها بغير قتال،، على اعتبار أن الجزيرة العربية مهد الإسلام، ومهبط الوحى بالقرآن الكريم، وموئل اللغة العربية لغة القرآن آخر الكتب السماوية، ومنشأ النبى ﷺ مبلِّغ الدين الحق إلى الناس جميعا.

وقد كانت البداية بتطهير المسجد الحرام من المشركين وإبعادهم عن الحرم كله بنزول قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٢٨].

قال علماء التفسير: طولب المؤمنون بمنع المشركين القرب من المسجد الحرام أى أن يدخلوا الحرم كله، لأنهم إذا دخلوا الحرم قربوا من المسجد الحرام.

قال عطاء بن أبى رباح: «الحرم كله قبلة ومسجد» فهم ممنوعون من دخول الحرم كله لا المسجد الحرام وحده.

وقال عكرمة: أغناهم الله بإدرار المطر والنبات وخصب الأرض، فأخصبت تبالة – وهى من اليمن – وجرش – وهى من مخاليف اليمن – وحملوا إلى مكة الطعام والودك – الدسم – وكثر الخير وأسلمت العرب، أهل نجد وأهل صنعاء وغيرهم، فتمادى حجهم وتَجْرُهم – أى تجارتهم – وأغنى الله من فضله بالجهاد وبالظهور على الأمم.

● أما جزيرة العرب – وهى: مكة والمدينة واليمامة واليمن ومخاليفها – أى محافظاتها ومدنها – فقد قال الإمام مالك: يخرج من هذه المواضع كل من كان على غير دين الإسلام، ولا يمنعون من التردد بها مسافرين، وكذلك قال الإمام الشافعى لكنه استثنى اليمن.

● وفى حديثنا عن الجزيرة العربية وتطهيرها من غير المسلمين نتحدث أولا عن مكانة الجزيرة العربية فى الإسلام، ثم عن النصوص التى أوجبت إخراج غير المسلمين منها:

١– فى مكانة الجزيرة العربية فى الإسلام:

للجزيرة العربية أهمية كبيرة فى الإسلام وعند المسلمين جميعا فى كل عصر ووحدة، لأسباب كثيرة نذكر منها:

– أن بها بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس بمكة، بناه إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، وشاء الله تعالى بعد هجرة الرسول ﷺ أن يجعله قبلة للمسلمين إلى يوم الدين.

قال الأصمعى: جزيرة العرب من أقصى عَدَن أَبْين إلى ريف العراق فى الطول، وأما لعرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام.

وقال مالك بن أنس: «جزيرة العرب المدينة ومكة واليمن، فأما مصر فمن بلاد المغرب، والشام من بلاد الروم، والعراق من بلاد فارس».

– وأن بها مكة أم القرى.

ومن حول مكة بلاد العالم كلها، وفى مكة البيت العتيق، وفيها ولد النبى ﷺ وشب وأُوحى إليه وأُمر بالتبليغ، وأن ينذر أم القرى ومن حولها، وبمكة نزل القرآن الكريم أول ما نزل.

– وأن بها المدينة المنورة:

وهى مهاجر النبى ﷺ، ومقر أنصاره رضى الله عنهم، ومأوى المهاجرين رضى الله عنهم، ومنها انتشر الإسلام، وفيها شرع الجهاد فى سبيل الله، ومنها كتب رسول الله ﷺ كتبه وأرسل رسله، ومنها خرجت الجيوش لتجاهد فى سبيل الله وفيها عُقدت ألوية الجيوش، وكانت مقر أول حكومة إسلامية، وإليها جاءت الوفود معلنة إسلامها ودخولها فى دين الله أفواجًا.

– ومن الجزيرة العربية خرج الدعاة إلى الله ينشرون دين الله، ويجاهدون فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، واستمر ذلك على مدى القرون الثلاثة الأولى خير القرون، فنشروا الإسلام فى معظم بقاع الأرض، وأقاموا حكومات ونظما ضربت أروع الأمثلة فى حكم الناس بالعدل والإحسان، وما أساءوا إلى غير مسلم أبداً، حتى إن اليهود الذين يناصبون الإسلام العداء لقوا منهم أحسن معاملة باعتراف بعض اليهود.

– ولقد كان المسجد النبوى فى المدينة أول مدرسة تعلم فيها المسلمون أمور دينهم على يد النبى ﷺ ثم أيدى الصحابة رضى الله عنهم ثم التابعين وتابعيهم، وأجيال وراء أجيال، وكذلك كان المسجد الحرام بمكة المكرمة.

ومشاهير علماء المسلمين كان كثير منهم ممن جاوروا لتعلم العلم فى هذين المسجدين المحرمين.

تلك إشارة خاطفة إلى أهمية الجزيرة العربية فى الإسلام وعند المسلمين، وهى أهمية مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٢– النصوص الإسلامية التى أوجبت تطهير الجزيرة العربية من غير المسلمين:

– روى البخارى بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: يوم الخميس وما يوم الخميس؟! ثم بكى حتى بل دمعه الحصى، قلت يا ابن عباس: ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: **«ائتونى بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا»**، فتنازعوا، وما ينبغى عند نبى تنازع، فقالوا: ما له؟

أهجر؟ استفهموه»، فقال: «ذرونى، فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه»، فأمرهم بثلاث قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، والثالثة: إما سكت عنها، وإما أن قالها فنسيتها».

– وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بعثنى أبو بكر – رضى الله عنه – فيمن يؤذنون يوم النحر بمنى: «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان».

وكان ذلك فى العام الثامن الهجرى يوم أمّر أبو بكر على الحج.

– وروى الترمذى بسنده عن عمر رضى الله قال: قال النبى ﷺ: «لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب».

– وروى أبو داود بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب، فإنه لا يصلح فيها دينان» قال ابن عمر رضى الله عنهما: فأجلاهم عمر رضى الله عنه إلى تيماء فأريحا فما ترك فى أرض الحجاز يهوديا ولا نصرانيا».

– وروى الدارمى بسنده عن أبى عبيدة بن الجراح قال: كان فى آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ قال: «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب».

– وروى البيهقى – فى السنن الكبرى – بسنده عن أبى عبيدة بن الجراح قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ قال: «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب، وأعلموا أن شر الناس الذين اتخذوا قبورهم مساجد».

– وروى البيهقى – فى السنن الكبرى – بسنده عن عمر بن العزيز رحمه الله قال: بلغنى أنه كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب».

– وروى البيهقى – فى السنن الكبرى – بسنده عن مالك بن شهاب الزهرى(١) أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب».

---

(١) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (٥٨–١٢٤هـ) تابعى قرشى من بنى زهرة، هو أول مَن دوّن الحديث، وأحد كبار الفقهاء والحفاظ، وفيه كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه.

قال ابن شهاب : ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حتى أتاه الثلج واليقين عن رسول الله ﷺ أن قال : **«لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب»** فأجلى يهود خيبر، وقال ابن شهاب : قد أجلى عمر يهود نجران وفدك .

● وقد اعتمد عمر بن الخطاب رضى الله عنه على قول الرسول ﷺ : **«لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب»** فأخرجهم .

وروى البيهقى بسنده عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجلى اليهود من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين، فأراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهود رسول الله ﷺ أن يقرهم بها على أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر، فقال لهم رسول الله ﷺ : **«نقركم بها على ذلك ما شئنا»** فقروا بها حتى أجلاهم عمر رضى الله عنه فى إمارته إلى تيماء وأريحا .

وبعد . . فتلك مراحل الجهاد فى سبيل الله تعالى من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

وبهذا نكون قد تحدثنا فى هذا الباب الثانى من الكتاب عن الأسس التى قام عليها الجهاد فى سبيل الله، وعن أهدافه، وعن مراحله .

وإلى الحديث عن الباب الثالث الأخير من الكتاب وهو **«الجهاد فى سبيل الله فى واقعنا المعاصر»** ونسأل الله العون والتوفيق.

■■■■

الباب الثالث

الجهاد فى سبيل الله فى واقعنا المعاصر

يتناول هذا الباب فصولاً ثلاثة

الفصل الأول

الواقع الذى يعيشه المسلمون فى عصرنا، والجهاد.

والفصل الثانى

غياب التربية الجهادية عن واقع المسلمين المعاصر.

والفصل الثالث

الربط بين غياب الجهاد أو تغييبه وواقع المسلمين.

أكدنا فى البابين الأولين من هذا الكتاب مكانة الجهاد فى ديننا، وأنه ذروة الإسلام، ودعمنا ذلك وأصّلناه بالنصوص الشريفة من القرآن الكريم والسنة النبوية، واستدللنا على ذلك بعديد من الأدلة العقلية والتاريخية.

وهذا الباب الأخير من الكتاب مركز فى فصوله الثلاثة على تعرف الواقع الذى يعيشه العالم الإسلامى فى أخريات الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجرى وبدايات القرن الحادى والعشرين الميلادى، ذلك الزمن الذى غابت فيه التربية الجهادية أو غُيبت عن المجتمعات الإسلامية فى الأمة كلها، ومدى ارتباط هذا الغياب للتربية الجهادية بما عليه المسلمون اليوم من ضعف وتراجع حضارى نسبى.

- والواقع الذى تعيشه الأمة الإسلامية اليوم، واقع تتضح فيه ظاهرتان:

إحداهما:

ضعف الأمة الإسلامية فى مختلف أقطارها وشعوبها عما كان يجب أن يكونوا عليه من قوة مادية وعلمية وحضارية لا تمكن منهم أعداءهم فى أى حين، وقد أمر الله تعالى المسلمين بأن يأخذوا بأسباب القوة، وأن يلحظوا ما عليه أعداؤهم من قوة وإلا يكونوا أضعف منهم، وذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

وذلك ما أشار إليه النبى ﷺ فيما رواه أحمد بسنده عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ صام فى سفره عام فتح مكة وأمر أصحابه بالإفطار، وقال: «**إنكم تلقون عدوكم فتقووا**» فقيل له: يا رسول الله إن الناس قد صاموا لصيامك، فلما أتى الكديد[(١)] أفطر ﷺ.

والظاهرة الأخرى:

قوة أعداء الأمة الإسلامية ماديا وعلميًا وتقنيًا وكثرتهم، وهى قوة تتنامى حينا بعد حين،

---

(١) الكُديد أو الكديد: موضع على بعد اثنين وأربعين ميلاً من مكة المكرمة - وهو بين عسفان وأمج - وفى الكديد كان يوم من أيام حرب العرب فى الجاهلية.

وهؤلاء الأعداء كثيرون ومتنوعون، ملحدون ويهود ونصارى وغيرهم، وكثيرا ما اعتدى بعضهم على بعض البلدان الإسلامية طمعا فيها واستيطانا لها، وإن سموا ذلك استعمارا!!!

هاتان الظاهرتان من الوضوح بحيث لا يجادل فى وجودهما إلا مغالط، ولا يجادل فى وضوحها إلا غافل أو واهم.

والاعتراف بهاتين الظاهرتين هو خطوة ضرورية فى طريق الأمة الإسلامية وهى تأخذ بأسباب القوة التى دعيت إليها من الله تعالى ورسوله ﷺ.

وذلك ما نزيده توضيحًا فى فصول هذا الباب الأخير من الكتاب والله المستعان.

الفصل الأول

الواقع الذى يعيشه المسلمون فى عصرنا، والجهاد

ويشمل:

أ- الأسباب التى أدت إلى كثرة أعداء المسلمين.

ب - كيف نجح المسلمون فى الماضى فى مواجهة أعدائهم؟

جـ- ولماذا قعد المسلمون عن الجهاد فى سبيل الله؟

د- ونتائج قعود المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله.

أ- الأسباب التى أدت إلى كثرة أعداء المسلمين:

فى البداية - وقبل الحديث عن الأسباب بالتفصيل - نقبل أن يكون ضعف المسلمين هو الذى كثّر عدد اعدائهم، كما نقبل أن تكون قوة هؤلاء الأعداء هى التى كثّرت عدوهم.

● غير أن أكبر الأسباب - فى تصورى - هو غياب التربية الجهادية عن واقع المسلمين المعاصر.

أما سائر الأسباب فبعضها لابد أن يعود إلى ضعف المسلمين وبعضها إلى قوة أعدائهم بالإضافة إلى ما سنذكره من أسباب جوهرية أخرى تؤدى إلى كثرة أعداء الإسلام وامته.

وهذه الأسباب هى:

السبب الأول:

قيام دين الإسلام على عقيدة التوحيد، أى عبادة إله واحد خالق رازق لا شريك له، والمسلمون موحدون بفطرتهم إلا من زاغ منهم فضلاً عن الصراط المستقيم.

وأن الكثرة الكاثرة من أعداء الإسلام يشركون بربهم فيعبدون معه آلهة أخرى من البشر أو من الهوى.

● ولابد أن يقف الشرك موقف العداء من التوحيد، والشرك كثرة، فالأعداء للمسلمين إذن كثرة.

والسبب الثاني:

أن الإسلام يقوم على عبادة الله وفق ما شرع وما أنزل على خاتم رسله ﷺ، وهي عبادة يقبل عليها الإنسان بروحه وعقله وبدنه وجوارحه دون وساطة من كاهن أو قوة خفية أو وسيط يسمى نفسه (رجل دين).

وأن معظم الناس لا يعبدون الله أصلا، أو يعبدونه كما يحبون وبما تملى عليهم رغباتهم، أو يعبدون أهواءهم، وهؤلاء كثرة ما في ذلك شك، وهؤلاء أعداء للمسلمين الذين يعبدون الله وفق منهجه وشرعه ونظامه.

والسبب الثالث:

أن الإسلام يقوم على الخضوع لله تعالى، والإذعان لمنهجه والتلقى عنه وحده من خلال ما أوحى لخاتم رسله ﷺ.

وأن معظم الناس لا يخضعون لله، لأنه غيب لا تدركه حواسهم - كما يقولون - وبالتالي فلا يدينون بمنهجه ولا يأخذون بنظامه لأنهم لم يتلقوا عنه وحيه، ولذلك صنعوا لأنفسهم مناهج ثم يغيرونهما كلما بدا لهم أو كلما عجزت عن تحقيق كامل أطماعهم. وهؤلاء كثيرون يملأون الأرض، وهؤلاء لابد أن يكونوا أعداء للمسلمين الخاضعين لله ومنهجه ونظامه، لأنهم يرون في المسلمين مجموعة من الناس تخضع لمنهج لم يصنعوه ويتلقون عمن لم يروه ولم تدركه حواسهم.

والسبب الرابع:

أن الإسلام يعتمد الإحسان بكل معنى من معانيه، ويكتبه على كل شيء، ويقدره أكبر تقدير إذ يجعله فوق العدل في المنزلة، ويعده قيمة إسلامية رفيعة.

والناس معظمهم لا يقيمون للإحسان وزنا في حياتهم، إذ لا يعتبرونه قيمة رفيعة، لأن القيم عندهم هي التي تحقق لهم منفعة دنيوية أو لذة مادية.

وهؤلاء كثرة في الناس، تقوم حياتهم على الأنانية والإحساس بتميز جنسهم أو لونهم أو قوتهم المادية، وهؤلاء لابد أن يكونوا أعداء للإسلام والمسلمين.

والسبب الخامس:

أن الإسلام يعتمد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسلوبًا لا تستقيم حياة الناس إلا

بهما، ولا يقبلون على الخير ولا ينتهون عن الشر إلا من خلالهما، لذلك جعلهما الإسلام واجبين شرعا.

والناس أغلبهم يرون فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر موعظة تتضمن قيما خلقية يجب أن تكون بعيدة عن أحكام الناس على الناس والأشياء، ويجاهرون بذلك دون حياء – كأن الأخلاق عيب يجب تجنبه –!!! والعجب أن أجهزة الإعلام تنقل إلى الناس هذه الآراء فى الأخلاق التى يجب أن تنحى عن حياة الناس؟!!

وهؤلاء المعادون للقيم الخلقية وللمواعظ وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كثرة كثيرة ممن يطلقون لرغباتهم وشهواتهم العنان، وهم بكل تأكيد أعداء للمسلمين وللإسلام.

والسبب السادس:

أن الأمة الإسلامية وما منحها الله تعالى من أراض وأنهار، وما منحها من نعم لا تحصى كالنفط والمزروعات والغابات والمعادن، وغير ذلك من بحار وثروة سمكية وثروة فى الأصداف واللآلئ ونحوها، وهى نعم عجزت الأمة الإسلامية فى فترة ضعفها العلمى والتقنى أن تستثمرها، فجاءت الدول المستوطنة الطامعة فى خيرات غيرها واستثمرت هذه الخيرات لنفسها أولا، ولأهل البلاد بعد ذلك.

وهذه الدول الطامعة المستوطنة المتقدمة علميًا وتقنيًا كثيرة تتمثل فى دول أوروبا معظمها وفى أمريكا المسيطرة الآن على العالم وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وأصبح الآن روسيا الاتحادية، وهؤلاء جميعا أعداء تقليديون للإسلام والمسلمين لا يختلفون فى عداءاتهم للإسلام عن عداوة اليهود له.

والسبب السابع:

أن الأمة الإسلامية عموما والأمة العربية خصوصا، كل منهما يدرك عن يقين أن لا نجاح لهما ولا تقدم، ولا قدرة على المحافظة على أرضهما ورد الأعداء عنها، إلا فى ظل اتحاد اقتصادى وسياسى وتعاون فى مجال العلم والتقنية، وتعزيز للثقافة الإسلامية والعربية.

ومن الحق التأكيد على أن المصلحين من المفكرين المسلمين والعرب عملوا على تحقيق هذا الاتحاد، ولا يزالون يعملون ما وسعهم، لكن جهودهم تذهب أدراج الرياح أمام عرقلة الأعداء لكل عمل يؤدى إلى اتحاد المسلمين أو اتحاد العرب، فضلا عن وحدتهم. وهؤلاء الأعداء تساندهم بشكل مباشر وبشكل غير مباشر أحيانا حكومات فى العالمين الإسلامى

والعربى، توهمت أن اتحاد المسلمين أو العرب يخل بمصالحهم وبنظمهم الحاكمة المستبدة – فى الغالب – فتقف لهؤلاء المصلحين بالمرصاد، تشبعهم تشويها وتتلقفهم معتقلاتها وسجونها بل مشانقها فى بعض الأحيان، والعدو يفرك يديه فرحا أن حال بين المسلمين والعرب وبين أن يتحد أى منهم فيكون فى اتحادهما استعادة لخيرات بلادهم من أعدائها.

● إن الأعداء – من أجل أن لا يتوحد المسلمون أو العرب – يرصدون الأموال الطائلة والآليات الضخمة والجيوش الكثيفة العدد، ولا يكتفون بذلك على الرغم من نجاحهم فيه – لكن زادوا على ذلك زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى «فلسطين»، وفى أولى قبلتى المسلمين وثانى حرم لهم، وهم بالمرصاد دائما لكل فكرة فى اتحاد العالم العربى أو تقدمه اقتصاديا أو سياسيا.

وبعد: فتلك أهم الأسباب التى جعلت أعداء الأمة الإسلامية والأمة العربية على هذا القدر من الكثرة، وعلى هذا المستوى من العداوة.

ب – كيف نجح المسلمون فى الماضى فى مواجهة أعدائهم؟

استطاع المسلمون أن ينتصروا على أعدائهم فى معارك عديدة، يوم كانوا أقوياء الإيمان آخذين بأسباب القوة التى يستطيعون، ولا تزال انتصاراتهم فى الماضى التى سجلها التاريخ واعترف بها الأعداء أنفسهم صالحة لأن تكون أمثلة تحتذى لإحراز النصر فى أى معركة يستجمعون فيها صفوفهم ويتزودون فيها بالإيمان والعمل الصالح والإعداد الجيد للمعركة.

● ومن هذه المعارك الحاسمة التى انتصر فيها المسلمون على أعدائهم بعد النبى ﷺ:

١– حروب الردة على عهد أبى بكر رضى الله عنه:

حمل الصديق رضى الله عنه راية الجهاد ضد المرتدين جميعا، الذين منعوا الزكاة، والذين نكثوا عهودهم، والذين أساءوا فهم الدين وربطوا تدينهم بحياة الرسول ﷺ، والذين كانوا حديثى العهد بالدخول فى الإسلام.

وكان هؤلاء المرتدون كثرة قوية ولكن جهادهم وعقابهم كان واجبا شرعيا لابد منه. وانتصر المسلمون عليهم.

٢– وتسيير جيش أسامة بن زيد إلى حدود دولة الروم:

فقد كانت الروم تهدد المسلمين وتزعم أنها ستقضى عليهم، ولذلك سيَّر الرسول ﷺ

جيشا بقيادة جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه لحرب الروم، فحاربهم - على نحو ما هو معروف فى التاريخ الإسلامى - وآلت قيادة الجيش إلى خالد بن الوليد رضى الله عنه - بعد استشهاد جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم - الذى استطاع أن يعود بالجيش بعد أن أوقع فى قلوب الروم رعبا، وعلموا أن المسلمين قوة.

وسار جيش أسامة إلى حدود دولة الروم، لكن الروم لم يخرجوا لقتاله، ليقينهم أن المسلمين قوة حتى بعد وفاة الرسول ﷺ، وكان جيش أسامة رضى الله عنه قد وطد الدولة الإسلامية من جهة الروم.

٣- كذلك سير أبو بكر رضى الله عنه جيشا بقيادة المثنى بن حارثة رضى الله عنه إلى حدود فارس شرقى الجزيرة، وكان الفرس يتربصون بالمسلمين الدوائر، فكانوا يغرون القبائل الخاضعة لهم بالشغب على المسلمين والعدوان عليهم، وبخاصة قبائل البحرين والسواد. وقد مد أبو بكر جيش المثنى بمدد على رأسه خالد بن الوليد، وعلى يد جيش المثنى كان بدء الفتح، فتوطدت دولة المسلمين من جهة الفرس.

٤- وسارت الجيوش المجاهدة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتأمين الدولة المسلمة من الشرق حيث لم يسكت الفرس، ومن الشمال حيث لم تهدأ الروم.

فسيَّر جيشًا بقيادة المثنى بن حارثة رضى الله عنه إلى الفرس فقاتلهم عند «البويب» فى معركة أبلى المسلمون فيها بلاء حسنا وغنموا مغانم كثيرة.

ثم سيَّر إلى الفرس جيشا بقيادة سعد بن أبى وقاص فخاض بالمسلمين معركة القادسية وحقق فيها نصرا مبينا ومغانم كثيرة - وكذلك حقق انتصارا عليهم فى المدائن.

٥- واستطاعت جيوش المجاهدين المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تفتح الشام والعراق والقدس ومصر والجزيرة، وبرقة وطرابلس سنة ٢٣ هـ سنة وفاته رضى الله عنه.

٦- وتوالت انتصارات المجاهدين بعد خلافة عمر رضى الله عنه فتوجه جيش بقيادة عبد الله بن سعد ففتح إفريقية «تونس» وانتصر فى سبيطلة عام ٢٨ هـ.

واتجهت جيوش المجاهدين بقيادة عبد الله بن سعد أيضا نحو جنوب مصر ففتحت بلاد النوبة ودنقلة سنة ٣٦ هـ.

٧- ثم توالت حملات المجاهدين تقاتل أعداء الأمة الإسلامية وتنتصر عليهم انتصارات عظيمة إلى قرب نهاية القرن الأول الهجرى فكانت المحصلة ما يلى :

- تسيير جيش بقيادة عقبة بن نافع إلى ودان وفزان سنة ٥٠ هجرية، ثم إنشاء القيروان سنة ٥٥ هـ.

- ثم حملة بقيادة أبى المهاجر دينار، وصلت إلى تلمسان من سنة ٥٥ إلى سنة ٦٢ هـ تحقق انتصارات وتهزم أعداء.

- ثم حملات عديدة بقيادة عقبة بن نافع تسمى فى التاريخ الحملات الكبرى من سنة ٦٢ هـ إلى سنة ٦٤ هـ.

- ثم حملة زهير بن قيس التى قضى فيها على كسيلة، وقد استمرت من سنة ٦٩ هـ إلى سنة ٧١ هـ.

- ثم حملات موسى بن نصير وأولاده وقواده إلى المغربين الأوسط والأقصى، وجزر البحر المتوسط سردانية وصقلية من سنة ٨٥هـ إلى سنة ٩٢هـ.

- ثم حملات طارق بن زياد وموسى بن نصير وموسى بن عبد العزيز بن موسى إلى الأندلس، حيث فتحوها عام ٩٢ هـ.

- ثم اتجهت الجيوش المجاهدة لرد العدوان والكيد إلى «غالة» فرنسا من سنة ١٠٠ هـ إلى سنة ١٤١ هـ، وكان لكل حملة قائد مجاهد منتصر كعنبسة بن سحيم، وعبد الرحمن الغافقى، وعبد الملك بن قطن بن عبد الله الفهرى الذى اتسعت فتوحاته حتى فتح «دوفييه» الريفيرا حاليا.

٨- وبعد أن استقر المسلمون فى الأندلس كانت لهم قوات ومواقع فى غالة - فرنسا - بل كانت لهم قواعد فيها حتى وصلت إلى «صانص» على أحد فروع السين على بعد سبعين كيلو مترا من باريس، وظل المسلمون فى فرنسا من سنة ١١٤ هـ إلى سنة ١٤٢ هـ حتى أمر عبد الرحمن الداخل بسحب هذه القوات من فرنسا ليقوى مركزه فى الأندلس.

٩- وفى عهد دولة الأغالبة كان للمسلمين نشاط جهادى على سواحل إيطاليا وجزائر البحر المتوسط، ففتحوا صقلية وغزوا جنوب إيطاليا من سنة ٢١٤ هـ إلى سنة ٤٠٠هـ، من ٨٢٧ - ١٠٠٩م.

١٠- واقد استطاع المسلمون فى حركتهم الجهادية أن تكون لهم السلطة على البحر المتوسط، وعلى بعض الموانى فى المحيط الأطلسى، وذلك أن أنشأوا أسطولين بحريين:

أحدهما: فى البحر المتوسط وقاعدته «المرية».

والآخر: فى المحيط الأطلسى وقاعدته «لشبونة».

وتمكن المسلمون من صد هجوم «النورمان» على موانيهم مرتين:

إحداهما: سنة ٣٥٥ هـ أيام حكم المستنصر.

والأخرى: سنة ٣٨٥ هـ أيام حكم المنصور أبى عامر.

ونتيجة لهذين الهجومين أمن المسلمون موانيهم ووجودهم بأن فتحوا الجزائر الشرقية المعروفة بجزر البليار وهى: ميورقة، ومنورقة ويابسة وفرمنتير.

١١- وفى عهد الدولة الفاطمية اتسع نفوذ المسلمين، وتعددت دور الصناعة حتى أصبحت فى كل ميناء، وكان من أهم هذه الدور:

- دار الصناعة بروضة مصر على النيل وكانت تبنى السفن الكبيرة. ودار الصناعة بالمقس وهى ميناء القاهرة على النيل.

وقد انتصر الأسطول الفاطمى على البيزنطيين فردهم من الشام وغيرها من البلاد التى اعتدوا عليها.

وكان لهم صراع مع الصليبيين.

- ومما يذكر للخليفة المعز لدين الله الفاطمى أنه أنشأ ديوان الجهاد والعمائر، وكان الفاطميون فى حرب مع الصليبيين منذ سنة ٤٩٢ هـ بداية هذه الحروب، وما بعد ذلك.

١٢- واستطاع صلاح الدين الأيوبى - بعد أن وحد مصر والشام - أن يسير جيشا قويا لقتال الصليبيين فاستعاد منهم حطين فى ربيع الآخر من سنة ٥٨٣ هـ، ثم استعاد بيت المقدس فى شهر رجب من سنة ٥٨٣ هـ.

١٣- واستطاع الأيوبيون ومن بعدهم المماليك أن يستأصلوا الصليبيين من العالم العربى باستعادة آخر حصن لهم حصن عكا على يد السلطان أشرف خليل بن قلاوون الذى أزال الوجود الصليبى من صور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل سنة ٦٨٩ هـ وما بعدها.

١٤- واستيقظت روح الجهاد فى سبيل الله فى الدولة العثمانية - التى حكمت معظم بلدان العالم الإسلامى - واستطاعت أن تقضى على الدولة البيزنطية، ثم اتجهت بجيوشها إلى شرقى أوروبا ووسطها تمد سلطانها على كثير من بلدان أوروبا حتى وصلت إلى ڤينا قلب أوروبا.

وبعد: فبهذه الإشارات التى ذكرنا لانتصارات المجاهدين المسلمين على أعدائهم نستطيع أن نؤكد أن الجهاد فى سبيل الله هو الذى حقق هذه الانتصارات ما دام المجاهدون قد أخذوا كما أمرهم الله تعالى بأسباب القوة.

وبذلك نستطيع أن نؤكد كذلك أن هذه الانتصارات على الأعداء فى الماضى يمكن أن تحدث فى الحاضر وفى المستقبل.

● غير أن السنن التى تحكم حركة الحياة تؤكد من جانب آخر أن الذين يقعدون عن الجهاد فى سبيل الله ينهزمون ويتخطفهم أعداؤهم من كل جانب، ويستولون على أوطانهم وأموالهم وأعراضهم وشرفهم وكرامتهم - كما سنوضح بعض هذه المواقف بعد قليل.

وقد قعد المسلمون عن الجهاد فى سبيل الله، وكان لهذا القعود أسباب نابعة من داخل المسلمين حينا أو مفروضة عليهم من عدوهم حينا آخر، وهذا ما سنحاول توضيحه فى النقطة التالية.

جـ- لماذا قعد المسلمون عن الجهاد فى سبيل الله؟

قعود المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله - أمة وشعوبا وحكومات - حقيقة لا تحتاج إلى أن يقوم عليها دليل أو تؤيدها حجة لأن القعود عن الجهاد فى سبيل الله معروف مشاهد بنتائجه المحسوسة؛ المرئية والمسموعة والملموسة على كل صعيد فى بلدان العالم الإسلامى، وإنما بحثنا عن أسباب هذا القعود، وهى أسباب خمسة كما تصورت، أربعة منها نابعة من داخل الأمة الإسلامية والخامس مفروض على الأمة الإسلامية من أعدائها المحدقين بها المتربصين بها الدوائر.

أما الأسباب الأربعة النابعة من داخل الأمة المسلمة فهى:

- ضعف تمسك المسلمين بدينهم.

- وسوء فهمهم للدين ولمكانة الجهاد فيه.

- وما سيطر عليهم من فرقة واختلاف.

- وتخلفهم العلمى والتقنى فى هذا العصر.

وأما السبب الخامس المفروض على الأمة من خارجها فهو:

- تضليل أعداء الأمة الإسلامية للحكومات المسلمة ولعدد غير قليل من المثقفين المسلمين.

ولنوضح ذلك والله الموفق.

السبب الأول: ضعف تمسك المسلمين بدينهم:

وهذه ظاهرة يلحظها كل متابع لأحوال المسلمين على مر تاريخهم بعد القرون الثلاثة الأولى خير القرون كما أخبر عنها المعصوم ﷺ.

وإنما ضعف تمسك المسلمين بدينهم؛ قيمه وآدابه وتعاملاته، لضعف انتمائهم للدين واعتزازهم بالانتساب إليه، لما يغريهم به الشيطان من انتماء لغيره واعتزاز بسواه، هذا سبب.

وسبب آخر لضعف التمسك بالدين عند المسلمين هو أن هذا التمسك بالدين يفرض على المتمسك به قيما وآدابا ومعاملات تخالف الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء، والناس فى معظمهم أميل إلى التحرر من قيود القيم والآداب، والجرى وراء هوى النفوس ولذاتها وإن كان فى ذلك ما يرديها فى الدنيا والآخرة.

إن التمسك بالدين والصبر على هذا التمسك صعب بل يشبه القبض على الجمر، فقد روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ويل للعرب من شر قد اقترب، فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا يبيع قومٌ دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر أو الشوك»**.

وروى أبو داود بسنده عن أبى أمية قال: سألت أبا ثعلبة الخشنى فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول فى هذه الآية: «**عليكم أنفسكم...**» قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك - يعنى بنفسك - ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر فيه مثل القبض على الجمر، للعامل فيه أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله**» وزاد، قيل: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «**أجر خمسين منكم**».

● إن ضعف تمسك المسلمين بدينهم تحركه الأهواء والشياطين ويشجع عليه الفاسقون والمستهترون، وفى هذا الضعف ضياع للجهاد ذروة سنام الإسلام، وفى ذلك نصر عظيم لأعداء المسلمين على المسلمين وهزيمة ساحقة للمسلمين، وما يجادل فى ذلك إلا الغافلون أو المكابرون.

وإن ضعف تمسك المسلمين بدينهم ومنه الجهاد له مظاهر عديدة من أهمها:

– تراجع القيم والآداب الإسلامية، بحيث تصبح القيم السائدة هى القيم الوافدة التى تخالف الإسلام وتناصبه العداء.

– وقد سرى هذا الضعف فى التمسك بالقيم الإسلامية فى المجتمعات المسلمة فى كثير من بلدان المسلمين، وشاع حتى أصبح طرح القيم الإسلامية والتمسك بقيم غربيين أو شرقيين شيوعيين أو اشتراكيين هو السائد وهو الذى يجد مؤيدين له!!!

– وتجاهل الحكم بما أنزل الله فى كتابه وبسنة رسوله ﷺ، وذلك بعزل الحلول الإسلامية لمشكلات الناس فى مجالات الاجتماع والاقتصاد والثقافة والتربية، بل شن الحملات على تلك الحلول، والتحقير من شأن النظام الإسلامى ومنهجه فى حياة الناس، بل إن بعض الدول المسلمة التى تقودها حكومات علمانية لا تستحى أن تجهر بأن الحلول الإسلامية لمشكلات الناس يجب أن تستبعد تماما، لتحل محلها حلول علمانية خادعة موقوتة.

وأجهزة الإعلام تبذل فى ذلك جهد الموظف المخلص لمن وظفه ومن يستطيع أن يخلى مكانه منه متى أراد!!!

– وتجاهل القانون الإسلامى المدنى والجنائى بل قانون الأحوال الشخصية فى بعض بلدان العالم الإسلامى كأولئك الذين يعطلون الحدود، ويستبشعون القصاص ويقيدون الزواج والطلاق بما لم يقيده به قانون الإسلام.

وقد استوردوا قوانين وضعية مدنية وجنائية، ما أفلحت أبدا فى أن توصّل إلى ذى حق حقه، ولا ردعت مجرما أو زجرته؛ بدليل كثرة ضياع الحقوق وانتشار الجرائم واضطهاد المرأة، وضياع الأطفال، وانتشار الفقر والجهل والمرض والرذيلة فى ظل تطبيق هذه القوانين الضعيفة.

وترتب على ذلك ضياع الجهاد فى سبيل الله وتعطيله مع أنه ذروة سنام الإسلام كما يعرف ذلك كل مسلم.!!!

والسبب الثانى: للقعود عن الجهاد فى سبيل الله هو:

سوء فهم المسلمين للدين ولمكانة الجهاد فيه.

ولسوء الفهم هذا أسباب عديدة منها:

- إقصاء كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عن المناهج التعليمية، وعن أن يكونا مصدرين للثقافة والمعرفة، وتجاهل المناهج التعليمية للكتاب والسنة فى معظم بلاد المسلمين لا يحتاج إلى دليل أو برهان، فبحسبنا أن ننظر فى خطة المناهج الدراسية لنرى موقع الدروس التى يشرح فيها القرآن الكريم والسنة النبوية من دروس اليوم المدرسى كله، ونرى عدد الساعات المقررة للكتاب والسنة فى الأسبوع مقارنة بسائر المقررات الدراسية، لنوقن بهذا التجاهل!!!

- وتجاهل دراسة السيرة النبوية بوصفها سيرة النبى الخاتم القدوة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ، تجاهلا متعمدا لابد أن وراءه كيد الأعداء لهذا الدين واستجابة الغافلين من المسلمين، لأن قطع المسلمين عن سيرة نبيهم قطع لمصادر الثقافة النافعة والمعرفة الحقة وغذاء الروح والعقل وآداب القول والصمت والعمل والترك، وهذا يجعل المسلمين فارغين من القيم الإسلامية، عاجزين عن ممارسة الحياة بما يرضى الله تبارك وتعالى.

وأبرز ما فى سيرة الرسول ﷺ دعوته إلى الله وحركته بهذا الدين فى الناس والآفاق وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وجهاده فى سبيل الله تعالى فى غزواته وسراياه - فهل تُعطى هذه السيرة النبوية ما تستحق؟

إن الكليات العسكرية فى معظم بلدان العالم الإسلامى لا تعطى سيرة الرسول ﷺ وغزواته وسراياه الاهتمام اللائق بها، وإنما تتجاهلها عن عمد!!!

- وسوء فهم العبادات فى الإسلام:

بحيث أصبحت العبادات تؤدى دون النظر إلى الحكمة من تشريعها حينا، أو لا تؤدى كسلا وإهمالا حينا آخر، وعلى سبيل المثال:

- فلم تعد الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.
- ولم تعد الزكاة تطهيرا للنفس وللمال من الشح والنقصان، وتطهيرا للمجتمع من حقد المحتاجين وجرائمهم.

● ولم يعد الصوم تدربًا على الإمساك عما يغضب الله، وإنما اصبح مجرد إمساك عن الطعام والشراب.

● ولم يعد الحج تطهرا من الذنوب ليعود الحاج من حجه كيوم ولدته أمه قد غفر الله ذنبه، وإنما اصبح رحلة سياحية ترفيهية لحمل اللقب. وهكذا صارت سائر العبادات!!!

– وإهمال المعاملات فى إطارها الإسلامى إهمالا متعمدا يبدأ بالحكومات والمسئولين ثم يقلدهم فى ذلك سائر الناس، ودليل ذلك أن حكومات العالم الإسلامى اليوم قد استولت على الأوقاف الإسلامية، وتعاملت بالربا مقرضة ومقترضة وسمحت بالاتجار فى الخمر والخنزير وسائر ما حرم الله، وأعطت رخصا لأندية القمار وحانات الخمر والمراقص والملاهى.!!!

– وإهمال ولاية الأسرة على أبنائها بحجج واهية تجهل أبسط قواعد التربية، وتعطلت القيم الأسرية التى تحمى جميع أفراد الأسرة من الانحراف ومعصية الله تعالى، وأصبح الأب يُنادى باسمه وكذلك الأم، فكان لذلك أوخم العواقب وأسوأ النتائج التى أدت إلى تمرد الأبناء على الآباء، وجنوحهم وإقبالهم باسم الحرية على كل خطأ أخلاقى واجتماعى، ففشت الجرائم وانتشر الزنا وسميت المحرمات بغير اسمها، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

– وعطل المسلمون الجهاد فى سبيل الله حكومات وأفرادا، وتجاهلوا أنه قيمة وعبادة وحركة ومصدر رزق وسبب لهيبة المسلمين أمام كل عدو لهم، بل تجاهلوا أن الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام الإسلام أى له فيه أعلى مكانة.

وكال الأعداء التهم للجهاد فى سبيل الله فزعموا أنه إكراه للناس على الدخول فى الإسلام، واستعمال للقوة بإفراط، بل إن منهم من قال: إنه إرهاب!!!

والسبب الثالث: من أسباب قعود الأمة الإسلامية عن الجهاد هو:

ما سيطر على المسلمين من فرقة واختلاف:

لهذه الفرقة وذلك الاختلاف تاريخ حافل مؤلم فى كثير من بلدان العالم الإسلامى منذ زمن بعيد أى منذ انقضاء زمن الخلافة الراشدة، وإلى يومنا هذا، ولا شك أن هذه الفرقة والخلاف نابعان من المسلمين حينا، ووافدان عليهم من أعدائهم حينا آخر.

● ومع الفرقة والخلاف تكون أوخم العواقب:

– فمعها يكون الضعف وذهاب الريح وضياع الهيبة، وتبديد الجهود وتمزيق الصفوف.

– ومع الفرقة والاختلاف تكون الهزائم أمام الأعداء، وما يترتب على هذه الهزائم من خراب ودمار وضياع للأرض والعرض والمال.

– ومع الفرقة والخلاف تكون العوائق بين أجزاء الأمة الإسلامية ويصعب إن لم يكن من المستحيل تخطيها أو تجاوزها.

– ومع الفرقة والخلاف يحال بين أوطان الأمة الإسلامية وبين أى اتحاد اقتصادى أو سياسى فضلا عن اتحاد عسكرى دفاعى.

● وأسوأ ما كانت الفرقة والاختلاف من يوم تحالف أعداء الإسلام من غرب ويهود وشرق على إسقاط دولة الخلافة العثمانية فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى، الربع الأول من القرن العشرين الميلادى، وعلى تمزيق دولة المسلمين الرمز، حتى لقد اصطنع الأعداء مستعمرين وملحدين ويهودا رجلا يحمل اسم المسلمين ولا ينتمى إلى الإسلام بأى صفة هو مصطفى كمال ليتولى بنفسه حرب وحدة المسلمين بل حرب الإسلام نفسه بتحويله دولة الخلافة إلى دولة لا دينية «علمانية» تتحدى الإسلام فى كبرى عواصمه وتمنع الأذان باللغة العربية، وتحول المساجد إلى مخازن ومرابض ومعاطن وإلى آثار لا تقام فيها الصلوات!!!

● ولقد صارت الدولة الإسلامية الواحدة اليوم ستين دولة ترى كل واحدة منها نفسها – مهما كانت صغيرة أو فقيرة – أنها فوق غيرها من دول العالم الإسلامى، فيحدث بينها نزاع وصراع على الحدود الأرضية والمائية والنفطية والعرقية والمذهبية.

– ولا شك فى أن أعداء الأمة الإسلامية وراء هذه الخلافات والنزاع والصراع يلقون الحطب فى نار الخلاف ويزودونها بالنفط لتزيد اشتعالا.

– لقد استطاع أعداء الأمة الإسلامية أن يصطنعوا بين المسلمين حربين ضاريتين بين العراق وإيران، والأخرى بين العراق والعالم كله بعد أن اجتاح العراق جارته العربية المسلمة الكويت فخدع الأعداء صدام العراق مرتين ونصحوه بما يضره وينفعهم، فما عرف العراق حاكما له كان أشأم عليه من صدام، فقد أدخل العراق فى محنتين كل منهما استنزفت شعب العراق لصالح أعداء الأمة الإسلامية والعربية!!!

– وكل خلاف بين بلدين مسلمين أو عربيين لابد أن نلحظ وراءه مكر اليهود وتدبيرهم ونلحظ معه غفلة بعض الحكام العرب وغرورهم والمستفيد من هذه الخلافات التى قد تصل إلى حد الحرب هم صانعو الأسلحة ومستشارو الحرب من الغرب أو الشرق أو اليهود الصرحاء لدى بعض الدول التى تتصل باليهود من وراء حجاب!!!

– وعندما يعجز الأعداء عن إثارة الفرقة والانقسام بين المسلمين فإنهم يصطنعون للغافلين من حكام العرب خلافا حول قضايا مشتركة بين دولتين مثل العرقيات والعصبيات واللهجات ونحو ذلك مما يستنزف طاقة المسلمين ويصرفهم عن العمل فيما ينفعهم.

● **وأستطيع أن أقول مطمئنا إلى صحة ما أقول:**

إنه ما من خلاف بين بلدين مسلمين أو طائفتين فى بلد مسلم إلا كان وراء هذا الخلاف أصابع بل أيد بل أذرع تحرك هذا الخلاف وتوسعه من أعداء الأمة الإسلامية المتربصين بها.

ومن نماذج تلك الخلافات والخصومات:

– ابتكار الخلاف والصراع حول القوميات – التى حاربها الإسلام منذ جاء – مثل: الطورانية والفينيقية والبابلية والآشورية والفرعونية والعربية والبربرية، وحشد المتعصبين لكل قومية.

من الذى أيقظ هذه النزعات المخالفة للإسلام؟

ومن الذى جعل إفريقية تغلى فوق بركان وبخاصة بلدانها التى فيها أغلبية مسلمة؟

ومن الذى أحيا الصراعات السياسية فى عديد من بلدان آسيا؟

ومن الذى يغذى الصراع بين بعض البلدان الإسلامية وجاراتها غير المسلمة كباكستان والهند؟ أو يغذى الطائفية فى البلد الواحد مثل: نيجيريا شماليها وجنوبيها، والسودان شماله وجنوبه، والجزائر عربها وبربرها؟ فتلك طائفية فى نيجريا والسودان لا يوقظها إلا أعداء الإسلام، وتلك عرقية فى الجزائر لا يحركها إلا أعداء الإسلام.

ومن الذى أغرى كثيرا من حكومات العالم الإسلامى بالجماعات الإسلامية الإصلاحية المسالمة؟ ومن الذى صنفها جماعات إرهابية؟

ومن الذى زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى لتحول بينه وبين التقدم والوئام والاتحاد والوحدة؟

ومن الذى يضرب المسلمين فى الشيشان ودول البلقان، وأفغانستان وفلسطين؟

ومن الذى أخذ على نفسه العهد أن تكون إسرائيل أقوى من جميع دول العالم العربى وأعلن ذلك فى صراحة؟

ومن الذى شنها حربا صليبية وأعلن ذلك بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م؟

ومن الذى هاجم الإسلام والحضارة الإسلامية، وادعى أن الإسلام دين يعادى التقدم والحداثة؟

والسبب الرابع: من أسباب قعود الأمة الإسلامية عن الجهاد هو:

التخلف العلمى والتقنى الذى أصاب المسلمين:

الجهاد فى سبيل الله يحتاج إلى إعداد معنوى ومادى - كما أوضحنا ذلك آنفا - والإعداد المادى هو وسائل القتال كلها، وتلك الوسائل يحتاج إنتاجها إلى العلم المتقدم والتقنية العالية، ومن لم يستطع أن ينتج وسائل الحرب وآلياتها ومعداتها فلن يستطيع أن يحقق النصر على عدوه، فما بالنا بمن يحتاج وسائل حربه وآلياتها من عدوه أو من صديق عدوه؟

- والمسلمون اليوم قد أهملوا وضعفوا حتى استهان بهم أعداؤهم واحتلوا أرضهم وأبادوهم وأجلوهم وهجروهم، فى كثير من بلدان المسلمين، وأوضح مثال لذلك ما فعلته إسرائيل فى الفلسطينيين وما فعله الروس فى الشيشان وما فعلته أوروبا المؤيدة للصرب والكروات فى البوسنة والهرسك وكوسوفو، وما تفعله الولايات المتحدة فى أفغانستان، وما تفعله الهند فى كشمير، وما كان ذلك كله ليحدث بالمسلمين لو أنهم لم يقعدوا عن الجهاد فى سبيل الله.

- والمسلمون من يوم نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال: ٦٠]. منذ نزول هذه الآية الكريمة وإلى يوم يقوم الناس لرب العالمين المسلمون مطالبون بإعداد القوة وكل الوسائل التى تمكنهم من النصر على أعدائهم. ولقد يسوغ لنا أن نقول: إن هذه الآية الكريمة هى آية الأخذ بالأسباب عمومًا، والأخذ بأسباب القوة فى مواجهة الأعداء خصوصًا؛ فما بجاوز الصواب بإذن الله تعالى.

● وعند التدبر فى هذه الآية الكريمة نهتدى إلى أمور منها:

– أن الإعداد أى الأخذ بالأسباب المؤدية إلى القوة جاء بصيغة الأمر «وأعدوا» مما يعنى أنه واجب شرعى، كالواجب فى أمره تعالى فى قوله: ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ وقوله: ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ وقوله: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله**﴾.

– ارتبط الأمر بالإعداد بأن يكون من أجل الانتصار على الأعداء، أى مكافئًا أو متفوقًا على إعداد العدو ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم**﴾.

– وأن إرهاب أعداء الله مطلب شرعى، لأن إرهابهم قد يكفهم عن قتال المسلمين ﴿**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ..**﴾.

– وأن من الأعداء أعداء ليسوا منظورين ولا معروفين الآن ولكنهم موجودون يجب إرهابهم، كذلك ليكفوا شرهم عن المسلمين ﴿**وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾.

– وأن هذا الإعداد للحرب مع الأعداء تسلح واستكمال لآلة الحرب، وأن ذلك يجب أن يكون على أعلى مستوى علمى وتقنى، طالما أن العدو يفعل ذلك.

● وعلى المسلمين اليوم أن يخرجوا أنفسهم من دائرة التخلف العلمى والتقنى التى فرضها عليهم أعداؤهم، ابتداء من مجال التعليم إلى الثقافة إلى العلم إلى التقنية إلى الابتكار والاكتشاف فى مختلف مجالات العلم، وليس هذا بمستحيل فقد فعلته اليابان، وكوريا، والصين، والهند وغيرها فى عصرنا هذا!!

● وإن بدء الإصلاح وبدء التقدم والوصول إلى الإبداع والاكتشاف والتفوق لا بد أن يُسبق بحرية سياسية واحترام لحقوق الإنسان وحرياته فى معظم بلدان العالم الإسلامى، لأن أنظمة الحكم التى تستعمل قهر المواطنين وحرمانهم من الحرية السياسية تحول بين الأمة وبين أى تقدم؛ إذ كيف يكون التقدم والإبداع مع القهر والخوف وعدم تداول السلطة؟ وتزوير الانتخابات وتضليل الناخبين وحرمان كثير منهم من الإدلاء بأصواتهم لمن يريدون؟

لا تقدم فى العلم والتقنية والاكتشاف والإبداع مع الأحكام العرفية والمحاكم الاستثنائية والحزب الواحد.

● إن أعداء الأمة الإسلامية لا يرضيهم شىء مثل ما يرضيهم استمرار المسلمين على هذا

الوضع من التخلف العلمى والتقنى، وفى مقدمة هؤلاء الأعداء اليهود أو الصهاينة[١] وغيرهم من الغرب أو الشرق.

- إن هؤلاء الأعداء يضعون العراقيل أمام الأمة الإسلامية عمومًا، والأمة العربية خصوصًا ليحولوا بينها وبين التقدم العلمى والتقنى الذى لا حياة لأمة معاصرة إلاَّ به.

إن هؤلاء الأعداء وبيدهم مقاليد القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية؛ قد فرضوا على الأمة الإسلامية والأمة العربية أن يعيشا هذا التخلف العلمى والتقنى - بحكم احتكارهم لهذا التقدم - حتى تظل الأمة الإسلامية كلها عربًا وغير عرب فى حاجة إلى أعدائها فى معظم مجالات الحياة وبخاصة الاقتصادية منها كالقمح، والسكر، والنفط، والقطن، والصناعة المتطورة، والاتصال والمواصلات، والطب، وصناعة الدواء، وصناعة الأجهزة الطبية... إلى ما لا نهاية له من حاجات الناس فى الحياة.

أما صناعة السلاح فإن ممارستها - فى عرف العولمة الجديدة المعادية للإسلام والمسلمين - جريمة تُعاقب عليها الدولة التى تمارسها!!! بل وتتهم بالإرهاب[٢]!!!

- إن العالم الإسلامى اليوم محاصر سياسيًا واقتصاديًا وصناعيًا وعلميًا وتقنيًا، ما يشك فى حقيقة هذا الحصار من له عين تبصر، وبصيرة تعى.

وإن هذا الحصار من الدول التى تعادى الإسلام والمسلمين صراحة فى أجهزة إعلامها وبأقلام كتابها، ولا ترى فى ذلك عنصرية ولا استعلاء.

وإن هذا الحصار المتنوع من السياسة إلى الاقتصاد إلى التسلح يستهدف أن تكون بلدان العالم الإسلامى أسواقًا لمنتجات تلك الدول المعادية، ومن أجل هذا يحال بين بلدان العالم الإسلامى وبين التقدم العلمى والتقنى.

---

(١) يدعى بعض الغافلين أو الخائفين أن اليهودية ديانة والصهيونية سياسة وقومية وهى دعوى كذبها اليهود الصهاينة أنفسهم فقد أكدوا أنهما شىء واحد. فقد عقدوا المؤتمر الصهيونى فى الثامن والعشرين وأصدروا عنه مجلداً خاصاً نشر سنة ١٩٧٢م جاء فيه على لسان: إيجال آلون أمام المؤتمر قوله: «الصهيونية هى نفسها القومية اليهودية ذلك أن الصهيونية تتيح للشخص العلمانى أن يظل يهوديا، وبالطبع إنها تتيح لليهودى المتدين أن يدمج فيها تدينه إلى جانب قوميته، وبعبارة أبسط إنها تحتل فكرة يهودية شاملة وقومية عامة توجد إطاراً يحتوى في طياته على جميع الروافد الموجودة فى اليهودية وفى الشعب اليهودى» ص ٥٢٣ من المجلد المشار إليه - نقلاً عن جريدة الأهرام الصادرة فى ١/٥/٢٠٠٢م.

(٢) حار المجتمع الدولى ومعه مجلس الأمن فى تعريف الإرهاب ولم يفرقوا بينه وبين مقاومة المحتلين المستوطنين لأراضى الغير، بل أصبح تعريف الإرهاب يتسع ليعطى للدول القوية ولإسرائيل الحق فى تعريف الإرهاب بما يحقق مصالحها طالما تملك القوة العسكرية والسياسية التى تبيح لها العدوان على سيادة أمة وانتهاك أرضها بل احتلالها من أجل القضاء على الإرهاب فيها!!! حتى لو أدَّى ذلك إلى إسقاط نظام الحكم فيها.
وأعجب ما عرفت به أمريكا الإرهاب عمليًا وواقعيا هو أن الإرهابى هو من يعادى أمريكا حتى لو كان يدافع عن نفسه وأرضه، وأن المجاهد هو من يؤيد الولايات المتحدة الأمريكية!!! إنها مهزلة ثقافية أمريكية تحتاج إلى المئات من علامات التعجب.

والسبب الخامس من أسباب قعود المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله هو :

تضليل الأعداء للحكومات المسلمة ولشعوبها :

والمضلَّلون لا يستطيعون أن يجاهدوا فى سبيل الله لأن جهادهم مع هذا الضلال لن يكون من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا، وهو بهذا ليس جهاداً فى سبيل الله.

والمضلَّلون قلما يدركون أنهم مضلَّلون وبخاصة إذا كان من يضللهم أقوى سلطة ونفوذاً، وله إمكانات سياسية واقتصادية وعسكرية تمكنه من خَلع من يضللهم عند اللزوم.

وقد استطاع أعداء الأمة الإسلامية منذ ما يقرب من قرن من الزمان أن يشوهوا عقول كثير من حكام العالم الإسلامى وكثير من شعوب هذا العالم الإسلامى بما يملكون من ضغوط سياسية، واقتصادية، وعسكرية، وثقافية فيضلونهم عن الحق عمومًا وعن الجهاد من أجل استعادة أوطانهم من دائرة النفوذ الأجنبى – على وجه الخصوص– وكانت لهم ولا تزال وسائل يتوصلون بها إلى هذا التضليل، ومن تلك الوسائل :

– طائفة من المستشارين لحكام بلدان العالم الإسلامى، قد يلجأ الأعداء إلى فرضهم على بعض الحكام إن لم يقبلوهم بصورة ودية، ولا يشير هؤلاء إلاَّ بما يحقق مصالح بلادهم، ويتجاهل مصالح البلدان الإسلامية فى الحاضر أو فى المستقبل.

– وابتعاث صفوة المتعلمين فى بلدان العالم الإسلامى لإكمال تعليمهم العالى أو الدراسات العليا فى بلدان الأعداء أوروبا أو أمريكا أو روسيا، وهناك يسقون من ماء يورثهم الولاء للبلدان التى أكملوا فيها تعليمهم، فإذا عادوا إلى أوطانهم تسلموا أرفع المناصب وأهمها فى البلدان الإسلامية، فكانوا عونًا على إقصاء المنهج الإسلامى من المواقع التى يتولون المسئولية فيها بحجة الحداثة والتطوير!!!

– وإغراء كثير من الحكام– ملوكًا وأمراء ورؤساء– فى العالم الإسلامى بإيفاد أبنائهم – ورثة عروشهم وكراسيهم فيما بعد – ليتلقوا تعليمهم فى بلاد الأعداء، ليصبح ولاؤهم للبلاد التى تعلموا فيها ولحضارتها وثقافتها، وذلك على حساب الولاء لدينهم وأوطانهم وحضارتهم وثقافتهم، وتلك النماذج فى العالم الإسلامى لا تخفى على أحد!!!

ومن لم يوفد أبناءه من هؤلاء الحكام إلى بلاد الغرب والشرق علمهم فى مدارس الأعداء وجامعاتهم المزروعة فى بلدان العالم الإسلامى، والنتيجة واحدة..

ومن استطاع من هؤلاء الملوك والأمراء والرؤساء أن يستوفد لأبنائه الأساتذة من الخارج فعل، وأيضاً تصبح النتائج واحدة فى إعطاء الولاء لحضارة الأعداء وثقافتهم.

– وإغراء بعض الطامحين من ضباط الجيوش فى بلدان العالم الإسلامى بأن يقوموا بانقلابات عسكرية فى بلادهم بدعم وتأييد معنوى وربما مادىّ حتى ينجح الانقلاب ويتسلموا السلطة فيكون ولاؤهم لمن أيدوهم.

وما من انقلاب عسكرى فى معظم بلدان العالم الإسلامى إلا وقد اتخذ العنف والإرهاب والأحكام العسكرية منهجًا فى حكم البلاد، فيزيد قمع الناس وقهر إرادتهم وإرهابهم بالسجون والمعتقلات، حتى إن بعض هؤلاء الطامحين العسكريين قد افتخر فى إحدى عواصم الشرق بأنه اعتقل ثمانية عشر ألف مواطن فى ليلة واحدة!!

وإن القمع والإرهاب والسجون الحربية والمعتقلات والتعذيب ومصادرة الحريات ومصادرة الأموال وهتك الأعراض وإهدار إنسانية الإنسان هى المفردات لأى نظام عسكرى فى العالم الإسلامى بل فى العالم كله.

● تلك بعض الوسائل مما يضلل بها أعداء الإسلام والمسلمين حكام العالم الإسلامى وشعوبه، وكل ذلك لا يستهدف إلا إقصاء الإسلام؛ منهجه ونظام حكمه عن حياة الناس، وفى ذروة منهج الإسلام فريضة الجهاد فى سبيل الله، فتتعطل مع هذه الموجات من التضليل.

وإن الذين يقومون بهذا التضليل يحبون دائمًا أن يلبسوا ثياب العلماء والحكماء والناصحين المخلصين، وكثير منهم قد أعَدَّتهم بلادهم للقيام بهذا العمل فى البلدان الإسلامية فعكفوا هناك على دراسة تاريخ المسلمين وحضارتهم ولغات عدد من شعوبهم؛ ليكونوا على علم بما ينصحون به، وما يقدمونه من سمّ بطىء المفعول لكنه قاطع وقوى يغلفونه بقوالب من الكلمات التى نشروها فى العالم الإسلامى مثل: الموضوعية، والحيادية، والعقلانية، والمنهجية، وكل مصطلح مضلل يؤدى إلى عزل الدين عن حياة الناس وإحلال العلمانية محله، ليخلو لهم الطريق إلى مزيد من التضليل!!!

● وكان لهذا التضليل المدروس الذى جُنِّد له كبار المضللين نتائج عديدة، كلها تصب فى صالح الأعداء، ومن هذه النتائج:

– قالت طائفة من أبناء الأمة الإسلامية الذين ثقفوا ثقافة الأعداء: نأخذ من ثقافة الغرب وحضارته الحلو والمر، والخير والشر!!، وقال الذين ثقفوا ثقافة شيوعية أو اشتراكية: إن أبا ذر الغفارى رضى الله عنه أول اشتراكى فى الإسلام!!!

– وقالت طائفة أخرى بنبذ الدين كما نبذته أوربا، ووصفوا الدين بأنه أفيون الشعوب ومخدرها وجاذبها إلى الوراء إلى عالم الغيب والأساطير!!!

– وقالت طائفة ثالثة: إن الدين لله والوطن للجميع، متعامين – نظرًا لثقافتهم البعيدة عن الدين – عن أن الدين لله والوطن لله والجميع لله، وهو سبحانه الذى أقر العدالة والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

– وقالت الطائفة التى تقلد أوربا وتأخذ بخير حضارتها وشرها وحلوها ومرها، إن أوربا نبذت المسيحية من حياتها وإن رجال الكنيسة قد أفسدوا على الناس حياتهم وتحكموا فى حرياتهم، بل فى أملاكهم باسم الكنيسة، فلننبذ الإسلام كما فعلت أوربا حتى نتخلص من تحكم رجال الدين فى الناس!!!

– وقياس الإسلام على المسيحية قياس باطل يفقد وجه الشبه والعناصر الجامعة بينهما، فلا الإسلام قد استعبد الناس يومًا باسم الدين أو المسجد، ولا يوجد فى الإسلام رجال دين «كهنوت» أو «إكليروس»، وعلماء المسلمين لا يملكون أن يتسلطوا على الناس باسم الإسلام، وليس فى الإسلام سلطة تمنح قراريط الجنة أو تحرم منها.

– وسرت عدوى التضليل إلى القيم الخلقية فنبذت تقليداً للغرب فى نبذهم كل ما هو أخلاقى – أى قِيَمىّ – حتى أصبح كل واحد ممن ربوا على قيم الغرب وثقافته يستبعد من أى حوار أو مناقشة مشيحًا بوجهه – كما شوهد فى التلفزيون– قائلاً: «إن هذه مسألة أخلاقية يجب أن تستبعد...»!!!

وإذا استبعدت القيم الخلقية من الحياة فقد بقى فيها الغش والكذب والخداع والنفاق ونقض العهد والغدر والسرقة وسائر الرذائل، فهل يمكن أن تكون حياة إنسانية تلك التى استبعدت منها القيم الخلقية؟

● ونتيجة لهذا التيار الآخذ من الحضارة الغربية خيرها وشرها نشأ تيار مضاد من المسلمين الذين ينادون برفض كل الحضارة الغربية دون تمييز بين ما هو صالح منها وما هو فاسد، وليس هذا بصحيح ولا ذاك، وإنما التوسط والاعتدال والأخذ من كل حضارة وثقافة ما لا يناقض شيئًا جاء به الإسلام، إذ الحضارات كلها نتاج عقول خلقها الله

وهداها إلى ما وصلت إليه والأخذ منها إنما يحرم إذا خالف شيئًا مما جاء به الإسلام.

● وفى هذه الموجة العاتية الجارفة من التضليل نال الجهاد فى سبيل الله ما ناله من الزور والبهتان، فكان ذلك عند قصار النظر سببًا فى القعود عن الجهاد فى سبيل الله، حيث اتهم الجهاد بأنه عنف وإرهاب، حتى لو كان دفاعًا عن النفس والعرض والأرض والمال!!

د - نتائج القعود عن الجهاد فى سبيل الله:

عندما كانت الأمة الإسلامية متمسكة بدينها، لم تعطل الجهاد ولم تقعد عنه ولم تخدع عنه أو تُضلَّل، عندئذ كانت الأمة الإسلامية تؤدى وظيفتين عظيمتى النفع لها فى دينها ودنياها.

إحدى هاتين الوظيفتين:

حماية الأمة ووقايتها من عدوان أى معتد عليها، وتلك طاعة لله شرع الجهاد من أجلها، ومع طاعة الله يكون العز والتمكين فى الأرض، كما أن مع معصية الله الذل والمهانة وانتقاص الأرض ثم ضياعها.

والوظيفة الأخرى:

هى تمهيد الطريق أمام نشر الدين الحق، وإزالة العقبات منه، حتى تصل الدعوة إلى الدين الحق إلى جميع الناس فى كل آفاق الأرض، وتلك أيضًا طاعة لله تعالى تكون معها العز والتمكين لهذا الدين فى الأرض.

● ومن يتابع بدقة وإنصاف كيفية انتشار الدين الحق فى الناس والآفاق يتأكد أن الجهاد فى سبيل الله هو معامل النجاح والفلاح والفوز فى معارك الدعوة إلى الدين الحق، وفى معارك الدفاع وردّ العدوان وفى معارك إزالة العقبات من الطريق.

- وعندما التزم المسلمون بقيم الدين الحق وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، انتشر الإسلام أوسع ما يكون الانتشار؛ ومن شك فى ذلك فليسأل الجغرافيا ولا يكتفى بسؤال التاريخ، ولينظر فى خريطة العالم الإسلامى فى ذلك التاريخ الذى لم يتجاوز قرنًا من الزمان(1).

---

(1) من أحسن المراجع فى هذه الخرائط وأدقها توثيقًا: «أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس» نشر دار الزهراء للإعلام بالقاهرة.

● الخريطة الجامعة لمراحل انتشار الإسلام فى العالم حتى اليوم - رقم: «٢٧».

- كانت تلك بعض النتائج لتمسك المسلمين بدينهم وممارستهم، ما أمر الله به من جهاد فى سبيله . . .

- فلما قعد المسلمون عن الجهاد فى سبيل الله دخلت عليهم الفتن وأصابتهم المحن وخافوا وضعفوا وتداعت عليهم الأمم، فانهزموا على الرغم من كثرة أعدائهم واتساع الأرض التى يعيشون فيها، لأنهم أقبلوا على الدنيا وكرهوا الموت فى سبيل الله تعالى، حيث تسقط مهابتهم فى عيون أعدائهم، ويُصبحون مطمعًا لأعدائهم.

- وإن النتائج المترتبة على ترك الجهاد فى سبيل الله فى ماضى المسلمين وحاضرهم ومستقبلهم متشابهة أشد أنواع التشابه لأنها من السنن التى لا تتخلف أبدًا، سُنَّة أن التمسك بالجهاد فى سبيل الله عز وقوة وأن القعود عنه ذل وضعف.

ومن هذه النتائج:

النتيجة الأولى: هزيمة المسلمين فى الأندلس:

كانت بداية ضياع الأندلس هى تفرق المسلمين وذهاب وحدتهم، وبالتالى قعودهم عن الجهاد فى سبيل الله، وظل بعض ملوك الإسبان - بمعاونة الكنيسة - يغيرون على أجزاء من الأندلس ويستولون عليها، واستمرت عملية سقوط الممالك الإسلامية، حتى انكمش وجود المسلمين فى الأندلس فى غرناطة وحدها التى احتفظ بها بنو نصر، وخلَّفوا فيها قصور الحمراء أعظم معالم الفن المعمارى فى أوربا كلها، ثم سقطت غرناطة وانتهى وجود المسلمين فى الأندلس عام ١٠١٨ هـ - ١٦٠٩ م بعد أن بقوا فى الأندلس ما يقرب من تسعة قرون، وخلَّفوا فيها أرقى حضارة إنسانية علميًا وفنيًا، مما جعل أوربا تقيم عليها نهضتها العلمية الحديثة - كما يعترف بذلك مؤرخو الحضارة الأوربية.

= • وخريطة مراحل اتساع أمة الإسلام - رقم: «٥٤».
• وخريطة فتوح المسلمين بعد نهاوند ٢١ هـ - ٦٤١ م فى إيران وأذربيجان وأرمينية وما وراء النهر، رقم: «٦٣».
• وخريطة فتح العرب للمغرب، رقم: «٦٦».
• وخريطة فتح الأندلس على يد طارق بن زياد، رقم «٧٠».
• وخريطة المسلمين فى غالة «فرنسا» سنة ١٠٠ هـ - ٧١٧ م، رقم: «٧١».

جزى الله المؤلف ومن أسهموا معه فى هذا العمل الجليل خير الجزاء، ولو استقبل القائمون على التعليم فى البلاد الإسلامية والعربية ما تعودوا أن يستدبروه لكان هذا الأطلس مرجعًا إلزاميًا فى المرحلتين الثانوية والجامعية على مستوى الكليات كلها، فإنه فى تصورى يدخل فى باب: «ما لا يسع المسلم المثقف جهله» فهل يفعل القائمون على التعليم ذلك؟

وقد صاحب هزيمة المسلمين فى الأندلس أعمال وحشية مارسها الإسبان ضد المسلمين فنكلوا بهم وأكرهوا كثيراً منهم على الخروج من دين الإسلام مع التعذيب ومصادرة الأملاك والأموال، ونصب محاكم التفتيش ذات الشهرة فى الوحشية وهدر حقوق الإنسان.

والنتيجة الثانية: هزيمة المسلمين أمام الصليبيين فترة من الزمان:

هزيمة المسلمين أمام الحملات الصليبية التى استهدفت بيت المقدس وشارك فيها ملوك أوربا وأمراؤها بتأييد الكنيسة وقيادتها ودعمها كانت نتيجتها أن نجح بعض الأوربيين فى إقامة ممالك فى الشرق الإسلامى فى أنطاكية والرها وطرابلس وأرمينيا وبيت المقدس نفسها، وظل هذا الوجود الصليبى ما يقرب من مائتى عام حتى أنهاه الأشرف خليل بن قلاوون بطرد الصليبيين من عكا سنة ٦٩٠هـ - ١٢٩١م، وظل بيت المقدس فى أيديهم تسعين عاماً حتى استعاده صلاح الدين فى رجب سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م.

وما هزم المسلمون أمام الصليبيين إلا لقعودهم عن الجهاد فى سبيل الله الذى يوحد صفوفهم ويشد من أزرهم، وما استطاعوا استعادة بيت المقدس ولا القضاء على الممالك التى أقامها الصليبيون إلا بالجهاد فى سبيل الله.

وكذلك كان الشأن مع دولة الخلافة العثمانية عندما تمسكت بالإسلام ومارست الجهاد فى سبيل الله، كان لها هذا الوجود وذلك الحضور، فلما قعدت عن الجهاد فى سبيل الله انتقصت أطرافها ثم سقطت!!!

والنتيجة الثالثة: هزيمة المسلمين أمام قوى الغرب الاستيطانية العنصرية:

كنا نقول الاستعمار وكنا مخطئين، لأنه استخراب وتخريب، والأدق أن نقول: استيطان وعنصرية، لأن ذلك ما ينطبق عليه، وتلك القوى الاستيطانية العنصرية وفدت على العالم الإسلامى من أوربا منذ ما يقرب من قرنين من الزمان، معوضين عما لحقهم من هزيمة أيام الحروب الصليبية، ومعهم الكنيسة تؤيد وتدعم وترفع شعار الصليب وتدفع بالجماعات التنصيرية لنقل المسلمين إلى النصرانية.

- والذين أخذوا على عاتقهم استيطان بلاد المسلمين والاستيلاء عليها وعلى مقدراتها الاقتصادية هم:

- هولندا.

- وبلجيكا.

- وفرنسا.

- وبريطانيا.

- وإيطاليا.

- وألمانيا.

- وإسبانيا.

- واليهود.

- والاتحاد السوفيتى سابقًا والاتحاد الروسى حاليًا.

- والولايات المتحدة الأمريكية.

وهذه الدول قُوًى استيطانية عنصرية، لأنهم متفقون فيما بينهم على أنهم العنصر المتميز عرقيًا ولونيًا وسياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا واقتصاديًا، وأن الناس سواهم أقل وأذل وأفقر وأجهل، وهم جميعًا يأخذون بمنطق اليهود العنصرى الذى يقوم على أنهم الأفضل وأن الناس خلقوا ليكونوا مطايا لليهود، وأن الناس سواهم ليست لهم حقوق ولا أملاك ولا أوطان!!! لأن هذه الدول جميعًا قد تسلل إليها اليهود ونقلوا إليها النزعة الاستعلائية العنصرية الاستيطانية.

● ولو شئنا أن نقدم أدلة على هذه النزعة العنصرية الاستعلائية لما وسعتنا سطور هذا الكتاب، لكننا نشير إلى بعضها فيما يلى:

- كل هذه الدول احتلت دول الغير واستوطنت فيها واستولت على خيراتها، بل زعم بعض هذه الدول أن البلدان التى احتلتها هى امتداد لأوطانها الأصلية، ولا سند لهم فى ذلك من تاريخ ولا جغرافيا، ولكنها القوة الغاشمة وتأييد الدول المماثلة لها فى هذا الباطل!!!

- وهذه الدول هى التى سعت إلى تشكيل هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية (سنة ١٩٤٥م) وأعطت لعدد منها متَّحدٍ معها فى الأهداف والنوايا ما عرف بحق «الفيتو» الاعتراض على أى قرار يصدره مجلس الأمن بحيث يصبح كأن لم يصدر!!!

- وهذه الدول تتبادل المنافع بعضها مع بعض على حساب الدول الضعيفة والفقيرة، بحيث تسكت عن كذا فى مقابل أن تسكت لها دولة منها عن كذا؛ أيا كان هذا «الكذا» ولو كان إبادة للناس، كما حدث هذا فى أكثر من بلد فى العالم، وأقربها ما حدث فى البوسنة والهرسك وكوسوفو وكرواتيا وألبانيا مقابل ما يحدث فى الشيشان، وما يحدث الآن فى أفغانستان مقابل ما يحدث فى فلسطين وفى الشيشان أيضاً!!!

- وكل دولة من هذه الدول العشر التى سردنا أسماءها آنفا لها نفوذ استيطانى عنصرى، حيث طردت شعوبا من أوطانها واستولت هى على هذه الأوطان، وأقامت فيها نظام حكم عنصرى...

وعلى سبيل المثال لا الحصر:

● **بريطانيا:**

هى أعرق بلاد أوربا فى الاستيطان والعنصرية.

فقد استوطنت فى قارة آسيا: شبه القارة الهندية كلها، والعراق والأردن وفلسطين وكل دول الخليج.

واستوطنت فى أفريقيا؛ ناميبيا وسيراليون وساحل الذهب ونيجيريا، وجنوب إفريقيا وروديسيا ووادى النيل مصر والسودان. ثم هونج كونج، وغيرها.

● **وفرنسا:**

استوطنت المغرب العربى كله ما عدا ليبيا، واستولت على إفريقيا الغربية المدارية والاستوائية والوسطى ومدغشقر وجيبوتى، وجزء من الصومال وجزر الهند الصينية فى آسيا.

● **وبلجيكا:**

ولها نفوذ واستيطان فى إفريقيا - الكونغو زائير - وعدداً من المستعمرات، ولولا أنها كانت مطمعًا لبعض بلدان أوربا لتوسعت فى الاستيطان لأنها تملك مقوماته من العنصرية والاستعلاء.

● **والبرتغال:**

وقد استوطنت واحتلت أنجولا وموزمبيق والرأس الأخضر وجزءاً من الهند وتيمور فى الهند الصينية وما كان قرب ساحل الصين.

والبرازيل وجزر ماديرا والأوزور، وبعض المستعمرات فى أفريقية وفى أمريكا الجنوبية.

● وهولندا:

وقد استوطنت واحتلت كل جزر أندونيسيا - جزر الهند الشرقية - وجزر كوارسو وجزر أوربا من الأرخيل، وسورنيا القسم الأوسط المحاذى للمحيط الأطلسى.

● وإسبانيا:

وقد استوطنت - بموافقة عدد من دول أوربا - منطقة الريف المغربية والصحراء المغربية وزيادة فى العنصرية سموها الصحراء الإسبانية، واستوطنت غينيا وجزر الفليبين - التى آلت فى النهاية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم ورثت صقلية وساردينا وغيرها.

● وإيطاليا:

ولها استيطان ونفوذ ونظام عنصرى فى ليبيا وأريتريا والصومال والحبشة، وغيرها.

● وألمانيا:

وقد استوطنت توجو والكاميرون وجنوبى غرب إفريقية «ناميبيا» وتنجانيقا، ورواندا وبروندى، حتى إن بريطانيا زعيمة الاستيطان والعنصرية رأت فى ألمانيا منافسًا لها، لكثرة ما استوطنت من بلدان!!!

● والاتحاد السوفيتى سابقًا «روسيا الآن»:

وهى دولة مستوطنة عنصرية احتلت سيبيريا، وسيطرت على البلدان الإسلامية فى وسط آسيا - التركستان وما حولها - وبسطت نفوذها على كثير من دول أوربا الشرقية وعديد من دول آسيا وإفريقيا باسم الشيوعية والاشتراكية، ولها مع مسلمى الشيشان مواقف عنصرية غير إنسانية تجتث المسلمين من موطنهم الأصلى وتكرههم على الهجرة من الشيشان، وأيدت الصرب فى وحشيتهم فى العدوان على البوسنة والهرسك وكوسوفو وألبانيا.

● واليهود:

وهم الذين ابتكروا العنصرية والاستعلاء والتميز العرقى وزعموا أن ذلك من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

وقد أيدتهم بريطانيا أولاً ودول أوربا كلها والاتحاد السوفيتى سابقًا والولايات المتحدة الأمريكية على أن تستوطن فلسطين وتطرد منها أهلها، وأن ترتكب فى فلسطين من الجرائم ما هو جدير بقساوة قلوب اليهود ووحشيتهم عندما يقدرون، وعدم وقوفهم عند حد فى ممارسة الجرائم التى يعف عنها بعض الحيوانات.

وقصتهم طويلة وإجرامهم غير محدد بنهاية، والحديث عنهم وعن جرائمهم يلوث القلب والعقل والإنسانية وصفحات هذا الكتاب، وحسبهم ما فعلوه فى جنين ونابلس وسائر مدن الضفة الغربية وغزة بعون أمريكا المعنوى وبطائراتها والأسلحة المحرمة دوليًا.

- **والولايات المتحدة الأمريكية:**

وقد استوطنت أمريكا الشمالية وطردت سكانها الأصليين، ثم بدأت تمد نفوذها الاستيطانى العنصرى فاتجهت إلى فيتنام وكوريا وكوبا، والفليبين، وسيطرت على معظم دول أمريكا الجنوبية، وحسب أمريكا عنصرية أنها ابتكرت النظام العالمى الجديد ونظرية العولمة فذلك قمة الاستعلاء والعنصرية، وأصبحت الآن تفرض سلطانها على اى مكان فى العالم بالقوة العسكرية أو بالحصار الاقتصادى، وهى أول من استعمل أسلحة الإبادة الشاملة فى هيروشيما ونجازاكى، وأفغانستان.

ونحن المسلمين والعرب قد علمنا علم اليقين ورأينا رأى العين ان الولايات المتحدة ضد كل ما إسلامى وما هو عربى، وأنها عدو لدود لكل من يمس مشاعر اليهود بكلمة فضلاً عن قتال، وانها انموذج فى عدم العدالة اى الكيل بمكيالين، وتحقيق مصالحها ومصالح اليهود ثم يأتى الطوفان...!!!

والنتيجة الرابعة: هزيمة المسلمين أمام القوى العالمية التى عملت على إسقاط دولة الخلافة:

دولة الخلافة العثمانية ظلت رمزًا لنظام حكم إسلامى منذ قامت سنة ٦٩٨هـ - ١٢٩٩م وإلى أن تحالف أعداء الإسلام على إسقاطها سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م؛ أى مدة سبعة قرون تقريبًا - على الرغم مما كان فيها من تجاوزات لا يرضاها الإسلام على أيدى بعض حكامها.

ولتلك قصة طويلة نذكر من أحداثها فى تلخيص ما يلى:

- فى مايو ١٩١٩م أغرت دول الحُلفاء اليونان باحتلال أزمير.

– وشجعت مصطفى كمال – بعد أن اصطنعته – على إقامة حركة وطنية معادية للخلافة.

– وفى مؤتمر سيواس سبتمبر ١٩١٩م برئاسة مصطفى كمال قطع كل اتصال لدولة الخلافة بالأناضول.

– وفى شهر مارس ١٩٢٠م احتلت دول الحلفاء استانبول.

– وفى معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣م انتخبت الجمعية الوطنية مصطفى كمال رئيسًا لها.

– وفى مارس ١٩٢٤م ألغى مصطفى كمال الخلافة وأخرج الخليفة عبد المجيد بن عبد العزيز من البلاد.

● وعجزت الدول الإسلامية جميعًا عن حماية دولة الخلافة لأنها كانت ممزقة ناسية الجهاد فى سبيل الله.

ثم توالت أعمال مصطفى كمال العدو الأكبر للإسلام على النحو التالى:

– إلغاء الأوقاف الإسلامية فى مارس ١٩٢٤م.

– وتحريم نشاط الطرق الصوفية يونيو ١٩٢٥م.

– وإغلاق الزوايا فى سبتمبر ١٩٢٥م وكانت مكان إقامة للمتصوفة.

– وحدَّد عدد المساجد فجعل لكل حىّ مسجداً واحداً وحول باقى المساجد إلى مخازن وإلى مرافق أخرى.

– وأغلق أكبر مسجدين فى وجوه المصلين مسجد أيا صوفيا الذى حوله إلى متحف، ومسجد الفاتح الذى حوله إلى مستودع.

– وألغى التعامل بأحكام الشريعة وأحل مكانها قانونا سويسريا.

– وألغى كل تعامل باللغة العربية وأحل محل الأحرف العربية الأحرف اللاتينية وكان ذلك فى مارس من سنة ١٩٢٨م.

– وفرض اللباس الأوربى والقبعة على جميع أفراد الشعب.

– وأحيا النزعة العرقية الطورانية الأناضولية.

– وجعل الأذان فى المساجد باللغة التركية.

– وأمر بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية مع تفسير له.

- ونشر تماثيله فى ميادين المدن الكبرى.

- وقد أدت هذه الأعمال المعادية للإسلام والمسلمين إلى فقد التمسك بالإسلام وقيمه؛ مما أطمع دول الاستيطان والعنصرية: بريطانيا وفرنسا وإيطاليا إلى أن تقاسمت فيما بينها البلدان التى كانت فى حوزة دولة الخلافة العثمانية.

- جرى كل ذلك والمسلمون أعجز وأضعف من أن يقاوموا هذا العدوان، لأنهم ضعف تمسكهم بدينهم وتركوا الجهاد فى سبيل الله وكرهوا الموت فى سبيله سبحانه وتعالى.

والنتيجة الخامسة: هزيمة الأمة العربية أمام إسرائيل:

فقد استطاعت اليهودية أو الصهيونية العالمية بمعونة دول الحلفاء أن يقيموا دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وقتل الفلسطينيين بوحشية وإجلاءهم عن بلادهم حتى اليوم، وكان الفلسطينيون يعيشون فى فلسطين قبل ظهور سيدنا يعقوب «إسرائيل» عليه السلام بمئات السنين.

وكنا فى الماضى نحاول حشد الأدلة على تعاون دول الغرب وأمريكا على إقامة دولة إسرائيل، لكن الولايات المتحدة الأمريكية قامت عنا بتصريحاتها العلنية بأنها متكفلة بجعل دولة إسرائيل أقوى من الدول العربية مجتمعة.

بريطانيا سلمت فلسطين لإسرائيل، وجردت الفلسطينيين من سلاحهم وأعطت إسرائيل من الأسلحة ما يمكنها من إبادة الفلسطينيين منذ البداية، والاتحاد السوفيتى السابق اعترف بدولة إسرائيل بعد إعلان قيامها بدقيقتين اثنتين فقط، والولايات المتحدة تعلن انحيازها الأعمى لكل أعمال اليهود الوحشية وتستعمل حق الاعتراض لمجرد إدانة إسرائيل على وحشيتها التى يشاهدها الناس من خلال شاشات التليفزيون وشبكات «الإنترنت».

- ولقد دخلت الجيوش العربية من سبع دول معركة مع اليهود عام ١٩٤٨م لكنها لم تستطع أن تنتصر عليها لتأييد دول الغرب لها، ولأن الجيوش العربية لم تكن على كلمة سواء، وبعضها لم يكن جاداً فى دخوله، وإنما كان يتظاهر بأنه مشارك فى الدفاع عن الفلسطينيين، وانهزم العرب أمام اليهود، واستطاع اليهود أن ينشئوا دولة إسرائيل على أرض فلسطين، لأن اليهود لم يواجهوا جيوشًا تجاهد فى سبيل الله وتطلب الشهادة فى سبيل الله تعالى.

- ولنفس السبب انهزم العرب أمام عدوان اليهود وأخذوا على غرة وخدعهم الروس

أحلاف اليهود فى عام ١٩٦٧م الذى اجتاحت فيه إسرائيل كامل سيناء وكامل الجولان وكامل الضفة العربية وكامل قطاع غزة.

– ولو كانت إسرائيل تواجه مجاهدين ما استطاعت أن تفعل كل هذا ولا بعضه، ولو كانت البلاد تتمتع بأنظمة حكم ديمقراطية أو كانت تحترم حقوق الإنسان وحرياته، ما توغلت إسرائيل هذا التوغل فى العالم العربى.

– وعندما استطاعت مصر أن تقضى على خرافة «جيش إسرائيل الذى لا يقهر» وقضت على أكبر خط دفاع إسرائيلى على الضفة الشرقية من قناة السويس لم يعجب ذلك الغرب ولا أمريكا بالذات فصال «كيسنجر» وجال وحلف ألا تهزم إسرائيل وأقامت أمريكا جسراً جوياً بين قواعدها العسكرية وإسرائيل وأمدتها بأحدث أنواع الأسلحة ومكنتها من عبور القناة إلى السويس، بعد هزيمتها فى العاشر من شهر رمضان ١٣٩٣هـ- ٦/١٠/١٩٧٣م.

- ثم تدعى أمريكا أنها راعية للسلام وشريك محايد، وصديقة لعديد من الدول العربية!!!
- والفلسطينيون والعرب لا حيلة لهم فى مواجهة إسرائيل والعالم لأنهم مجردون من السلاح الموازى لسلاح إسرائيل، ولذلك تتوالى التنازلات لصالح إسرائيل وتنحسر يوماً بعد يوم، من المطالبة بكامل أرض فلسطين لأهلها الشرعيين إلى المطالبة بما احتلته إسرائيل فى عدوانها سنة ١٩٦٧م، إلى الخروج من مدن الضفة وقراها، إلى تعهد العرب بتطبيع العلاقات مع إسرائيل، ورفض إسرائيل لذلك!!! إلى التوسل على لسان وزير خارجية إحدى الدول العربية، إلى الكف عن هدم منازل المدنيين مع المحافظة على أمن إسرائيل؟؟!

إن غياب الجهاد فى سبيل الله يفعل أكثر من ذلك!!!

والنتيجة السادسة: عجز المسلمين عن تطوير صناعاتهم العسكرية:

تطوير الصناعة العسكرية مطلب قومى لكل دولة مهما كانت غير معرضة للحرب والعدوان.

فإذا كانت معرضة للعدوان بشكل مستمر ككثير من بلدان العالم الإسلامى، وككل العالم العربى كان تطوير صناعة السلاح أمراً محتوماً قومياً وسياسياً واقتصادياً وإنسانياً.

إن ما يتعرض له كثير من بلدان العالم الإسلامى من عدوان تحركه المطامع والنزعة التوسعية لدى الأعداء حيناً، وتحركه الرغبة فى حرب الإسلام والمسلمين حيناً، وتحركه

البعثات التنصيرية حيناً، وتحركه الثقافة التى توهم أصحابها بأن المسلمين أقل منهم وأنهم غير قادرين على النهوض ببلادهم؟؟!

وما يتعرض له العالم العربى من عدوان إسرائيلى متواصل، وعدوان غربى وأمريكى وروسى لتحقيق مصالح لهذه الدول، ولحماية إسرائيل المعتدية دائماً، حمايتها من أن تتحرك الضحية فتعترض على المذابح والمجازر وهدم المنازل وقلع الأشجار وقتل النساء والأطفال وتكسير العظام ودفن الأحياء وقتل الأسرى بعد أمرهم بحفر قبورهم؟!!

إن الاعتراض على هذا أو شيء منه يولد فى نفوس أعدائنا وأولياء إسرائيل رغبة عارمة فى شن الحرب العسكرية والاقتصادية على العالم العربى المعترض وليس المحارب لإسرائيل!!!

إن حكومات العالم الإسلامى والعالم العربى منفردة ومجتمعة إن لم تأخذ بمبدأ تطوير الصناعة العسكرية على أعلى مستوى يصل إليه أعداؤها مقصرة، بل مهملة فى حق أوطانها ومواطنيها.

– والذين يدعون إلى التعايش السلمى مع إسرائيل فى العالم العربى غافلون واهمون، ينسون ما تعلنه إسرائيل دائماً من أن دولتها تُحَدُّ شرقًا بنهر الفرات، وتُحَدّ غربًا بنهر النيل، وهى تعلم أنها لن تحقق هدفها هذا إلا على جثث ملايين العرب، ولذلك هى تستعد لهذا اليوم بالرجال المُسْتَوفَدين من مختلف أقطار العالم، وبالسلاح المتطور بمعونة الغرب وامريكا، وعلى الحكومات العربية أن تطور سلاحها أو تموت أمام اليهود بغير سلاح.

– وإن الذين يتوهمون من حكومات العالم الإسلامى أن أعداءهم سوف يتركونهم دون إثارة الصراعات والحروب والعدوان على أطراف بلادهم، أو إثارة الفِتَن فيها أكثر غفلة ووهما، وأبعد عن معرفة أعدائهم وما يضمرون لهم.

ومن ينظر فى النزاعات التى يصطنعها الأعداء فى تيمور وكشمير وباكستان وإيران والعراق، والجزائر والمغرب، وفى السودان ونيجيريا يعلم علم اليقين أن الأعداء لا يضيعون أوقاتهم فى مجرد الحملات الإعلامية المعادية للإسلام، ولكنهم يخططون لضرب الاتحاد بين المسلمين وضرب الاستقرار والوئام فى أى بلد من بلدانهم، إن حكومات العالم الإسلامى يجب أن تدرك ذلك وأن تتلافاه بتطوير صناعاتها العسكرية، أو أن تصبح شعوبها من اللاجئين.

● وليس تطوير صناعة السلاح فى العالمين الإسلامى والعربى بمستحيلة وإن كانت صعبة وتحتاج إلى مجهودات سياسية واقتصادية وعلمية وتقنية.

– وخطوات هذا الطريق يعرفها أهل العلم والاختصاص فى مجال التسليح، ولكنا نشير هنا إلى خطوات أدخل فى السياسة منها فى العلم المتخصص.

ومن هذه الخطوات التى نعدها سياسية:

الخطوة الأولى: إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بأن مصالحها وحاجاتها إلى نفط العالم العربى وأسواقه أشد من حاجتها ومصالحها مع إسرائيل.

والخطوة الثانية: إقناع أمريكا والدول الأوربية بأن العالم الإسلامى زاخر بمقدرات اقتصادية من أقطان، ومعادن وأصداف ولآلئ وغيرها من نفط، وأسواق، وكل ذلك لا يستغنى عنه الغرب، ولا يجده عند إسرائيل أو غيرها كالصرب والكروات وسائر البلاد التى يسارع الغرب بمساعدتها ضد أى دولة من دول العالم الإسلامى.

والخطوة الثالثة: التهديد للمصالح الأمريكية فى العالمين الإسلامى والعربى إن لم تجد الخطوتان الأولى والثانية فى أن تكف عن تأييد إسرائيل فى أعمالها الوحشية التى دأبت عليها دون مبالاة بمئات القرارات التى أصدرها مجلس الأمن.

إن سجل إسرائيل حافل بالمخازى الإنسانية والأعمال البربرية مثل: مجزرة دير ياسين وأخواتها منذ عام ١٩٤٨م، ومأساة بحر البقر فى مصر، وبشائع حرب ١٩٦٧م وقتل الأسرى بعد تعذيبهم، ومجازر صبرا وشاتيلا وقانا فى لبنان، والضفة الغربية فى الأردن، والجولان فى سوريا، والمفاعل النووى فى العراق، وضرب منظمة التحرير فى تونس، ثم أضافت إلى ذلك مجازر وحشية فى جنين ورام الله ونابلس وبيت جالا وبيت لحم والخليل وبيت حنون، وغيرها.

إن إسرائيل ما لم تكن واثقة من أن وحشيتها هذه موضع رضا الغرب وأمريكا وروسيا ما كانت لتقدم على شىء من ذلك، إنها تتنكر لكل مبادئ الحرب وأخلاقياتها والقوانين المنظمة لها عالميًا، فلقد سَنَّت لجيشها سنة جديدة فى الوحشية والبربرية وهى أن يشن الغارات بالطائرات الأمريكية على بيوت المدنيين والمساجد والمستشفيات والمدارس والملاجئ والمخيمات حتى لم يعد جيشًا وإنما عصابة مجرمين، ولو لم تكن مطمئنة إلى أنّ الغرب وأمريكا لن يسكتا على إدانتها، ما فعلت كل ذلك. إن إسرائيل تنتهك القوانين الدولية وتدوس الشرعية وتُخْزِى الإنسانية كلها بأعمالها واغتيالاتها للمدنيين!!!

إن إسرائيل لا تفهم من اللغات إلا لغة القوة، فهل يستطيع العرب والمسلمون أن يتعاملوا بها معها، وأن ينفضوا عقولهم وأيديهم من مزاعم أمريكا وروسيا وأوربا فى رعاية السلام.

إن زعماء العالم الإسلامى والعالم العربى وقادته يعرفون عن إسرائيل ومخازيها أكثر بكثير مما ذكرتُ، ويعرفون ما يجب عليهم عمله فى تطوير صناعة السلاح، وفى إيقاظ روح الجهاد فى البلاد التى يحكمونها، فهل يفعلون؟ اللهم هيئ لهم الأسباب ومَدّهم بما شئت من عون وتوفيق.

والنتيجة السليعة: انصراف المسلمين عن تربية أبنائهم تربية جهادية:

إن قعود المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله قد صرفهم عن تربية أبنائهم تربية إسلامية صحيحة تأخذ فى اعتبارها التربية الجهادية مثلها مثل سائر مفردات التربية الإسلامية(١).

إن والجب كل بيت مسلم أن يأخذ أبناءه منذ نعومة أظفارهم على التمسك بالقيم الإسلامية، وعلى رأسها الجهاد فى سبيل الله تعالى إذ هو كما تعرف ذروة سنام الإسلام وسبب عز المسلمين وغناهم وتمكين دينهم فى الأرض.

والجهاد فى سبيل الله فريضة على كل مسلم مادام من أهل القدرة عليه، وقد ذكرنا فيما سبق من هذا الكتاب حديث الرسول ﷺ الذى يشيد فيه بالجهاد ويحدد مكانه بين فرائض الإسلام الذى رواه الترمذى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه والذى جاء فيه:
«... رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد...».

● **إن أولى خطوات التربية الجهادية فى البيت المسلم:**

أن ينشأ الأبناء على معرفة مكانة الجهاد فى الإسلام وما أدت إليه ممارسته من ردّ العدوان، ومن نشر دعوة الله فى عباد الله، ومن قتال أعداء الله أعداء الإسلام.

● **والخطوة الثانية:**

أن يعلم الأبناء أن الجهاد يحتاج قوة القلب أى الشجاعة، وقوة العقل أى العلم والثقافة، وقوة البدن أى الصحة والسلامة من الأمراض، وتبصيرهم دائمًا بأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وأن ساعة الجهاد حين تحين يجب أن تجد جميع الأفراد مستعدين للاشتراك فيه استعدادًا روحيًا وخلقيًا وعقليًا وبدنيًا واقتصاديًا، وسائر أنواع الاستعداد.

---

(١) هى مفردات عشر من أجلها كانت هذه السلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» وهذه الحلقة الثامنة منها وهى التربية الجهادية، ونسأل العون على إنجاز الحلقتين الباقيتين: التربية الجمالية والتربية الجسدية.

– وأن يعيش الأبناء منذ طفولتهم متشوقين إلى المشاركة فى الجهاد، والحرص على الاستشهاد فى سبيل الله تعالى.

– وأن يعرف الأبناء منذ طفولتهم أن لهم أعداء ولدينهم أعداء، وأن هؤلاء الأعداء لن يكفوا عن العدوان عليهم، وأن واجبهم أن يكونوا مستعدين لهذه الساعة.

● **والخطوة الثالثة:**

أن يتعلم الأبناء وأن يتدربوا على الأخذ بأسباب القوة الروحية بالعبادة، والعقلية بالثقافة والعلم، والبدنية بالتريض والابتعاد عن الكيوف والمنبهات والمفترات، والسهر، والبعد عن الإفراط فى الطعام والشراب أو الإفراط فى الجوع حتى لو كان صياماً، وأن يتعوَّد الصبر على تحمل المشاق.

● **والخطوة الرابعة:**

أن يُرَبَّى الأبناء على اقتصاد جزء مهما كان صغيراً من مصروفه اليومى، ورصده لاحتياجات الجهاد فى سبيل الله، ولا تجدى هذه التربية ما لم يجد الأبناء آباءهم وأمهاتهم يقومون بهذا العمل، وهو عمل واجب مهما كان البيت المسلم فقيراً، لأن القليل إلى القليل، ومع الاستمرار؛ كثير.

فهل تفعل البيوت المسلمة ذلك؟

نرجو وندعو الله لنا ولهم ولسائر المسلمين بالاستجابة لكل عمل صالح فيه جلب نفع للمسلمين أو دفع ضرر عنهم.

● ولا ينبغى أن يتجاهل المسلمون ما يفعله أعداؤهم من أجل صرف المسلمين عن دينهم وقيمه وعن الجهاد فى سبيل الله، إنهم يشيعون فى الشباب روح اللهو واللعب وقتل الوقت بهما، كما ييسرون للشباب من وسائل الانحراف الخلقى، ويشجعون على اختلاط البنين بالبنات وعلى الإقبال على الهابط من الأغانى، والدنىء من الأفلام السينمائية أو المسلسلات التليفزيونية ونحو ذلك.

– إن مقاومة ذلك طاعة الله تعالى وفرصة للحصول على ثوابه ورضاه، وإن الانحراف وراء ذلك معصية لله يعاقب الله عليها، لأن من عمل ذلك فقد خالف دين الله ومنهجه ونظامه، وظلم نفسه وبيته وقومه.

● والخطوة الخامسة:

- أن لا ينخدع الشباب فيما تذيعه وسائل الإعلام المعادية أو فى بعض البلدان الإسلامية المقهورة عن الجهاد وربطه بالعنف والإرهاب والتعصب، لأن كل هذه تضليلات وافتراءات هدفها قتل روح الجهاد فى الأمة لتضعف وتضيع وتصبح فريسة لأعدائها، لأن الجهاد كما أوضحنا فى هذا الكتاب له أسس وأهداف ومراحل، وليس فيها جميعًا ما يدعو إلى العنف أو الإرهاب للآمنين من الناس، وإنما هو قوة تستعمل فى مجالها المشروع وفى ظل قيمها وآدابها، ولا ترهب إلا أعداء الله وأعداء دينه.

إن الجهاد فى الإسلام ليس وحشية اليهود ولا جبروت الأمريكان وهم يضربون أفغانستان بالقنابل المحرمة دوليًا، وليس فيه قتل كما تفعل إسرائيل فى الفلسطينيين ولا تعذيبهم ونفيهم من بلادهم، وإهدار حقوقهم كما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية مع الأسرى من طالبان أو تنظيم القاعدة!!!، وكما احتلت العراق بقوة عسكرية وحشية استعملت فيها أسلحة محرمة دوليًا.

- وأن لا ينخدع الشباب بما يردده بعض المتخاذلين من المسلمين من قولهم: إن الإسلام دين تسامح وعفو ودفع للسيئة بالتى هى أحسن، وكفى، لأن الإسلام كما فيه ذلك فيه أيضًا: ﴿ ...فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ... ﴾ [النحل: ١٢٦].

والجهاد كما أوضحنا فى الباب الأول من هذا الكتاب مراحل، وأن التسامح والعفو والصبر مرحلة أولى، وأن قتال الأعداء وإرهابهم ليكفوا أذاهم إحدى مراحل الجهاد كما أوضحنا.

- وأن لا يصدق الناس ما يدعيه بعض جهلة المسلمين من ترديدهم وزعمهم أن الإسلام لا يبيح أن تدعو على الأعداء، وذلك وهم لأن رسول الله ﷺ دعا على بعض أعدائه وسماهم حينا وعمم فى دعائه عليهم أحيانًا، فقد ذكر البخارى رحمه الله فى صحيحه أن رسول الله ﷺ يوم بدر دعا على نفر من قريش سمى منهم شيبة وعتبة ابنى ربيعة، والوليد بن عتبة وأبا جهل.

وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه «أن النبى ﷺ دعا على رِعْل وذكوان وعصية وبنى لحيان[1] وكانوا قد استمدوا رسول الله ﷺ على عدوهم فأمدهم

(١) رِعْل وذَكوان وعُصَيَّة وبنوا لحيان: قبائل عربية كانت لهم مع رسول الله ﷺ القصة الواردة فى الحديث.

بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقنت شهراً يدعو فى الصبح على أحياء من أحياء العرب . . . ».

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن أوفى رضى الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : **«اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم»**.

وبعد : فهذه نتائج سبع من نتائج قعود المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله، وكل نتيجة من هذه النتائج تسهم بحق فى غياب التربية الجهادية عن المسلمين أو تغييبها عنهم.

ولا شك أن غياب التربية الجهادية أو تغييبها عن المسلمين له مظاهره، وأسبابه وأهدافه.

وذلك ما سنبينه فى الفصل الثانى من هذا الباب والله سبحانه وتعالى المستعان.

■■■■

الفصل الثانى

غياب التربية الجهادية عن المسلمين أو تغييبها

ويشمل:

أ - مظاهر غياب التربية الجهادية عن المسلمين أو تغييبها عنهم.

ب - أسباب غياب الجهاد فى سبيل الله أو تغييبه.

جـ - أهداف غياب الجهاد فى سبيل الله أو تغييبه.

■■■■

غياب التربية الجهادية عن المسلمين أو تغييبها عنهم

تمهيد لابد منه:

إن وراء غياب التربية الجهادية عن المسلمين بوصفها إحدى أهم مفردات التربية الإسلامية أو تغييبها عنهم لم يكن اعتباطًا، وإنما جاء نتيجة لفلسفات وأفكار وتيارات قوية جارفة تؤدى إلى قطع المسلمين عن الإسلام عمومًا، وعن الجهاد فى سبيل الله على وجه الخصوص؛ خشية أن يعود المسلمون لما كانوا عليه يوم كانوا متمسكين بإسلامهم مجاهدين فى سبيل الله تعالى، تصل جيوشهم إلى «غالة» فرنسا، وتضم الأندلس كله، ثم توالى مدها لتصل إلى «فينا» فى أعماق أوربا.

- إن هذا المدّ الإسلامى الذى وسع الرقعة الإسلامية على عهد دولة الخلافة العثمانية التى اجتاحت أمامها كل القوى، وأصبحت أكبر - من حيث الرقعة وعدد المسلمين - من أى دولة مسلمة سبقتها فى تاريخ المسلمين، ومن حيث العلم والفن والنهضة العامة، هذا المدّ الإسلامى الذى استمر من أخريات القرن السابع الهجرى وأخريات القرن الثالث عشر الميلادى إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للربع الأول من القرن العشرين الميلادى، هذا المدّ عمل أعداء الأمة الإسلامية على أن يوقفوه، وأن يقضوا على دولة الخلافة العثمانية التى تسببت فيه، فكان ما كان من تحالف الأعداء من الشرق والغرب على إسقاط هذه الدولة، فأسقطوها فى غفلة من المسلمين وفساد من بعض حكامهم، وفى غياب التمسك بقيم الإسلام ومنهجه وغياب للجهاد فى سبيل الله الذى يواجه خطط الأعداء.

كانت تلك جولة للأعداء انتصروا فيها بكل تأكيد، وأصبح العالم الإسلامى دولاً وفرقًا ورثها الأعداء ميراثًا كاملاً أو سيطروا عليها وهى فى أيدى مسلمين ضعاف غاب عنهم منهج الإسلام وقيمه، وغاب عنهم الجهاد فى سبيل الله أو غُيِّب عن عمد وإصرار.

- وعندما خضعت حكومات الدول الإسلامية المبعثرة هنا وهناك للغرب المسيطر بقوته ودهائه وعنصريته واستيطانه لبلدان العالم الإسلامى معظمه، كان لابد للمصلحين المسلمين من عمل يوقظ القائمين وينبه الغافلين، فكانت فكرة إنشاء جامعة إسلامية تجمع ما فرقه الأعداء وجعلوه دولاً أو دويلات وحركوا العداوة بين هذه الدول أو الدويلات، وواكبت فكرةُ الجامعة الإسلامية فترة ضعف دولة الخلافة العثمانية قبل أن تسقط بما يقرب من نصف قرن على يد مصلح فيلسوف جواب آفاق عالم جليل هو جمال الدين الأفغانى، والشيخ الجليل محمد عبده مفتى مصر، وما إن حوصرا وضيق عليهما، وصودرت كتاباتهما فى «العروة الوثقى» وغيرها من الصحف، حتى تلقف النهضة وحمل شعلتها جماعات إسلامية من أشهرها:

– جماعة الشبان المسلمين فى مصر.

– وجماعة الإخوان المسلمين فى مصر.

– والجماعة الإسلامية فى الهند ثم فى باكستان بعد إنشائها.

ثم توالت الجماعات والجمعيات الإسلامية فى عدد من بلدان العالم الإسلامى فى آسيا وإفريقيا، وليس لها جميعًا من هدف أهم من نهضة الأمة الإسلامية فى مختلف مجالات النهضة، وقد لقيت معظم هذه الجماعات العنت والتضييق من حكومات البلدان الإسلامية، والبلدان العربية.

وإذا كانت حكومات العالمين الإسلامى والعربى قد ضيقت على هذه الجماعات الإصلاحية؛ فما بالنا بدول الأعداء، ومدى تحديها لأى إصلاح أو نهوض قد يُمكّن المسلمين من بسط نفوذهم من جديد؟

– ومن الأعداء من تبلغ بهم الصفاقة حدّ التصريح بهذا العداء ضاربين بالأعراف «الدبلوماسية» عرض الحائط، كوزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق «هنرى كيسنجر» الذى روَّعه وأذهب صوابه أن تستطيع باكستان أن تنتج قنبلة ذرية لتواجه الهند التى أنتجت بمساعدة الغرب كله قنبلة ذرية، فأقسم «كيسنجر» علنا على الانتقام من «ذو الفقار على بوتو» رئيس باكستان الذى أُنتجت القنبلة فى عهده،

فحاك ودبر انقلابًا كان أهم أعماله إعدام على بوتو!!! هذا دليل على ما يضمره الغرب للعالم الإسلامى.

- ودليل آخر جاء من فرنسا الحريصة على أن لا تقوم للإسلام قائمة مهما ادعت غير ذلك - لأن الأفعال أدل على النوايا من الأقوال - وذلك الدليل أنها دبرت لعملين معوقين للنهضة فى المغرب العربى:

أولهما: أنها تبنت وشجعت قيام دولة بربرية فى الجزائر ولا تزال تشجع ذلك وتؤيده.

والآخر: أنها شجعت الجيش الجزائرى على إلغاء نتائج الانتخابات التى أتت بجبهة الإنقاذ الإسلامى فى الصدارة خشية أن تتولى حكومة إسلامية، وضاع فى هذه المعارك الضارية غير المتكافئة مئات الألوف من القتلى والجرحى والمعتقلين...

- ودليل ثالث: بعد نجاح الثورة الإسلامية فى إيران وتكوين جمهورية إسلامية فيها، عملت الولايات المتحدة الأمريكية على ضرب هذه الثورة بجيش مسلم، فأغرت صدام حسين بشن حرب الخليج الأولى التى استمرت ثمانى سنوات استنزفت الرجال والمال، وأفادت أمريكا من ذلك بيع السلاح للطرفين من خلال الوسطاء، وتعويق الجمهورية الإسلامية الإيرانية عن النمو والنهضة.

- ودليل رابع: هو اصطناع الولايات المتحدة الأمريكية ومعها الغرب من خلال المستشارين لحرب الخليج الثانية التى اجتاح فيها صدام حسين نفسه دولة الكويت، ثم إجلاؤه عنها ومعاقبة العراق سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا حتى اليوم أخريات سنة ٢٠٠٢م وسنة ١٤٢٣هـ والمكسب الأعظم لأمريكا والغرب هو إنشاء قواعد عسكرية غربية فى كثير من بلدان دول الخليج وغيرها لمنع صدام من معاودة العدوان فى الظاهر، ولمنع تقدم العالم العربى أو نهضته فى الحقيقة، لأن أمواله تضيع فى تأمين هذه القواعد!!!

ودليل خامس: هو تلك الحملات الإعلامية المسعورة ضد الإسلام وحضارته وثقافته التى واكبت ظهور الحركات الإصلاحية الإسلامية، وزادت ضراوة بعد أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م[١]، وهى حملات تستهدف اهتزاز ثقة المسلمين فى دينهم،

---

(١) حتى الآن لم يعرف على وجه اليقين من الذى كان وراء هذا الحدث الأليم الفاجع، وإن كانت بشاعته ترشح أن تكون وراءه إسرائيل لأن ذلك أسلوبها، ولأن مكاسبها منه كثيرة، وغدًا تتكشف الأمور.

وضربهم في مقاتل جديدة كأفغانستان والعراق وإيران وباكستان وأندونيسيا والسودان ونيجيريا وغيرها.

ولو شئنا أدلة أخرى لما عدمناها ولكن في ذلك كفاية.

والحقيقة التي لا ينكرها من يحسن متابعة الحملات المضادة للإسلام هي أن اليهود والغرب والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الروسي، كل أولئك لا يحبون أن ينهض المسلمون، ولا أن يتخلصوا من أسباب ضعفهم وعجزهم عن مواجهة أعدائهم.

- ولا يجهل مسلم أن نهضة المسلمين وتقدمهم إنما تقوم على دعامتين: إحداهما التمسك بمنهج الإسلام في حياتهم، والأخرى ممارستهم للجهاد في سبيل الله، بل غير المسلمين يدركون هذا ويعملون على تحطيم هاتين الدعامتين.

وهمنا هنا أن نوضح المظاهر التي دلَّت على غياب الجهاد في سبيل الله عن المسلمين أو تغييبه عنهم. والأسباب التي أدَّت إلى ذلك، والأهداف التي استهدفت من وراء هذا الغياب أو التغييب للجهاد الإسلامي، والله المستعان.

■■■■

أ - مظاهر غياب التربية الجهادية عن المسلمين أو تغييبها عنهم:

الغياب غالبًا ما يكون نتيجة لغفلة أو إهمال أو سوء إدراك لأثر هذا الغياب للجهاد فى سبيل الله عن المسلمين.

أما التَّغييب فهو دائمًا نتيجة للتعمد والرغبة فى إيقاع الشر والضرر بمن غُيب عنه الجهاد فى سبيل الله تعالى.

وكلاهما يحمل نذر الشر والضرر والخطر، وكلاهما يمكن أن يقوم به بعض المسلمين حينًا، وأعداء المسلمين فى أحيان كثيرة، ومظاهر غياب التربية الجهادية أو تغييبها عن المسلمين كثيرة، ولكنها جميعًا تنتمى إلى الإهمال، وهى فى تصورى ثلاثة أنواع من الإهمال هى:

- إهمال تربية الفرد على الجهاد فى سبيل الله فى أسرته.
- وإهمال تربية الأسرة والمجتمع على الجهاد فى سبيل الله.
- وإهمال الحكومات فى أداء واجبها نحو التربية الجهادية.

ولنوضح ذلك فيما يلى:

١ - إهمال تربية الفرد على الجهاد فى سبيل الله فى أسرته:

ليس خافيًا أن تكوين الفرد وتربيته تربية إسلامية متكاملة، تقع فيها المسئولية على مؤسسات ثلاث فى المجتمع المسلم هى:

- البيت أو الأسرة.
- والمسجد.
- والمدرسة.

بشرط التعاون بين هذه المؤسسات الثلاث، حتى ينشأ الناشئ المسلم وقد أتيحت له التربية الإسلامية المتكاملة التى تجعله عنوانًا جيدًا لهذا الدين الذى ختم الله تعالى به الأديان.

وهذه المؤسسات الثلاث يخدم بعضها بعضًا ولا يستغنى بعضها عن بعض، والمجتمع

الجيد الواعى هو الذى يحرص على أن يهيئ لكل مؤسسة من هذه المؤسسات ما يمكنها من أداء وظيفتها – وكلمة المجتمع تعنى الدولة، أو الحكومة بسلطاتها الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية – فما لم يهيئ المجتمع لهذه المؤسسات ما يعينها على أداء وظائفها فلن تستطيع أن تربى أو تعظ أو تعلم.

● **فكيف تربى الأسرة أبناءها تربية جهادية؟**

واجب الأسرة المسلمة أن تربى أبناءها تربية إسلامية أى تغرس فى نفوسهم وعقولهم منذ النشأة القيم الإسلامية وتعلمهم كيف يحولون هذه القيم إلى أخلاق وسلوك فى كل موقف يمرون به فى حياتهم مهما بدا هذا الموقف ثانويًا أو بسيطًا.

– والقيم الإسلامية هى كل ما أمر الله به ليُمتثل، وكل ما نهى عنه ليُجتنب. وتحت هذين النوعين من الأمر والنهى تندرج سائر الفضائل التى أمر الله بالتحلى بها، كما تندرج سائر الرذائل التى أمر الله تعالى بالتخلى عنها.

– ولنأخذ قيمة واحدة نتحدث عنها – على سبيل المثال – من بين مئات القيم، وهى الصدق، صدق القول وصدق العمل وصدق الموقف، الصدق مع الله ومع النفس ومع الناس.

وقد أثنى الله على الصادقين وأخبر أنه أنعم عليهم وجمعهم مع النبيين والشهداء والصالحين، وأن الذى أهّلهم لهذه المكانة هو طاعتهم لله ورسوله، فقال تعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء: ٦٩].

وروى البخارى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إن الصدق يهدى إلى البِرّ، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقًا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّابًا»**.

وروى الترمذى بسنده عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: **«دَعْ ما يَريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة»**.

هذا هو الصدق الذى يجب على الأسرة المسلمة أن تربى أبناءها عليه، فهو يهدى إلى البر ثم إلى الجنة، ويزرع فى النفس طمأنينة، ومع هذه الطمأنينة تتكامل الصحة

النفسية للصادق، ومن تكاملت صحته النفسية كان إنسانيًا سويًا يستطيع أن يمارس حياته الاجتماعية بنجاح، وأن يتجنب بصدقه كل مواطن الريب والشك وفقد الثقة فى نفسه وفيمن حوله من الناس.

● والجهاد فى سبيل الله قيمة رفيعة من قيم الإسلام بل هى فى ذروة القيم الإسلامية كما أخبر بذلك النبى ﷺ؛ فكيف تربى الأسرة المسلمة أبناءها على الجهاد فى سبيل الله؟

– إنّ على الأسرة المسلمة أن تثير فى نفوس أبنائها وعقولهم عدداً من التساؤلات فى مجالسها وعلى مائدة الطعام، وعندما يزورها زائر مسلم، وعندما يجتمع لديها الأقارب والأرحام...

وهذه التساؤلات هى:

– لماذا نجاهد؟

– ومَنْ نجاهد؟

– وبم نجاهد؟

– ومتى نجاهد؟

ومن خلال هذه التساؤلات والإجابات الصريحة الصحيحة عليها، يعرف الأبناء ما لابد من معرفته عن الجهاد فى سبيل الله فيوطنوا أنفسهم من الصغر على أن يكونوا مجاهدين.

● وسوف نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة لنفتح بذلك الطريق أمام الأسر المسلمة وهى تجيب عليها.

أولا: لماذا نجاهد؟

– لأن الله تعالى فرض علينا الجهاد فى سبيله كما فرض الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من الفرائض، وما فرضه الله لابد للمسلم أن يؤدِّيه كاملاً غير منقوص طاعة لله وتقربًا إليه، والقعود عن أداء الفروض معصية لله تعالى، وعلى الطاعة ثواب وعلى المعصية عقاب.

– وأنَّ بالجهاد يكون ردُّ عدوان أعداء المسلمين، وكفهم عن شرورهم وإرهابهم حتى لا يعودوا إلى العدوان على الأمة الإسلامية، وذلك واجب شرعى أوجبه الله على كل مسلم قادر على الجهاد.

- ولأنَّ الجهاد فى سبيل الله والإعداد له معنويًا وماديًا هو أحد أسباب قوة المسلمين، وقوة المسلمين مطلب شرعى دعا إليه الإسلام بل أوجبه فى آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ....**﴾ [الأنفال: ٦٠]. وفى كلمات السنة النبوية المطهرة فقد روى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير»**.

- ولأن المسلم لو ترك الجهاد فقد عصى الله تعالى، وأصبح ضعيفًا ذليلاً مُسْتَضْعَفًا يطمع فيه أعداؤه، ومن أصبح من المستضعفين وهو قادر على أن يكون قويًا فقد ظلم نفسه ووضعها أمام المساءلة عند الله تبارك وتعالى، كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ٩٧].

فلقد شرع الله للمسلمين الهجرة إلى الدولة الإسلامية القوية(١)، يحتمى بها ويؤيدها بكل ما يستطيع من حول وطوْل، ولم يقبل منه أن يظل فى بلد يُستضعف فيها ويذل ويُهان، لأن المؤمن لا يجوز له أن يرضى الذل والهوان مادام قادراً على الهجرة.

إن المسلم المجاهد قوة وعزة وكرامة، وكل ذلك مما يغيظ أعداء الأمة الإسلامية، لذلك كان تغييب الجهاد وتشويهه هدفهم، ولنفس السبب كان واجب الأسرة المسلمة أن تربى أبناءها على الجهاد فى سبيل الله ليكونوا أقوياء أعزَّة كرماء.

ثانيًا: مَنْ نجاهد؟

نجاهد أعداءنا؛ وهم كُثُر:

- أولهم الشيطان وما يوسوس به من شر يوقع فى الإثم، وما يزينه من باطل وضلال، وصدق الله العظيم: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [يوسف: ٥].

وروى البخارى بسنده عن على بن الحسين رضى الله عنهما قال: كانت صفية زوج النبى ﷺ فى معتكفه، فلما ذهب يودعها رآهُ رجلان من الأنصار فسلَّما عليه وانصرفا فقال

---

(١) ذلك هو الأصل فى الهجرة حرية الانتقال إلى أى بلد مسلم دون قيود، ولقد ظل ذلك شأن المسلمين على مر تاريخهم وإلى أن اسقطت دولة الخلافة العثمانية، حيث تكفل أعداء المسلمين بتجزئ الوطن الإسلامى الواحد، وجعلوا الانتقال من جزء منه إلى جزء آخر يحتاج إلى تاشيرات للدخول بل وللخروج!!!

لهما: «على رِسْلكما، إنها صفية بنت حُيَى» فقالا: سبحان الله، فقال: «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإنى خشيتُ أن يقذف فى قلوبكما شيئًا».

– وثانى هؤلاء الأعداء: نفس الإنسان التى تأمره بالسوء، فعليه أن يجاهدها كما يجاهد الشيطان، وجهادهما هو بمعصيتهما فى كل ما يزينان للإنسان من باطل، بل ذلك هو الجهاد الأكبر كما أخبر بذلك النبى ﷺ فيما رواه البيهقى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لقوم قدموا من الجهاد: «مرحبًا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس». وما رواه الترمذى بسنده عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل».

– وثالث هؤلاء الأعداء، هم الأعداء الظاهرون الذين يتربصون بالمؤمنين ويكيدون لهم ويحاربونهم ويقاتلونهم.

وهؤلاء الأعداء الظاهرون هم مِنْ قَدَر الأمة المسلمة لن يتوقفوا عن حربها والكيد لها حتى آخر الزمان، فقد روى أحمد بسنده عن ابن حرملة عن خالته رضى الله عنها قالت: خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب إصبعه من لدغة عقرب، فقال: «إنكم تقولون: لا عَدُوَّ، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتى يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون شهب الشعاب من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجانّ المطرقة».

ومن أجل هؤلاء الأعداء الكثيرين كان الجهاد فريضة مستمرة ماضية إلى يوم القيامة، روى أبو داود بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيخ الدجّال».

وروى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من أصل الإيمان: الكفّ عمّن قال لا إله إلاّ الله ولا تكفره بذنب، ولا تخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماضٍ منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجّال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار».

وروى أحمد بسنده عن ابن السعدى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل».

● إن أبناء الأمة الإسلامية يجب أن تربيهم أسرهم على معرفة أعدائهم منذ نعومة أظفارهم، وأن تستمر هذه التربية الجهادية معهم، كلما دخلوا فى مرحلة من مراحل نموهم، نما معهم فقه الجهاد والاستعداد للجهاد بكل أنواعه.

ثالثًا: بِمَ نجاهد؟

الإجابة عن هذا السؤال من صميم فقه الجهاد فى سبيل الله تعالى[1]، ونجيب عن السؤال هنا بإيجاز فنقول:

يجب أن يُعَلَّم الأبناء أنهم يستطيعون الجهاد فى سبيل الله، بكل ما يستطيعون الجهاد به من مال أو جهد أو وقت أو علم أو فن أو إعداد أو استعداد، تحت مبدأ: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا.....**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

● ومما نشير إليه مما تستطيع الأسرة أن تربى عليه أبناءها من أنواع الجهاد ما يلى:

- إدخار قدر من المال مهما كان ضئيلاً ليكون فى خدمة الإعداد للجهاد فى سبيل الله.
- والحديث والحوار والمناقشة فى الجهاد وما يتصل به بين الأبناء ومن يزورون الأسرة من أقارب وأرحام، حتى يستيقظ فقه الجهاد فى نفوس الأبناء وعقولهم.
- والقراءة عن الجهاد والمجاهدين فى تاريخ الإسلام، مع الاهتمام بوجه خاص بمغازى رسول الله ﷺ، وكبريات المعارك فى الإسلام، ومشاهير القادة والمجاهدين المسلمين، فتلك ثقافة جهادية لا ينبغى أن يجهلها أحد أبناء المسلمين.
- وتبصير الأبناء بمكانة فريضة الجهاد فى سبيل الله بين الفرائض الإسلامية.
- ومطالبة الأبناء بالاستعداد للجهاد بتقوية أبدانهم، وعقولهم، وأخلاقهم، ليكونوا مستعدين دائمًا لخوض معارك الجهاد فى سبيل الله تعالى.
- وتعريفهم أعداء الأمة الإسلامية فى زمننا هذا، ليتخذوا منهم ومن أفكارهم ومفترياتهم على الإسلام الموقف الملائم الذى يفوت عليهم أهدافهم.
- وجعل الأبناء يعيشون فى شوق إلى انتظار ساعة الجهاد عندما تجىء، فى أى مكان من العالم الإسلامى.

● هكذا تعلم الأسرة أبناءها؛ بِمَ نجاهد.

---

(١) فصلنا ذلك فى حديثنا عن وسائل الجهاد فى سبيل الله.

رابعًا : متى نجاهد؟

والإجابة العفوية عن هذا السؤال هي : في كل وقت يجب فيه الجهاد في سبيل الله تعالى، وفي كل ظرف يتعرض فيه وطن إسلامي للاعتداء عليه .

● وعند التدبر في فقه الجهاد أسبابه وأهدافه، فإن الأمر يحتاج إلى شيء من التفصيل، على نحو ما نتبين فيما يلي :

- لا تحين ساعة الجهاد في سبيل الله إلا عندما يكون المسلمون قد أعدوا ما استطاعوا من قوة لمواجهة أعدائهم على الوجه الذي فصلت الآية الكريمة خطوطه العريضة بحيث يشمل :

* إعداد القوة بكل معنى من معانيها المادية والعسكرية والتقنية والمعنوية، ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ .

* والأخذ بكل الأسباب التي ترهب العدو وتجعله يتراجع عن قتال المسلمين، ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ .

* ومعرفة الأعداء الظاهرين والذين يتوقعهم المسلمون ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ..﴾ .

* والإعداد المالي بالإنفاق في سبيل الله والمعاونة في تجهيز المقاتلين بكل ما يلزمهم لخوض المعركة ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ..﴾ .

- ولا تحين ساعة الجهاد إلا عندما يتحدى العدو مصالح المسلمين أو يبدأ في ذلك، أو يقف عقبة في طريق نشر الدين الحق، عندئذ يصبح الجهاد في سبيل الله تعالى فريضة على سبيل فرض الكفاية أو فرض العين - على نحو ما بينا آنفًا - .

- وحين يعتدى العدو على أى بلد من بلدان المسلمين في العالم الإسلامي كله، عندئذ يصبح الجهاد فرضًا عينيًا يخرج فيه المجاهد بغير إذن أبويه، وتخرج فيه المرأة بغير إذن زوجها، والعبد بغير إذن سيده، لأن الأبوين والزوج والسيد وإن كانت لهم حقوق قوية يرعاها الإسلام ويوجب الوفاء بها؛ إلا أن حق المسلمين على إخوانهم في الدفاع عنهم عند العدوان أصبح أقوى من حق هؤلاء على ذويهم .

- وعندما يندب الحاكم المسلم المسلمين للجهاد في سبيل الله في مكان بعينه وفي زمان

بعينه «النفير العام» لقول الرسول ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما: «.... وإذا استنفرتم فانفروا».

ولا حجة للذين يقولون بالقعود عن الجهاد لأن الحاكم المسلم الذى استنفر للجهاد لم يستوف صفات الحاكم المسلم، لأن الجهاد واجب خلف كل برٌ وفاجر، ولا يوقفه جور جائر ولا عدل عادل، كما ثبت ذلك فى سنة رسول الله ﷺ وذكرناه فى هذا الكتاب أكثر من مرّة.

٢ - إهمال تربية الأسرة والمجتمع على الجهاد فى سبيل الله:

وهذا الإهمال واحد من أهم مظاهر غياب التربية الجهادية، لأن الأسرة والمجتمع يجب أن توجه إليهما تربية جهادية، لأن الأسرة والمجتمع رافدان مهمان يمدان الجهاد فى سبيل الله باحتياجاته من الرجال والأموال والأعمال، والدعم المعنوى كله.

- وإذا حرمت الأسرة والمجتمع من التربية الجهادية، فقد أصبح الجهاد بغير مجاهدين، أو أصبح الناس يساقون إلى الجهاد سوقًا كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون، لا إلى إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة.

وشتان بين من رُبِّىَ على أخلاق الجهاد وآدابه، ومن حُرم هذه التربية، إنه الفرق بين من يتخذهم الله شهداء ومن يخوضون معارك تحركهم إليها أغراض دنيوية.

- وإذا حرمت الأسرة والمجتمع من التربية الجهادية تخاذلت نفوس الناس وتقاعست إراداتهم وتباطأت خطاهم، وفُقد الحماس والرغبة فى الاستشهاد فى سبيل الله.

ومن كانت هذه مشاعره وهو يخوض معارك الجهاد فى سبيل الله فقلما يحقق نصرًا، وقلما ينال شهادة، بل قلما يحسن الجهاد فى سبيل الله، ولأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، فإن المجاهدين من هذا المستوى لا يحظون برضا الله تبارك وتعالى.

إن التربية الجهادية تصوغ الأسرة والمجتمع صياغة تجعل المحرك للجهاد فيهما هو الحصول على إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة فى سبيل الله تعالى.

- وإذا حُرمت الأسرة والمجتمع من التربية الجهادية فقد حرما من الأخذ بأسباب القوة، وحيل بينهما وبين الإعداد والاستعداد، وعَقْد النية على إرضاء الله بطاعته وأداء ما أوجب، أى حيل بينهما وبين النصر، بل إن دخول معارك الجهاد دون إعداد واستعداد مخالفة لما أَمَر

الله به، ومن خالف أمر الله فكيف ينتظر النصر من الله، ومن لم ينصره الله فَرّ أو قُتل، ولم يعرف الثبات إلى قلبه سبيلاً.

- وإذا حرمت الأسرة والمجتمع من التربية الجهادية، فإن معارك الجهاد فى سبيل الله تخسر الدعم المادى والتأييد المعنوى اللذين تَمُدّ بهما الأسرة والمجتمع معارك الجهاد فى سبيل الله، وذلك أن الدعم والتأييد ماديًا ومعنويًا إنما ينبعان من فقه الجهاد فى سبيل الله أى من التربية الجهادية، ومن حرم هذه حرم هذا الفقه وتلك البصيرة.

ومهما تحاول بعض الحكومات أن تفرض الدعم والتأييد بقوة القانون وإجبار الأسرة والمجتمع على المساندة، فلن تبلغ ما تبلغه التربية الجهادية فى الأسرة والمجتمع، وشتان بين من أكره على الدعم والتأييد للمجاهدين وبين من يفعل ابتغاء مرضاة الله تعالى ورجاء رحمته وثوابه!!!

- وإذا كانت الأسرة مجموعة من الأفراد تربطهم روابط الدم والدين ووحدة الهدف ووحدة الطريق فى الغالب، والرغبة فى التعبير عن الذات بالقيام بعمل يجلب لها الفخر والاعتزاز، فإنه ليس أمامها عمل أشرف ولا أنبل من الجهاد فى سبيل الله.

- وإذا كان المجتمع مجموعة من الأسر ومجموعة من المؤسسات والجماعات والتجمعات التى تستهدف جميعها تحقيق مصالح الناس على مختلف مستوياتها من ثقافة وعلم وفن وترويح، أو تستهدف دفع الأضرار عن الناس أيًا كان نوعها، فليس كالجهاد فى سبيل الله عمل يمكن أن يتحقق عن طريق القيام به جلب المصالح ودفع المضار.

- وإذا وضعنا فى الاعتبار أن الجهاد فى سبيل الله إنما يكون ضدّ عدو يخوض معنا صراعًا وقتالاً يريد فيه أن يكسر إرادتنا وأن يحقق النصر علينا ويستولى على خيراتنا، ويحولنا إلى أتباع أذلاء. تبيّن لنا بكل وضوح أن المعارك مع هؤلاء الأعداء لا يتحقق فيها نصر إلا إذا كانت جهاداً فى سبيل الله تعالى وامتثالاً لما أمر به سبحانه وتعالى من مواجهة الأعداء.

وإذا حرمت الأسرة والمجتمع من التربية الجهادية؛ فمن الذى تسبَّب فى هذا الحرمان؟

- إن المتسبب فى ذلك ليس فرداً واحداً ولا نظامًا بعينه فى بلد بعينه من بلدان العالم الإسلامى، وليسوا هم الأعداء وحدهم.... ولكن الذى تسبب فى ذلك:

- تيارات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية.

– وأجهزة إعلامية عديدة .

– وأعداء متربصون بالمسلمين الدوائر .

تحالف كل أولئك ليحرموا الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم من التربية الجهادية، على نحو ما سنشير إليه فيما يلى :

أولاً : التيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية :

هذه التيارات مجتمعة ومتفرقة تعمل أولاً على إقصاء الإسلام من حياة المسلمين منهجًا ونظامًا وقِيَمًا وآدابًا، وعلى رأس كل ذلك وفى ذروته الجهاد فى سبيل الله تعالى .

● هذه التيارات الداعية إلى إقصاء الإسلام وتغييب الجهاد قديمة واكبت فترة امتداد الإسلام على بقاع الأرض التى بلغت ما يقرب من نصف العالم آنئذ فيما يقرب من نصف قرن فقط، الإسلام الذى حقق فى الناس العدل والمساواة والحرية واحترام حقوق الإنسان .

– ولقد تكونت هذه التيارات من أصحاب المصالح فى استغلال الإنسان بالحيف على حقوقه وحرياته وقهْره وتسخيره للعمل دون مقابل أو بمقابل تافه فى مزارعهم ومصانعهم ومتاجرهم .

– ولقد كان هؤلاء غالبًا إما من الحكام أو من الإقطاعيين أو كبار التجار أو كبار أصحاب المزارع والمصانع، وعلى كثرة تنوعهم واختلافهم هم متوحدون على حرب الإسلام وإقصائه عن حياة الناس وعلى تغييب الجهاد عن المسلمين لكيلا يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم ضد هؤلاء الذين يستغلونهم .

● واستمرت هذه التيارات العديدة تعمل فى دأب وصبر يصل حَدَّ الإصرار على إقصاء منهج الإسلام وقيمه عن حياة الناس، تنجح حينًا وتفشل حينًا إلى أن استقوت بالعلم والتقنية وآليات الحرب المتطورة فصارت صاحبة الكلمة والنفوذ والانتصار والسيطرة على العالم معظمه، ولابد لنا من الإشارة إلى هذه التيارات فى إجمال فيما يلى :

– اليهودية أو الصهيونية، وهى لا تخفى عداءها للإسلام وعملها ضد المسلمين وإنما تجاهر بذلك وتحشد له القوى المؤيدة لها . . .

– والكاثوليكية السياسية التى استطاعت أن تصبغ العالم الغربى كله بصفتها، وأن

تنشىء لها دولة فى قلب أوربا هى «الفاتيكان» التى أصبح لها قبول عند الغربيين اجمعهم بعد العداء التقليدى الذى كان يسيطر عليهم، فيعادون كل ما هو كنسى أو دينى، وهذه «الكاثوليكية» لها من الإسلام موقف معروف.

- وما خدعت به الصهيونية كثيراً من الغربيين وبخاصة الأمريكان، من إنشاء ما سمى بالصهيونية المسيحية التى انتشرت وأصبح لها من الأتباع من يمثلون خطراً سياسياً واقتصادياً.

- والعلمانية التى تستبعد الدين عموماً والدين الإسلامى على وجه الخصوص؛ لأن الإسلام ومنهجه فى نظر كثير من مفكرى الغرب قوة فاعلة فى المسلمين يحول بينهم وبين الاستسلام للقوى المعادية، ويمزج بقوة بين منهج الإسلام وسياسة أى حكم، بل يقيس نجاح أى نظام حكم بمقياس قربه أو بعده عن منهج الإسلام وقيمه وآدابه.

- والولايات المتحدة الأمريكية، وما أصبحت تمثله من نظام عالمى جديد وعولمة وسيطرة على العالم بقوة السلاح وقوة الاقتصاد، ومع انحيازها المطلق لإسرائيل، هى بذلك تعمل ما وسعها لإقصاء الإسلام من حياة المسلمين، وإدانة الجهاد فى سبيل الله وتشويهه بل تجريمه.

- والاتحاد الأوربى بوصفه متحكماً فى عديد من البلدان الإسلامية اقتصادياً وثقافياً وأخلاقياً ونفطياً، فإنه يربط بين استمرار تحكمه فى تلك البلدان، وبعد هذه البلدان عن الإسلام وعن الجهاد، لذلك يعمل ما وسعه على إقصاء منهج الإسلام وتشويه الجهاد وتجريمه.

- والاتحاد الروسى وريث ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، وما يضمره للمسلمين من كراهية وحقد وازدراء وسوء استغلال للجمهوريات الإسلامية فيه، وربطه بين استمرار هذا الاستغلال الفاحش وبين إقصاء منهج الإسلام من حياة المسلمين وتجريم الجهاد، وقتل المجاهدين.

- إن كل هذه التيارات ممثلة فى هذه القوى التى تسيطر على العالم كله قد أجمعت كلمتها على أن استمرار هذه السيطرة على العالم الإسلامى واستمرار سوء استغلال بلدان العالم الإسلامى مربوط بإقصاء منهج الإسلام عن حياة المسلمين، ومنع الجهاد فى سبيل

الله وتجريمه والقضاء على المجاهدين، ومهما حاولوا ذلك؛ فإننا نؤمن بقضاء الله وقدره ونثق في نصره للمؤمنين، ونتدبر طويلاً في قوله تعالى في نبيه يوسف عليه السلام بعد أن وقع في أيدى ألدّ أعدائه «فرعون»: ﴿... وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وما على المسلمين مع كل هذا العداء المحيط بهم إلا أن يكونوا جنداً لله تعالى يحاربون حيث أمرهم أن يحاربوا، وهم بكل تأكيد منتصرون غالبون إن لم يكن اليوم فغداً، تصديقًا لوعد الله تعالى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿... وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

ثانيًا: أجهزة الإعلام ووسائله:

وهي في معظم البلدان تتأثر بالإعلام الغربي، وتتواءم معه في الأهداف وفي كثير من الوسائل، وهي تخوف من التربية الإسلامية عمومًا ومن التربية الجهادية على وجه الخصوص.

● وهناك عدد من الحقائق التي تتصل بالإعلام في معظم بلدان العالم الإسلامي نحب أن نشير إليها وهي:

- الإعلام وأجهزته ووسائله في العالم الإسلامي خاضع للحكومات لا للأفراد أو للمؤسسات أو الشركات، والحكومات في بلدان العالم الإسلامي تعتمد على الإعلام للدعاية والترويج لخططها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولذلك تجعل للإعلام وزيرًا، ولا تسمح لأى رأى مخالف لخطط الحكومة أن يجد إلى وسائل الإعلام وأجهزته طريقًا للتعبير عن رأيه!!!

- والقائمون على الإعلام وأجهزته في العالم الإسلامي موظفون عند هذه الحكومات، توليهم وتعزلهم وتكافئهم وتحرمهم متى تشاء؛ لأن الحكومات هي مالكة أجهزة الإعلام ووسائله تفعل فيها وفيمن تكلفهم بتولى إدارتها ما تشاء ولا معقب عليها في شيء مما تفعل، لأن الدساتير في تلك البلدان صنعت بحيث تعطى للحكومة والحاكم سلطات مطلقة إلا فيما ندر!!!

- والحكومات فى العالم الإسلامى معظمه ترى فى منهج الإسلام لحكم الناس خطراً عليها يهدد احتكارها للسلطة، ولتوريثها الحكم لمن تشاء من أبناء وإخوة، بل - وهو الأهم - تهدد استمرار هذه الحكومات فى الحكم فترات طويلة لا نظير لها فى العالم من خلال استفتاءات أو انتخابات معروفة النتائج قبل أن تُجرَى، إرثا عن نظام ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى فى هذا المجال.

وأفضل الوسائل التى تُمكن الحكومات من ذلك أجهزة الإعلام وأدواته.

● من أجل ذلك تعمل الحكومات فى معظم العالم الإسلامى على إقصاء نظام الحكم الإسلامى عن الدولة مستبدلة به أى نظام يمكنها من السيطرة على الحكم؛ ولأن الناس معظمهم من المسلمين كان لابد من هز ثقتهم فى الإسلام منهجًا ونظامًا، فشنت أجهزة الإعلام حملات لتشويه نظام الحكم الإسلامى زاعمة أنه قديم وغير ملائم للمتغيرات المستمرة فى حياة الإنسان، وبأنّ فى أحكامه وعقوباته قسوة، وتطرفًا، وإهمالاً لحقوق المرأة، ومعاداة للحداثة والتجديد!!!

بل إن تشويههم لنظام الحكم الإسلامى وصل إلى حدّ اتهام الإسلام بأنه ضد الفنون والإبداع، وضد كل ما ترغب الحكومات فى أن تفرضه على الناس من قيم غير إسلامية!!!

وكل تلك الحملات لا تقوم على أى أساس من العلم الصحيح، ولا العلم بالإسلام، وإنما تقوم على التحامل عليه وعلى الجهل به.

● والتربية الجهادية لابد أن تكون صاحبة أوفى حظ من هذا التهجم والتهكم، فلابد إذن من ربط الجهاد فى سبيل الله بالعنف والإرهاب والتعصب، والتهديد لأمْن الدولة، ومصالح الأجانب وشركائهم من المواطنين.

ولهذه الحكومات فى تشويه نظام الإسلام وتشويه الجهاد فى سبيل الله حجج قد تبدو منطقية للوهلة الأولى، لكن بقليل من التدبر تبدو واهية غير مقنعة؛ ومن تلك الحجج: أن فردًا أو جماعة من المسلمين ممن يطلقون على أنفسهم مجاهدين قد ضاقوا بما يعانون فى المعتقلات والسجون من تعذيب وإهدار لإنسانيتهم، وقارنوا ما تفعله بهم حكوماتهم وما تفعله إسرائيل بالفلسطينيين، فأرادوا أن ينتقموا من حكومة ظالمة باطشة تعتمد التعذيب

الوحشي أسلوبًا للتعامل مع الخصوم السياسيين(١)، ومن ثم اعتبرت هذه الحكومات عمل هؤلاء الأفراد أو الجماعات من قتل الأبرياء عملاً يأمر به الإسلام، وأخذت تكيل التهم جزافًا إلى الإسلام ومنهجه وإلى الجهاد بوصفه عنفًا وإرهابًا!!!

فوقعت هذه الحكومات فى خطأين:

أحدهما: زعمها أن الإسلام يقر قتل الأبرياء.

والآخر: أنها جعلت أعمال هؤلاء الموتورين حجة على الإسلام.

وهذا وذاك من أبطل الباطل ومن أبعد ما يكون عن الحق.

لكن أجهزة الإعلام التابعة لها أخذت تردد هذه الأباطيل!!!

ثالثًا: الأعداء المتربصون بالمسلمين الدوائر:

هؤلاء الأعداء سميناهم وحددناهم فيما سلف من هذا الكتاب، وسوف نتحدث عن كل منهم على حدة حينما تحين مناسبة هذا الحديث ليكون المسلمون على علم بأعدائهم، وهؤلاء الأعداء هم – كما قلنا آنفًا:

– اليهودية أو الصهيونية.

– والمسيحية الصهيونية.

– والكاثوليكية السياسية.

– والملحدون الذين ينكرون الخالق سبحانه وتعالى.

– ونظام القطب الواحد المتحكم فى الأرض اليوم.

– والمستوطنون والعنصريون.

– والحكام المستبدون.

هؤلاء الأعداء يعدون المعارك على الدوام ضد الإسلام والمسلمين، وهى معارك تستهدف القضاء على المسلمين أو قهرهم واستيطان بلادهم، والتعالى عليهم باللون والجنس وغيرهما.

---

(١) هو نفس أسلوب الاتحاد السوفيتى السابق، ونفس أسلوب أمريكا اليوم مع الأفغان، وعلى الذين لا يصدقون أن يسألوا التاريخ قديمه وحديثه ليوقنوا من صحة هذا الكلام.

وهؤلاء الأعــداء يدركــون تمام الإدراك أن أى قــوة فى المسلمين إنما تنبع من دينهم وتمسكهم به واستعدادهم للجهاد فى سبيل الله؛ ولذلك لابد أن تكون الضربات موجهة لمنهج الإسلام ولمبدأ الجهاد.

هؤلاء الأعداء تقوم خططهم فى حرب التربية الجهادية فى العالم الإسلامى على دعائم وأسس لا يتخلون عنها ولا يفترون عن العمل فيها، وهى:

– حملات شديدة لتشويه الإسلام عقيدة وعبادة وسلوكًا.

– وحملات ضارية لتشويه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

– وحملات عنيفة لتشويه شخص الرسول الخاتم ﷺ.

– وحملات مسعورة لتشويه الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وأهل القرون الثلاثة الأولى خير القرون.

– وحملات ظالمة لتشويه تاريخ المسلمين، وسيرة المصلحين المجددين فى كل قرن من الزمان.

– وحملات مضللة مليئة بالمفتريات والأباطيل ضد الإسلام، ومن أمثلتها:

* زعمهم أن الإسلام قد انتشر بالسيف وأن الناس قد أكرهوا على الدخول فيه!

* وادعاؤهم أن النظام الإسلامى نظام جامد رجعى يرفض الحداثة!

* وكذبهم فى أن الإسلام قد اضطهد المرأة وحرمها من الحرية!

* وإفكهم فى القول بأن الإسلام يقوم على التعصب!

* وبُهتانهم فى القول بأن الإسلام يدعو إلى الرِّق والعبودية!

* وافتياتهم على الحق فى قولهم: إن الإسلام يحجر على الحرية الشخصية حين يحرم الزنا وشرب الخمر ولعب الميسر واللواط والسحاق!

* وجورهم فى القول بأن الحدود التى شرعها الإسلام عقابًا على ارتكاب بعض الجرائم كالسرقة والزنى وشرب الخمر وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات، بأنها عقوبات قاسية وحشية!

● هؤلاء الأعداء هم الذين استوطنوا عدداً من بلدان العالم الإسلامى ويرغبون فى استيطان باقيه، ليمارسوا فيه العنصرية والاستعلاء العرقى واللونى، وينشرون – كما فعلوا من قبل – القواعد العسكرية فى كل بلد مسلم يستطيعون قهره والسيطرة عليه.

● ولا سبيل إلى مقاومة هذا الاستيطان والاستعلاء والهيمنة إلا بالجهاد فى سبيل الله، وهذا الجهاد فى سبيل الله، يتطلب كما قلنا ذلك من قبل: الإعداد والاستعداد، والأخذ بكل أسباب القوة، والتقرب إلى الله تعالى بالفرائض والنوافل، واتحاد المسلمين وتوحيد جهودهم وصفوفهم.

ومن أجل أن العدو يعرف ذلك حق المعرفة يخطط لتغييب الجهاد فى سبيل الله عن المسلمين.

٣ – إهمال الحكومات فى أداء واجبها نحو التربية الجهادية:

واجب الحكومة فى أى بلد مسلم أن تعمل ما وسعها على إقرار القيم الإسلامية فى المجتمع، ووسيلتها فى ذلك التربية الإسلامية عموماً أى بكل مفرداتها العشر التى تتضمنها هذه السلسلة: «مفردات التربية الإسلامية».

وفى قمة هذه المفردات: «التربية الجهادية» موضوع هذا الكتاب، ذلك واجب كل حكومة مسلمة من أجل استقرار الحياة فى المجتمع، الحياة الآمنة المنتجة القوية الفاعلة.

● وإذا كانت التربية الجهادية واجبة على كل حكومة مسلمة؛ من أجل إعداد البلاد لمواجهة أعدائها، وتأمين وجودها ورعاية مصالح المواطنين فيها؛ فما هى المؤسسات التى يجب على الحكومة أن تعنى بالتربية الجهادية من خلالها؟

قبل حديثنا عن هذه المؤسسات نؤكد أنها مؤسسات تساند الجيش فى البلاد، على اعتبار أن الجيش هو مصنع إعداد المجاهدين وإعداد آليات الجهاد على أعلى مستوى علمى وتقنى، إذ الجندى المجاهد أقوى معنوياً ومادياً من الجندى المقاتل، هكذا حدثنا تاريخنا الإسلامى فى عصوره المختلفة، وواجب الحكومة فى إعداد جيش قوى هو أول واجباتها جميعاً.

أما تلك المؤسسات المساندة للجيش فى التربية الجهادية فهى:

المدرسة، والمسجد، والأندية، والأحزاب السياسية، والنقابات مهنية وعمالية، والجمعيات الأهلية.

أولاً: المدرسة:

ونعنى بها التعليم بكل مراحله وكل أنواعه، والتعليم دائمًا هو مسئولية الحكومة عمومًا ووزارة التربية والتعليم خصوصًا.

الحكومة مسئولة عن وضع سياسة للتعليم تؤدى إلى تكوين إنسان صالح لممارسة الحياة فى اى موقع من مواقعها بجدية وامانة وقوة ورغبة فى الإتقان والإجادة والصبر والجلد وتحمل اعباء العمل؛ وهذه هى صفات المجاهد، اى ان الحكومة مطالبة بأن تجعل من المدرسة مكانًا يطبع المتعلمين بطابع الجهاد، ويهيئ لهم إلى جوار المناهج العامة والمقررات الدراسية منهجًا للتربية الجهادية نظريًا وعمليًا، حتى إذا جدّ الجد وتحرش العدو وجد – إلى جانب القوات المسلحة – رجالاً يعرفون لماذا يجاهدون؟ ومَنْ يجاهدون؟ وبم يجاهدون؟ ومتى يجاهدون؟ وجدهم حريصين على الانتصار على العدو أو الشهادة فى سبيل الله.

– ولا يخفى على ذوى البصيرة أن وراء كل هزيمة فى أى معركة إهمالاً للتربية الجهادية فى المؤسسات الاساسية كالمدرسة، فضلاً عما يكون فى إعداد الجيش من قصور أو تقصير.

– ولا يخفى على ذوى الفطنة أن الجيش الذى يجد مساندة من المؤسسات التى تعنى بالتربية الجهادية أوفر حظًا فى إحراز النصر على أعدائه.

ثانيًا: المسجد:

وهو دار عبادة لله تعالى وصلاة واعتكاف وخطبة جمعة ودروس نافعة للمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم.

والحكومات كلها فى بلدان العالم الإسلامى من سياستها أن تكون المساجد تابعة لها خاضعة لخطتها، لا يؤم الناس فيها ولا يخطب فيهم ولا يدرس لهم إلا من كان موضع رضا الحكومة عنه وعما يقول، ولا عيب فى ذلك إذا كانت الحكومة عادلة صالحة منتخبة.

غير أن الضرورات الأمنية تمنع الاعتكاف فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، وتمنع الدروس إلا لمن أذنتْ له، وتمنع المحاضرات، وتمنع... وتمنع كل ذلك للضرورة الأمنية، بل تغلق أبواب المساجد بين الصلوات بسبب الضرورات الأمنية كذلك!!!

– ومن الضرورات الأمنية فى تصورى أن تستثمر الحكومة المساجد فى التربية الجهادية، تفقه المسلمين فى الجهاد وتعلمهم أخلاقه وآدابه....

– وإذا كانت المساجد دور عبادة لله تعالى فإن الجهاد والتربية الجهادية فى ذروة العبادات، والحاجة إلى الجهاد لا ينكرها عاقل، والتربية الجهادية تسهم فى بناء شخصية ذات خصائص متميزة مثل:

* الثقة بالنفس.

* والمسارعة إلى أداء الواجب.

* والإقبال على التضحية بالجهد والوقت والمال والنفس.

* واحترام القيم الإسلامية والاعتزاز بها والعمل على إحيائها.

ثالثًا: الأندية:

وهى متنوعة ما بين أندية اجتماعية ورياضية وصحية وفنية.

وهذه الأندية فى العالم الإسلامى كثيرة وفاعلة ويرتادها أغلب أبناء المجتمع، وهى قادرة على مساندة الحكومة وتخفيف أعبائها نحو المجتمع، إنها تسهم فى تحصين الناس ضد الجهل وضد المرض، وضد الكسل والعجز، وحسبها هذا شرفًا.

إن الأندية بكل أنواعها تحت سيطرة الحكومات فى العالم الإسلامى، والحكومة تستطيع أن تجعل من الأندية مكانًا لتربية الناس تربية جهادية، تجعلهم على استعداد لخوض أى معركة مع أى عدو..

إن العالم الإسلامى اليوم يعانى – ومنذ أكثر من نصف قرن أى مع تصدير الاشتراكية والشيوعية إليه – من إشغال الناس فى هذه الأندية بالتعصب لفرق كرة القدم بدعة أو لعبة مكشوفة تستهدف إشباع رغبة الناس فى الانتماء، فليكن الانتماء إلى فريق لكرة القدم أو كرة السلة أو غيرها بديلاً عن الانتماء إلى دينه وقيمه أو الانتماء إلى حزب سياسى، لأن تلك ضرورات أمنية كذلك، حتى لو ضرب المتعصبون للأندية بعضهم بعضًا أو قتل بعضهم بعضًا، فالأمر هين مادام بعيداً عن السياسة وعما يُنَغِّص الأمن والحكام.

والحديث عن النوادى ذو شجون وحسبنا منه ما قلنا وإن كان فى النفس كثير مما لم نقله نسأل الله أن يغفر لنا هذا التقصير.

رابعًا: الأحزاب السياسية:

الحزب السياسى كلمة براقة خالبة لدلالتها على حرية الرأى من جانب، وعلى أن حزبًا معارضًا للحكومة يستطيع أن يقول للحكومة: لا عندما يجد فى هذا الاعتراض فائدة.

والكلمة الخَّاذة محببة إلى عشاق الحرية لأنها تعنى أن جماعة من الناس شكلوا حزبًا سياسيًا له برنامج إصلاح من جانب، ولأنه يتداول السلطة مع الحكومة من جانب آخر، من خلال انتخابات حقيقية.

والكلمة ساحرة باهرة لما تدل عليه من أن التعبير عن الرأى السياسى له اعتباره فى العالم الإسلامى.

- غير أن كلمة الأحزاب السياسية فى العالم الإسلامى المعاصر ذات دلالات مؤسفة محزنة محبطة للأسباب التالية:

– لا يمكن تشكيل حزب سياسى إلا بموافقة الحكومة، أو الحزب الحاكم الواحد غالبًا، وهو بدوره لن يوافق على إنشاء حزب منافس. ثم يلجأ الحزب المرفوض إلى القضاء، والقضاء يطبق القانون، والقانون يصنعه الحزب الحاكم فى مجلسه النيابى الذى جاء به على هواه.

– والحزب السياسى إنْ دبّر أموره مع الحكومة قد تسمح له بالخروج إلى حيز الوجود، ولكنه لا يكون معارضًا إلا فى حدود ما تسمح به الحكومة من معارضة، وبعض هذه الأحزاب لا يحصل على مقعد واحد فى المجلس النيابى!!!

– وأعجب العجب فى العالم الإسلامى أن حكوماته لا تسمح بإنشاء حزب إسلامى أو حزب ذى توجه إسلامى!!! تلك ظاهرة فريدة فى العالم كله؛ لأن الأحزاب المسيحية واليهودية والدينية تسد الأفق فى أوربا معظمها – وهى بلاد الديمقراطية والحرية – كما يقال!!!

– والحديث عن الأحزاب السياسية فى العالم الإسلامى يجر إلى الحديث عن الانتخابات فيه، وفى اختصار شديد هى الانتخابات التى تفرز ٩٩٪ للحاكم أو لحزبه، مما لا نظير له فى العالم!!!

- إن الأحزاب السياسية مدارس لحرية الفكر وحرية التعبير عن البرنامج السياسى الموازى لبرنامج الحزب الحاكم أو المتفوق عليه، فهل فى عالمنا الإسلامى شىء من ذلك؟

● والأحزاب السياسية تستطيع أن تكون محضنا للتربية السياسية للمواطنين، لو فُكَّ عقالها وسمح لها بأن توجد فى هذا العالم الإسلامى الفسيح الذى يمثل سدس العالم كله أو خمسه من حيث عدد السكان، ويمثل معظمه من حيث جذور الحضارة.

● والأحزاب السياسية الموجودة فعلاً فى العالم الإسلامى - على قلتها والقيود المفروضة عليها - تستطيع أن تسهم فى تربية أعضائها تربية جهادية، لتحصل من هذه التربية على رجال يحسنون أداء ما يسند إليهم من أعمال بصدق وثبات وإخلاص وتضحية وإيمان.

إن هؤلاء الرجال الذين ربوا تربية جهادية فى الأحزاب السياسية هم الذين يحسنون توظيف الجهاد فى التعامل مع الأعداء، لأنهم رجال سياسة تعلموا الجهاد فى سبيل الله تعالى.

فهل تسمح حكومات العالم الإسلامى بذلك؟ اللهم اجعلها تسمح واهدها إلى الحق والخير لها وللناس.

خامساً: النقابات المهنية:

ونعنى بها نقابة أصحاب المهن كالأطباء والمهندسين والمعلمين والزراعيين والتجاريين من أولئك الذين جمعوا بين المؤهلات العلمية والمهن التى يمارسون.

وإذا كانت النقابة المهنية تستهدف رعاية أصحاب المهنة والعمل على تطوير المهنة والإلزام بأخلاقياتها، فإن من صميم رعاية النقابيين أن توقظ فيهم روح الجهاد وأخلاقياته، ولن تستطيع النقابات المهنية ذلك إلا برضا الحكومة وموافقتها.

● والحكومات فى العالم الإسلامى حكومات الحزب الواحد تستولى على النقابات بقوة القانون وتجرى فيها الانتخابات بقوة القانون، وتسمح لها بممارسة أى نشاط مهنى أو اجتماعى أو ثقافى أو سياسى أو لا تسمح بقوة القانون كذلك، والقانون الذى يحكم النقابات يضعه الحزب الحاكم وحده، فإن شارك فيه أحد من غير الحزب - وقلما يكون نقابى من غير حزب الحكومة - فهى مشاركة صورية لأنه من المستحيل عليه أن يغير شيئاً تراه الحكومة وهى ذات الأغلبية الساحقة فى المجلس النيابى!!!

● وفى ظل أنظمة الحكم ذات الحزب والرأى الواحد والملك أو الرئيس أو الأمير الأوحد، تتجمع فى النقابات المهنية كل السلبيات والانحرافات التى توجد عادة فى المؤسسات الحكومية وهى كثيرة منها - على سبيل المثال لا الحصر -:

- التراخى فى أداء العمل وكثرة التغيب عنه.

- والانشغال بنفاق الحكومة على حساب مصالح أعضاء النقابة إن رأت الحكومة ذلك.

- والتسيب وظهور الاختلاسات والتجاوزات المالية.

- وتجاهل العمل على تحسين الأداء المهنى.

- والعجز عن الدفاع عن حقوق الاعضاء أمام الحكومة، لان النقابة فى حقيقتها أصبحت مؤسسة حكومية، فكيف تكون الخصم والحكم؟

- والعمل على تزوير الانتخابات بما يرضى الحكومة، لان الحكومة فى النهاية هى التى تعين النقيب.

- ومن عجائب ما جاءت به الاشتراكية أو الشيوعية ان صدر فى إحدى دول العالم الإسلامى قرار بأن كل موظف أو عامل فى الدولة لا ينتمى إلى الحزب الحاكم يفصل من عمله(١).

● وعلى الرغم من ذلك كله فإن النقابات المهنية منشآت وطنية لها وظائفها المهمة وتنمية الوعى الاجتماعى والسياسى، وهى منشآت لها موازناتها المالية من مصادر وموارد ومصارف، ولها نظمها الإدارية ولها أنشطتها التى تسمح بها الحكومات.

- وتستطيع الحكومة ان تجعل من هذه النقابات - إن أرادت - مراكز لتنمية المجتمع وإشاعة روح الجهاد وأخلاقياته فيه حتى إذا جد الجد وجاء العدو واجهه هؤلاء المجاهدون بعلمهم وعملهم وأخلاقيات الجهاد التى تحقق النصر فى كل معركة.

● والمعارك بل العدوان اليوم على أى بلد لم يعد بحاجة إلى نزاع على الحدود أو صراع حول فكر سياسى، أو كسب اقتصادى، وإنما أصبح الحرب والعدوان رهنا بقرار من دولة القطب الأوحد أمريكا لمجرد تصنيفها بغير حق بأنها من دول الإرهاب أو الدول التى تحمى الإرهاب أو تؤوى الإرهابيين، ويا ويل أى دولة تصنف بأنها من دول محاور الشر أو الدول المارقة، أو دولة من دول العالم الإسلامى تفكر مجرد تفكير فى امتلاك أسلحة نووية أو «بيلوجية»، ولن يستطيع العالم مجتمعاً ممثلاً فى مجلس أمن الامم المتحدة أن ينقذ دولة من هذا التصنيف الأمريكى الجائر الإرهابى بكل معنى من معانى الإرهاب!!!

(١) كان ذلك فى مصر أيام موجة الاشتراكية العاتية الباطشة فى حكم جمال عبد الناصر - فى سنة ١٩٦٢م سنة القوانين الاشتراكية.

• إن الولايات المتحدة الأمريكية اليوم ترتكب بحق جريمة العصر إذ تمكن لإسرائيل من قتل الفلسطينيين وتمدها من أجل ذلك بالمال والسلاح والرجال، وتجرم الدفاع عن الأرض والعرض وهدم المنازل على سكانها وتجريف الزرع والأرض واستعمال الأسلحة المحرمة دوليًا، وتسمى الدفاع ضد كل ذلك إرهابًا!!! وتضرب أفغانستان بالقنابل المحرمة دوليًا، وتعلن أنها ستضرب العراق وكل محاور الشر فى تصنيفها!!!

أليس بعض ذلك لا كله يحتاج إلى جهاد فى سبيل الله؟

ما للحكومات فى العالم الإسلامى - وهى ترى ذلك وتسمع عنه - لا تتحسَّب ليوم تضربها فيها أمريكا حماية لإسرائيل أو طمعًا فى مصلحة ذاتية تحققها؟

ما للحكومات لا تعمل من أجل أن تواجه هذا المصير الذى يكاد يكون محتومًا؟

سادسًا: النقابات العمالية:

وهى تنظيمات اختيارية للعمال ترعى مصالحهم، وتدافع عنهم ضد أصحاب العمل، وضد الحكومة أحيانًا، هذا هو الأصل فيها، ولكنها فى العالم الإسلامى تنظيمات إجبارية(1) تفرضها الحكومة ذات الحزب الواحد، لتأمَنَ به شر أى عمل يقوم به العمال ضد الحكومة أو ضد حزبها الحاكم.

• وللحكومات الاستبدادية فى العالم الإسلامى أسلوبها الخاص فى التعامل مع النقابات العمالية يمكن أن نشير إليه فى النقاط التالية:

- مطالبة النقابات بإعداد بيانات التأييد للحكومة فى كل ما تريد الحكومة، حتى لو كان ما تريده ظلمًا أو قهرًا سياسيًا لفئة من فئات المجتمع، ثم جمع التوقيعات على هذه البيانات.

- وإعداد المظاهرات المرسومة المحسوبة لتأييد الحكومة فى العمل بالأحكام العرفية أو مصادرة أموال الناس وأملاكهم باسم الاشتراكية مثلاً، أو محاكمة المدنيين أمام المحاكم العسكرية!!!

وفى مقابل هذا وذاك وغيرهما مكاسب عمالية لا تقوم على العدل ولا على المصلحة العامة للدولة، وإنما تقوم على مجاملة العمال على حساب العمل والإنتاج.

---

(1) وذلك الإجبار وافد على العالم الإسلامى من فترة سيطرة ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى الذى جعل الحكومات الاشتراكية تملك فى المجتمع كل شىء حتى تفكير الناس ونظراتهم وأنفاسهم!!!

– ومنح العمال والفلاحين نسبة النصف من أعضاء المجالس النيابية التى من أبرز مهامها التشريع وما يحتاج إليه من قمم علمية وثقافية، مما أدى إلى أن تصاب المجالس التشريعية بالعجز النسبى فى تصنيف القوانين، والعودة إلى تعديلها عشرات المرات.

– وقد قلت نتيجة لتلك المعاملة للعمال ساعات العمل، حتى أصبحت فى بعض البلاد أقل من ساعة يوميًا كما أكد ذلك الخبراء!!!

● ولكن هؤلاء العمال المدللين عندما يتظاهرون بسبب موجة غلاء الأسعار – مثلا – فإنهم يواجهون بالقمع والإرهاب والاعتقالات والمحاكمة والسجون، لأن الحكومات عندئذ تشعر بأن العمال خرجوا على النظام المرسوم، وربما تصل عقوبة بعض العمال إلى الإعدام(1) ولا تجرؤ النقابة أن تعترض!!!

● وأعود فأقول: على الرغم من ذلك كله، فإن لهذه النقابات العمالية مقار ومنشآت ولها موازنات وأنظمة، وتستطيع الحكومة من خلالها أن توجهها إلى تعريف العمال بالجهاد فى سبيل الله وتدريبهم على متطلباته وأخلاقياته، ليكونوا على استعداد لمواجهة العدو عندما يحاول العدوان؛ لأنهم عندئذ يعرفون لماذا يجاهدون ومن يجاهدون وبم يجاهدون ومتى يجاهدون؟

سابعًا: الجمعيات غير الحكومية (الأهلية):

وهذه الجمعيات معظمها خيرى – أى لا يستهدف ربحًا ولا تجارة – ولكنها تقدم الخدمات للمواطنين فى كل مجال يحتاجون فيه إلى خدمة، وهى خدمات مكملة لخدمات الحكومة وداعمة لها، كان على الحكومة أن تقدم لها العون، بل الشكر.

● غير أن لهذه الجمعيات – وهى صورة من المجتمع المدنى – قصص مع حكومات الاستبداد فى العالم الإسلامى، حيث سيطرت الحكومة على هذه الجمعيات فحلت منها من رأت فيها أدنى نقد لأى عمل حكومى، ثم حلتها جميعًا وأصدرت قوانين تنظمها، بحيث لا تنشأ ولا يصرح لها بعمل إلا برضا الحكومة وموافقتها، وبتدخل الحكومة فى برامج أعمالها، حتى أصبحت كأنها لجنة من لجان الحزب الأوحد الحاكم.

وبكل تأكيد فإن للحكومة فيما فعلت بالجمعيات الأهلية مبررات لكنها تبريرات من

---

(1) حدثت هذه المحاكمات فى كثير من بلدان العالم الإسلامى والعالم العربى وإن كان أول حكم تفردت به حكومة الثورة فى مصر سنة ١٩٥٢م.

أجل السيطرة والتحكم، وعدم إعطاء فرصة لأعضاء هذه الجمعيات أن تكون لهم يد عند أفراد الشعب خشية أن يحبوهم فينتخبوهم دون مرشحى حزب الحكومة الذين لا يجوز – فى عرف حكومات الظلم والاستبداد– أن ينجح سوى مرشحيها.

– والظاهرة اللافتة للنظر فى المجتمعات التى تحكم بنظام مستبد أن الحكومة كلما رأت رأيًا انبرى الطامعون والطامحون إلى المناصب فى تبرير رأى الحكومة، فإن عدلت الحكومة عن رأيها، عاد المنافقون فبرروا لما يناقض الرأى الأول!!!

– والجمعيات الأهلية خيرية – كما قلنا – ينشئها أهل الخير ومحبوه فى كل بلد من بلدان العالم الإسلامى، وهى كثيرة ومتنوعة فى كل بلد، ولكن حكومات الاستبداد لا تدعها وشأنها، وإنما تستولى عليها، وتفرض عليها من يتولون رئاستها وعضوية مجالس إدارتها، ضاربة بمبدأ الانتخابات عرض الحائط، ثم تدعى بعض هذه الحكومات أنها ديمقراطية!!!

● إن هذه الجمعيات كانت تؤدى خدمات جليلة للمجتمع فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، خدمات لا تزال آثار بعضها باقية حتى اليوم، كالمدارس والمستشفيات ودور رعاية الأيتام، والمساجد، والحدائق والأندية، والمكتبات، وكل ذلك عمل اجتماعى دعا إليه الإسلام وحبب فيه والله تعالى يثيب عليه.

وتستطيع أى حكومة فى العالم الإسلامى – لو أرادت – أن تجعل من هذه الأماكن وأمثالها مجالاً لتبصير الناس فى دينهم ولتعريفهم أهمية الجهاد فى دين الإسلام، ومكانة المجاهد فى سبيل الله عند الله، انتظاراً لمعركة تفرضها دولة القطب الواحد أو تدبرها إسرائيل أو يشجع عليها الشيطان الرجيم، عندئذ تجد الحكومة نفسها وهى تحارب تلك المعارك أن بجانب جيشها قُوًى مساندة لا يستغنى عنها جيش يخوض معركة.

ألا هل بلَّغتُ؟ اللهم فاشهد، واهدنا واهد حكومات العالم الإسلامى إلى صراطك المستقيم.

وبعد: فتلك مظاهر غياب التربية الجهادية عن المسلمين أو تغييبها عنهم، نرجو أن نكون قد أوضحناها بفضل الله تعالى.

وإلى الحديث عن أسباب غياب التربية الجهادية أو تغييبها عن المسلمين، والله المستعان.

■■■■

ب - أسباب غياب الجهاد فى سبيل الله أو تغييبه

منذ غاب الجهاد عن حياة المسلمين وهم فى تراجع وقصور وانكماش لقيمهم وأوطانهم وقدراتهم العلمية والفنية والإبداعية، وقد يتصور بعض الناس أن فى هذا الكلام مبالغة، ولكنهم مخطئون إن تصوروا ذلك، لأن الجهاد فى سبيل الله فريضة فرضها الله على المسلمين، وما من فريضة فرضها الله على عباده إلا وفى أدائها تقرب إلى الله يعقبه إحساس بالرضا والسعادة لأداء الواجب، ومن كان سعيداً راضياً فإنه يزداد تمسكًا بدينه ويزداد حرصًا على أداء ما فرض الله عليه، ليحافظ على تلك السعادة ويزيدها، ومن كان سعيداً راضيًا تفتحت مواهبه وزادت قدراته وتنوعت إبداعاته.

– والجهاد فى سبيل الله يحقق فوق تلك السعادة والرضا بأداء الفريضة السعادة الغامرة بالانتصار فى أى معركة جاهد فيها فى سبيل الله تعالى. إن الشعور بالفوز يملأ القلب والعقل رغبة فى الحصول على الفوز الثانى والثالث و...

– والتاريخ يؤكد لنا أن المسلمين حينما كانوا يحرزون الانتصارات على أعدائهم، كانت طاقاتهم وقدراتهم وإبداعاتهم فى كل مناشط الحياة الإنسانية على النحو الذى سبقوا به سواهم، وقدموا للإنسانية من العلوم الفنون والمكتشفات ما سجله الأعداء قبل الأولياء.

– وما تصنعه الانتصارات من ثقة فى النفس وسعادة ورضا، تصنع ضده الهزائم، إذ ما من أمة مهزومة تستطيع أن تبدع وتتقدم فى العلم والفن إلا بعد تجاوز هزيمتها، لاستعادة ثقتها فى نفسها، تلك حقائق لا يختلف عليها الناس فى أى زمان أو مكان، وتلك كانت أحوال المسلمين حين غاب عنهم الجهاد فى سبيل الله أو غيب، فانهزموا أمام أعدائهم، ثم فقدوا الثقة فى النفس، والقدرة على التقدم العلمى والفنى، والإبداع عمومًا.

– وما دام الجهاد قد فرضه الله فى قمة الفرائض وفى ذروة سنام الإسلام فإن فى القيام به والتمسك بأخلاقه وآدابه خيراً كثيراً للمسلمين، وعزة ونصراً وسعادة فى الدنيا والآخرة، فكل ما ينفق المسلمون فى سبيل الله من مال وجهد ووقت ونفس، يوفىً إليهم وهم لا

يظلمون: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ....﴾ ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

بل إن كل أذى يصيب المسلم عمومًا - فما بالنا بالمجاهد فى المعركة - يجازى عنه خير الجزاء، فتحط عنه خطاياه وتتحاتّ كما تتحات أوراق الشجرة عن الشجرة، روى أحمد بسنده عن الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ما من مسلم يصيبه أذًى شوكة فما فوقها إلا حطَّ الله عز وجل عنه خطاياه، كما تحت الشجرة ورقها**».

فلماذا غاب الجهاد عن المسلمين أو غُيب عنهم؟

إن لذلك أسبابًا عديدة نذكر منها:

١ - تقصير المسلمين فى أداء ما فرض الله عليهم:

ذلك من اهم أسباب غياب الجهاد فى سبيل الله أو تغييبه عن المسلمين، وهو سبب نابع من داخل الأمة الإسلامية؛ وذلك أن كثيراً من المسلمين قد قصروا فى أداء ما فرضه الله عليهم او عطلوه، وبخاصة فريضة الجهاد فى سبيل الله.

- والذين يزينون للمسلمين التقصير فى أداء فريضة الجهاد أو تعطيلها قوى شريرة تُلْمَس فى:

* شيطان يوسوس بالمعصية لله بإهمال فرائضه.

* أو نفس إنسانية أمّارة بالسوء.

* أو قلب جامد لا يخشى الله ولا يرجوه.

* أو عقل جاحد جامح مغرور يرى فى أداء الفرائض ضعفًا أو خوفًا لا مبرر لهما.

* أو عقل ضعيف أفِن لا يميز بين ما ينفع وما يضر.

* أو قرناء سوء يعصون الله ويزينون لقرنائهم هذه المعاصى.

* أو أسرة غير متدينة تتهاون فى ولايتها على أبنائها، ولا تلزمهم بالحق ولا تأمرهم بأداء الواجب.

* أو مجتمع يشيع فيه الضلال ومعصية الله؛ ثم يضعف عن مقاومة الضلال ومنع المعاصى.

* أو حاكم مغرور لا يرى فى التدين بالدين الحق واجبًا عقليًا وشرعيًا واجتماعيًا وخلقيًا، فلا يحاسب مقصرًا فى أداء فريضة، ولا يشجع طائعًا لله على الطاعة.

* أو حكومة لا تحكم بما أنزل الله، فتعطل الحدود، ولا تُعزّر من أتى ذنبًا ليس فيه حدّ.

* أو نظام حكم غير عادل يحاسب الضعيف والفقير ويتساهل مع القوى والغنى، كما فعلت يهود إذ كانت تقيم الحد على الضعيف أو الفقير، وتعفى منه القوى الغنى، فلعنهم الله تعالى فى محكم كتابه وعلى لسان رسوله الخاتم ﷺ، وسيلعن كل من احتذى حذوهم إلى يوم الدين.

وكل هؤلاء تحركهم وتغريهم الشياطين بتزيين ترك الجهاد أو ترك مصدر القوة والعزة والثقة بالنفس.

– ولقد نبهنا الخاتم ﷺ إلى تلك الشياطين، فيما رواه النسائى بسنده عن سبرة بن أبى فاكه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه. فقعد له بطريق الإسلام؛ فقال له: تُسْلِم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه فأسلم.**

وقعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفَرَس فى الطِّوَل(١)، فعصاه فهاجر.

ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتُقتل؛ فتُنْكَح المرأة ويقسَّم المال، فعصاه فجاهد، فمن فعل ذلك(٢) كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة».

وإذا قصر المسلمون فى اداء فريضة الجهاد أو تركوها ضعفوا وذلّوا واستهان بهم أعداؤهم وانهزموا، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ، فقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لئن أنتم اتبعتم أذناب البقر، وتبايعتم**

---

(١) الطِّوَل: حبل طويل يربط الفرس بأحد طرفيه، ويربط الطرف الآخر فى وتد أو نحوه من الأشياء الثابتة، فيدور الفرس ويرعى ولكنه مربوط مقيد، لا يستطيع الذهاب إلى مراع أبعد وأخصب وهكذا المهاجر فى نظر الشيطان.

(٢) أى عصى الشيطان وآثر الإسلام والهجرة والجهاد.

بالعينَة وتركتم الجهاد فى سبيل الله ليُلْزِمَنَّكم اللهُ مذلة فى أعناقكم ثم لا تنزع منكم، حتى ترجعون إلى ما كنتم عليه وتتوبون إلى الله».

- والجهاد فى الإسلام واجب على كل مسلم قادر، والجهاد أنواع كما ذكرنا آنفًا، والرسول ﷺ يتوعد من لم يجاهد أى نوع من الجهاد، ويخبر أن الله سوف يصيبه بقارعة، روى ابن ماجه بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**مَنْ لم يغز، أو يجهز غازيًا، أو يخلف غازيًا فى أهله بخير، أصابه الله سبحانه بقارعة قبل يوم القيامة**» وأى قارعة أشد من هزيمته أمام عدوه؟

- فإذا كان التقصير فى الجهاد فى سبيل الله عمل كثير من المسلمين، أو إذا تركوا الجهاد، فذلك غياب للجهاد فى سبيل الله، وتغييب له عن سائر الأمة.

٢ - وكيد أعداء الأمة الإسلامية للعرب والمسلمين:

أعداء الأمة الإسلامية لا يفترون عن الكيد لها وإيقاع الشر بها كلما أتيح لهم ذلك، وتلك من سنن الله تعالى فى الصراع بين الحق والباطل، ولا كيد أَضَرّ بالأمة الإسلامية من غياب الجهاد فى سبيل الله عنها، أو تغييبه عمداً. وذلك سبب رئيسى من أسباب غياب الجهاد أو تغييبه.

- ولأعداء الأمة الإسلامية - وأخبثهم وأشدهم كراهية لها هم اليهود - هؤلاء الأعداء لهم وسائل عديدة فى تغييب الجهاد فى سبيل الله عن المسلمين، من أهمها:

- عملهم على إضعاف الأمة الإسلامية:

وذلك أن الأمة الضعيفة لا تستطيع الجهاد فى سبيل الله، وقد حرص الأعداء على إضعاف الأمة الإسلامية بدنيًا وعقليًا، وخلقيًا، وتوهين صلتهم بالدين الحق وإبعادهم عنه.

- أما إضعاف المسلمين بدنيًا، فقد ثبت بالدليل والبرهان أن مشروع «شلوع» التابع لسلاح الطيران الإسرائيلى، والذى رُصد له مليارات من الدولارات الأمريكية، هذا المشروع هدفه تلويث الأرض العربية وتدمير الزراعة فيها من خلال التوظيف المدمر للهندسة الوراثية فى مجال الإنتاج الزراعى.

ففى أواخر عام ١٩٩١م ضبطت أجهزة الأمن المصرية واحداً وعشرين طنًا من بذور الطماطم و«الكنتالوب» والخيار وغيرها، وضبطت بعض المخصبات؛ قادمة من إسرائيل مشبعة بالإشعاع.

وفى العام نفسه ضبطت شرطة المسطحات المائية المصرية كمية مماثلة من البذور لدى أحد البدو بالعريش تبين أنها قادمة من إسرائيل متجهة إلى القاهرة، وقد أكدت التحاليل أنها مخصبة بنوع من الإشعاع يؤدى إلى الإصابة بالسرطان.

وهناك شركة أمريكية وإسرائيلية للبذور فى مصر ضبطت تُسوِّق هذه البذور داخل مصر[1].

ودائمًا يكون ما خفى أعظم وأضرّ مما عرف وأعلن عنه.

- ومن ضَعُف بدنُه وأُصيب بالأمراض ضَعُف عقله، لكن الأعداء لا يكتفون فى إضعاف العقول بهذا وحده، بل يحشدون فى وسائل الإعلام فى عالمنا الإسلامى - إذ لهم نفوذ فى كثير من بلدان العالم الإسلامى - كثيرًا من المسلسلات والقصص والأفلام والمسرحيات والأحاديث والمقابلات والمحاورات[2]، ما يشجع العقول على التراخى والسطحية، بل عدم المبالاة بالناس والأحداث والأشياء، كما يشاهد اليوم فى بعض الشباب فى العالم العربى والإسلامى؛ إنها مواد إعلامية يختارها الأعداء بمهارة وحذق مهنى، وخبث أهداف.

- أما الجوانب الأخلاقية فأعداء المسلمين بارعون فى خلع خلق الإسلام من سلوك المسلمين عن طريق أجهزة الإعلام ووسائله، بل من خلال بعض القُصَّاص وبعض الكتاب الذين يحاولون أن يقتلعوا من المسلمين كل ما فيهم من قيم أخلاقية فاضلة، منادين بأن التمسك بالدين وأخلاقه رجعية وحرمان من المتع وانتقاص للحرية الشخصية!!!

- وكل ذلك يؤدى بالضرورة إلى توهين الانتماء إلى الدين الحق، والتمسك بأخلاقه وآدابه.

- وكيف تجاهد أمة ضعفت أبدانها وعقولها وفسدت أخلاقها وضعف انتماؤها لدينها واعتزازها بقيمه، إن الجهاد فى سبيل الله يحتاج إلى مؤمن قوى البدن والعقل والخلق، وإضعاف ذلك من كيد الأعداء وتدبيرهم، ولذلك عُدَّ سببا من أسباب غياب الجهاد عن المسلمين أو تغييبه عنهم.

- ويدخل فى إضعاف الأمة الإسلامية أمور على جانب كبير من الأهمية مثل:

---

(١) جريدة الأهرام بالقاهرة العدد الصادر فى ٩ / ٥ / ٢٠٠٢م ص ١٣.

(٢) انتقل ذلك إلى بعض الإذاعات العربية مسموعة ومرئية، بل إن بعض هذه الإذاعات تستضيف اليهود وتفرضهم على المشاهدين والسامعين!!!.

– تفكيك وحدة المسلمين وتفتيتهم دولاً ودويلات.

– وإنشاء الكيان اليهودى الصهيونى فى قلب العالم العربى.

– واصطناع الحروب التى تستنزف قوة العالم الإسلامى وتبدد مُقَدَّراته الاقتصادية مثل: حربى الخليج اللتين تولى كبرهما غاشم العراق صدام حسين، والتوسع الإسرائيلى على حساب الأمة العربية، وضرب أفغانستان، ومن قبل ضرب البوسنة والهرسك وكوسوفو والشيشان وتيمور الشرقية، وجنوبى السودان، والصحراء المغربية، والبربر فى الجزائر، والأكراد فى تركيا وسوريا والعراق، وغير ذلك من الحروب الإقليمية فى العالم الإسلامى التى تحركها أيدى الأعداء وكيدهم وشرهم.

– وإنشاء القواعد العسكرية فى العالم العربى ودول الخليج بالذات وفى العالم الإسلامى معظمه.

● إن هذه الأعمال تحول بين المسلمين والجهاد، فيغيب عنهم لانشغالهم بهذه المشكلات، وهذا سبب فى غياب الجهاد أو تغييبه عن المسلمين.

٣ – وشَنّ حملات تشويه الجهاد فى سبيل الله، ولهذه الحملات أبعاد:

هذه الحملات التشويهية الموجهة ضد الجهاد الإسلامى فرع عن أصل كبير هو الحملات التشويهية الموجهة ضد الإسلام عقيدة وشريعة ومنهجًا ونظامًا وقيمًا وسلوكًا، وهى حملات قوية وظاهرة بحيث لا يستطيع مثقف أو قارئ فضلاً عن عالم أو باحث أن ينكر ضراوة هذه الحملات(١).

● والجهاد فى سبيل الله أحد فروض الإسلام بل فى الذروة من الإسلام كله، وبوصفه ذلك لابد أن ينال من العدو حملات ضارية من التشويه، المبنى على المغالطات والأكاذيب والمفتريات، وقد أخذت هذه الحملات أبعاداً وصوراً عديدة منها:

– حملة الربط بين الجهاد فى سبيل الله وزعمهم أن الإسلام قد انتشر بالسيف، وأكره الناس على الدخول فيه، وهى حملة كذبها التاريخ بعد تكذيب آيات القرآن الكريم لها، كقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ [البقرة: ٢٥٦].

على أن بعض الغربيين المنصفين قد ردوا على هذه الفرية وسفهوا القائلين بها.

---

(١) للمؤلف فى ذلك كتاب هو: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، ط دار المنار بالقاهرة.

- وحملة الربط بين الجهاد فى سبيل الله وزعمهم أن الإسلام قام على التوسع والاستيطان - كما يفعلون هم اليوم - وضلال الفكر فى هذه الفرية جاءهم من رؤية الناس الذين دخل المسلمون بلادهم للمسلمين فى تعاملهم بقيم الإسلام وآدابه، مما حببهم فى دخول هذا الدين العادل السمح الرحيم، فلما دخلوا فيه أفواجًا أصبحت بلادهم بلادًا إسلامية، بدليل أن المسلمين عندما عجزوا عن حماية بعض البلدان التى فتحوها خرجوا منها وردوا لأصحابها ما كانوا قد أخذوه منهم من مال للدفاع عنهم.

- وحملة الربط بين الجهاد فى سبيل الله وزعمهم أن المسلمين يأخذون من الناس مالاً على كُره منهم، وهى حملة قام بها بعض الحاقدين من أهل الكتاب يهود ونصارى.

والحقيقة أن هذا المال هو الجزية، وهى تفرض على أهل الكتاب والمجوس ونحوهم، وهى فى مقابل تأمينهم والدفاع عنهم، وهو مال قليل (دينار كل سنة فى الأصل) فإن زاد عن ذلك فإنما يزيد عندما يكون الدفاع مكلفًا، أو يكونوا من أهل اليسار فى كلتا الحالتين فإنها زيادة ضئيلة.

- كل هذه الحملات التشويهية للجهاد فى سبيل الله قديمة فى تاريخ الإسلام مواكبة لانتشار الإسلام فى الناس والآفاق.

أما اليوم - وبعد انحسار المدّ الإسلامى وتمزيق العالم الإسلامى - فإن حملات تشويه الجهاد فى سبيل الله أخذت أبعادًا وأشكالاً أخرى - نشير إلى بعضها فيما يلى:

البعد الأول: تسمية الجهاد بغير اسمه:

لأن الجهاد فى سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام وسبب قوة المسلمين وعزتهم وانتصارهم؛ فإن كل أعداء الإسلام - وهم كثير - يصبون إلى أن يختفى الجهاد من حياة المسلمين لكى ينعموا هم بالنصر على المسلمين والاستيلاء على أموالهم وديارهم، بعد أن يضعف المسلمون بترك الجهاد.

والمجاهدون قد أثنى الله عليهم ووعدهم بالهداية وبأن يكون سبحانه معهم يؤيدهم وينصرهم ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

- ولأن للجهاد هذه المكانة وللمجاهدين هذه المنزلة، حرص أعداء الإسلام على تشويه الجهاد، فسموه بغير اسمه ووصفوه بغير صفاته فقالوا - كاذبين مضللين -:

- إن الجهاد فى سبيل الله إرهاب للآمنين - والإرهاب مرفوض فى كل دين وفى كل نظام

اجتماعى - يزعمون ذلك وهم أشد الناس بعداً عن الدين وتنكراً لقيمه وأخلاقه، وأكثر الناس عدوانًا على النظام الاجتماعى وهيئات هذا النظام إن تعارض ذلك مع أدنى مصلحة لهم!!!

والهدف من ذلك هو صرف المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله، وقمع المجاهدين وإدانتهم.

- وزعموا أن الجهاد فى سبيل الله قتل للأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين الذين لا يقاتلون، وقد كذبوا؛ لأن قتل هؤلاء مُحَرَّم على المجاهدين إلا إن حملوا السلاح وقاتلوا المسلمين.

يزعمون هذا وهم غارقون فى قتل الأبرياء عمومًا وإبادة من لا يحملون سلاحًا إبادة جماعية بالقنابل النووية وبالأسلحة الكيماوية، وبكل سلاح وحشى لا يستعمله إلا من تجرد من إنسانيته!!!

وفى مقدمة هؤلاء اليهود والروس والأمريكان وكثير من بلدان أوربا، ومن عجب أنهم هم الذين يشوهون الجهاد والمجاهدين، وإن مخازيهم فى هذا العصر لا يستطيع أن ينكرها أو يبررها عاقل، وسوف تمضى مئات السنين ولن تُنْسَى إبادة سكان هيروشيما ونجازاكى فى اليابان ولا دير ياسين وكفر قاسم وبحر البقر وقانا وصبرا وشاتيلا وجنين ونابلس ورام الله والخليل وبيت لحم، على أيدى مجرمى الحرب اليهود، ولا ما فعل الروس بالأبرياء فى سيبيريا والشيشان، ولا ما فعل الاوربيون بالبوسنة والهرسك وكوسوفو، ولا ما فعل الأمريكان والإنجليز فى العراق ولا ما فعلوا فى أفغانستان!!!

● إنهم أرادوا أن يشوهوا الجهاد ويسموه بغير اسمه فشوهوا أنفسهم وما يمارسون من جرائم ضد الإنسانية، جرائم سجلها التاريخ بالصوت والصورة والوثيقة!!!

- وزعموا أن الجهاد فى سبيل الله عنف ودموية وعدوان.... وما العنف والدموية والعدوان إلا ما يفعلون، هل رأت الإنسانية أعنف ولا أضرى مما يحدث للمسجونين ظلمًا فى « جوانتانامو »؟ أَبَعْدَ عصْب العيون والحقن بالسموم والتجويع والترويع والمنع من قضاء الحاجة عنف أو دموية أو عدوان؟

آلجهاد فى سبيل الله هو العنف؟ أم تلك الأعمال الوحشية التى يمارسها الأمريكان فى « جوانتانامو »؟ أم التى مارسوها فى فيتنام وكوريا، ومع الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين؟

● مَنْ الإرهابيون؟ أهم الذين يقتلون الناس بأفتك الأسلحة ويعيشون فى الأرض فساداً يهلكون الحرث والنسل؟ أم الذين يدافعون عن أنفسهم وأوطانهم ضد وحوش القرن الحادى والعشرين؟ لقد ذرأ الله تعالى هؤلاء الوحوش الآدمية لجهنم لانهم لا يعقلون ولا يبصرون ولا يسمعون فهم كالانعام بل أضل من الانعام، وغداً بين يدى الله يعرف هؤلاء من هم وماذا ينتظرهم فى الحياة الابدية!!! قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الاعراف: ١٧٩].

والبعد الثانى: تشويه الجماعات الإسلامية:

لابد لنا من وضع معايير تعرف بها الجماعات الإسلامية، معايير لا نخترعها أو نجتهد فى تحديدها، وإنما هى من صميم الإسلام، فالجماعة الإسلامية هى التى تلتزم بالإسلام منهجًا وسلوكًا وتعرف كيف تلتزم بكل ما أمر الله به وتجتنب كل ما نهى الله عنه، اى أن عقيدتها توحيد الله تعالى إلهًا وربًا وخالقًا، وعبادتها هى ما شرع الله، وسلوكها العدل والإحسان والشورى، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

وكل جماعة لم تستوف هذه الشروط الاساسية فإن من الظلم أن تسمى جماعة إسلامية مهما ادَّعتْ ومهما علا صوتها وارتفعت شعاراتها.

● هذه الجماعات الإسلامية بهذه الأوصاف شجًى فى حلوق أعداء الإسلام، وحجر عثرة فى طريق سيطرتهم على بلدان العالم الإسلامى، وهى بفضل الله جماعات كثيرة فى العالم الإسلامى، فكيف يسكت عنها الأعداء فلا يشوهونها ويدينون الانتماء إليها ويحظرون عملها فى كثير من بلدان العالم الإسلامى؟

● لقد شوه الأعداء هذه الجماعات بكل ما أوتوا من حول وحيلة وبكل ما استطاعوا من وسائل.

ومما شوهوا به هذه الجماعات:

– زعمهم أن هذه الجماعات تُكَفِّر المجتمع:

وهو زعم باطل إذ كيف تكفر جماعة إسلامية المجتمع، وهى لا تملك هذا، بل ليس هذا

من حق أحد، بل هذا يسبب كُفر من كفَّر غيره، روى أبو داود بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل مسلم أكفر رجلاً مسلمًا، فإن كان كافرًا، وإلا كان هو الكافر».

وفى رواية لأحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل كفَّر رجلاً، فإن كان كما قال، وإلا فقد باء بالكفر».

هذا هو الدين الإسلامى الحق، فكيف يسوغ لفرد أو جماعة ان تحكم على أحد بالكفر؟ وكيف يمكن عقلاً أن يحكم على المجتمع كله بالكفر؟

بل لا يجوز تكفير المسلم بذنب ارتكبه أو معصية مارسها، فقد روى أبو داود بسنده عن انس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان، الكفُّ عمن قال: لا إله إلا الله، ولا تكفره بذنب، ولا تخرجه من الإسلام بعمل.

والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل.

والإيمان بالأقدار».

فإن حدث أن كفرت جماعة المجتمع فلا يصح أن توصف بأنها إسلامية، ولا يجوز أن تحسب أقوالها على الإسلام.

– وزعمهم ان الجماعات الإسلامية تقتل الآمنين وتروع الناس:

وهو زعم كسابقه لان قتل الناس لا يحل فى الإسلام إلا حدًا أوقصاصا، ولا قائل بغير ذلك من الفقهاء فى كل العصور، وحرمة دم المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة المشرفة، وقد روى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حراما».

وروى أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ فى مسيرة، فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع فضحك القوم فقال: «ما يضحككم، فقالوا: لا، إلا أنا أخذنا نبل هذا ففزع فقال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا».

ورواه أبو داود بسنده عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ.

فكيف بمن يروع الناس جميعا بأعمال تحمل الخوف والفزع إليهم؟ هل يعتبر هذا مسلما يفهم دينه أو يلتزم فيه بما أحل الله وما حرم؟

والبعد الثالث:

استعداء بعض الحكومات المسلمة على المجاهدين:

وهذا عمل تقوم عليه عشرات الشواهد والبراهين، ويبرره للأعداء أن أيديهم لن تنال المجاهدين فى بلادهم إلا بصعوبة بالغة، فليستعدوا عليهم حكومات بلادهم التى ترتبط مع هؤلاء الأعداء بمعاهدات ومصالح ومنافع.

ويبرر هذا العمل بالنسبة لبعض الحكومات المسلمة أن هؤلاء المجاهدين يقومون بأعمال تعكر صفو الأمن وتهدد الحكام والمواطنين.

● غير أن اعتبار من يقومون بقتل الأبرياء نساءً وأطفالا وشيوخا وسائحين، من المجاهدين اعتبار خاطىء بين الخطأ، لأن المجاهد يتعبد إلى الله بجهاده الذى فرضه الله على وجهين: فرض الكفاية أو فرض العين، ومن المستحيل أن يأمر الله تعالى بقتل الأطفال والنساء، والشيوخ الآمنين إلا من حمل السلاح منهم على المؤمنين.

ولقد نهى النبى ﷺ فى وصاياه للمجاهدين عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ والمعتصمين بصوامع العبادة وبِيَعها فى أحاديث نبوية شريفة ذكرناها فى الباب الأول من هذا الكتاب(١).. ولكننا نذكر هنا بما رواه أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا بعث فى قتال قال: **«انطلقوا باسم الله على ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله مع المحسنين»**.

فكيف يكون مجاهدا فى سبيل الله من يقتل الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ وسائحين؟

● لهذا ولغيره من الظروف تجد كثير من حكومات العالم الإسلامى نفسها مستفزة مستثارة من أعمال هؤلاء فتقبض عليهم وتحاكمهم، وتنكل ببعضهم، فيرضى أعداء الإسلام عن ذلك كل الرضا.

● ولا تخفى هذه الدول عداءها للإسلام على مستوى الرسمى على السنة رؤسائها

---

(١) جاء ذلك فى الباب الأول ونحن نلقى ضوءا على المفهوم الحضارى للجهاد فى سبيل الله تحت عنوان: «الدستور الحضارى للجهاد فى سبيل الله» وذكرنا هناك أحاديث نبوية عديدة.

وحكامها وبعض وزرائها، وعلى مستوى أجهزة الإعلام فيها، وعلى ألسنة كتابها المعروفين عالميا، وعلى مستوى المنتجات الإعلامية كلها.

وليس التصريح بهذا العداء مرتبطا بأحداث الحادى عشر من سبتمبر ولكنه قبل ذلك وبعده وباستمرار، وليست الولايات المتحدة الأمريكية بدعا فى هذا العداء وإنما تواكبها أوروبا والاتحاد الروسى، وعلى رأس هؤلاء اليهودية أو الصهيونية.

- وإذا صرحت هذه الدول المعادية للإسلام أو لوحت لبعض الحكومات فى العالم الإسلامى بضرب المجاهدين أو الجماعات الإسلامية فتستجيب رغبا أو رهبا، وتخلصا من المتاعب والصراعات التى قد يتسبب فيها بعض الغافلين من المجاهدين أو من الجماعات الإسلامية.

وبعد: فهكذا تتضح صورة حملات التشويه الموجهة أصلا للإسلام ثم للجهاد الإسلامى فى سبيل الله، كما تتضح صورة من يعادون الإسلام ومن يشوهونه ليغيب عن المسلمين أو يغيب عنهم.

فما أهداف تغييب الجهاد فى سبيل الله؟

ذلك ما نجيب عنه فى الصفحات التالية والله المستعان.

■■■■

جـ- أهداف غياب الجهاد فى سبيل الله أو تغييبه

غياب الجهاد فى سبيل الله عن المسلمين، غالبا ما يكون من عمل المسلمين أو تقصيرهم، أو سوء فهم لدينهم - كما أوضحنا ذلك آنفا -.

أما تغييب الجهاد فى سبيل الله عن المسلمين فلابد أن تكون وراءه قوى شيطانية أو دولية تخطط لهذا التغييب وترسم أبعاده.

- وهذه القوى قد أوضحناها في هذا الكتاب أكثر من مرة، ونضيف إليها هنا قوى غير دولية نشير إلي بعضها فيما يلى:

- الشركات المتعددة الجنسية عموما.
- والشركات المحتكرة لصنع السلاح.
- والشركات المحتكرة لصناعة الطيران المدنى.
- وشركات الصناعات الثقيلة.
- والشركات المنتمية إلى الدول الصناعية الثمانى.

وهذه الشركات تضاف إليها المصارف، وهما معًا تمثلان ضغطًا شديداً على الحكومات التى تنتمى إليها، وهى حكومات الدول الأعداء للعالم الإسلامى، وهذه بدورها لها تأثير على كثير من دول العالم الإسلامى رغبًا أو رهبًا.

- والمسلمون مع غياب الجهاد في سبيل الله أو تغييبه عنهم يقفون موقف المخذول الذى يوجه إليه التحدى من كل صوب وحدب، غير أن هذا لا يعنى أن يتخاذل المسلمون أو يتباعدوا عن دينهم ،كما يفعل بعض الغافلين المخدوعين الذين يريدون أن يغيروا جلدهم ولغتهم وتاريخهم، ليكونوا موضع الرضا من هذه الدول الكبرى، وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبى.

- إنما واجب المسلمين إزاء هذه التحدي وذلك العداء هو المزيد من التمسك بالدين الحق، والالتزام بكل قيمة من قيمه، وكل فريضة من فرائضه، وفي مقدمة ذلك كله التمسك بأن يكونوا أمة مجاهدة فى سبيل الله.

- وكلما زاد الأعداء فى تحديهم وعداوتهم زاد المسلمون فى تمسكهم بدينهم، إذ فى النهاية قريبة أو بعيدة لابد أن ينتصر المؤمنون لأن الله تعالى قد كتب على نفسه هذا فى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]. وقوله جل شأنه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]. ومن أوفى بعهده ووعده من الله تعالى؟

وأفضل عمل يواجه به المسلمون هذا التحدى وذاك العداء، هو الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، لأن الجهاد عز للمسلمين وذل لأعدائهم، ومهما يكن المسلمون قلة -وما هم بقلة لو اتحدوا- فإن النصر بيد الله يؤتيه من يشاء، وقد أخبرنا سبحانه وتعالى بذلك فقال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:١٠]، وقال: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].

وبعدهذه المقدمة، فما أهداف غياب الجهاد فى سبيل الله أو تغييبه عن المسلمين؟ إنها فى تصورى أهداف ثلاثة، يدخل تحت كل منها عدد من الأهداف الجزئية، وهى:

١- إضعاف المسلمين ماديًا ومعنويًا.

٢- وإتاحة الفرصة لسيطرة القوى المعادية للإسلام على العالم الإسلامى.

٣- والتمكين لإسرائيل فى العالمين العربى والإسلامى.

على نحو ما سنوضح فى الصفحات التالية بعون من الله تعالى.

١- إضعاف المسلمين ماديًا ومعنويًا:

غياب الجهاد عن المسلمين أو تغييبه عنهم، يعنى إبعادهم عن الأخذ بأسباب القوة التى يتطلبها الجهاد، وذلك معناه إضعافهم ماديا لتركهم الأخذ بأسباب القوة المادية من الإعداد البدنى وإعداد السلاح والآلة العسكرية التى يرهبون بها العدو، وإضعافهم معنويا بوضعهم فى مجال معصية الله وترك فريضة من فرائضه، وما يترتب على ذلك من الإحساس بالندم وفقد الثقة فى النفس، ومعنى هذا الإضعاف المادي والمعنوى أن يتغلب عليهم عدوهم، والأمر يحتاج إلى بعض التفصيل فى هذين النوعين من الإضعاف.

● أما الإضعاف المادى للمسلمين بتركهم الجهاد فى سبيل الله، فهو واضح، إذ ليس وراء

إلقاء السلاح والخلود إلى الكسل، وترك الإعداد والاستعداد، ليس وراء ذلك إلا الضعف والخور وذلك يؤدى إلى الجبن وخوف لقاء الأعداء.

وذلك هدف كل عدو نحو عدوه، وقد تحدث القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [النساء: ١٠٢].

– على أن الغفلة عن الأخذ بأسباب القوة فى مواجهة الأعداء إثم ومعصية، وقد سأل الله رسوله ﷺ الا يسلط على المسلمين عدوا يجتاحهم، ولكن ليس معنى ذلك أن يستنيموا ويدعوا الأخذ بأسباب القوة أمام أعدائهم، فقد روى أبو داود بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.... **وإنى سألت ربى لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربى قال لى: يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة بعامة**[1]**، ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم حتى يكون بعضهم يهلك بعضا....**»

– ومن الإضعاف المادي الإضعاف بترك الأخذ بأسباب القوة التي يقتضيها الجهاد والاستعداد له.

– ومن الإضعاف المادى للمسلم التارك للجهاد، أن لا يتعامل مع السلاح تدربا وتدريبا على الاستعمال الأمثل له، وكثير من دول العالم الإسلامى تحظر امتلاك السلاح، ولو استقبلت من أمرها ما تستدبر لنظمت امتلاك السلاح، حتى إذا جاءت المعركة وجدت الناس جميعا مستعدين لخوض المعركة[2].

وقد يقال: إن فى الجيوش فى البلاد الإسلامية كفاية تغنى عن استعداد الناس للجهاد!!! وهذا من سوء التفكير وسوء التقدير للأمور لأن الجيوش عند الحرب تكون حاجتها للقوى المساندة من عامة الناس ليست أقل من حاجتها إلى سلاحها.

● وأما الإضعاف المعنوى للمسلمين بغيابهم عن الجهاد أو تغييبه عنهم، فذلك أكيد، وله مظاهر تزيده تأكيدا، ومن هذه المظاهر:

– الإحساس بالضعف بل بالندم والضياع حين يجد المسلم عدوه أمامه ولا يجد نفسه مهيأً للقائه فيشعر بالهزيمة والخوف.

---

(١) السنة: الجدب والقحط، وبعامة: أى جميعا.

(٢) ولا يخفى أن ذلك من أهداف العدو ومن تخطيطاته التى يضعها دائما فى حسبانه لأن ذلك جزء من الانتصار.

وهل هناك انكسار معنوى أقوى من الخوف ثم الهزيمة؟

ومع الإحساس بالخوف والهزيمة يكون الإحساس بالضياع، والسلبية وفقد الثقة بالنفس.

- والإحساس بالتقصير والوقوع فى معصية الله لأنه خالفه وأهمل ما أمره به، ومن خالطه الإحساس بالذنب عانى وأُحبط، فإن أنعم عليه بالندم والتوبة النصوح فقد يدرك ما فاته من الإعداد والاستعداد للجهاد وإلا كان فريسة سهلة لعدوه.

- والإحساس بالوهن لأنه ترك الجهاد، والوهن كما شرحه الرسول ﷺ هو حب الدنيا أى الإقبال الزائد عليها، وكراهية الموت فى سبيل الله أى ترك الجهاد، روى أبو داود بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»** فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: **«بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدوركم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن»** فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟

قال: **«حب الدنيا وكراهية الموت»**.

ومجمل الإضعاف المادى والمعنوى للمسلمين هو غياب الجهاد في سبيل الله عنهم أو تغييبه.

٢- وإتاحة الفرصة لسيطرة القوى المعادية على العالمين العربي والإسلامى:

وهذه السيطرة من العدو على المسلمين تعنى أن المسلمين ضعاف لا يملكون القدرة على الدفاع عن أنفسهم، أو المحافظة علي بلدانهم ومصالحهم وليس لذلك الضعف سبب أوضح من ترك الجهاد في سبيل الله.

وهذه السيطرة لأعداء الأمة الإسلامية عليها، ثلاثة أنواع كل نوع منها يكمل الآخرين، وهى:

السيطرة السياسية.

والسيطرة الاقتصادية.

والسيطرة العسكرية.

● أما السيطرة السياسية:

فلا تسهل السيطرة عموما ولا السياسية منها خصوصها إلى على الضعاف من الناس

شعوبا وحكومات، وليس أضعف من شعب أو حكومة لا يعيش أهلها حياة المجاهدين فى سبيل الله تعالى.

- والسيطرة تعنى التسلط على الآخر وقهره وإخضاعه، وهى حكمة تستعمل فى سيطرة دولة على دولة فى أكثر ما تستعمل فيه، ولا يدخل فيها إخضاع فرد لآخر.

- والسيطرة السياسية من دولة على أخرى تعنى:

تبعية الدولة الخاضعة للدولة المسيطرة فى أهم أمورها السياسية والاجتماعية والثقافية، كالمحاربة والمسالمة، والتعليم والثقافة والإعلام، والاقتصاد، والتسلح والقوة العسكرية، والصناعة والزراعة، ونحوها.

- والسيطرة السياسية من دولة على أخرى تقوم على شرطين:

أحدهما: أن تكون الدولة المسيطرة قوية أو مستوطنة للدولة الأخرى، أو منتصرة عليها في حرب، أو مرتبطة معها بمعاهدة غير متكافئة وغير عادلة فى حفظ حقوق الدولتين.

والثانى: أن تكون الدولة المسيطر عليها متفرقة الكلمة والصف، مشغولة باللذائذ والشهوات على مستوى حكامها، ومملوءة بالظلم على مستوى المحكومين فيها، وألا تكون للمواطن فيها حقوق مرعية، ولا حريات مصونة.

- ومن أهداف السيطرة السياسية:

- استغلال أرض الدولة الخاضعة لتكون قاعدة أو منطلقا لجيوش الدولة المسيطرة سياسيا.
- والاستيلاء على المقدرات الاقتصادية للدولة الخاضعة أو توجيهها لصالحها، بخاصة النفط والقطن وبعض المعادن.
- وتحويل ولاء الناس بالتدرج إلى الدولة المسيطرة بحيث تسود أفكارها وثقافتها وعاداتها فى البلاد الخاضعة لها.
- والعمل الدائب على نشر لغة الدولة المسيطرة وتراثها مع الاهتمام بدراسة تاريخها بصورة تعكس عدم الاهتمام بلغة الدولة الخاضعة وتراثها وتاريخها.
- ونشر المدارس الأجنبية فى البلاد الخاضعة وإعطاء هذه المدارس الأولوية والأهمية، والفرص الجيدة لمن تعلموا فيها بالحصول على العمل الجيد عند التخرج.
- وإذا كانت السياسة تطلق على علم «علاقات الحكم» أو على «فن الحكم نفسه» أو

«على إدارة شئون الدولة» فإن الدول المسيطرة سياسيا تتحكم فى أهم الجوانب التى تقوم عليها أنظمة الدولة مثل:

- الجانب الذى يتناول التنظيم الرئيس للحكومة وإداراتها المركزية أو المحلية.
- والجانب الخاصة بدراسة المشكلات التطبيقية فى مجالات التنظيم والإجراءات.
- والجانب الذى يتناول تحقيق التكامل بين القضايا جميعها على مستوى الحكومة كلها وهو ما يعرف بالنظرية السياسية سواء كانت متحررة أو محافظة.

إذا كانت السياسة تطلق على ذلك، وتتناول التحكم فى تلك الجوانب، فإن الدول الغربية - وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية - مسيطرة سياسيا على معظم بلدان العالم الإسلامى سيطرة مقصودة قد خطط لها بدقة منذ زمن بعيد.

ومظهر هذه السيطرة أن كثيرا من حكومات العالم الإسلامى لا تستطيع أن تتخذ قرارا سياسيا عاماً فى سلمها أو حربها ،أو نظمها عموما اجتماعية أو ثقافية أو تعليمية أو اقتصادية أو زراعية أو صناعية دون أن تحصل على موافقة الدولة المسيطرة عليها سياسيا، وهذه الموافقة لا تكون إلا إذا كانت مصالح الدولة المسيطرة أكبر من مصالح الدول الخاضعة، والقنوات التى تعبر منها الموافقة هى المستشارون والخبراء الذين فرضتهم الدول المسيطرة، وليس بالضرورة أن تأتى الموافقة من خلال «القناصل» والسفراء، أو حكومات الدول المسيطرة!!!

- لا ينكر هذه الحقائق أحد ممن يعرفون حقائق الأمور فى الدول المسيطرة أو الدول الخاضعة لهذه السيطرة السياسية.

- وأهم سبب يمكن الدول المسيطرة من هذه السيطرة هو استبعاد منهج الإسلام ونظامه من البلد الخاضع، لما يحمله هذا المنهج من رفض لهذه السيطرة وتحريمها وتجريمها، وتصنيفها معصية لله تعالى فيما أمر به وفيما نهى عنه.

وفى مقدمة هذه المقاومة لسيطرة الأعداء على بلدان العالم الإسلامى، الجهاد فى سبيل الله، لأن مجاهدة الأعداء واجب شرعى لا يقعد عنه إلا عاص لله آثم يستحق العقاب.

والعدو يدرك ذلك، فيحارب الجهاد ويشوهه ويترصد المجاهدين فى كل مكان!!!

٣- والتمكين لإسرائيل فى العالمين العربى والإسلامى:

- يخطئ من يظن أن أعداء العالم الإسلامى - من غرب وشرق - لم يعملوا جاهدين

ومتعاونين ومتآمرين على زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى عمدا ومع سبق الإصرار لرعاية مصالحهم جميعا فى بلدان العالم العربي أولا، وفى بلدان العالم الإسلامى كذلك.

- ويخطىء من يظن أن إسرائيل لا تعرف ذلك حق المعرفة، وتساوم تلك القوى المعادية للإسلام على أخذ أكبر أجر على القيام برعاية مصالح هؤلاء الأعداء، بحيث تصل مع بعضهم إلى حد الابتزاز.

- ويخطئ من يظن أن أعداء الإسلام الذين زرعوا إسرائيل فى غير بلادها(١) يقصرون فى مدها بالسلاح والعتاد، بل والرجال الوافدين عليها من مختلف بلدان العالم، وأنهم جميعا يعملون ما وسعهم - وفى مقدمتهم أمريكا - على أن تكون دولة إسرائيل أقوى من الدول العربية مجتمعة.

- ويخطىء من يظن أن إسرائيل غير سعيدة بهذه الإبادة التى تمارسها ضد الفلسطينيين والعرب، وبهذه الممارسات الوحشية ضد كل ما هو إنسانى أو دينى أو خلقى. لأن تلك طبيعة اليهود وأبرز صفاتهم، الحقد علي الناس وحب الشر وإيذاء الآخر، والعنصرية والتعالي، مع الغدر والخيانة، وهذا تاريخهم مع المسلمين من يوم حاولت امرأة منهم سم النبى ﷺ فى ذراع شاة أهدتها إليه، وحاول بعض رجالهم اغتياله ﷺ، وإلى يومنا هذا، فهم يغدرون ويقتلون ويشربون من دماء قتلاهم ويمشون على جماجمهم، ويقتلون الأسرى والمصلين وهم فى الصلاة، ويتخصصون فى قتل النساء والأطفال والشيوخ وغير المقاتلين عموما، ولهم على ذلك شواهد وبراهين فى دير ياسين وكفر قاسم وبحر البقر(٢) وقانا، وصبرا وشاتيلا، ومقر منظمة التحرير فى تونس، ومصنع الشفاء فى السودان، ثم جنين ونابلس ورام الله والخليل وبيت لحم وسائر بلدان الضفة الغربية وفى غزة.

إن اليهود بأعمالهم هذه ألدُّ أعداء الإنسانية وألد أعداء الإسلام.

ومن أراد أن يعرف صفات اليهود فليقرأ فى القرآن سورة يوسف عليه السلام من قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

---

(١) ادعاء اليهود أو الصهاينة بأن لهم حقا تاريخيا فى فلسطين يكذبه التاريخ نفسه، فلم يكن لهم وجود إلا منذ سنة ٥٨٦ قبل الميلاد إلى سنة ٧٠ ميلادية أى حوالى أربعة قرون فقط، بينما الفلسطينيون فى كل فلسطين منذ فجر التاريخ وإلي اليوم، فى حين كان الوجود اليهودى فى بعض أجزاء فلسطين فى هذه القرون الأربعة، والقضية معروفة لدي المؤرخين ولدى المنصفين من اليهود أنفسهم!!!

(٢) قرية فى محافظة الشرقية بمصر ضربوها بالقنابل فى مدرسة أطفال - مدرسة ابتدائية -.

سَاجِدِينَ﴾ [الآية: ٤] إلى قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: ٢١]، ومن قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [الآية: ٥٨] إلى قوله تعالى: ﴿.... مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية: ١٠٠].(١)

فكيف مكن أعداء الإسلام لليهود من العرب والمسلمين؟

أولا: تمكين اليهود فى العالم العربى:

من المعروف فى التاريخ السياسى المعاصر أن تحالفا قويا قام بين الدول الاستيطانية التوسعية العنصرية واليهود أو الصهاينة، وكان هذا التحالف على حساب العالم العربى.

وأن التحالف بين هذين الطرفين كان يقوم على تشابه أهدافهما بالنسبة لاستغلال العالم العربى.

ويمكن أن نرصد من هذه الأهداف المشتركة بينهما ما يلى:

- ضرب أى حركة توحيد أو اتحاد بين بلدان العالم العربى بتمزيقه إلى دويلات وإمارات، وذلك منذ أيام محمد على باشا فى مصر والشام والحجاز، وفى أثناء تفكيك دولة الخلافة العثمانية وإلى يومنا هذا.

وليس أقوى ولا أفعل في تجزىء العالم العربى وتفتيته من تمكين اليهود من إقامة دولة فى قلبه فلسطين.

- والتخلص من هجرة بعض اليهود إلي الغرب، بعد أن وجد اليهود فى هذه الهجرة متنفسا اقتصاديا لهم، وفى الوقت نفسه خافت دول الغرب من القلاقل التى يحدثها اليهود فى كل بلد يلجأون إليه، فكان الحل أن يرحلوا من دول الغرب إلى فلسطين، لكى يحققوا بذلك هدفا مزدوجا هو التخلص من اليهود وإيجاد وطن قومى لهم فى فلسطين(٢) كما أعلنه بلفور سنة ١٩١٧م.

---

(١) كثير من آيات القرآن الكريم تحدثت عن صفات اليهود فى عدد من السور الكريمة.

(٢) عرض على اليهود وطن قومى فى الأرجنتين أو شرقى إفريقية أو العريش أو غيرها ولكن تغير هذا عندما أعلن بلفور وزير خارجية بريطانيا عن وعده بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين.. وكانت فلسطين تحت انتداب بريطانيا فسلمتها لليهود وأقاموا عليها دولتهم!!!

ومنذ ذلك الحين والتحالف قوى بين الصهيونية والاستعمار والعنصرية واعتماد العنف والأساليب الوحشية فى التعامل مع العرب.

- وقد نجح هذا التحالف فى تفتيت الوطن العربي باتفاقية: «سايكس - بيكو ١٩١٦م» ثم إعلان وعد بلفور ١٩١٧م، وإغراء اليهود بضرب الفلسطينيين بعد أن جمع الإنجليز السلاح من الفلسطينيين فى أعوام ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ١٩٣٩م مع قيام الإنجليز بقمع كل ثورة أو حركة معادية لليهود!!!

ثم قام الإنجليز بخداع القادة العرب بعد مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن عام ١٩٣٩م وإصدار ما سمى بالكتاب الأبيض.

تماما كما يحدث الآن من أمريكا ودول الغرب من خداع قادة كثير من بلدان العالم العربي بعقد مؤتمر للسلام بعد مذابح جنين ورام الله وبشائع اليهود إذا عاون القادة العرب والرئيس الفلسطينى في تامين إسرائيل ضد الانتفاضة والاستشهاديين، ألا ما أشبه الليلة ٢٠٠٢م بالبارحة ١٩٣٩م!!!

بل ما أسوأ الليلة عن البارحة، ففى البارحة دخل فوزى القاوقجى وسعيد العاص ومحمد الأشمر فلسطين لقتال اليهود، وفى البارحة دخلت الجيوش العربية السبعة فلسطين لتقام اليهود، أما اليوم ففى المؤتمرات والاتفاقيات ما يغنى عن الجهاد!!!

● ولقد اخذ العمل الذى قام به أعداء الإسلام لتمكين اليهود من العالم العربى صورا نذكر باهمها فيما يلى:

- ما قامت به بريطانيا من تيسير هجرة اليهود إلى فلسطين وتمكينهم من امتلاك الأرض ومدهم بالسلاح، مع تجريد العرب من سلاحهم، وقهر الفلسطينيين ليرحلوا عن بلادهم، هذه هى الصورة الأولى.

- وما قامت به الولايات المتحدة بعد أن عقدت الصهيونية مؤتمر: «بالتمور» فى «نيويورك» عام ١٩٤١م أثناء الحرب العالمية الثانية إذ بمجرد أن وضعت هذه الحرب أوزارها ١٩٤٥م التقت رغبات بريطانيا وأمريكا فى تأييد الصهيونية، وعملت أمريكا بكل نفوذها فى الامم المتحدة على إصدار قرار بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م قبل قيام دولة إسرائيل، وعملت بريطانيا من جانبها على نزع سلاح الفلسطينيين حتى لا تجد إسرائيل مقاومة من بندقية واحدة. تلك هى الصورة الثانية.

– والصورة الثالثة: هى تعهد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا – وباقي دول أوروبا الغربية – مجاملة لأمريكا المنتصرة فى الحرب العالمية الثانية – تعهدهم جميعا بحماية إسرائيل ومدها بالسلاح والمال وسائر أنواع القوة المادية، بالإضافة إلى القوة المعنوية بوقف أى قرار يأخذه مجلس الأمن لإدانة جرائم إسرائيل ضد الفلسطينيين والعرب، ولو كان ذلك باستعمال حق النقض «الفيتو» التى تشهره أمريكا في وجه العدالة والشرعية الدولية كلما أدينت إسرائيل على جرائمها الوحشية!!!

– والصورة الرابعة: هى تعهد أمريكا الدولة القطب الآن بضمان أمن إسرائيل، ومدها بسلاح يجعلها أقوى من الدول الغربية مجتمعة، وتسمية مجرم الحرب شارون رجل السلام، وإدانة من يدافعون عن بلادهم ضد الاحتلال الإسرائيلى وتسميتهم إرهابيين!!! إننا فى زمن قلب الحقائق وتسمية الحق باطلا والباطل حقا!!!

- هكذا مكنت دول الغرب لإسرائيل فى العالم العربى وأعطتها من أسباب القوة المادية وآلياتها ما يحول بين العرب وبين أن تقوم لهم قائمة، ولا يوجد بينهم اتحاد فضلا عن وحدة على أى مستوى من مستويات الاتحاد أو الوحدة، ولو كان هتافا، فلقد اعتقلت بعض الدول العربية بعض الناس لأنهم كانوا يهتفون منادين بإنقاذ فلسطين؟!!

وقصرت أمريكا والغرب جهود العرب فى تأييد فلسطين علي تأليف الأغانى البكائية على شهداء فلسطين ولكن بحيث لا تكون البكائية من تلك البكائيات مندِّدة بإسرائيل، أو برجل السلام العالمى شارون، وبشرط ألا يكون فى هذه الأغانى مناداة بالجهاد فى سبيل الله، أو عدم إدانة للمجاهدين ولأولئك الذين استشهدوا فى سبيل الله، وبشرط أن يسمى الاشتهاديون انتحاريين وأن يدانوا!!! يا ليتنا لم نعش لنرى هذا!!!

- إن هدف أعداء العرب والمسلمين أن تصبح إسرائيل من الفرات شرقا إلى النيل غربا فى مرحلة تالية، ثم في جميع بلدان العالم العربي مرحلة تالية، والله من ورائهم محيط، ولن يكون ذلك إلا بتمكين إسرائيل من العالم العربى.

ثانيا: تمكين اليهود من العالم الإسلامى:

سبق أن أكدنا أن إسرائيل رأس حربة للغرب فى العالم العربى من أجل مصالح نفطية وتسويقية وسياسية واقتصادية مشتركة بين الغربيين وإسرائيل.

- ونقول هنا: إن القوى المعادية للإسلام والمسلمين تحاول أن تجعل من بلاد المسلمين – التى

كان معظمها مستوطنات لدول الغرب – منذ ما يقرب من نصف قرن من اليوم، وقد خرجت من بعضها مكرهة، لكنها تركت فيها من الركائز والأسباب ما يجعل السيطرة عليها أمراً سهلا لا يحتاج إلى إعادة احتلال واستيطان.

● ومما يسر علي أمريكا دول الغرب التمكين لإسرائيل فى كثير من دول العالم الإسلامى الظروف السيئة التى يعيشها المسلمون نتيجة لسوء معاملة الغرب لهم، ونتيجة للضربات التى يوجهها الغرب لهذا العالم خشية أن يتحد حول منهج الإسلام ونظامه أو حول الجهاد فى سبيل الله.

والذي أؤكده هنا أن هذه الخشية لها أسبابها، لأن الغرب والشرق واليهود يعلمون علم اليقين أن الإسلام قادر إن تمسك به المسلمون أن يواجه هؤلاء الأعداء ويبطل خططهم ويرد عليهم ضرباتهم وحملاتهم التشويهية.

● ويبذل الغرب وأمريكا جهودا من أجل تمكين إسرائيل من بعض بلدان العالم الإسلامى منها:

– تحسين صورة إسرائيل بمدها بالمال والعلم والتقنية، لكى تتيه علي كثير من دول العالم الإسلامى بهذه الامتيازات.

– والعمل على عقد احلاف ومعاهدات بين إسرائيل وبعض الدول الاسلامية علنا كما هو حادث بين إسرائيل وتركيا وموريتانيا، أو سرا كما هو حال بعض الدول الإسلامية والعربية.

– وتشجيع بعض الدول الإسلامية على تبادل العلاقات الاقتصادية بينها وبين إسرائيل، فى الوقت الذى تتحدى إسرائيل وأمريكا الدول الإسلامية التى ترفض خطتها هذه، تحديا سياسيا واقتصاديا وعسكريا.

– ومحاولة أمريكا المستمرة يعاونها الغرب وإسرائيل على تشويه الدول الاسلامية بوصفها بأنها ترعى الإرهاب أو تؤوى الإرهابيين، أو تصنفها بدول محور الشر أو الدول المارقة ومعظم هذه الدول تراها أمريكا والغرب مهددة لإسرائيل كسوريا والعراق وإيران.

– وعمل أمريكا الدائب على إجراء مناورات عسكرية مع بعض الدول الإسلامية، لمعرفة قوى تلك الدول عسكريا من جانب، ولتقديم هذه المعلومات لإسرائيل من جانب آخر. حتى إذا رغبت إسرائيل فى العدوان على إحدى هذه الدول اعتدت عليها وهى على علم بما تملك من أسلحة ومن قدرات عسكرية!!!

- وتشجيع إقامة أنظمة حكم عسكرى في كثير من بلدان العالم الإسلامى، لما يصاحب الأنظمة العسكرية من قمع وإرهاب ودكتاتورية ومصادرة للحريات وحقوق الإنسان، وكل ذلك يقضى على الإبداع وعلى التقدم العلمى، وهذا هدف من أهداف أعداء العالم الإسلامى.

- وتشجيع الحكومات فى العالم الإسلامى على ضرب الحركات الاسلامية وحظر نشاطها والاستيلاء على أموالها وأملاكها وتجريم العمل فيها، واعتبارها جميعا معادية للتقدم والحداثة وما يقولون عنه التنوير والعلمانية والإلحاد.

- وإقناع كثير من بلدان العالم الإسلامى بأن الجهاد فى سبيل الله عنف وإرهاب وجريمة وعدوان على الآمنين، أما ما تفعله إسرائيل فى فلسطين وما تفعله أمريكا فى أفغانستان من هدم للمنازل على سكانها وقلع للأشجار وقطع للمرافق ومنع المصابين من أن يُسعفوا وضرب الناس حين يجتمعون في عرس، واعتقال ألوف الناس فى جحيم إسرائيل وفى جهنم «جوانتانامو» فذلك هو السلام، وهو يد الرحمة التى تمدها أمريكا وإسرائيل للناس!!!

● إن الغرب من وراء أمريكا، وإن أمريكا من وراء إسرائيل، وإن إسرائيل هى محور الشر ومصدر الإرهاب ومصرع القيم الفاضلة ومقتل الحق والعدل، وعدو البشر وشيطان الإنس، ومن رأى هذه الأوصاف مبالغة فليشاهد القنوات الفضائية التى نقلت بالصورة فظائعهم وإجرامهم، والتى عجزت هيئة الأمم المتحدة التابعة لأمريكا أن تدينها مجرد إدانة.!!!

■■■■

الفصل الثالث

نتائج غياب الجهاد فى سبيل الله أو تغييبه عن المسلمين

ويتناول:

أ- نتائج غياب الجهاد أو تغييبه فى الماضى.

ب - ونتائج غياب الجهاد أو تغييبه فى الحاضر.

■■■■

نتائج غياب الجهاد فى سبيل الله وتغييبه عن المسلمين

تمهيد:

لغياب الجهاد فى سبيل الله أو تغييبه عن المسلمين نتائج مهمة يحتاج المسلم **إلى أن** يتدبر فيها ليربط بينها وبين الواقع الذى عاشه المسلمون فى الماضى أو الذى **يعيشونه فى** الحاضر.

وهذه النتائج أكثر من أن تحصى فى هذا الفصل الأخير من الباب الأخير من **هذا الكتاب** لعمق أثرها فى بلدان العالم الإسلامى، ولخطر ما أدت إليه فى حياة المسلمين **أفراداً** وجماعات وحكومات من متاعب وآلام.

● وهذه النتائج أكبر وأكثر من أن تحصى فى كتاب أيًا كان حجم هذا الكتاب، **لذا فإننا** سنكتفى بأن نشير إلى بعضها إشارات خاطفة لنذكر وننتفع ونأخذ العبرة **من سنن الله** تعالى مع خلقه ومع تشريعاته التى يكلفهم بها على لسان رسله عليهم **الصلاة والسلام،** وبخاصة خاتمهم محمد ﷺ الذى ختم الله به رسله، وأوحى إليه خاتم كتبه، **وأكمل** شرائعه ونظمه وأرضاها له سبحانه وتعالى لتكون للبشرية كلها دينًا ومنهجًا **ونظامًا،** وسنة الله فى الذين خلوا من قبلنا وفينا وفيمن يأتون بعدنا إلى يوم الدين، **أن من أخذ** بتشريعه سبحانه وتعالى فآمن وعمل صالحًا والتزم منهج الله ونظامه مكّنه **الله ومكّن به** لدينه ونظامه باستخلافهم عنه فى الأرض كلها ليطبقوا فيها منهجه وتشريعه؛ **فيمكنوا** بذلك لدينهم الذى يجلب للبشرية كلها العدل والإحسان أى خير الدنيا **والآخرة،** وبذلك يصبحون آمنين على حاضرهم وعلى مستقبلهم بل دنياهم وآخرتهم **ضد كل**

المخاوف المادية والمعنوية، أى ضد الهزيمة والتراجع والنكوص عما شرع الله.

وكيف يخاف من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا؟ إنما يخاف ويخرج عن كل إحساس بالأمن من أهمل شرع الله ونظامه.

لقد سجَّل القرآن الكريم تلك السنة التى استنها الله تعالى مع خلقه وشرعه فى قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [النور: ٥٥].

وهى سنة باقية إلى يوم الدين لأنها سنة إلهية؛ «مَنْ طَبَّق شرع الله عَزَّ وساد، ومن أهمله ذَلَّ وضاع» والتاريخ على ذلك من الشاهدين.

● وعلى الرغم من أنّ ما نرصده من النتائج مجرد إشارات فإننا نوقن بأن السكوت عن الحديث فيها إثم ومعصية نسأل الله تعالى أن يجنبنا الوقوع فيها بهذه الإشارات.

وسوف نرصد هذه الإشارات إلى نتائج غياب الجهاد فى سبيل الله عن المسلمين أو تغييبه عنهم فى مجالين:

– فى الماضى بعيده وقريبه.

– وفى الحاضر الذى نعيشه.

ونسأل الله تعالى العون والتوفيق.

■■■■

أ - نتائج غياب الجهاد أو تغييبه فى الماضى

أكدنا أكثر من مرة أن غياب الجهاد فى سبيل الله عن المسلمين هو غياب لفريضة فرضها الله على عباده، وفى غياب هذه الفريضة ما فيه من الإثم والمعصية والعقاب الدنيوى والأخروى، وتغييب الجهاد عن المسلمين كغيابه من حيث النتائج.

ولا عذر لقائل: إن الجهاد قد غُيِّب عنى، ولولا ذلك لجاهدت؛ وذلك أن الجهاد أنواع وأعمال عديدة، بل مراحل متعددة، ومهما غُيِّب فإن ممارسة نوع منه أو عمل من أعماله أو مرحلة من مراحله ليست مستحيلة على أى حال، كإعداد المسلم نفسه بدنيًا وماليًا وثقافيًا واجتماعيًا لأن يجاهد فى سبيل الله فى معركة مرتقبة، إن ذلك لا يمكن أن يُغَيَّب عن المسلم ولا أن يغيب عنه.

- وعندما أهمل المسلمون وتهاونوا فعطلوا فريضة الجهاد دفعوا لهذا التعطيل أبهظ الأثمان وتعرضوا لأفدح الخسائر، وكان ذلك من أشد الأمور إيلامًا وقسوة، بل كان سببًا فى انكماش المسلمين فى الأراضى الشاسعة التى أقاموا بها شرع الله فأنقذوا أهلها مما كانوا يعانونه ودخل كثير منهم فى دين الله أفواجًا.

ولنرصد الآن بعض خسائر المسلمين نتيجة لغياب الجهاد فى ماضى الأمة الإسلامية والله الموفق.

١ - ضياع الأندلس الإسلامى:

وقد كان ضياع الأندلس الإسلامى جزءاً جزءاً بعدما كان الفتح قد وصل إلى أقصاه فى منتصف القرن الثانى الهجرى القرن التاسع الميلادى، يوم كان الوجود الإسلامى ممتداً من الجنوب عند البداية فى جبل طارق ثم الامتداد شرقًا حتى قرطاجنة وغربًا حتى باجة، ثم التوجه إلى الشمال حتى امتد شرقًا إلى طركونة وغربًا إلى تودة شمالى البرتغال، وتاخمت هذه الفتوح فلطونية وأرجون ونبره وليون بالإضافة إلى الجزر الشرقية: فورمنتيرة ويابسة وميورقة ومنورقة فى بحر الروم.

- وقد عطل الجهاد فى سبيل الله ابتداء من سقوط حكم العامريين سنة ٣٩٩هـ وإلى سقوط طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ - ١٠٨٥ م. ثم استمر تعطيل الجهاد بسبب الخلافات والفتن حتى لم يبق من الوجود الإسلامى فى الأندلس كله إلا مملكة غرناطة التى

استمرت مدة ٢٦٨ سنة هجرية، ثم غاب الجهاد عن المسلمين فيها فسقطت فى ربيع الأول من سنة ٨٩٧ هـ - الثانى من يناير ١٤٩٢م.

- وكان التمسك بفريضة الجهاد يبعث فى المسلمين الروح ويرد عليهم فى الأندلس ما كان ضاع منهم وبه يحققون انتصارات على أعدائهم، كما حدث فى قيام دولة الموحدين سنة ٥٥٢هـ - ١١٥٧م، وقيام مملكة غرناطة سنة ٦٣٠ هـ - ١٢٣٢م.

وتلك هى سنة الله الذى فرض الجهاد، ولن تجد لسنة الله تبديلاً أو تحويلاً: «مع الجهاد يكون العز والتمكين ومع غياب الجهاد يكون الذل والضياع».

٢ - ضياع بيت المقدس تسعين عامًا على يد من سموا أنفسهم الصليبيين:

نحب أن نؤكد أن الغربيين وهم يحاربون المسلمين فى الأندلس أو فى الشام ومصر هم الذين أطلقوا على أنفسهم وجيوشهم وحروبهم «الحروب الصليبية» أو الجيوش الصليبية، لأن الكنيسة هى التى كانت توجه هذه الحروب وتشجع عليها.

أما فى تاريخنا الإسلامى فنطلق عليها حروب الفرنجة وهو مصطلح مقابل للفظ LES FRACS لأن الفرنسيين كانوا أكثر الأوربيين حماسًا للحملات الصليبية استجابة للكنيسة التى كانت تأمر بالاشتراك فى هذه الحروب وتهدد بالحرمان من امتنع عن المشاركة فيها.

- وقد استطاعت الحملة الصليبية الأولى أن تستولى على بيت المقدس، بعد أن استولى أحد قادتها «بولدوين» على الرها وأسس فيها أول إمارة صليبية فى بلاد المسلمين فى مارس ١٠٩٨م، وكان غالبية سكانها من الأرمن مما يسر له الاستيلاء عليها.

- وفى طريق الحملة إلى بيت المقدس بقيادة «كونت تولوز» سقطت أنطاكية فى أيديهم، ثم اقتحموا بيت المقدس فى ١٥ من يوليو ١٠٩٩م، وقاموا بمذبحة فى أهلها، فقتلوا سبعين ألفًا بكل وحشية - عرفناها عندما قامت إسرائيل بقتل سكان دير ياسين بقيادة «مناحم بيجين» حيث جمعوا سكانها جميعًا صغارًا وكبارًا وأطلقوا عليهم النار ثم شقوا بطونهم، ثم جمعوا الجثث وألقوها فى بئر القرية، وقال «بيجين» فى كتابه: «الثورة» عن هذه المذبحة: «كانت من المنجزات التى مهدت لإعلان قيام دولة إسرائيل»!!! وكان ذلك الإعلان عن الدولة فى ١٥ مايو ١٩٤٨م.

- وما سقطت بيت المقدس إلا لأن المسلمين كانوا أيام الحروب الصليبية مختلفين، وكانت روح الجهاد فى سبيل الله قد غابت عنهم وغابوا هم عنها.

وما ظهرت فيهم روح الجهاد فجاهدوا إلا مَنَّ الله عليهم باستعادة بلدة أو مدينة أو إمارة مما كان الصليبيون قد استولوا عليها:

- كما حدث من الأمير مودود أمير الموصل الذى هاجم إمارة الرها وأسر عدداً من الصليبيين.
- وكما تحرك نجم الدين إيلغارى صاحب ماردين، وحارب الصليبيين واستعاد عدداً من البلدان التى كانت تحت أيديهم سنة ٥١٣ هـ - ١١١٩ م.
- وكما استطاع عماد الدين زنكى أمير الموصل الذى خفَّ إليه المجاهدون من كل مكان فسار إلى الرها وأنهى الوجود الصليبى فيها سنة ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م.
- وكما كان من صلاح الدين حيث جمع المسلمين ونفخ فيهم روح الجهاد، فاستطاع فى شهر ربيع الآخر من سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م أن يهزم الصليبيين فى حطين، ثم دخل بيت المقدس واستعادها فى شهر رجب من سنة ٥٨٣ هـ - سبتمبر ١١٨٧ م.

- بالجهاد عادت كل رقعة أرض وقعت فى أيدى الصليبيين حتى قُضى عليهم وعلى وجودهم على يد السلطان أشرف خليل بن قلاوون بعودة عكا سنة ٦٩٠ هـ - ١٨ مايو ١٢٩١ م.

٣ - وضياع دولة الخلافة العثمانية:

كانت دولة الخلافة العثمانية أقوى الدول الإسلامية نفوذاً وأوسعها انتشاراً فى أكبر رقعة من الأرض، وما وصلت إلى ذلك إلا بإحياء فريضة الجهاد فى سبيل الله، فلقد وصل نفوذها إلى حدود فينا، وكانت اليونان والبلقان كله تحت إمرتها، بالإضافة إلى أوربا الشرقية كلها بما فيها ألبانيا وبلغاريا ورومانيا وهنغاريا وبولندا.

ثم أخذ الفساد يدب فيها بتعطيل فرائض الله تعالى وفى مقدمتها فريضة الجهاد، ثم أخذت آثار تعطيل فريضة الجهاد ونتائجها تظهر، فوقف الغرب كله ضدها:

- فأجبرت على التنازل عن المجر بمعاهدة «كارلونز» سنة ١٦٩٩م.

- ثم أخذت روسيا تغير على أطرافها المجاورة لها وتستولى عليها طوال القرن الثامن عشر الميلادى.

- وفى القرن التاسع عشر الميلادى أطلقت أوربا على دولة الخلافة تسمية: «دولة الرجل المريض» وشجعت على أن تقوم ضدها ثورات فى العديد من أقطارها مثل:

* ثورة الظاهر العمر فى فلسطين.

* وثورة فخر الدين المعنى فى لبنان.

* وثورة محمد على باشا فى مصر، فاستقل بها عن الدولة ثم استولى على سوريا - ثم فكر لأول مرة فى وحدة عربية؛ مما جعل الدول الأوربية تتصدى له بجيوشها وأساطيلها حتى حصرته فى مصر وحدها.

* والانقلاب الذى قام به حزب الاتحاد والترقى فى تركيا نفسها والذى أجبر السلطان عبد الحميد على التنازل عن العرش سنة ١٩٠٨م.

* واستولت إيطاليا على ليبيا كلها سنة ١٩١١ - ١٩١٢م.

* وتحالف الصرب والبلغار مع اليونان، فخسرت دولة الخلافة معظم ما كان لها من بلاد فى أوربا.

* وانتزعت منها أملاكها بمقتضى معاهدة «سيفر».

* وأوحى الغرب إلى مصطفى كمال بإلغاء الخلافة فى سنة ١٩٢٢م ثم أُقر إلغاؤها سنة ١٩٢٤م.

* ثم قضى مصطفى كمال على كل ما هو إسلامى فى تركيا، ولا تزال الحكومات المتعاقبة تقفو أثره فى أن تظل تركيا علمانية معادية للإسلام. وهى نفسها التى تصرح بذلك.

● وكل ذلك ما حدث لدولة الخلافة إلا لأنها عطلت فريضة الجهاد فى سبيل الله فحرمت نفسها من القوة الحقيقية لمواجهة الأعداء.

٤ - واحتلال فلسطين وإقامة دولة إسرائيل:

احتلت فلسطين منذ دخلت بريطانيا فيها سنة ١٩١٧م بحجة انتداب بريطانيا الحكم

فلسطين، ومنذ ذلك التاريخ وإلى مايو ١٩٤٨م حيث خرجت منها بريطانيا، كان هدف هذه الحقبة تمكين اليهود من فلسطين وتهجير الفلسطينيين منها لإنشاء دولة إسرائيل، وحشد التأييد الدولي لذلك.

- ولم يقف الفلسطينيون مكتوفي الأيدي أمام اليهود، بل لم يقف العرب مكتوفي الأيدي كذلك، وإنما قام هؤلاء وأولئك بما أتيح لهم من أعمال لم تجد نفعًا أمام التحالف الدولي ضدهم لصالح إسرائيل؛ فلقد قاوموا ما وسعهم، وعقدوا سبعة مؤتمرات من سنة ١٩١٩م إلى سنة ١٩٢٩م، وأنشأوا سبعة أحزاب سياسية من بداية الثلاثينيات ١٩٣٠م. وأنشأوا القيادات الموحدة: اللجنة العربية العليا لفلسطين ١٩٣٦م والهيئة العربية العليا لفلسطين ١٩٤٦م، والمجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد لأول مرة في القدس في ٢٨/٥/١٩٦٤م، ومنظمة التحرير الفلسطينية واللجنة التنفيذية...

وكل هذه الجهود وهي كثيرة لم تجد أمام إسرائيل المؤيدة بدول الغرب جميعًا وفي مقدمتها أمريكا، وبالاتحاد السوفيتي السابق أو اتحاد روسيا الآن.

- ولم يقف العرب مكتوفي الأيدي أمام هذه الدولة المغتصبة وإنما شاركوا في حرب ١٩٤٨م، ولم يستطيعوا إحراز تقدم يذكر لنفس الأسباب، وكان معظم الدول العربية آنئذ خاضعة لنفوذ الأعداء من الإنجليز والفرنسيين وغيرهما.

- وتعملقت إسرائيل وانهال عليها العون المادي والمعنوي من دول الغرب فشنت عدوانها على الأردن وسوريا ومصر، واستطاعت أن تحتل الضفة الغربية والجولان وغزة وسيناء.

وانكمش العرب في مطالبهم أمام الضغط الإسرائيلي والعالمي، فمما يقرب من نصف أرض فلسطين في تقسيم ١٩٤٧م إلى ما يقرب من خمسها عام اتفاق أوسلو، ويعلم الله ماذا تنوي إسرائيل أن تجود به من الأرض على أصحاب الأرض، ربما تمضي عشرون سنة من المفاوضات بعد المعاهدات الأمنية والإصلاحية لتعطي إسرائيل للفلسطينيين واحداً في المائة من أرضهم بعد مفاوضات ومعاهدات أمنية تؤمن لها احتلال الأرض دون أي مقاومة!!!.

- فكيف إذن تعود فلسطين إلى أصلها؟

لا وسيلة فاعلة إلا أن تستيقظ روح الجهاد في الفلسطينيين وفي الأمة العربية والأمة الإسلامية، وأن يقابل عدوان اليهود على المدنيين وهدم المنازل على النساء والأطفال بالجهاد والاستشهاد وحب الموت في سبيل الله.

وإذا صنف الأعداء الاستشهاد والتضحية بالنفس عدوانا على المدنيين؛ فماذا يصنف ما تقوم به إسرائيل في فلسطين، وما تقوم به أمريكا في أفغانستان؟

٥ - وتوريط العراق مرتين في حربين متتاليتين:

العراق جزء من الأمة العربية وجزء من الأمة الإسلامية، ومهما تكن قيادته وما ترتكبه من أخطاء، فلن يغير ذلك من الواقع التاريخي للعراق شيئًا، فهو شعب عربي مسلم تتحالف عليه قوى الغرب لصالح إسرائيل في الحربين، حربه مع إيران وجريمته في اجتياح الكويت، والضربتان موجهتان للشعب تجويعًا وإذلالاً بأكثر مما هما موجهتان للقيادة فيه.

● إن الضربة الأولى كانت بإغرائه في شن حرب على جارته المسلمة إيران، حرب استنزفت طاقة البلدين رجالاً وأموالاً ومقدرات اقتصادية وإيقافًا لكل أنواع التنمية والتقدم على مدى سنوات ثمان.

استمرت هذه الحرب كل تلك السنين، وما يفيد منها سوى الأعداء صناع السلاح ومسوقيه، والقوى المعادية تشجع على هذا الاستنزاف لصالحها ولصالح إسرائيل.

ولو كان نظام الحكم في العراق يمارس شيئًا من الشورى لتشجع بعض العراقيين على طرح سؤال واحد في الحرب مع إيران، هذا السؤال هو: إلى متى تستمر هذه الحرب، لكن طرح هذا السؤال لم يجرؤ عليه أحد!!! وكيف يجرؤ على ذلك من يُحكم بالحديد والنار؟

● وكانت الضربة الثانية وهي أعتى وأشرس بعد اجتياح نظام الحكم العراقي للكويت البلد الجار العربي المسلم المسالم بتشجيع من السفيرة الأمريكية في بغداد!!!

وقد عجز بعض العرب والمسلمين عن أن يردوا نظام الحكم في العراق عن غروره وغيّه وعزته بالإثم والجريمة، ثم وسع النظام عدوانه فوجه صواريخه إلى السعودية الجارة العربية المسلمة، وهدد سائر دول الخليج، فاستعان الكويت بالأجانب لاسترداد أرضه وكرامته، فكانت فرصة لأعداء الأمة الإسلامية طالما سعوا إليها ودبروا وخططوا وأغروا وشجعوا.

وشُنَّتْ على العراق حرب عاصفة الصحراء، وتحشد الأعداء في أكثر من ثلاثين دولة كل منها تنتظر مغنمًا من هذه الحرب، وأُثلجت صدور اليهود والأمريكان والإنجليز وكل عدو للمسلمين، وأخرج العراق من الكويت مذمومًا مدحوراً بعد أن عاث فيها فساداً؛ قتلاً وأسراً وسرقة وتخريباً، وفرضت العقوبات القاسية التي حرمته أول الأمر من استيراد الغذاء والدواء، وفرض عليه ذل تفتيش أرضه ومعرفة أسراره، وفرضت على دول الخليج وفي

مقدمتها الكويت والسعودية تكاليف هذه الحرب من الترفيه عن الجنود إلى طعامهم وشرابهم وإيوائهم وملابسهم.... إلخ. واقيمَت القواعد العسكرية فى بلدان دول الخليج، فكان احتلالاً مقننا لا يعترض عليه أحد، وهذه العقوبات القاسية تمضى هذه الأيام عامها الثانى عشر، والأعداء لا يريدون لها نهاية حتى لو استجاب العراق لكل الشروط، وذلك لسببين معروفين:

أحدهما: أن استمرار العقوبات تدر على الأعداء مكاسب مالية وعسكرية واقتصادية وسياسية...

والآخر: استمرار القواعد العسكرية فى دول الخليج، تمهيداً لاستغلالها فى ضرب العراق ثالثًا أو ضرب إيران أو سوريا أو غيرها.

وما صلة غياب الجهاد والمجاهدين فى سبيل الله بهاتين الحربين؟

والجواب: أنه لو كان فى العراق جهاد ومجاهدون لوجد الطاغية من يقول له: لماذا هذه الحروب؟ لأن المجاهد لا يخشى فى الله لومة لائم، ولثنوه عن غيّه وغروره وحالوا بينه وبين العدوان ولنصروه ظالما بمنعه عن الظلم!!!

٦ - وضرب المسلمين فى البوسنة والهرسك وكوسوفا:

بلاد البوسنة والهرسك من بلاد المسلمين، التى دخلها الإسلام على يد الملك المجاهد السلطان محمد الفاتح، أهم سلاطين الدولة العثمانية التى حكمت أوسع رقعة من بلاد المسلمين.

وقد استمرت هذه الدولة العثمانية منذ أعلن عثمان بن أرطغرل أنه مجاهد للبيزنطيين سنة ١٢٩٩م، غير أنها لم تكن على التوسع الكبير إلا فى عهد محمد الفاتح بعد ذلك بما يقرب من مائة وخمسين عامًا، أى من سنة ١٤٥٣م حينما فتح القسطنطينية، واستمرت إلى أن تآمر عليها أعداء الإسلام حتى أسقطها مصطفى كمال سنة ١٩٢٤ م أى استمرت ما يزيد على ستة قرون، وظلت أوسع ما كانت نحو خمسة قرون.

- وقد أسلم أهل البوسنة والهرسك منذ دخل الإسلام بلادهم إلى يومنا هذا.

ولما ضعفت دولة الخلافة العثمانية وتفككت استولت المجر على البوسنة والهرسك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٦م.

– وفى أثناء الحرب العالمية الثانية قامت قوات الصرب بقتل عشرات الألوف من مسلمى البوسنة والهرسك بحجة الدفاع عن مملكة صربيا.

– وفى عام ١٩٧١م اعترف الدستور اليوغسلافى بكيان شعب البوسنة والهرسك، وفى عام ١٩٧٤م قامت جمهورية البوسنة والهرسك على أساس أنها إسلامية.

– وبعد انهيار يوغسلافيا أعلنت البوسنة والهرسك استقلالها كبقية الجمهوريات الست التى كانت تتألف منها يوغسلافيا وهى: صربيا، وكرواتيا، وسلوفينيا، ومقدونيا، والجبل الأسود، والبوسنة والهرسك.

● وقد وصف مفتى البوسنة الشيخ صالح أحمد صالح جولاكوفيتش ما فعله الجيش اليوغسلافى بمسلمى البوسنة والهرسك(١) فقال: «إنهم هاجموا البوسنة والهرسك من كل حدب وصوب ودمروا البلاد والقرى، وقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين فاستشهد حتى شهر يوليو ١٩٩٢م ستون ألفًا من المسلمين أكثرهم من الشيوخ والنساء والأطفال، ودمروا من المساجد أكثر من سبعمائة مسجد أى أكثر من نصف عدد المساجد، وشردوا من الأطفال والنساء والشيوخ مليون نسمة، والهدف هو القضاء على هذه الأمة الإسلامية، بل القضاء على الإسلام فى أوربا».

ولقد استمر هذا العدوان على البوسنة والهرسك ما يقرب من ثلاث سنوات، والعالم كله يسمع ويرى، ولكنه لا يفعل شيئًا من أجل منع سفك هذه الدماء والعدوان على الأعراض والأبشار من الصرب ومن الكروات إلى أن شاء الله؛ فاختلف الصرب والكروات عندئذ فقط تدخل الغرب وتدخلت أمريكا لحل هذا الصراع كله على حساب البوسنة والهرسك حيث قسمت هذا الجمهورية الإسلامية على النحو الذى لا تقوم فيه قائمة لدولة مسلمة فى أوربا، وهى قسمة لصالح الصرب والكروات.

ولأن الغرب كله وأمريكا فى مقدمته ينحازون دائمًا ضد كل ما هو إسلامى، كما هى منحازة ضد كل ما هو عربى!!!

– وما حدث فى كوسوفا «قوصوه» هو نفس ما حدث فى البوسنة والهرسك لأن سكان

---

(١) قال ذلك فى محاضرة القاها فى نقابة المهندسين بشبين الكوم بمحافظة المنوفية بمصر فى شهر يوليو ١٩٩٢م نقلاً عن مجلة المختار الإسلامى فى عددها رقم ١٣٣ الصادر فى أول رجب سنة ١٤١٤ هـ - ١٤/١٢/١٩٩٣م.

كوسوفا مسلمون، فقتل الجيش اليوغسلافى منهم أعداداً عظيمة، ثم تعاون الصرب والكروات بإلقاء جثثهم فى مقابر جماعية كشف عن بعضها ولا يزال يكتشف حتى يومنا هذا...

وكان من وراء الصرب روسيا تشجع وتمد بالسلاح، ومن وراء كرواتيا الغرب وأمريكا تشجع وتمد بالسلاح وتعطى المهلة وراء المهلة قبل حل المشكلة ليتمكن الصرب والكروات من الإجهاز على المسلمين فى كوسوفا.

● وهنا نسأل أليس ما حدث فى البوسنة والهرسك وكوسوفا نتيجة لغياب الجهاد عن المسلمين فى هذه البلاد؟ أليس الجهاد يسبقه إعداد واستعداد؟ هكذا تضيع الأمة عندما تضيع فريضة من فرائض الله تعالى.

٧ - وضرب المسلمين فى الشيشان:

تقع الشيشان على السفوح الشمالية لجبال القوقاز، وتتدفق المياه نحوها من مصادر عديدة فتكون عدداً من الأنهار، تتجمع عند العاصمة «جروزنى» فتؤلف هناك نهراً كبيراً.

- وقد دخل الإسلام الشيشان أيام دولة الخلافة العثمانية على يد بعض الدعاة إلى الله من أهل العلم بالإسلام، وعلى يد بعض ضباط الجيش العثمانى، وكان ذلك فى أوليات القرن الحادى عشر الهجرى أى منذ أكثر من ثلاثة قرون هجرية.

- ولما ضعفت الدولة العثمانية استولى الاتحاد السوفيتى السابق على الشيشان، ولأن أهلها مسلمون متمسكون بدينهم حاولت الشيوعية الملحدة أن تثنيهم عن دينهم وأن تنفيهم عن البلاد، فتمسكوا بدينهم فنفتهم إلى مجاهل سيبيريا، فظلوا فيها أكثر من أربعين عامًا وهم متمسكون بدينهم، فرأى الاتحاد السوفيتى فشل خطته فى صرفهم عن دينهم فبدا له أن يعيدهم إلى بلادهم ليمارس معهم وسائل أخرى لإفساد عقيدتهم، فأسس جمهورية الشيشان سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م ومارس معهم ضغوطًا شديدة وإرهابًا فلم ينصرفوا كذلك عن دينهم.

● وعدد الشيشان يقرب من المليونين غالبيتهم من المسلمين، وقد غير الروس خطتهم فى إفساد عقيدة الشيشان فأرسلوا أعداداً كبيرة من الروس لتعيش فى الشيشان ويتبادلون مع الشيشان التجارة والمنافع وغسل الأدمغة وتحويل الولاء...

لكنهم لم ينجحوا إلا فى جعل اللغة الشيشانية تكتب بالحرف السلافى بدلاً من الحرف العربى، ثم فرضوا عليهم اللغة الروسية فرضًا.

وعندما انهار الاتحاد السوفيتى وأصبح اتحاد روسيا، وانفصلت عنه جمهوريات عديدة، سارع بالموافقة على انفصالها ومنحها استقلالاً ذاتيًا، ما عدا الشيشان، فقد استكثر عليهم الحرية والاستقلال، واعتبر مطالبتهم بالاستقلال جريمة!!!

- وبدأ الاتحاد الروسى يحارب الشيشان، وهى حرب لا تكافؤ فيها على وجه الإطلاق، تولى كبر هذه الحرب وإثمها «بوريس يلسن» المعروف بطغيانه وجبروته، فلم يستطع القضاء عليهم، ثم خلفه «بوتن» فواصل ضدهم هذه الحرب غير المتكافئة، وبوصفه رجل مخابرات سابق فإنه اعتمد على الاغتيال والقتل كسالفه، فقتل منهم أعدادًا كبيرة واغتال من قياداتهم كل من استطاع الوصول إليه، فما ضعفوا وما استكانوا على الرغم من احتلال الروس لعاصمة بلادهم «جروزنى» وعينت لهم رئيسًا شيشانيًا مواليًا لروسيا.

وقد ارتكبت روسيا فى الشيشان عمومًا وفى جروزنى على وجه الخصوص من البشائع والفظائع ما لا يعرف مثله إلا من النازيين والصهاينة والصرب والكروات ثم الأمريكان أخيرًا فى أفغانستان.

وحرب الإبادة التى تشنها روسيا على الشيشان مستمرة حتى اليوم على الرغم من أنها بدأت قبل أكثر من عشر سنوات واستُعمل فيها كثير من الأسلحة المحرمة دوليًا – وإن كانت كلمة: «دوليًا وشرعية دولية وقانون دولى» قد انتهكتها إسرائيل وأمريكا حتى فُرِّغَتْ هذه الكلمات من دلالاتها.

– أمريكا تسكت على ما تفعله روسيا فى الشيشان من جرائم لكى تسكت روسيا لأمريكا عما ارتكبته أمريكا وترتكبه من جرائم لا تسقط عقوباتها بالتقادم، من أيام هيروشيما ونجازاكى وفيتنام وكوريا وغيرها ثم فى أفغانستان حاليًا – كما سنتحدث عن ذلك بعد قليل.

- وهيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها الموقر، مع الأقوى ولم يكن يومًا مع الحق، إنه مع أصحاب حق الاعتراض فى المجلس الموقر.

– والدول الإسلامية أضعف من أن يكون لها – مجتمعة أو متفرقة – تأثير على أمريكا أو

روسيا، لأن معظم هذه الدول قد جعلتها أمريكا بسياستها الشيطانية الشريرة فى موضع الاحتياج إليها فى القمح والسلاح.

- ولقد تجاوب عدد من أفراد المسلمين مع الشيشان وهاله ما يجرى عليهم من قمع وقتل وتعذيب وحصار، فهاجروا إليهم يقدمون أنفسهم عونًا لإخوانهم فى الدين الحق، وفى كل حين يفوز منهم بالشهادة من اتخذه الله شهيداً.

- وبكل إصرار يوصف جهاد الشيشان ومن يعاونونهم من إخوانهم المسلمين بأنهم إرهابيون!!!

● وأختم الحديث عن الشيشان - وهم أبطال يتقبل الله شهداءهم بإذنه - بأنهم لو أعدوا للجهاد عدته واستوفوا شروطه، لكان الأمر غير الأمر، ولكن قدَّر الله وما شاء فعل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

■■■■

ب - نتائج غياب الجهاد عن المسلمين فى الحاضر

الحاضر هو بداية القرن الحادى والعشرين الذى حمل إلينا معشر العرب والمسلمين عداوة سافرة تتسم بالوقاحة حينًا وبالإجرام حينًا، وبالتهجم والإهانة أحيانًا كثيرة.

والذين يوجهون إلينا هذه العداوة هم: دول الغرب، وبخاصة دول الاتحاد الأوربى(١) وفى مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية، ورأس حربتها إسرائيل.

ثم دول الشرق: روسيا، ورأس حربتها الصرب، ثم الهند الطامعة فى جارتها «باكستان» المسلمة جريًا وراء سراب الهند الكبرى التى تبتلع باكستان وبنجلاديش.

أولاً: العداوة للإسلام والمسلمين من خلال أجهزة الإعلام:

● هذه العداوة للإسلام والمسلمين والعرب أخذت صوراً عديدة يساند بعضها بعضًا، ويفضى بعضها إلى بعض، ويؤدى فى النهاية إلى القضاء على الإسلام منهجًا ونظامًا، وعلى المسلمين دولاً ذات قوة، وشعوبًا ذات تمسك بالإسلام، وعلى العرب رافضين لإسرائيل أو مسالمين لها؛ ما يجادل فى ذلك إلا الذين غفلوا أو ضلوا ضلالاً بعيداً.

١ - ما كان بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر:

أشد هذه الصور العدائية وأضراها فى هذا الحاضر، ما كان بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، حيث تضاعفت بل تفاقمت صور العداوة إلى حدود مأساوية غير إنسانية وغير معهودة فى تاريخ العداوة التى وجهت إلى الإسلام والمسلمين.

وكان أحداث الحادى عشر من سبتمبر كانت منتظرة على نحو مّا لتنطلق هذه الحملات المسعورة فى عداء الإسلام والمسلمين فور حدوثها وقبل أن تتوفر أى أدلة على من قاموا بها!!!

وإنما جاءت أدلة واهية مثل:

– المسارعة بإعلان الاتهام للمسلمين والعرب، وتحديد أسمائهم فور وقوع الحادث، وقبل مرور ساعات على وقوعه!!! فمن أين لهم هذا العلم؟ وإذا كان لديهم هذه القدرات الخارقة؛ فَلِمَ لَمْ يستعملوها فى منع وقوع الحدث؟ ولماذا منعوا تقديم الأدلة حتى

---

(١) دول الاتحاد الأوربى اليوم هى نفس الدول الاستعمارية الاستيطانية بالأمس.

للدول التى شاركتهم فى خطتهم العدوانية؟

– وإسراع إسرائيل باتهام العرب والمسلمين بارتكاب الحادث بعد ساعات من وقوعه!!!

– وقولهم: إن بعض العرب فى فلسطين رقصوا فرحًا بما أصاب أمريكا فى هذا الحدث، مما يؤكد – كما زعموا – أن العرب هم الذين نفذوا هذا الحدث!!!

– وقبل أن تعلن أمريكا عن أنها ستحقق فى الحادث وأسبابه، وضعف أجهزة الأمن عندها فى أن تتوقاه، أعلنت أنها ستحارب الإرهاب فى أفغانستان!!!

– وأخيرًا اصطنعوا تسجيلاً بالصوت والصورة لمن يعترفون بأنهم وراء هذه الأحداث، وبأنهم سيضربون أمريكا!!!

● وسوف تظل الأدلة على قيام العرب والمسلمين بأحداث الحادى عشر من سبتمبر غامضة معَمًّى عليها بإصرار، حتى يأذن الله تعالى فى كشفها عندما تعترف أمريكا أو إسرائيل بأنها كانت وراءها بعد خمسين عامًا مثلاً.

وبعض الأمريكيين قد وجه الاتهام فى هذه الأحداث إلى أمريكا وإسرائيل، وليس إلى أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة فضلاً عن حكومة طالبان فى أفغانستان.

فقد ذكرت صحيفة الأهرام القاهرية تحت عنوان:

كاتب أمريكى بارز يقول: «الإرهاب الإسرائيلى وراء هجمات ١١ سبتمبر».

واشنطن: أ – ش – أ: أكد الكاتب الأمريكى البارز: «ديفيد ديوك» أن الإرهاب الإسرائيلى والخيانة الأمريكية كانا السبب الحقيقى وراء هجمات ١١ سبتمبر، وليس أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة.

واستعرض «ديوك» وهو عضو مجلس النواب الأمريكى السابق فى دراسة نشرها فى موقعه على «الإنترنت» تاريخ الإرهاب الصهيونى واليهودى سواء ضد المبعوثين الدوليين مثل: «الكونت برنادوت» أو ضد المواطنين الفلسطينيين، بداية من مذبحة دير ياسين وصبرا وشاتيلا وقانا وغيرها.

وركز «ديوك» على أن الإرهاب الإسرائيلى ضد المواطنين والمصالح الأمريكية بصفة خاصة يدلل على تورط إسرائيل وجهاز مخابراتها «الموساد» فى أحداث ١١ سبتمبر، خاصة

أن الدولة اليهودية كانت المستفيد الأوحد منها، حيث تم تحويل الانتباه عن الفظائع التى ترتكبها ضد الفلسطينيين، لتتركز على اتهام جهات عربية وإسلامية»[1].

أما صور العداوة للمسلمين والعرب غير ما تولد عن أحداث الحادى عشر من سبتمبر، فنذكر منها ما يلى:

٢ – ومعاودة شن حملات تشويه الإسلام بضراوة أشد بوصفه بأنه دين رجعى يعادى الحداثة ويرفض كل جديد ويمعن فى الأخذ بسلفية تعادى التقدم وتصر على التخلف.

٣ – والتصريح على ألسنة بعض رؤساء دول الغرب ووزرائهم وكبار كتابهم بالهجوم على الإسلام والإعلان عن أنه أصبح العدو التقليدى للغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتى.

٤ – والهجوم على الحضارة الإسلامية واتهامها بكل نقيصة، والزعم بأنها أقل من الحضارة الغربية، كما ورد ذلك على لسان رئيس وزراء إيطاليا «برلسكونى» ونشرته عنه الصحف ومعظم وكالات الأنباء.

٥ – وإنكار الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات والادعاء بأنها دون الحضارة الغربية على لسان كاتب مشهور – أمريكى يابانى الأصل – هو «فوكوياما» حيث كتب عقب انهيار الاتحاد السوفيتى يقول: «إن ماحدث من انهيار الاتحاد السوفيتى هو: «نهاية التاريخ» وأن الحضارة الغربية قد انتصرت على غيرها من الحضارات، وأنها أصبحت وحدها بعد هذا الحدث الكبير.

٦ – ووصف المسلمين والعرب بأنهم إرهابيون متطرفون يمارسون العنف، ووصف الإسلام بأنه دين تعصب يرفض التعامل كما ردّد ذلك كاتب أمريكى مشهور هو: «هنتنجتون» فى مقالة مطولة نشرت فى مجلة «النيوزويك» عدد ديسمبر ٢٠٠١م – وفبراير ٢٠٠٢م[2] فى مقاله: «صراع الحضارات».

٧ – وزيادة الخلافات بين دول العالم العربى، مما أضعفها وباعد بينها وبين الاتحاد أو الوحدة، ومما أعجزها عن كبح جماح إسرائيل فى اعتدائها المتكرر على الفلسطينيين

(١) جريدة الأهرام المصرية فى عددها اليومى الصادر فى ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٢م فى الصفحة الرابعة.
(٢) أي بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م التي لم يثبت أنها من تخطيط المسلمين والعرب وتدبيرهم.

وعلى عدد غير قليل من الدول العربية مثل: لبنان وسوريا والأردن ومصر والعراق وتونس.

هذه الخلافات التى تحركها أيد خفية جعلت الدول العربية لا تستطيع ان تتخذ قراراً بالإجماع فى الجامعة العربية إلا فى القليل النادر.

هذه الصور من العداوات التى استعملت أجهزة الإعلام وأدواته، وتَسَارَع إلى الخوض فيها الحاقدون على الإسلام والعرب والمسلمين، هى صور ممهدة لاستعمال القوة والهجوم على بعض البلدان الإسلامية والعربية بالجيوش والسلاح حينًا وبالحصار الاقتصادى والسياسى حينًا آخر.

وكل تلك الصور إنما مارسها العدو لأن الجهاد فى سبيل الله قد غاب عن المسلمين أو غُيب عنهم.

ونفس الهؤلاء الأعداء يوم كانت الأمة الإسلامية تمارس الجهاد فى سبيل الله لم يستطيعوا أن يكيدوا لها فضلاً عن ان يحاربوها، إنما كان أقصى ما يطمحون إليه أن يعيشوا فى ظل عدلها وإحسانها!!! وسبحان مغير الأحوال (١).

■ إن صور القوة الغاشمة غير المتكافئة كثيرة نذكر بأن هدفها إضعاف المسلمين وإرهابهم واستيطان بلادهم والاستيلاء على ما فيها من خيرات، لصالحهم وصالح اسرائيل، ومن هذه الصور:

ثانيًا: العداوة للإسلام والمسلمين بشن الحروب على بلادهم ومن ذلك:

١ - ضرب أفغانستان بوحشية معهودة من أمريكا:

وإنما أقول بوحشية أمريكية معهودة منها، لما يساندنى فى ذلك من شواهد التاريخ القريب والمعاصر، على لسان أمريكى يهودى - غير مسلم وغير عربى - هو: «نعوم شومسكى» فى كتاب له بعنوان: «إعاقة الديمقراطية» حيث يقول فى الرد على «صمويل

---

(١) فى هذا المجال لا نخجل أن نقول إن المسلمين والعرب قد أعطوا لأعدائهم فرصة الاعتداء عليهم بتعطيلهم ما فرض الله عليهم من فرائض فى مقدمتها الجهاد فى سبيل الله، لأن السنة الثابتة فى هذا المجال هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

هنتنجتون» فى مقاله «صراع الحضارات» الذى تجنى فيه على المسلمين وعلى العرب، وبرّر ما تقوم به أمريكا فى أفغانستان من أعمال وحشية.

- كان «هنتنجتون» قد وصف حروب المسلمين بأنها عنوان العصر حيث قال: «إن السياسة الكونية المعاصرة تتمثل اليوم فى عصر حروب المسلمين، فالمسلمون يحاربون بعضهم بعضًا، كما يحاربون غير المسلمين، وذلك بمعدل أكثر بكثير مما تقترفه شعوب الحضارات الأخرى».

- فرّد عليه «نعوم شومسكى» قائلاً: «لأن «هنتنجتون» مولع بصيغ التعميم الحضارى بمناسبة وبغير مناسبة فنحن نسأله بدورنا: ماذا عن الجانب الآخر فى الحضارة الغربية التى يتباهى بها الجميع فى اللحظة الراهنة».

«وحتى لا نقع فى خطأ التبسيط المخل والاختزال المعيب فى تحليل الأمور مثل ما وقع فيه «هنتنجون» فإننا نفضل أن نلجأ إلى حقائق التاريخ، لأنها على الأقل ثبتت إلى حد كبير، واتضح ما بها من خسائر ومكاسب للأطراف المختلفة، وما يمكن أن تكون قد تضمنته من معان حقيقية، أو ادعاءات كاذبة ومزيفة، لنطرح قضايانا بصورة مباشرة ونتساءل:

ماذا عن التاريخ الطويل للحرب الباردة وما انطوت عليه من مواجهات وخطط ومؤامرات مخابراتية مثّلتْ عنوانًا من العناوين الرئيسة التى انطوت عليها الحضارة الغربية؟

بالطبع فإن الحرب الباردة لم تكن بسبب المسلمين ولا دخل لهم فيها.

أما بالنسبة للولايات المتحدة فقد كان للحرب الباردة تاريخ فى العالم بأسره من التخريب والعدوان وإرهاب الدولة، والأمثلة على ذلك أكثر أن تحصى، وبالطبع فإننا لن نحصى الأمثلة، ولن نُذكِّر «هنتنجتون» بضحايا «ناجازاكى وهيروشيما» وهو الذى يتباكى على «حروب المسلمين»، ولن نُذكِّر أحداً بضحايا الفلبين والهند الصينية وأمريكا الوسطى فهم بالآلاف، وتاريخهم يحتل ركنًا خفيًا فى ثنايا المواجهات التى جرت على هامش الصراع التاريخى للحضارة الغربية».

ثم يواصل قائلاً: «فى كل عام منذ «بيرل هاربر» كانت الولايات المتحدة مشتبكة إما فى حرب أو فى مواجهة، كانت منذ عام ١٩٤١م فى حالة تورط تام..

لم يكن لدينا خيارات حقيقية حين غزونا فيتنام الجنوبية، وقبلنا الحكومة الرأسمالية الديمقراطية فى جواتيمالا سنة ١٩٤٥م وحافظنا فيها على حكم رجال العصابات القتلة منذ ذلك الحين.

وادرنا أوسع عمليات الإرهاب الدولية فى التاريخ ضد كوبا أوائل الستينيات وضد نيكاراجوا خلال الثمانينيات.

وسعينا إلى اغتيال «لومومبا» ونصّبْنا مكانه ديكتاتورية موبوتو الوحشية الفاسدة، وحافظنا عليها.

ودعمنا «تروخيو» و«سوموزا» و«ماركوس» و«دفاليه» وجنرالات المخروط الجنوبى، و«سوهارتو» والحكام العنصريين فى جنوب إفريقية، وعدداً من رهط بأسره من المجرمين الكبار الآخرين».

ثم يواصل «نعوم شومسكى» قائلاً: «وإذا نحينا التاريخ جانباً، وعمدنا إلى وقائع الحاضر مباشرة؛ فإننا يمكن أن نصل إلى حقائق مهمة لا تخفى صلتها المباشرة بأهم ظواهر الحضارة الغربية، ومن ذلك:

– أنه فى عام ١٩٩٤م تهدّد العالم بـ٤٨ نزاعاً مسلحاً، كان منها ٣٨ يتقابل فيها الأطراف بأسلحة أمريكية، أى أن الأسلحة الأمريكية استخدمت فى ٧٦٪ من نزاعات العالم.

– وأنّ عدد المدنيين الذين قتلتهم جماعات «الكونترا» فى «نيكاراجوا» والمدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية فاق عدد كل المدنيين الذين قتلوا فى الشرق الأوسط بسبب ما تسميه الولايات المتحدة «الإرهاب».

– ولم تُصدق الولايات المتحدة على أكثر من نصف المواثيق الدولية والخاصة بحقوق الإنسان، كما أن المادة رقم ٥٠٢ من الفقرة ب من مرسوم المساعدة الخارجية يُشير إلى حق الرئيس بتجاوز حقوق الإنسان إذا كانت هناك ظروف غير عادية.

– وعندما ينتحب «هنتنجتون» على الديمقراطية فى الدول الإسلامية فإننا لا نجد أمامنا إلا أن نصبّره، ونذكره، ولعل التذكر ينفعه، بما جاء فى تقرير نشرته مجلة:

Cheistion Science Moniter فى عام ١٩٩٨م جاء فيه: قد يكون الشرق الأوسط المنطقة الوحيدة فى العالم التى قد يؤدى فيها أحد عناصر الديمقراطية الأساسية

(الانتخابات) إلى إيجاد مشكلات أكثر من حل مشكلات خاصة؛ إذا ترتب عليه استبدال الأنظمة غير الديمقراطية الصديقة بأنظمة معادية للغرب » (١).

ولا تعليق لى على « هنتنجتون، وفوكوياما » أو الرد على مفترياتهما على الإسلام والحضارة الإسلامية وحروب المسلمين، إلا بما قاله « نعوم شومسكى » الأمريكى اليهودى المحايد الموضوعى.

■ ومن أجل حرب أفغانستان التى تشنها أمريكا عليها بحجة ضرب الإرهاب والدفاع عن النفس، نذكر ما كتبه ستون أكاديميًا أمريكيًا فى مقدمتهم أيضًا: « فوكوياما وهنتنجتون » فى خطاب نشروه يبررون فيه هذه الحرب ويسمونها: « الحرب العادلة » وما ردّ به عليهم مائة وعشرون مثقفًا أمريكيًا بارزًا فى مقدمتهم: هوارد ريد المؤرخ المعروف بل الشهير، وجور فيدال الروائى الأمريكى المعروف.

■ وقد جاء خطاب المائة والعشرين من المثقفين ردًا على ما سميت بالحرب العادلة، وسموا أنفسهم المعارضة الأمريكية وكتبوا خطابهم بعنوان: « خطاب من مواطنى الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأصدقاء فى أوربا » قالوا فيه:

« عقب الهجمات الانتحارية فى الحادى عشر من سبتمبر على مركز التجارة العالمى فى نيويورك، وعلى مبنى البنتاجون فى واشنطن؛ أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش حربًا ضد الإرهاب، وهذه الحرب ليست لها حدود ظاهرة، سواء فى المكان أو الزمان، أو حتى لمدى التخريب الذى يمكن أن تحدثه، وليس هناك تحديد لأى دولة يمكن أن يشتبه فى كونها تخبئ الإرهابيين فى أراضيها، أو يعلن عنها باعتبارها جزءًا من محور الشر، إن إزالة الشر مستمرة مدة أطول من تلك التى يتمكن العالم أن يتحملها نظرًا للقوة التخريبية التى ستستخدم.

إن « البنتاجون » شرع بقذف قنابل وصفت بأن تأثيرها كالزلزال، وهو رسميًا يفكر فى استخدام أسلحة ذرية، وذلك من بين الأسلحة المرعبة التى يطورها بانتظام فى ترسانة أسلحته.

إن الخراب المادى المستهدف لا يمكن قياسه، وكذلك الأضرار الإنسانية، ليس فقط فى مجال فقدان الحياة للبشر، بل أيضًا من زاوية اليأس المعنوى والكراهية التى لابد أن يحس بها ملايين الناس الذين لايملكون سوى أن يراقبوا – وهم عاجزون – عالمهم وهو ينهار

(١) جريدة الأهرام المصرية فى عددها اليومى الصادر فى ٩ / ١ / ٢٠٠٢م أى بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

بواسطة دولة هى الولايات المتحدة الأمريكية التى تفترض أن سلطتها الأخلاقية مطلقة لا يمكن تحديها ، مثلها فى ذلك مثل قوتها العسكرية .

ونحن باعتبارنا مواطنين أمريكيين علينا مسئولية خاصة لمعارضة هذا الاندفاع المجنون تجاه الحرب .

وأنتم – كأوربيين – أيضًا تقع عليكم مسئولية خاصة، فأغلب أقطاركم حلفاء للولايات المتحدة فى إطار حلف «الناتو» والولايات المتحدة تزعم أنها تسلك دفاعًا عن نفسها، ولكن أيضًا للدفاع عن مصالح حلفائها وأصدقائها.

إن بلادكم لابد بالضرورة أن تتورط فى المغامرات العسكرية الأمريكية، إن مستقبلكم أيضًا مهدَّد .

إن عديداً من الناس الواعين، سواء داخل حكوماتهم أو خارجها على وعى بالجنون الخطير لطريق الحرب الذى تتبعه إدارة «بوش»، ولكن قلة منهم يتجاسرون على الحديث بأمانة .

إنهم يخشون أن يوصفوا بأن لديهم مشاعر مضادة لأمريكا، وهو التوصيف نفسه الذى يطلق بشكل عبثى على الأمريكيين أنفسهم الذين يعارضون سياسات الحرب، والذين يتم إغراق احتجاجاتهم بسهولة فى خضم «كورس» الوطنية المتطرفة التى تهيمن على وسائل الإعلام الأمريكية .

إن نقداً أوربيًا رصينًا وصريحًا لسياسة حرب إدارة الرئيس «بوش» يمكن أن يساعد الأمريكيين المعارضين للحرب فى أن يسمع صوتهم .

إن الاحتفال بالقوة وتمجيدها قد يكون أقدم مهمة فى العالم؛ انغمس فى ممارستها الشعراء ورجال الأدب، ولا شك أن الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة العالمية العظمى تجذب بالطبع المشاهير الأمريكيين الذين يدفعون بقادة الأمة السياسيين إلى أن يذهبوا بعيداً فى مجال استخدام القوة العسكرية لفرض الفضيلة على عالم مُنْحَل .

إن هذا موضوع قديم جديد فى الوقت نفسه، مبناه أن الخير الذى يمتلكه القوى ينبغى أن يُبَسَّط للضعيف باستخدام القوة .

إن الفكرة الأساسية الباطلة التى يتبناها مؤيدو الحرب هى إقامة التعادل بين القيم الأمريكية كما هى مفهومة فى الوطن وممارسة الولايات المتحدة قوتها الاقتصادية والعسكرية على وجه الخصوص خارج الوطن.

إن الاحتفال بالذات وتمجيدها ملمح شهير من ملامح ثقافة الولايات المتحدة، وربما نُظر إليها باعتبارها أداة نافعة لتحقيق الاندماج فى مجتمع مهاجر.

غير أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر قد دفعت بهذا الاتجاه مع الأسف إلى آفاق جديدة متطرفة، وتأثيرها يتمثل فى تدعيم وهم ذائع بين مواطنى الولايات المتحدة؛ مفاده أن العالم كله يركز بصره إعجابًا أو حسداً على الولايات المتحدة الأمريكية، كما ترى هى نفسها، ليسودها الرخاء وديمقراطية كريمة ومرحبة بمن يأتى إليها، ومفتوحة لكل الأجناس والأديان، كما أنها القيم الإنسانية العالمية، وأنها آخر أفضل أمل للإنسانية.

وفى هذا السياق «الأيديولوجى» فإن السؤال الذى ثار بعد ١١ سبتمبر هو: لماذا يكرهوننا؟

وكانت الإجابة الوحيدة: يكرهوننا لأننا متميزون فى كل شيء بشكل بارز، أو بعبارة أخرى يذيع استخدامها: يكرهوننا بسبب قيمنا (١).

إن عديداً من مواطنى الولايات المتحدة الأمريكية لايدركون أن تأثير الولايات المتحدة الأمريكية فى الخارج لا علاقة له «بالقيم» التى يتم تمجيدها فى الوطن، بل إن هذا التأثير يسهم غالبًا فى حرمان الشعوب فى أقطار أخرى من فرصة التمتع بها، إذا كانوا مهتمين بذلك.

ولو نظرنا إلى أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا وجدنا أن قوة الولايات المتحدة الأمريكية استخدمت غالبًا لتدعيم بقايا الأنظمة الاستعمارية، والحكام المستبدين الذين لا شعبية لهم، كما استخدمت لتدعيم القوات المسلحة القمعية، وتنظيم انقلابات للحكومات المستقلة، أو شل حركة بعضها من خلال استخدام العقوبات.

وأخيراً تستخدم القوة الأمريكية لإرسال قاذفات القنابل وصواريخ كروز؛ لتمطر الموت والخراب».

ويستطرد الخطاب قائلاً:

«الحق فى الدفاع عن النفس، حق مَنْ؟

---

(١) للكراهية أسباب أخرى تعرفها الأمة الإسلامية والأمة العربية ومجملها: التحيز المستمر لمصالحها ولإسرائيل على حساب كل القيم، وسوف يوضح الخطاب هذا بالنسبة لآسيا وإفريقيا دون التصريح بالإسلام والعروبة، ولكنه مفهوم لا يغيب عن القارئ.

منذ الحادى عشر من سبتمبر تحس الولايات المتحدة بأنها مهددة؛ ومن هنا زعمت الحكومة الأمريكية أن لها حقًا فى الدفاع عن النفس يسمح لها بشنّ الحرب بشروطها وكما تختار، ضدّ أى قطر تحدده باعتباره عدوًا، بغير دليل على إدانة، وبدون استخدام أى إجراءات قانونية.

ومن الواضح أن هذا الحق فى الدفاع عن النفس لم يكفل أبدًا للبلاد مثل: فيتنام، ولاوس، وكمبوديا، وليبيا، والسودان، أو يوغوسلافيا حين ضربت بالقنابل بواسطة الولايات المتحدة، ولن يتوافر هذا الحق بالنسبة لأى بلد ستقذفه الولايات المتحدة الأمريكية بالقنابل فى المستقبل.

إن هذا الحق بكل بساطة حقُّ الأقوى، أو بعبارة أخرى قانون الغابة، بل إنه يهدم جوهر النظام العالمى الذى يستند إلى قيم عالمية تكفل حق اللجوء إلى القانون، وهو حق متاح للجميع على أساس المساواة؛ إن حقًا يتمتع به طرف واحد فقط هو الأقوى ليس حقًا، ولكنه امتياز يمارس فقط للإضرار بحقوق الآخرين».

ثم يتساءل الخطاب قائلاً:

«كيف يمكن للولايات المتحدة أن تدافع عن نفسها؟» فيجيب: «افترضت الولايات المتحدة الأمريكية أنها فى حالة دفاع عن النفس، ومن ثَمَّ شنَّتْ حربًا ضد أفغانستان، ولم يكن ذلك فعلاً صُمِّمَ خصيصًا لكى يستجيب للأحداث الفريدة فى الحادى عشر من سبتمبر، ذلك أن الولايات المتحدة على العكس مارست ما كانت تمارسه دائمًا ونفذت الخطط التى وضعها «البنتاجون» وهى: قصف الأقطار الأخرى وإرسال القوات العسكرية إلى الأراضى الأجنبية، وقلب حكوماتها بالقوة.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تخطط بشكل علنى لشن حرب شاملة، بدون استبعاد استخدام الأسلحة النووية ضد العراق، وهو بلد ظلَّتْ الولايات المتحدة تستهدفه بالقنابل لعقد كامل فى ظل هدفها المعلن وهو: إحلال حكومة العراق بقادة من اختيار واشنطن».

«ما الذى يتم الدفاع عنه بالضبط؟

الدفاع - كما يستخدم المفهوم بطريقة تقليدية - يعنى: الدفاع عن الأرض الوطنية.

والهجوم الذى حدث فى الحادى عشر من سبتمبر كان هجوماً وقع على الولايات المتحدة الأمريكية وضد أرضها، ولم يكن هذا الهجوم تقليدياً مارسته قوة كبرى بغرض احتلال الأرض، ولكنه كان ضربة وجهتها جهة مجهولة ضد مؤسسات معينة تم استهدافها.

وفى غيبة تصريح صدر بالمسئولية عن الهجوم، فإن الطابع الرمزى للأهداف التى هوجمت قد يكون فيها نفسها تفسير الهجوم، وذلك أن برج التجارة العالمى يرمز بوضوح للقوة الاقتصادية الأمريكية العالمية، فى حين أن «البنتاجون» يرمز للقوة العسكرية الأمريكية.

ومن هنا يمكن القول: إنه بعيد عن الاحتمال أن يكون الهجوم فى الحادى عشر من سبتمبر كان موجهاً بشكل رمزى ضد القيم الأمريكية، كما يتم تمجيدها فى الولايات المتحدة.

بل إن الأهداف الحقيقية - على العكس - يبدو أنها وُجِّهتْ ضد القوة الأمريكية الاقتصادية والعسكرية كما تعلن عن نفسها فى الخارج.

وفقًا للتقارير فإن اثنى عشر من تسعة عشر من المختطفين الذين تم التعرف على شخصياتهم كانوا سعوديين معادين لوجود القواعد العسكرية الأمريكية على الأرض السعودية.

إن أحداث الحادى عشر من سبتمبر تشير إلى أن الأمة التى تستعرض قوتها فى الخارج هشة فى الداخل، غير أن الموضوع الرئيسى هو التدخل الأمريكى فى الخارج.

ومن المؤكد أن حروب «بوش» تهدف إلى الدفاع عن القوة الأمريكية فى الخارج وتقويتها، ومعنى ذلك أن الذى يتم الدفاع عنه هو الحشد العالمى الأمريكى للقوة، وليست الحريات فى الداخل أو أسلوب الحياة الأمريكى.

والواقع أن الحروب فى الخارج من شأنها أن تهدم أسس القيم المدنية التى يسعى المدنيون إلى تبنيها فى داخل الوطن أكثر من كونها دفاعًا عنها أو نشراً لها.

غير أن الحكومة التى تشن الحروب العدوانية؛ دائمًا تسعى إلى كسب التأييد فى داخل الوطن من خلال إقناع الناس البسطاء بأن الحرب ضرورية للدفاع عن الأفكار النبيلة أو توسيع دائرة تطبيقها.

إن الاختلاف الجوهرى بين الحروب «الإمبريالية» فى الماضى، والممارسة العنيفة للقوة التى تطبقها الولايات المتحدة الأمريكية هى فى أدوات التدمير الهائلة المتاحة فى الوقت الراهن.

ولم يحدث من قبل هذه الدرجة من عدم التناسب الخطير، بين قوة التدمير المادية والقوة البنَّاءة للحكمة الإنسانية».

ثم يواصلون فى خطابهم قائلين:

«والمثقفون اليوم عليهم أن يختاروا بين الانضمام لـ«كورس» هؤلاء الذين يمجدون استخدام القوة الخالصة من خلال صيغهم الخطابية لربطها بالدفاع عن «القيم الروحية»، أو القيام بالدور الأساسى والصعب الذى يتمثل فى تعرية الاستخدام المجنون للقوة، والعمل مع الإنسانية كلها لخلق وسائل للحوار العقلانى، وإقامة علاقات اقتصادية عادلة، وتحقيق العدل بالنسبة للكل.

إن حق الدفاع عن النفس ينبغى أن يكون حقا إنسانيًا جماعيًا، إن الإنسانية جميعًا من حقها أن تدافع عن حقها فى البقاء، ضدّ «حق الدفاع عن النفس» لقوة عظمى لا مجال لمراجعة قراراتها.

إن الولايات المتحدة الأمريكية أظهرت لمدة نصف قرن، وبشكل متكرر أنها لا تبالى بالموت الجماعى والتخريب الذى تحدثه عملياتها التى تزعم أنها بغرض تحسين أوضاع العالم.

وليس هناك طريق سوى ضم الصفوف بالتضامن مع ضحايا القوة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية، لكى نستطيع نحن فى البلاد الغنية أن ندافع عن القيم العالمية التى نرغب فى أن نتبناها»(1).

وبعد:

فلقد تأكد من خطاب الأكاديميين الأمريكيين ما فى سياسة أمريكا الاقتصادية والعسكرية من عيوب، وتبين منه كذلك ما تنطوى عليه هذه السياسة من أخطاء، ومن نظرة عنصرية، وأعمال استيطانية تدل على التعالى والغرور.

ولو قلنا نحن ذلك لصنفنا إرهابيين، ولكن حسبنا أن نقول: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا...﴾ [يوسف: 26].

---

(1) الأستاذ السيد ياسين: نص خطاب المعارضة الأمريكى - الأهرام فى 9، 16 مايو سنة 2002م.

ولم تستطع أمريكا أن تضرب أفغانستان الضعيفة الفقيرة بأعتى الأسلحة وأفتكها وأن تحشد لها عدداً من الدول الموالية للولايات المتحدة، كأنها تحارب جيشًا يكافئها قوة وعتادا، لكنها نظرية قديمة قالها الجاهليون قديما عندما عقدوا العزم على قتل النبى ﷺ، فتحالفوا وجمعوا من كل قبيلة فتى جلدا ليجتمع الشبان فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل.

تجمعوا حول أفغانستان ليضربوا ضربة رجل واحد فيتفرق دمها فى القبائل.

لم تستطع الولايات المتحدة أن تفعل ذلك بأفغانستان المسلمة ولا بغيرها إلا بعد أن أخرجت من المسلمين روح الجهاد وجعلتهم بحملات التشويه يتصورون أن الجهاد دفاعا عن النفس إرهاب وجريمة.

ولا تزال أمريكا مستمرة فى إجهاض كل فريضة وكل قيمة إسلامية فى العالم الإسلامى بسياستها المهيمنة المرغِّبة المرهِّبة، التى توجه كل همها إلى تفريغ التعليم والثقافة والإعلام من كل ما هو إسلامى، وبخاصة الجهاد فى سبيل الله تعالى!!

٢- وضرب الضفة الغربية وغزة بوحشية يهودية لا تفارق إسرائيل أبدا:

اعتدت إسرائيل على الضفة الغربية وعلى غزة والجولان وسيناء عام ١٩٦٧م بعون مادى من دول الغرب وفى مقدمتها أمريكا وبتأييد مطلق من الاتحاد السوفيتى السابق - الذى ضلل العرب فى هذه الحرب ونصحهم بأن يتلقوا الضربة الأولى فكانت الضربة القاضية، حيث لم تستطع الأردن - وكانت تحت إدارتها الضفة الغربية - ولا سوريا، ولا مصر - وكان تحت يدها إدارة غزة- أن تتجنب الضربة الإسرائيلية الموجعة، لأن الدول الثلاث لا تملك من السلاح المتطور مثل ما تملكه إسرائيل التى يسارع فى تسليحها الغرب والشرق.

وخيل لإسرائيل ومن وراءها أن الأمور قد استقرت لها على احتلالها للضفة والجولان وغزة وسيناء، فما هو إلا أن استعادت وعيها من صدمة هزيمة ١٩٦٧م حتى عبرت مصر قناة السويس ودمرت خط بارليف ورفعت أعلام الانتصار على أرضها فى سيناء، مما ألقى الرعب فى قلب أمريكا قبل إسرائيل، فمدوها بجسر جوى يتدفق بالسلاح استطاعوا به أن يحدثوا ثغرة نفذوا منها إلى السويس، ثم كان وقف لإطلاق النار ثم كان تحرير سيناء كلها بعد مفاوضات اليمة مع عدو تؤيد باطله دول الغرب وأمريكا وهيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها الموقر وحق الاعتراض الذى تستعمله أمريكا إن مُسَّتْ شعرة من إسرائيل!!

ثم كانت الانتفاضة للشعب الفلسطينى فى داخل إسرائيل، وقد فوجئت إسرائيل بتلك الانتفاضة التى استمرت من سنة ١٩٨٧م إلى سنة ١٩٩٣م، التى ترتب عليها اعتراف إسرائيل للسلطة الفلسطينية بحق فى الوجود على أرضها فى فلسطين، بل إقامة دولة فلسطينية، ثم ماطلت إسرائيل على الرغم من اتفاقية أوسلو، وظلت تماطل وتخادع وتضلل حتى قامت الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٠م فى ٢٨ سبتمبر عندما دنَّست أقدام شارون وجنوده المسجد الأقصى، فهبت الانتفاضة فى وجه العدوان الإسرائيلى على المسجد الأقصى، ولا زالت مستمرة حتى تقوم الدولة الفلسطينية مهما بلغت التضحيات الفلسطينية ومهما كان التحيز الأمريكى الأعمى لإسرائيل ومهما تقاعست هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها، فعجزت حتى عن إصدار إدانة لإسرائيل على مذابحها فى جنين ونابلس وطولكرم والخليل ورام الله وبيت لحم(١) وغيرها.

وكل ما تعامل به إسرائيل الفلسطينيين من وحشية وجرائم حرب هو نفس ما فعلته ولا تزال تفعله أمريكا فى أفغانستان حَذْو النعل بالنعل، والوحشية بالوحشية، والهمجية بالهمجية، بزعم أن تلك الأعمال البربرية دفاع عن النفس!!

ولقد وضعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية إسرائيل وأمريكا ودول العالم وهيئة الأمم المتحدة لصالح أمريكا أمام عدد من الحقائق أهمها:

– أن السلطة الفلسطينية أقوى وأصلب من أن تحتويها إسرائيل بسلاحها وعتادها وكاذب وعودها المتكررة.

– وأن الشعب الفلسطينى ليس ضعيفا ولا خوارا ولا قابلا لأن ترهبه وحشية إسرائيل وجنون أسلحتها وتدميرها وتخريبها لكل شىء.

– وأن الشعب الفلسطينى الذى جردته إسرائيل من السلاح إلا سلاحا هزيلا لتدافع به عن أمن إسرائيل، يملك من السلاح مالا تملكه أقوى الجيوش وهو الاستشهاد فى سبيل الحق ومقاومة العدو المحتل للأرض المنتهك للعرض.

– وأن خدعة تسمية الاستشهاديين انتحاريين أو إرهابيين لم تنطل على أحد من المسلمين الذين يعرفون الفرق بين الشهيد والمنتحر، وبين المجاهد فى سبيل الله

---

(١) لحم قبيلة يمنية سكنت الشام فى التاريخ القديم وأقامت فى فلسطين فى مكان ينسب إليها سمى بيت لحم، ثم حرف إلى : بيت لحم.

والإرهابى، ويوقنون أن مقاومة المحتل الغاصب واجبة بأى سلاح.

– وأن القضية الفلسطينية لب الصراع فى الشرق الأوسط، لا حل لها إلا أن تقوم دولة فلسطينية ذات سيادة عاصمتها القدس الشريف، طال الزمن فى سبيل ذلك أو قصر، وكثرت التضحيات فى سبيل ذلك أو قلت، وإن غدا لناظره قريب.

– وأن إسرائيل قد ارتكبت من المخازى الإنسانية فى الضفة الغربية وغزة ما لم تعرفه البشرية من قبل إلا على يد الأمريكان فى نجازاكى وهيروشيما وفيتنام ولاوس والعراق وغيرها ثم فى أفغانستان، والعالم كله قد رأى ذلك من خلال القنوات الفضائية، ولم يفعل شيئا ذا بال، وأن كل من شهد أو احتج فصل أو نحى من عمله وحرم عليه دخول إسرائيل حتى وإن كان تابعا لهيئة الأمم المتحدة!!

– وأن العالم شاهد كيف يحارب جيش إسرائيل المزود بأفتك الأسلحة الأمريكية من طائرات ودبابات ومدافع وألوف الجنود فى المدرعات كيف يحارب شعبا أعزل من السلاح، وكيف قتلت إسرائيل الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى، وكيف هدمت المنازل على ساكنيها وكيف قلعت الأشجار وكيف حطمت البنية التحتية والفوقية للشعب الفلسطينى وكيف قطعت المياه والكهرباء والأدوية والخبز، وكيف ضربت الأطباء والممرضين وكيف قتلت بعضهم وكيف حطمت عربات إسعاف الجرحى، وكيف منعت دفن الشهداء، وكيف تنكرت لأبسط صفات الإنسانية فخلعتها فتحولت إسرائيل وتحول جيشها إلى حيوانات كاسرة تنهش اللحم البشرى وتشرب الدماء وتحطم العظام، وتجد فى ذلك لذة وشفاء من أمراضها المزمنة العديدة، ثم لا يخجلون وهم يقولون: فعل النازيون بنا وفعلوا، لقد فعلوا هم أكبر وأفدح مما فعل النازيون بهم، وكذلك يفعل الأمريكيون فى أفغانستان، والله من ورائهم محيط.

– وأن جيش إسرائيل قد ضرب للعالم مثلا فى حربه للمدنيين نساءً وأطفالا وشيوخا وغير محاربين، وأنه بلغ غاية النبل والإنسانية حين اقتحم كنيسة المهد وعطل فيها المراسم والاحتفالات الموسمية، ومنع عنها الطعام وأطلق عليها القنابل الصوتية!! أرأيت نبلا أكبر من هذا؟ أرأيت احتراما للأديان مثل هذا؟ ترى ماذا تقول التوراة لليهود؟

– وأن المسئولين العرب لما رأوا ضخامة تضحيات الفلسطينيين، اقترحوا مبادرة تصالحية تقوم على تطبيع العلاقات بين إسرائيل والعالم العربى كله، وتبادل التمثيل «الدبلوماسى» فى مقابل إقامة الدولة الفلسطينية، فرفضت إسرائيل بكل صلف اليد

المدودة بالسلام، إن إسرائيل تريد كل شيء في مقابل لا شيء، لأنهم كما وصفهم القرآن الكريم يقولون: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]، والأميون هم غير اليهود، فلا حرج عليهم فى ذبح الأميين ولا سبيل لله عليهم فى تلك الجرائم!!

- وعندما اغتال أحد الفلسطينيين وزيرا إسرائيليًا هو «زئيفى» قامت قيامة إسرائيل وأمريكا وبعض دول الغرب، وأجبروا السلطات الفلسطينية على القبض على القاتل ومحاكمته وسجنه بحراس أمريكيين وبريطانيين، أما العشرات بل المئات الذين اغتالتهم إسرائيل فلم يجرؤ أحد على مطالبة إسرائيل بمحاكمة مغتاليهم.

إن أغلب رؤساء وزراء إسرائيل قتلة ومغتالون باعترافهم أنفسهم فى معرض الفخار بما قاموا به من أعمال إجرامية، وجميعهم قد مارسوا الاغتيال والغدر والتعذيب وكل ما فيه إهدار لحقوق الإنسان، تعرف أمريكا والغرب ذلك ويسكتون عليه، بل يشجعون عليه، بدليل أن «بوش» يصف سفّاح صبرا وشاتيلا وجنين ونابلس، شارون بأنه رجل سلام!!

- وعندما اجتمع رؤساء ثلاث دول عربية هى: مصر والسعودية وسوريا فى شرم الشيخ بمصر، وأعادوا تقديم مبادرة عربية لإنهاء الصراع، كان ردّ إسرائيل عليهم بقرار من حزب الليكود الحاكم هو تراجعهم عن الاعتراف بدولة فلسطينية، بل إن الأمور خرجت عن حدود المعقول عندما أعلن الجنرال «أليعازر» وزير الحرب الإسرائيلى فى حكومة شارون ورئيس حزب العمل، قائلا:

«إن هذه الحرب لا تعترف بالحدود الجغرافية لإسرائيل أو للسلطة الفلسطينية، وإنها قد تخرج عنها إلى ما جاورها من دول عربية».

- ولم يكن خافيا أن شارون قد أخذ الضوء الأخضر من «بوش» ليشن حربا غير أخلاقية ولا إنسانية على المدنيين فى فلسطين، وأن الولايات المتحدة ستمده بمزيد من الأسلحة الفتاكة المحرمة دوليا من أجل القضاء على الوجود الفلسطينى، أى ترك الفلسطينيين بين خيارين.

الأول: الموت بهذا السلاح الفتاك والموت جوعا وعطشا ومرضا!!

والآخر: الهروب من بلادهم والالتجاء إلى أى بلد عربى أو غيره!! والعجيب أن تدعى أمريكا مع مشاركتها فى أعمال إسرائيل الإجرامية أنها راعية للسلام وحدها، وبشرط

الا يتدخل احد فى إيقاف المجازر اليومية التى ترتكبها إسرائيل، تدعى الولايات المتحدة ذلك وتمد إسرائيل بآليات الحرب وبالمال وبالدعم وباستعمال حق الاعتراض فى مجلس الأمن إذا أدينت إسرائيل على اى جريمة من جرائمها!!

– ولم يستطع العرب حتى الآن أن يفعلوا شيئا مع الوحش الإسرائيلى ومدرّبه الامريكى إلا أن يتوسل أحد مسئوليهم فى خزى ومذلة لامريكا والغرب وإسرائيل لكى توقف هذه الحرب، أو أن يقترح بعضهم مبادرة سلام، وهذه أو تلك إنما هى لغة يخاطب بها الإنسان، أما الوحوش الضارية ومدربوها فما ينبغى أن يخاطبوا بهذه اللغة لأنهم لا يفهمونها.

ولو كان شارون أو حكومته أو جيشه من بنى الإنسان لاستجابوا لنصائح الحكماء من اليهود أنفسهم الذين يدركون مالا يدركه هؤلاء المتوحشون؛ فقد كتب أحد عقلاء اليهود: «مارتن كريفلد» أستاذ التاريخ بالجامعة العبرية بالقدس فى مجلة «النيوزويك» الأمريكية الصادرة فى ٢ / ٤ / ٢٠٠٢م يقول منبها وناصحا لليهود بنى جنسه: «إن مستقبل إسرائيل يبدو قاتما، ومن الغريب أن يقال ذلك على دولة تملك أحد أكثر الجيوش قوة على سطح الأرض، ولكن قوة إسرائيل هذه هى التى تعمل ضدها.. نعم سوف يراق دم فلسطينى أكثر من الدم اليهودى، ولكن على المدى البعيد لن تجد إسرائيل مخرجا، فإذا تواصلت الانتفاضة فإنها ستهزم إسرائيل، كما سبق أن هزُم الامريكيون فى فيتنام، والسوفيت فى أفغانستان.. إن ما تعنيه الهزيمة هنا هو أن إسرائيل وهى تترنح تحت الضربات المتواصلة للانتفاضة الفلسطينية سوف تمحى من الوجود كنظام سياسى فعَّال. كما أن الانتفاضة سوف تشعل حربا أهلية بين اليهود أنفسهم..

والآن إذا لم تقم إسرائيل بما يجب عمله، فإنها تقف فى مواجهة خطر مميت، ليس فقط فى أن تخسر الصراع، بل وأيضا فى أن تخسر روحها المعنوية، حتى بنت حولها جدارا يطاول عنان السماء.

● وماذا نقول بعد أن سجلنا هذه الحقائق؟

– نقول: إن على العرب والمسلمين فى العالم كله، وما أكثرهم، إذ أصبحوا قريبا من ربع سكان العالم أو خمسه عدداً، ومقدرات اقتصادية؛ عليهم أن يعلنوا قولا وفعلا تاييدهم المطلق للحق الفلسطينى وللانتفاضة التى تناضل من أجل هذا الحق، لأن هذه

الانتفاضة دفاع شرعى عن النفس والأرض والعرض، ومقاومة للعدو مشروعة فى كل دين وفى كل نظام.

وعليهم أن يؤكدوا أن الجهاد فى سبيل الله هو وحده الذى يتيح للفلسطينيين والعرب استعادة الأرض والكرامة، وهو السبيل الأمثل للتعامل مع هذا العدو الإسرائيلى المتوحش الذى يهاجم المدنيين أطفالا ونساء وشيوخا ومرضى، إن الجهاد هو الرد الطبيعى على هذه الوحشية، وإن الاستشهاد فى سبيل الله هو التعويض الأمثل عن حرمان الفلسطينيين من السلاح.

– ونقول كذلك: إنه لا أمل فى التعويل على قرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها، على الرغم من أن المادة السابعة الخاصة بتعريف العدوان تقرر: أن للشعب الفلسطينى الحق فى الكفاح المسلح من أجل الحرية والاستقلال، وتعتبر أنه يخضع لاحتلال عسكرى عنصرى، وتعطيه الحق فى التماس الدعم وتلقِّيه من الغير.

– بل إن القرارات التى أصدرها مجلس الأمن لصالح التسوية الفلسطينية، فى غيبة حق الاعتراض الأمريكى النادر – ابتداء من القرارين: ٢٤٢و٣٣٨ وإلى القرارات: ١٤٠٢ و١٤٠٣ و ١٤٠٤ و ١٤٠٥ لم تُجْدِ فتيلا فى أن تكف إسرائيل وحشيتها، فضلا عن أن تنسحب من الأراضى الفلسطينية.

ذلك أن إسرائيل – بتأييد أمريكا واستعمالها حق النقض – تعتبر فوق كل القوانين والقرارات مهما تكن جهة صدورها!!

– إن إسرائيل بأعمالها الوحشية الهمجية تجعل من تعبيرات:

الشرعية الدولية..

والقانون الدولى..

وحقوق الإنسان..

وحق الدفاع عن النفس..

وحق مقاومة الاحتلال..

وحظر استعمال الأسلحة المحرمة دوليا..

وحظر تعرض الجيوش النظامية للمدنيين..

وحظر العقاب الجماعى..

وحظر طرد المواطنين من مساكنهم وبلادهم..

وحظر قتل الأسرى أو تعذيبهم..

وحظر منع عربات الإسعاف والإنقاذ من ممارسة عملها..

وحظر منع الطعام والمياه عن المدنيين..

إن إسرائيل جعلت من هذه التعبيرات أو المصطلحات التى أقرتها هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، جعلت من كل ذلك حبرا على ورق وفرغته من محتواه، وعملت على أن تنتهك ما تشاء من القوانين والنظم، وعندما تتعرض إسرائيل لأى نقد من أى أحد فى مجلس الأمن؛ تسارع أمريكا التى اعتادت ممارسة جرائم الحرب كما اعترف المعارضون الأمريكيون فى الخطاب الذى ذكرناه آنفا، تسارع فى استعمال حق النقض ضد أى إدانة لجرائم إسرائيل المرئية والمسموعة!!

- وإن حق النقض المكفول لدول استعمارية استيطانية بتاريخها بل بأعمالها، لهو التمييز نفسه، وهو التحدى الحقيقى للشرعية الدولية، إنه سبة فى جبين هيئة الأمم وفى نظامها الأساسى، بل إنه يفقد هيئة الأمم المتحدة مصداقيتها فى أن تتحد على السلام، ويجعلها متحدة ضد الدول الضعيفة أولا ثم ضد سائر الدول التى ليس لها حق النقض بعد ذلك!!

- وإن مجلس الأمن مع استعمال أو مشروعية حق النقض، يعتبر حتمًا مجلسًا لأمن الدول القوية صاحبة حق النقض، بل على سائر هذه الدول أن تلعق جراحها وأن تودع أمنها وحقوقها وكرامتها، بل إنسانيتها كلما استعملت إحدى الدول المستبدة الظالمة حق النقض، تفعل هذا أو تذهب إلى الغابة لتعيش هناك.

- وما ينتهى عجبى من الدول التى تنضم إلى هيئة الأمم المتحدة مع يقينها بإقرار حق النقض أنها هيئة عنصرية تقوم على التمييز والتحيز، وما أنصفت مظلوما إذا كان ظالمه إحدى الدول التى تتميز بحق النقض للقرارات الصادرة عن مجلس الأمن.

ونقول كذلك والأسى يملأ جوانحنا:

إنه بعد عقد اتفاقيتى «كامب ديفيد» بين مصر وإسرائيل سنة ١٩٧٨م أصدرت

الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ٣٣/ ٢٨ الصادر فى ٢٧/ ١٢/ ١٩٧٨م، وقد جاء فيه: « تعلن الجمعية العامة أن صحة أى اتفاقات ترمى إلى حل قضية فلسطين تستدعى أن تتم الاتفاقات داخل إطار الأمم المتحدة وميثاقها وقراراتها على أساس نيل شعب فلسطين وممارسته على وجه تام، حقوقه الثابتة، بما فى ذلك، الحق فى العودة والاستقلال الوطنى والسيادة الوطنية فى فلسطين وباشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى هذه الاتفاقات ».

وعلى الرغم من صدور القرارات العديدة من مجلس الأمن، وعلى الرغم من التوصيات الصادرة من الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح الحق الفلسطينى فى الظاهر إلا أن الحقيقة أن شيئا منها لن ينفذ لأنه لو اتخذ قرار لصالح فلسطين فإن حق النقض الأمريكى يثبطه ويقضى عليه، هذا تعليل لعدم تنفيذ هذه القرارات.

وتعليل آخر لعدم تنفيذها هو أن الأمم المتحدة لم تستطع بسبب أمريكا وسلاح حقها فى النقض - أن تفرض على إسرائيل عقوبات من أى نوع إذا لم تنفذ القرارات، كما فعلت العقوبات فعلها ضد العراق وليبيا والسودان وسوريا وإيران - مثلا - لأن إسرائيل - بسبب أمريكا وحقها فى النقض- فوق القرارات بل فوق هيئة الأمم ومجلس الأمن، وفوق القوانين، وفوق العالم كله، العالم الخاضع حقيقة للدولة القطب الولايات المتحدة الأمريكية.

- وكل عمل إجرامى تقوم به إسرائيل ضد الفلسطينيين والعرب والمسلمين وبخاصة الجماعات الإسلامية، وكل اغتيالات وعدوان على سماء بعض البلاد العربية أو أرضها أو مياهها، مدعوم تماما بالولايات المتحدة الأمريكية ومعظم دول الغرب واتحاد روسيا.

- وكل تحد إسرائيلى للقيم الإنسانية وللأعراف الدولية وللحق وللعدل، بل كل تحد منها للأديان ذاتها، مدعوم كذلك بالولايات المتحدة الأمريكية وبكثير من دول الغرب واستراليا.

- وكل وصف بذىء تصف به إسرائيل العرب والمسلمين والحضارة الإسلامية، تنسج على منواله أمريكا ودول الغرب واستراليا وكندا والاتحاد الروسى، لكن إن وصفت إسرائيل بصفاتها المعروفة عنها منذ بداية تاريخها ومنذ كذبهم على أبيهم يعقوب (إسرائيل) عليه السلام ومحاولة قتل أخيهم وحقدهم وحسدهم وجرائمهم فإن ذلك يعد عداءً للسامية!!

ومن عادى السامية عليه أن يتحمل لعنة اليهود ولعنة العالم الممالئ لليهود ويقدم إلى محاكمات ظالمة ويدان بكل تأكيد!!!

وبعد :

فإن كل ما حدث من إسرائيل فى فلسطين وفى العالم العربى والعالم الإسلامى، لم تنجح فيه إسرائيل إلا لأن الجهاد فى سبيل الله قد غاب عن المسلمين أو غيب دونهم، أو شُوِّه فخلطوه بالإرهاب والعنف، وأدانوا المجاهدين وتعقبوهم اعتقالا وسجنا بعد محاكمات صورية أمام قضاء استثنائى!!

والخاسر فى غياب الجهاد وتشويهه وإدانته هو فلسطين والأمة العربية والأمة الإسلامية.

وبكل تأكيد لن يستطيع الفلسطينيون ولا العرب ولا المسلمون فى شتى أقطار الأرض أن يستعيدوا أوطانهم المغتصبة أو الخاضعة لنفوذ الأعداء، ولن يستطيعوا السيطرة على مقدراتهم الاقتصادية إلا بأن تحيا فيهم روح الجهاد فى سبيل الله لدعم ما يمكن أن تقوم به الجيوش النظامية فى العالمين العربى والإسلامى.

٣- والإعداد لضرب العراق من جديد :

- وُجِّهتْ الضربة الأولى للعراق بإغرائه بشن حربه على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولا شك عندى فى أنه قد كانت الولايات المتحدة الأمريكية وراء هذا الإغراء بحرب ضد إيران، لما أصيبت به أمريكا من ألم سياسى واقتصادى بنجاح الثورة الإسلامية فى إيران وسقوط نظام الشاه الموالى لأمريكا!!

وقد كانت هذه الحرب ضربة للعراق لأنها استنزفت قدراته العسكرية الاقتصادية وأزيد والإسلامية، لأن إعلانه الحرب على دولة إسلامية ليس له مبرر شرعى إذ كان التفاهم كافيا لوصول كل صاحب حق إلى حقه.

- ووجهت الضربة الثانية للعراق عندما أغروه بضرب الكويت بل الاستيلاء عليها وتدميرها تدميرا شبه كامل، لا يقوم به إلا مجنون فقد مع عقله عروبته وحق الجار، وخلق الإسلام.

وكانت الضربة موجهة إلى العراق ممن أغروه باجتياح الكويت لا السعودية، ولم تكن الضربة تستهدف مجرد إجلاء العراق عن الكويت، واستعادة استقلال الكويت أرضا ومقدرات وأسرى وحقول نفط، وإنما تجاوزت ذلك بتكالب أعداء العرب والمسلمين من يهود وأمريكان وغربيين لكى يجعلوا من حرب عاصفة الصحراء فرصة ذهبية لدعم

اقتصادهم أولا، وإقامة قواعد عسكرية لهم فى العالم العربى ثانيا، والعمل على زيادة مدّ إسرائيل بالسلاح المتطور والمال المتدفق لتكون رأس حربة فاعلة فى العالم العربى باستمرار، وبغير توقف مرحلى فى الزمان أو فى المكان.

● لقد كان ضرب العراق للمرة الثانية يستهدف عند الأعداء السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية على العالم العربى.

وخرج العراق من الكويت مقهورا مثخنًا بالجراح مشيَّعًا بلعنات المنصفين من العرب والمسلمين، موثقا بقيود غليظة من قرارات مجلس أمن أمريكا وإسرائيل التابع لهيئة الأمم المتحدة!!

ثم جاع العراق ومات أطفاله سوء تغذية ومرضًا، وقيادته السياسية معافاة من كل شر!!

ثم جاء برنامج: «النفط مقابل الغذاء» فكان برنامجا يستهدف أولا وثانيا صالح الأعداء والشركات الأمريكية والبريطانية وغيرها، ويستهدف ثانيا صالح إسرائيل، وأخيرا لمد العراق ببعض الغذاء والدواء بشرط ألا يكون كافيا أو قادرا على إنقاذ الشعب العراقى من آلامه وأوجاعه!!

ثم كانت مناطق الحظر، ولجان التفتيش على الأسلحة، وضرب شمالى العراق وجنوبيه، ثم كانت فكرة ضرب العراق من جديد، وبخاصة بعد العدوان الغربى الأمريكى الوحشى على أفغانستان وبعد الأعمال الوحشية الإجرامية التى ارتكبتها إسرائيل فى الضفة الغربية بكاملها وقطاع غزة.

وإسرائيل صاحبة المصلحة الأولى فى ضرب العراق مرتين والإعداد لضربه من جديد، وهى تدفع إلى ذلك مجلس الأمن القومى الأمريكى ووزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون».

● ثم أصدر مجلس الأمن قراره المؤرخ فى ١٤من مايو سنة ٢٠٠٢م، بتعديل نظام العقوبات المفروضة على العراق منذ عام ١٩٩٠م بالقرار رقم ٦٦١ لسنة ١٩٩٠م.

وقد سمى القرار الجديد الصادر فى ٢٠٠٢م بالعقوبات الذكية ومعنى الذكاء عندهم هو منع العراق من استيراد المواد التى قد تستخدم فى إنتاج أسلحة «بيولوجية» أو نحوها.

- وهدف العقوبات الذكية أن تتنصل الولايات المتحدة الأمريكية من مسئوليتها عن الدمار الاقتصادى والاجتماعى الذى حاق بالعراق من جراء عقوبات ١٩٩٠م وعدوان

أمريكا وبريطانيا على مناطق عديدة فى العراق، كان العراق هو المسئول عما أصابه وليس أمريكا وبريطانيا ومن ورائهما إسرائيل!!!

– وقد أصرت الولايات المتحدة الأمريكية على أن يصدر قرار مجلس الأمن بالعقوبات الذكية متضمنًا اعتراف مجلس الأمن بأن العراق لا يزال يحمل خطرًا يهدد السلم والأمن الدوليين، وقد استجاب مجلس الأمن لرغبة أمريكا دون تردّد كما هو شأنه دائمًا.

● وعند التأمل والتدبر فى عزم الولايات المتحدة وحلفائها التقليديين على ضرب العراق من جديد، نجده يدعم فكرة أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية امبراطورية عالمية لا يملك أحد أن يعارضها فيما تريد، مهما كان ما تريده متعارضًا مع المبادئ التى أقرتها هيئة الأمم المتحدة مثل:

– حق الأمم فى تقرير مصيرها بنفسها، دون تدخل أجنبى وهو مبدأ أقرته هيئة الأمم المتحدة منذ إنشائها، ونُصّ عليه مع قرب نهاية عصر الاستعمار الأوربى، أى فى خمسينيات القرن العشرين.

– وحق الشعوب فى تغيير حكامها دون تدخل أجنبى، عن طريق الانتخابات ونحوها من وسائل التغيير.

– وحق الشعوب فى الدفاع عن نفسها وعن أرضها ومقدراتها الاقتصادية، بكل وسائل المقاومة.

● ويرى الاتحاد الروسى – وهو يتظاهر بصداقة العراق وما هى بصداقة ولكنه يخشى على ديونه أن تضيع إذا ذهب نظام الحكم فى العراق- كما يرى كثير من دول أوربا التى تربطها بالعراق روابط اقتصادية، كما يرى بعض العرب والمسلمين يرون جميعًا أن الطريق الوحيد لتجنيب العراق الضربة المتوقعة من أمريكا وحلفائها: هو الإذعان لرغبة الولايات المتحدة فى أمرين هما:

– تعديل نظام العقوبات ضد العراق الصادر فى عام ١٩٩٠ إلى نظام العقوبات الذكية التى تفرض على العراق ماذا يشترى.

– وإعادة نظام التفتيش على أسلحة الدمار الشامل الذى كان العراق قد قبله ثم تأكد أن المفتشين جواسيس لأمريكا فرفضه.

● وذلك فى نظر أصحاب المصالح مع العراق أو إخوانه من العرب والمسلمين قد يكف أمريكا عن ضرب العراق من جديد.

وليس ذلك بصحيح، لأن الولايات المتحدة صرحت أكثر من مرة أن عودة المفتشين لن تلغى فكرة غزو أمريكا للعراق من جديد.

بل إن بعض المراقبين والمتابعين لموقف الولايات المتحدة من العراق يؤكدون أن غزو العراق قد تقرر، ولم يبق غير اختيار التوقيت، بل يرى بعضهم أنه حدد وقته بالفعل ما بين شهرى سبتمبر عام ٢٠٠٢م ويناير عام ٢٠٠٣م.

● فماذا يملك العراق؟ بل ماذا يملك العالم من وسائل ضغط تمنع الولايات المتحدة الأمريكية عن ضرب العراق من جديد؟

– أما العراق: فيملك التهديد بضرب جيرانه وبخاصة الكويت والسعودية.

ويملك التلويح بأن لديه أسلحة كيماوية، فقد صرح نائب الرئيس العراقى قائلاً: إن العراق يعمل من أجل الارتقاء بالمستوى العلمى والتقنى، وهذا لا يعنى بالضرورة قيام العراق بتطوير أسلحة دمار شامل كما تدعى واشنطن، ونحن لا نريد الحرب ولا العدوان ولكن حينما تفرض علينا الحرب فإننا نعتزم إيقاع الأذى بهذا العدو، ولا يشترط أن يكون الرد عسكريًا فقط وإنما يكون فى كل الاتجاهات.

– وأما ما يملكه العالم العربى والعالم الإسلامى فإنه – نظرًا للظروف التى تسيطر فيها أمريكا على دول العالم كله – متواضع، إذ إنه قد يعترض وقد يرفض وقد يدين ويشجب، بسبب خسارته السياسية والاقتصادية والقومية من ضرب العراق، ولكنه قد يملك – مع ذلك – النصيحة التى يقدمها للعراق بأن يسمح للمفتشين بالعودة، والنصيحة للولايات المتحدة بأن ضرب العراق من جديد يضر بالمنطقة كلها وبمصالح أمريكا فيها.

ولم تستجب أمريكا لضغوط المظاهرات العالمية الرافضة لضرب العراق، وقامت بغزوه فعلاً فى ٢١ مارس ٢٠٠٣م، دون شرعية دولية ولا اعتبار لهيئة الأمم المتحدة.

● غير أن الولايات المتحدة الأمريكية الدولة القطب ما تعودت ولا هى بقابلة لنصيحة تأتيها من دول العالم الثالث وبخاصة من العرب والمسلمين.

– والذى يؤكد ضرب أمريكا موقفها من العراق وعدوانها عليه، أمور لا تخفى على فطنة أمريكا وحلفائها من دول الغرب، منها:

* عجز الدول العربية والإسلامية عن أن تفعل شيئًا ذا بال فى مواجهة إسرائيل ومجازرها الوحشية فى الضفة الغربية وغزة، مع يقينها بأن من وراء إسرائيل أمريكا، ومع مشاهدة الأسلحة الأمريكية فى عدوان إسرائيل على الفلسطينيين!!!

* وعجز العالمين العربى والإسلامى عن إثناء الولايات المتحدة الأمريكية عن الأعمال الوحشية التى ترتكبها الولايات المتحدة فى أفغانستان، وما تهدره من حقوق الإنسان مع الأسرى الذين تنقلهم من أفغانستان إلى «جوانتانامو»!!!

* وعجز العرب والمسلمين عن عمل شىء لإيقاف مجازر الصرب والكروات فى البوسنة والهرسك وكوسوفا، وعما فعلته أمريكا والغرب فى إيقاف ذبح المسلمين فى البلقان كله، وصبرهم على اتخاذ قرار بإيقاف المذابح حتى تصل المذبحة إلى منتهاها ثم حل القضية على حساب المسلمين!!!

* وكذلك عجزهم عن عمل شىء لإيقاف مجزرة الروس فى الشيشان من المجازر إلى المقابر الجماعية إلى اغتصاب النساء وقتل الأطفال والشيوخ، وحمل الناس على الهجرة من بلادهم، ووقوف المجتمع الدولى كله ينتظر حتى تصل المذبحة إلى منتهاها أيضًا ولكن بدون حل حتى لو كان على حساب مسلمى الشيشان!!!

● لذلك صرح الرئيس الأمريكى «جورج بوش الابن» قبل رحلته إلى أوربا فى العشرين من مايو عام ٢٠٠٢م بقوله للصحف: «إن الحكومة العراقية خطيرة وإنه يجب الاهتمام بأمرها، لكن لا توجد خطط عسكرية لاستخدامها ضد بغداد فى الوقت الحالى».

وأشار «بوش» إلى الخطر الذى يكمن فى إقامة علاقة بين المجمعات المتطرفة مثل: تنظيم القاعدة ودول قادرة على إنتاج أسلحة غير تقليدية، محذرًا فى هذا المجال من أن العراق يشكل تهديدًا على الشعوب الأوربية نفسها.

– ثم صرح الرئيس الأمريكى «بوش» أن الحرب الأمريكية ضد العراق أكيدة، وتغيير النظام فى بغداد مسألة أسابيع أو أشهر.

«كما صرح مسئولون كبار فى إدارة الرئيس بوش ووزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» بأنهم يبحثون جيدًا فى «سيناريو» جديد لا يخلو من المخاطر يقوم على استهداف

العاصمة العراقية بغداد مباشرة بالإضافة إلى واحد أو اثنين من مراكز القيادة ومستودعات الأسلحة أولاً، وذلك بهدف عزل القيادة وبالتالى إحداث انهيار سريع للحكومة(١).

وبعد:

فهذا العبث بحقوق العرب والمسلمين على مستوى العالم كله، أكان يمكن أن يكون لو أن فريضة الجهاد فى سبيل الله غير غائبة؟

ومهما قالوا عن الجهاد والمجاهدين، فإنه قول أعداء دأبوا على المغالطات والتضليلات...

لكن الذى نقطع به وهو الحق أن المجاهد الحق الذى يفهم دينه ويعرف قيمة الجهاد فى سبيل الله، ووظيفته فى الحياة الإنسانية لا يمكن أن يكون مصدر تهديد لأبناء دينه أو وطنه، ولا مصدر عدوان على الآمنين من المدنيين، كما تفعل إسرائيل وأمريكا، فمن هم الإرهابيون حقًا؟

٤ - والعمل على تفتيت بعض بلدان العالمين العربى والإسلامى:

وهذا آخر مظهر - وجهة نظرنا فى هذا الكتاب - من مظاهر العداوة للإسلام والمسلمين بشن الحروب على بلدانهم، الحروب القتالية كما هو الحال فى فلسطين وأفغانستان ومن قبلهما العراق، أو الحروب الممهدة للقتال مثل: تفريق صفوف المسلمين وضرب أى اتحاد أو وحدة بينهم بتفتيت أوطانهم وتجزئ بلدانهم فى العالمين العربى والإسلامى.

وبالحديث عن هذا العمل العدائى للإسلام والمسلمين نختم هذا الكتاب سائلين الله تعالى أن يثيبنا على ما بذلنا فيه من جهد قصدنا به وجهه سبحانه وتعالى.

- يحاول أعداء الإسلام والمسلمين ما وسعتهم الحيل وما واتتهم القوة أن يفتتوا بلدان العالمين العربى والإسلامى، فى عمليات تقسيم وتجزىء مقصودة معروفة الأهداف والنتائج، مجملها أن لا تقوم للعرب أو المسلمين دولة قوية أو ولايات متحدة، أو حكومات يجمعها اتحاد أو وحدة.

كان ذلك شأن الأعداء قديما ووسيطا وحديثا، لأنهم متربصون بنا دائما، ما يرون أى سبب من أسباب التقارب بين المسلمين إلا ضربوه فى مقتل وقضوا عليه فى مهده، منذ اتفاقية «سايكس بيكو» عام ١٩١٦م التى هى تفاهم سرى استعمارى استيطانى بين قطبى الاستعمار آنئذ بريطانيا وفرنسا وبموافقة روسيا القيصرية على تفتيت دولة الخلافة العثمانية وتوزيع بلدانها أسلابا بين الدول الاستعمارية، اتباعا لسياسة «فرق تسد» وخوفا من أن يكون للمسلمين ما كان لهم من كيان سياسى واتحاد قوى من قبل.

---

(١) صحيفة الأهرام الصادرة فى ١١/٨/٢٠٠٢م بعنوان: «العراق هو الهدف قبل صدام» للأستاذ إحسان بكر.

منذ ذلك الحين، وإلى يوم إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م وما تبعها من مخططات إسرائيل والغرب وأمريكا، وعدوان إسرائيل على العرب عام ١٩٦٧م، واتساع نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية فى العالمين العربى والإسلامى بعد انتهاء حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥م وعودة الاستعمار الغربى الاستيطانى فى العالمين العربى والإسلامى بأساليب جديدة من السيطرة الاقتصادية والعسكرية من خلال اتفاقية التجارة العالمية، والنظام العالمى الجديد والعولمة، بحيث لم يعد بلد من بلدان العالمين العربى والإسلامى قادرا على أن يتخذ قرارا من غير أن يحظى برضا هؤلاء الأعداء على هذا القرار.

فماذا فعل هؤلاء الأعداء لتفتيت العالمين العربى والإسلامى؟

بدأوا بما ينبغى أن يبدأ به كل عدو يحاول القضاء على عدوه، وهو:

- ضرب المبادئ التى قام عليها منهج الإسلام ونظامه.
- وضرب القيم الإسلامية عموما.
- وضرب أسباب الوحدة بين المسلمين أو بين العرب.

● ضرب المبادئ التى قام عليها منهج الإسلام ونظامه:

وأهم هذه المبادئ التى يقوم عليها النظام الإسلامى هى المبادئ التى لها صلة بسياسة الحكم ونظامه وهى:

- مبدأ المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

وقد ضربوا هذا المبدأ فى صميمه عندما اختاروا أو اصطنعوا حكاما مستبدين يهدرون هذا المبدأ إهدارا، ويجدون كل التأييد من هؤلاء الأعداء!!!

- ومبدأ الشورى، الذى يوجب أخذ رأى الأمة فى كل ما له أهمية فى حياتها سلما أو حربا، وقد أهدروه من خلال حكام ربوهم فى مدارسهم، وأغروهم بالاستيلاء على الحكم وجعل الشورى شكلية وغير ملزمة!!!

- ومبدأ طاعة ولى الأمر فى غير معصية لله، لكى تستقيم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى السلم والحرب، لأن طاعة ولى الأمر واجبة شرعا وبغيرها تفسد الحياة وتضيع الحقوق وتعطل الواجبات، وقد نقضوا هذا المبدأ باصطناع الانقلابات العسكرية والإتيان بقادة مستبدين لا يحظون بالطاعة إلا بأن يرهبوا الناس بالمعتقلات

والسجون والمحاكمات الظالمة.!!!

- ومبدأ الحريات ابتداء من حرية الاعتقاد والفكر إلى حرية التعبير والنقد إلى حرية العمل والكسب والتملك، وما يترتب على هذا المبدأ من حقوق عديدة للإنسان، وقد ضربوا هذا المبدأ بقسوة يوم كانوا يحكمون البلاد، ثم عندما أُخرجوا تركوا فى البلاد من يتنكر لهذا المبدأ، حتى تضطرب البلاد، ويتعادى الحكام والمحكومون فلا تقوم للبلاد قائمة.

وغير ذلك من المبادئ العديدة القادرة على إقامة حياة إنسانية كريمة مثل:

مبدأ الحكم بما أنزل الله.

ومبدأ اختيار الحاكم وفق شروط بعينها.

ومبدأ العدالة الاجتماعية.

ومبدأ المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات.

ومبدأ إنصاف المرأة واحترام حقوقها.

ومبدأ التربية وفق منهج الإسلام وقيمه.

وغير ذلك من المبادئ الإنسانية الرفيعة.

- وضرب القيم الإسلامية عموما:

وإذا كانت القيم أحكاما مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها على الناس والأشياء، وتحدد مجالات تفكيره وسلوكه، فإن الظروف الاجتماعية فى ظل منهج الإسلام محكومة بما جاء به الإسلام من أمر ونهى وحلال وحرام.

والقيم الإسلامية التى تحكم سلوك المسلمين عديدة بل متشعبة فى كل مرفق من مرافق الحياة الإنسانية، وأبرز هذه القيم هى:

- القيم الاجتماعية، وتدخل فيها مئات القيم.

- والقيم الخلقية، وتدخل فيها مئات القيم أيضا.

- والقيم العقلية أو المنطقية، ويدخل فيها كثيرة من القيم.

- والقيم الجمالية، ويدخل فيها كل ما يتصل بالجمال والحق والخير و.... إلخ.

وغيرها من القيم الأخرى.

وكل القيم الإسلامية - وهى فوق الحصر فى هذا الكتاب - جديرة بأن يرغب فيها الإنسان ويتمسك بها ويحترمها ليعيش حياة إنسانية كريمة.

● وهذه القيم عندما يتمسك بها المسلمون يصبحون خير أمة أخرجت للناس، لأنهم بهذه القيم يؤمنون بالله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وبهذه القيم يصبحون الأمة الوسط التى يشهد أهلها على الناس أى يقررون الحق، ويكونون عدولا أهل خير.

● وبهذه القيم الإسلامية والتمسك بها لا يستطيع عدو أن ينفذ إلى الأمة الإسلامية من نقطة ضعف فيها وكيف تضعف وهى تتمسك بقيم جاء بها خاتم الرسل واشتمل عليها خاتم الأديان؟

● ومن أجل ذلك كان أعداء الإسلام والمسلمين أشد حرصا على محاربة التمسك بالقيم الإسلامية فى كل بلد عربى أو إسلامى وقع تحت سيطرتهم، لأن التمسك بهذه القيم يعنى أول ما يعنى تحرر الوطن والمواطن من نفوذ العدو وسيطرته.

فماذا كانت وسائل الأعداء فى ضرب القيم الإسلامية؟

تعددت وسائلهم فى ضرب القيم الإسلامية أى الكيان النفسى الروحى والعقلى والاجتماعى والسياسى للمسلمين، ومن وسائلهم فى ذلك:

- الإزراء بالقيم الإسلامية والتهوين من شأنها، واتهامها بأنها قيم رجعية قديمة يجب تجاوزها والتخلى عنها، مع الإعلام بذلك والإعلان عنه فى المنتجات الإعلامية من كتب وقصص ومجلات وصحف ونشرات وأغانى و«نكت» وغير ذلك مما يستهدف تشويه القيم الإسلامية، وينفر الناس من التمسك بها، ولن يتعب أحد فى تعرف هذه المنتجات الإعلامية التى تسخر من القيم الإسلامية.

ومما هو جدير بأن يلحظ أن القائمين على الإعلام فى معظم بلدان العالمين العربى والإسلامى ينظرون إلى القيم الإسلامية على أنها ضد الحداثة والعصرية أى ضد الحضارة الغربية التى تجعل من الحداثة هدفا حتى لو ترتب على الأخذ بها هدم البيت والمعبد معا!!!

- وإحلال القيم المعادية للإسلام محل القيم الإسلامية، فيما يتصل بكثير من أنواع السلوك الاجتماعى مثل:

أزياء الرجال التى لا تليق إسلاميا بالرجال.

وازياء النساء التى لا يجوز للمسلمة أن تتزيا بها.

وفرض اختلاط البنات بالبنين فى مراحل التعليم التى يكون كل منهما قد بلغ مبلغ الرجال أو النساء.

والتساهل أو التغافل عن التعامل مع ما حرم الله من شرب خمر ولعب ميسر، وانحراف نحو عدد من الرذائل دون رادع من البيت أو المدرسة أو المجتمع، بحجة الحرية الشخصية!!!

وعدم تجريم الزنا إن كان برضا الطرفين من غير المتزوجين.

والتهاون مع من يفطر فى شهر رمضان جهارا.

إلى غير ذلك من القيم المخالفة للإسلام، وتلك طريقة خبيثة فى تنحية القيم الإسلامية وإبعاد المسلمين عن دينهم.

- ونشر المخدرات والمفتِّرات فى المجتمع لضربه فى شبابه صحيا وعقليا وأخلاقيا، وإذا ضعف الشباب فى هذه النواحى فقد المجتمع عناصر قوته وتقدمه، وقدرته على مواجهة مشكلاته بالحلول الملائمة لها، فضلا عن قدرته على مواجهة أعدائه وما يكيدون له.

إن تدمير الصحة عموما والعقل خصوصا بهذه المخدرات هدف للأعداء وفى مقدمتهم اليهود لأن من يتابع جهودهم فى نشر المخدرات وتيسير الحصول عليها فى العالمين العربى والإسلامى فإنه يجد عجبا!!! إذ ما يمر شهر أو شهران إلا وتضبط قضية فى تهريب المخدرات إلى داخل بلد عربى أو إسلامى يكون المدان فيها طرفًا يهوديًا مباشرًا أو غير مباشر!!!

إن اليهود يعرفون أن انتصارهم على العرب والمسلمين بنشر المخدرات وغيرها من وسائل إفساد الشباب، يجب أن يكلفهم مثل ما تكلفهم الحروب بل ربما كانت المخدرات أفعل فى تفريغ الشباب من أسباب مقاومة المحتل.

إن اليهود دائما يتعاملون فى معاركهم بأى أسلحة مهما تكن غير أخلاقية، ذلك شأنهم دائما فى تاريخهم كله قبل أن تكون لهم دولة، فما بالنا وقد أقاموا دولة؟

فهل يمكن لمن شاعت فيهم المخدرات من العرب والمسلمين أن يتخذوا خطوات جادة نحو اتحاد أو وحدة، ليواجهوا بهذا الاتحاد عدوا ضاريا يحارب بكل سلاح؟

- وإشاعة الفساد الأخلاقى مع التركيز على الانحرافات فى مجال الجنس، وهذه ضربة للقيم الإسلامية التى حرمت الزنى واعتبرته من الفواحش وعاقبت عليه وجرمته بعد أن يسرت سبيل التعبير عن الغريزة الجنسية بالزواج وقاومت كل العقبات التى تقف فى طريق الزواج.

إن الأعداء يحرصون الحرص كله على تجنيد الساقطات من أهل البلاد المستهدف إفسادها، فإن لم يجدوا عددا يشيع هذا الفساد استوروده من بلاد أخرى فيما أصبح اليوم يشبه الاتجار فى الرقيق الأبيض.

ولهم فى سبيل إشاعة الفوضى الجنسية مقولات معروفة بل لهم مؤتمرات يوصون فيها وصايا معادية لكل دين وليس للدين الحق وحده، ومن هذه التوصيات:

- إباحة اتصال الرجل بالمرأة من غير زواج.
- وإباحة إنجاب الأطفال من غير زواج.
- وإباحة الإجهاض.

ولم يكن ذلك مستغربا منهم ولا خارجا عن إطار ما اعتادوا عليه من فساد..

أليسوا هم الذين أباحوا زواج الرجل بالرجل «العلاقة المثلية»؟

أليسوا هم الذين جندوا الشاذين جنسيا فى الجيوش؟

أليسوا هم أصحاب قضايا التحرش الجنسى على أعلى مستوى حيث يمارسه بعض رؤساء الدول؟

أليسوا هم الذين يجندون البنات ولا يدينون الاتصال الجنسى بين المجندين والمجندات؟

ثم يقولون بكل صفاقة: الحضارة الإسلامية لا ترقى إلى مستوى الحضارة الغربية!!!(١)

---

(١) لست بصدد المقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، ولكنى شاهدت بنفسى وخلال تنقلاتى وسفرى إلى كثير من دول أوروبا وإلى الولايات المتحدة الأمريكية ما يلى:

- تفكك الأسرة، وتربية الأبناء بعيدا عن الأبوين، بل جهل كثير من الأبناء لآبائهم، وما يترتب على ذلك من أمراض نفسية وعصبية.
- الدول هناك تشجع على الإجهاض، ومن لم تجهض فولدت تكفل الدولة تربية هذا الوليد المنسوب إلى أسرة أمه غالبا.
- والتخلى عن رعاية الآباء والأمهات عند الشيخوخة وإيداعهم فى مآوى خاصة بهم، مع قدرة أبنائهم وبناتهم على رعايتهم وإلحاقهم بأسرهم الجديدة، فما بالنا بالجدود والجدات؟

إن الهدف من ذلك معروف، وهو ضرب القيم الإسلامية لعزل الإسلام عن حياة الناس، فإذا عزل الإسلام عن حياة الناس وسلوكهم ضاع الناس وضلوا، وضعفوا واستكانوا أمام أى عدو، ومن أين لهم القوة وقد فقدوا مصدرها وهو تشريع الله تعالى ومنهجه ونظامه؟

● وكلما ضربت المبادئ والقيم الإسلامية، فُرِّغت بلاد العرب والمسلمين من عناصر المقاومة لأعدائهم، أى من الرجال الأقوياء الغيورين على دينهم ووطنهم، وذلك من شأنه أن ييسر للأعداء غزو البلاد العربية والإسلامية غزوا فكريا ثقافيا فى البداية ثم غزوا اقتصاديا سياسيا إن لم يكن الغزو العسكرى.

وهل هناك تفتيت لوحدة العرب والمسلمين أسوأ من هذا؟

وهل هناك ظروف متواتية للهزائم التى يقع فيها المسلمون أكثر من تفتيت وحدتهم وعزلهم عن مبادئ دينهم وقيمه؟

● وضرب أسباب الوحدة بين المسلمين أو العرب:

الوحدة بين المسلمين مطلب دينى لا يتخلى عنه مسلم حاكم أو محكوم إلا وقد أتى معصية لله تعالى، لأنه تعالى عندما أنعم على البشرية بالدين الحق الإسلام أمرهم بالمحافظة عليه ملة واحدة متجانسة لا تنافر بين أحكامها، ونهاهم عن التفرق شيعًا وأحزابًا، وإنما يجب أن يتحدوا ويتعاونوا ويتكافلوا، وذلك يفهم من قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

والوحدة بين العرب مطلب دينى بوصفهم مسلمين، ومطلب قومى وطنى بوصفهم يتكلمون لغة واحدة، ولهم ثقافة واحدة، ويعيشون فى منطقة جغرافية واحدة، ولهم تاريخ واحد، ولهم أعداء معروفون، على مر تاريخهم وكر أيامهم هم من أسموا أنفسهم صليبيين وشنوا على العرب حربا أسموها صليبية، ثم جد عليهم عدو اصطنعه الغرب وغرسه فى جسدهم لحماية مطامع الغرب ومشاريعه الاستيطانية فى العالم العربى، ذلك العدو هو دولة إسرائيل التى اغتصبت فلسطين وطردت أهلها منها وشردتهم فى الآفاق وقتلت منهم ولا تزال تقتل خلقا كثيرا، تعاونها فى ذلك أمريكا ودول الغرب الاوروبى وغيرهما.

ولا سبيل أمام العرب فى استعادة فلسطين من أيدى مغتصبيها إلا باتحاد العرب أو

وحدتهم خطوة نحو القوة والتقدم والقدرة على المواجهة لهذا السرطان اليهودى من أجل اجتثاثه.

ولا سبيل أمام المسلمين فى استعادة بعض بلادهم المغتصبة واستعادة سيادتهم على معظم بلادهم إلا باتحادهم أو وحدتهم خطوة أساسية نحو القوة والتقدم والقدرة على مواجهة هؤلاء الأعداء، واسترداد البلاد واستعادة النفوذ.

● يدرك العدو ذلك كما ندركه، ولذلك يعمد إلى ضرب كل سبب من أسباب الاتحاد أو الوحدة بين العرب أو بين المسلمين، وتلك سياسته وتخطيطه قديما ووسيطا وحديثا وفى المستقبل، من أجل أن يظل محتلا للبلاد مستوليًا على مقدراتها الاقتصادية باسطا نفوذه السياسى والاقتصادى عليها.

– فإذا كان التفاهم والوئام بين الدول العربية أو الإسلامية هو الطريق إلى الاتحاد والقوة، فإن إثارة الخلافات واصطناع النزاع بين الدول العربية فيما بينها وبين الدول الإسلامية فيما بينها، وبين الدول العربية والإسلامية هو هدف الأعداء الأسمى، لأنه يقضى على الاتحاد والوحدة بين العرب والمسلمين.

– وإذا كانت العلاقة الطيبة بين الحاكم والمحكوم، وبين الحكام العرب والمسلمين تمهد لتوحيد الصفوف، وتفضى إلى التعاون فالقوة، فإن إثارة العداوات بين الحاكم والمحكوم، وبين الحكام العرب، وبين حكام المسلمين، وبث أسباب الفرقة والانقسام والخلاف بينهم هدف كبير من أهداف أعداء العرب والمسلمين.

ولو فتشت عن أى خلاف بين العرب أو بين المسلمين أو بين العرب والمسلمين فإنك تجد أصابع الأعداء وآثارهم فى هذا الخلاف أو النزاع، ما تستطيع أن تشك فى ذلك، أو تتجاهل وجوده إن كنت تحسن المتابعة وتحسن قراءة الأحداث.

إن حملة ضارية تشنها وسائل إعلام الأعداء عن قصد عندما تنشر بعض المخالفات أو بعض الانحرافات عن بعض الحكام، فيتحدث الناس بذلك فتتولد الكراهية للحكام، وتسوء العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهذا معناه تربص كل طرف بالآخر، وهذا بالتأكيد يؤدى إلى توقف التنمية بجميع أنواعها، لأن الحاكم والمحكوم كل منهما مشغول بغير ذلك.

– وإذا كان استثمار أموال المسلمين والعرب فى بلادهم يحقق تنمية اقتصادية واجتماعية

ويدفع بالبلاد نحو التقدم والرقى، فإن تشجيع استثمار أموال العرب والمسلمين فى الغرب الأوروبى فى أمريكا، يصبح هدفا للأعداء، يتوصلون إليه عن طريقين:

طريق تأمين هذه الاستثمارات فى الغرب والترحيب بها.

وطريق تهديد هذه الاستثمارات فى أوطانها باصطناع القلاقل والفتن ونحوها.

● والتنمية الاقتصادية والاجتماعية هى أقوى لبنات الاتحاد أو الوحدة بين العرب وبين المسلمين، وبين العرب والمسلمين، فلابد إذن من حرب هذه التنمية بحرمانها من البقاء في أرضها لتهاجر إلى أرض الأعداء، فتحول بينها وبين أن تكون سببا من أسباب الاتحاد أو الوحدة.

– وإذا كانت التجارة البينية بين العرب والمسلمين تسهم فى ترويج السلع والخدمات، بين هذين العالمين، وتمهد السبيل إلى سوق عربية أو إسلامية مشتركة، وتلك خطوة من خطوات الاتحاد بين المسلمين او وحدتهم، فإن مقاومة هذه التجارة البينية بين العرب والمسلمين وضربها فى صميمها بالترغيب فى الأرباح حينا، وبالترهيب من الحصار الاقتصادى الذى يمكن أن يفرضه الغرب على العرب والمسلمين حينا آخر، يؤديان معا إلى إيقاف التجارة البينية بين العرب والمسلمين أو جعلها هامشية، إن مقاومة هذا النوع من التجارة هدف رئيسى من أهداف الأعداء.

– وإذا كان التنسيق فى مجالى الزراعة والصناعة بين البلدان العربية والإسلامية خطوة فى طريق الاكتفاء الذاتى والاستغناء عن الاستيراد فى هذين المجالين، أى خطوة فى تحقيق الاتحاد أو الوحدة بين العرب والمسلمين، فإن محاربة هذا التنسيق واجب الأعداء الذى يكرسون له كل جهودهم المشروعة وغير المشروعة، وكلما خرجت دولة عربية أو إسلامية عن الإطار المرسوم لها فتفوقت زراعيا أو صناعيا، وضعت أمامها العراقيل ووجه إليها الخبراء العالميون ينصحون بما يحقق مصالحهم هم ويأخذون على ذلك أعلى الأجور، وفى إحدى بلدان العالمين العربى والإسلامى – نتيجة لنصيحة الخبراء والزراعيين العالميين اليهود أو الأمريكان – أعلن المسئولون عن الزراعة فيها أن زراعة «الكانتالوب» تحقق عائدا اقتصاديا أفضل من زراعة القمح!!!

وقد يكون ذلك صحيحًا بل نسلم أنه صحيح، لكن ما مدى حاجة الناس إلى «الكانتالوب» إذا قورنت بحاجتهم إلى القمح؟

أم أن القمح يجب أن تزرعه أمريكا وتصدره إلى العالمين العربى والإسلامى فلا يجد منافسا؟

وكيف يتحد من يحتاجون إلى قمح أعدائهم، ليواجهوا عدوان هؤلاء الأعداء عليهم؟

وكذلك شأن الصناعة والتصنيع، استيراد المصنوعات أهم من إنتاجها، لنفس الأسباب ونفس الأهداف!!!

– وإذا كانت صناعة الأسلحة، تحقق للعالمين العربى والإسلامى – إذا طوروا هذه الصناعة علميا وتقنيا – فرصة لخوض معارك متكافئة من حيث التسلح مع أعدائهم، فإن حظر صناعة السلاح وبخاصة غير التقليدى منه هو الوسيلة التى تقدر عليها الدول الكبرى، وتفرضها فرضا على دول العالم الثالث أو العالم الفقير، وفى إطار هذا العالم يصنف العالمان العربى والإسلامى، وإذا كانت الوحدة والقوة متلازمتين أو تكمل إحداهما الأخرى، فإن العدو لابد أن يوصد أمام العالمين العربى والإسلامى البابين معًا باب القوة وباب الوحدة، لذلك تقيم الولايات المتحدة الأمريكية الدنيا ولا تقعدها إن استطاعت دولة من العالمين العربى والإسلامى أن تنتج سلاحا غير تقليدى، كما فعلت مع باكستان عندما توصلت إلى تصنيع قنبلة نووية ردًا على الهند التى صنعتها بمعاونة دول الغرب!!!

وكذلك تفعل الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل معا وبتنسيق كامل، ضد العراق حينما ضربت إسرائيل مفاعله النووى، فى حين لم يجرؤ أحد على ضرب إسرائيل وهى تملك عددا غير قليل من القنابل النووية، لأن أمريكا تحميها وتذود عن شرها وإجرامها..

ثم يتحدثون بلا حياء عن السلام والعدالة والشرعية الدولية والقانون الدولى والديموقراطية وحقوق الإنسان وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن!!!

إن ضرب أعدائنا لأسباب الوحدة والقوة فى العالمين العربى والإسلامى يعنى: أن الولايات المتحدة وإسرائيل فوق القانون، وفوق هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها الموقر بشرعية دولية كفلت لبعض الدول الكبرى حق نقض اى قرار يتخذه مجلس الأمن، بل إن أمريكا وإسرائيل فوق الناس جميعا وبيدهما ميزان الحكم على الناس بأنهم أشرار أو أخيار، مع أن العدل والإنصاف يؤكد أن للشر فى هذا العالم محورين هما الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بما يقومان به من جرائم فى فلسطين وفى أفغانستان.

- وإذا كان التعليم والثقافة والإعلام أسبابا فى توحد العرب والمسلمين، فلابد أن توجه إليها ضربات الأعداء بقسوة وضراوة، بحيث تصرف التعليم فى العالمين العربى والإسلامى عن تخريج العلماء إلى تخريج الموظفين، وتزاحم اللغة العربية بلغات الأعداء، وتعطى الامتيازات العديدة لمن يجيد لغة من لغات الأعداء وتنزوى العربية لغة القرآن والسنة لتصبح فى مناهج التعليم فى هوان وتقلص وضمور!!!

وكذلك توجه الضربات للثقافة العربية والإسلامية لتجفيف منابعها والإزراء بتاريخها ورجالها، خشية أن تحيا فى عقول الناس فتحيى فيهم الرغبة فى الاتحاد أو الوحدة، وشأن الإعلام لا يختلف عن التعليم والثقافة إن لم يكن أهم من حيث انتشاره وقوة تأثيره فى الناس، فالإعلام بوسائله وما تقدمه هذه الوسائل من مادة إعلامية متنوعة وجاذبة له قدرة على توحيد الفكر وتوحيد العمل وتوحيد الصف، وتوحيد الأهداف، وكل تلك لبنات فى بناء الاتحاد بين العالمين العربى والإسلامى، فلابد أن توجه إليه الضربات ولابد من توجيهه والتأثير فيه حتى لا يؤدى أهم وظيفة له وهى توحيد العرب والمسلمين.

وهكذا يعمل الأعداء ما وسعهم على تفتيت الوحدة بين بلدان العالمين العربى والإسلامى.

وحسبنا دليلا على محاولاتهم ونجاحهم في هذه المحاولات أن الأمة العربية الواحدة هى اليوم اثنتان وعشرون دولة، كل دولة منها ذات حدود، وسياسة، واقتصاد وذات عملة تخصها، وذات خلافات واختلافات!!!

وكذلك فعلوا فى العالم الإسلامى اليوم حيث أصبحت الأمة الإسلامية أكثر من ستين دولة لها أيضا حدودها، وسياساتها، واقتصادها، وعملاتها التى تخصها!!!

يفعل الأعداء بنا هذا التفريق والتفتيت، على حين يعملون هم على الاتحاد والتوحد - كما حدث فى الاتحاد الأوروبى المختلفة دوله لغة وتاريخا وجغرافية وأهدافا ومطامع ومطامح!!!

وبعد:

فما نجح الأعداء فى كل ما وجهوا إلى المسلمين والعرب من ضربات إلا بعد أن غاب الجهاد فى سبيل الله عن المسلمين أو غُيب عنهم.

■■■■

خاتمة الكتاب

احمد الله تعالى على ان مدنى من الأسباب بما أكملت به هذا الكتاب، كما تصورته سائلا الله سبحانه ان ينفع به فى الدنيا والآخرة، وأن يوقظ فى المسلمين روح الجهاد فيعدوا أنفسهم بكل ما استطاعوا من قوة.

واصلى واسلم على إمام المجاهدين وخاتم المرسلين محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، والعاملين بسنته إلى يوم الدين.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد ان لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

د. على عبد الحليم محمود

قائمة بأعمال المؤلف المنشورة

أولا : فى الفكر الإسلامى وقضاياه :

١- مع العقيدة والحركة والمنهج	- دار الوفاء بمصر.
٢- الغزو الصليبى والعالم الإسلامى	- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣- المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى	- دار المنار بالقاهرة.
٤- الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى	- دار المنار بالقاهرة.
٥- التـراجع الحـضـارى فى العـالم الإســلامى وطرق التغلب عليه	- دار الوفاء بمصر.
٦- التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية	- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٧- نحو منهج بحوث إسلامى	- دار الوفاء بمصر.
٨- السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	- دار عكاظ بالسعودية.

ثانيًا : فى التربية الإسلامية :

أ- سلسلة التربية فى القرآن الكريم :

٩- التربية الإسلامية فى سورة المائدة	- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١٠- التربية الإسلامية فى سورة النور	- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١١- التربية الإسلامية فى سورة آل عمران	- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١٢- التربية الإسلامية فى سورة الأنفال	- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١٣- التربية الإسلامية فى سورة الأحزاب	- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١٤- التربية الإسلامية فى سورة النساء	- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١٥- التربية الإسلامية فى سورة التوبة	- دار التوزيع والنشر الإسلامية.

ب - سلسلة مفردات التربية الإسلامية

١٦- التربية الروحية	- دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٧– التربية الخلقية – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

١٨– التربية العقلية – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

١٩– التربية الدينية (الغائبة) – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢٠– التربية السياسية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢١– التربية الاجتماعيةالإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢٢– التربية الاقتصادية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢٣– التربية الجهادية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢٤– التربية الجمالية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

جـ – فى التربية الإسلامية المعاصرة :

٢٥– تربية الناشئ المسلم – دار الوفاء بمصر .

٢٦– وسائل التربية عند الإخوان المسلمين – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢٧– منهج التربية عند الإخوان المسلمين – دار الوفاء بمصر .

ثالثا : فى فقه الدعوة الإسلامية .

٢٨– فقه الدعوة إلى الله – دار الوفاء بمصر .

٢٩– فقه الدعوة الفردية – دار الوفاء بمصر .

٣٠– المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله – دار الوفاء بمصر .

٣١– فقه الأخوة فى الإسلام – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٢– فقه المسئولية – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٣– عالمية الدعوة الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٤– التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة – دار الوفاء بمصر .

رابعا : سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا :

٣٥– ركن الفهم – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٦– ركن الإخلاص – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٧– ركن العمل أو منهج الإسلام الإصلاحى – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٨– ركن الجهاد الذى لا تحيا الدعوة إلا به – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٩– ركن التضحية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٠– ركن الطاعة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤١– ركن الثبات – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٢– ركن التجرد – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٣– ركن الأخوة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٤– ركن الثقة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

خامسا: فى الأدب الإسلامى المعاصر:

٤٥– مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه – دار عكاظ بالسعودية.

٤٦– جمال الدين الأفغانى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه – دار عكاظ بالسعودية.

سادسا: فى الدراسات الأدبية:

٤٧– القصة العربية فى العصر الجاهلى – دار المعارف بمصر.

٤٨– النصوص الأدبية – تحليلها ونقدها – دار عكاظ بالسعودية.

سابعا: كتب معدة للنشر:

١– التربية الجسدية الإسلامية.

٢– التربية الإسلامية فى المدرسة.

٣– التربية الإسلامية فى المجتمع.

فهرس الكتاب